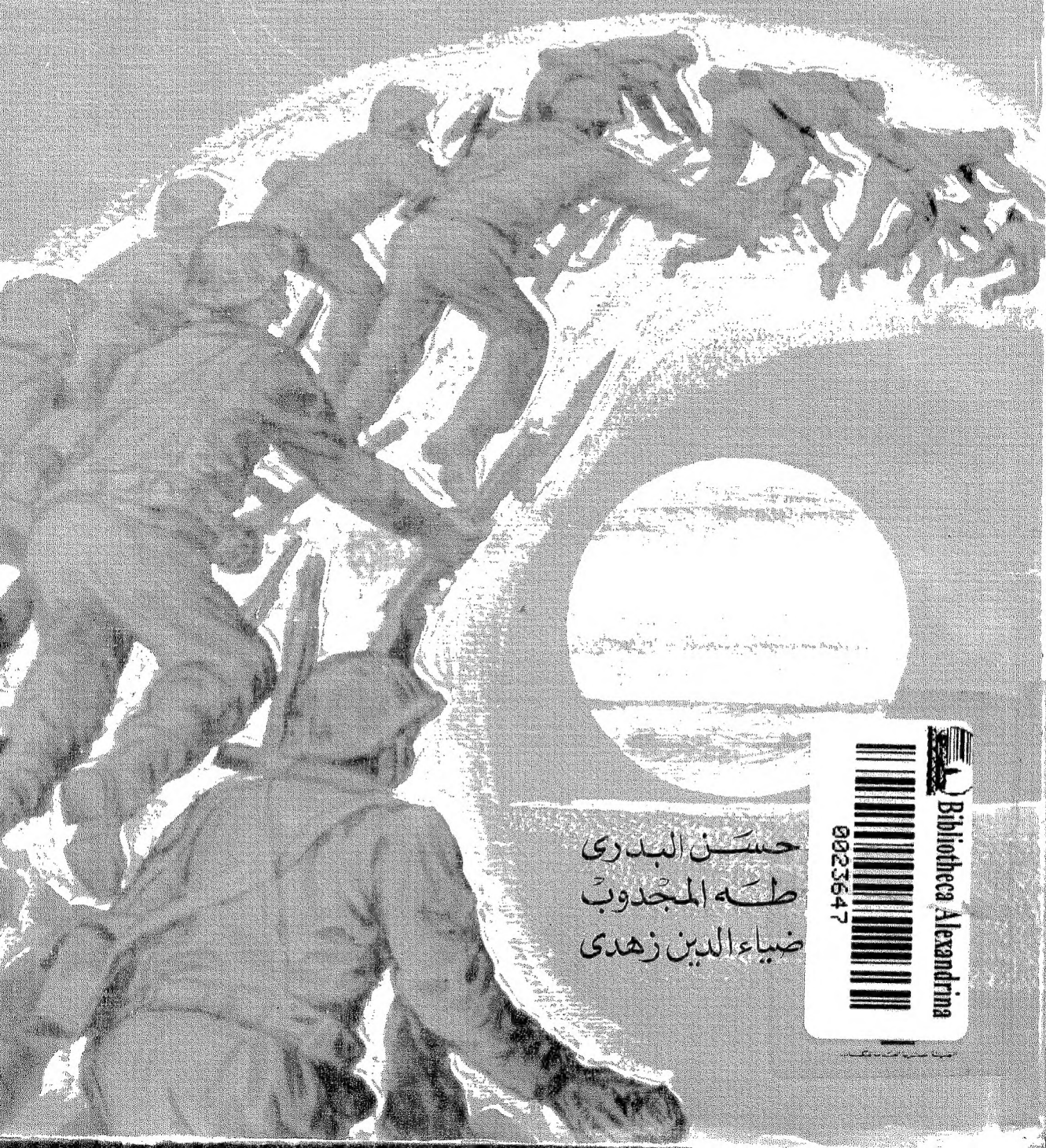


حرب رمضان

الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة
أكتوبر ١٩٧٣



حسن البدرى
طه المجدوب
ضياء الدين زهدى

0023647



Bibliotheca Alexandrina

حرب رمضان

حرب رمضان

الجمولة العربية الإسرائيلية الرابعة

أكتوبر ١٩٧٣

الطبعة الخامسة

اللواء: حسن البدرى

اللواء: طه المجدوب

اللواء: ضياء الدين زهدى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٧

الاهـراء

الى شهداء العرب ٠٠٠ كل الشهداء
على درب الكفاح الطويل ٠٠٠
من بدر الأولى عام ٦٢٤ ميلادية ٠٠٠
الى بدر الثانية (حرب رمضان) ٠٠٠
وما سوف يتلوها من حروب ٠

المؤلفون

« سوف يجيء اليوم الذى نجلس فيه لنقص ونروى ماذا فعل كل واحد منا فى موقعه ، وكيف حمل كل منا أمانته وادى دوره ، وكيف خرج الأبطال من هذا الشعب وهذه الأمة ، فى فترة حالكة ، يحملون مشاعل النور لتضيء الطريق حتى تستطيع أمتهم ان تعبر الجسر بين الياس والرجاء » •

الرئيس الراحل محمد انور السادات



بسم الله الرحمن الرحيم

مع دقة المهمة التي كلفني القائد الأعلى بانجازها ، والتي جمعت بين اهداف العبور واقتحام قناة السويس وبين تحرير الأرض ... كان لابد أن أعمل على توفير كل أسباب النجاح قبل البدء في التنفيذ ، وعلى هذا ، فقد حرصت على أن يكون التخطيط للمعركة محكما ودقيقا وأن يتم الاعداد لها على أسس علمية مدروسة ..

وواصلنا العمل في صبر وصمت ...

وعندما وثق الجميع في انفسهم وفي قدرتهم على تحقيق مهامهم بنجاح ، تجدد التوقيت ، بعد دراسة عميقة وتنسيق كامل مع رفقة السلاح في سوريا الشقيقة .

وانطلق الرجال نحو الهدف .. يساندتهم شعبنا البطل الذي منحهم ثقته المطلقة ... فقاتلوا بشجاعة وبشرف ... وبرزت حقيقة معدنهم الاصيل ... وأكلوا أنهم بالتدريب الجاد ، وبالايمان بالهدف مع الاصرار على تحقيقه ، لقادرون على تحقيق النصر في المعارك الحربية الحديثة .

لهذا فقد نصرهم الله ، أنه نعم المولى ونعم النصير ؟

١٩٧٤/٢/٢٤

مشير

احمد إسماعيل على

وزير الحرية والقائد العام للقوات المسلحة الأسبق



الباب الأول
المآزر العشرة

الاسباب والمسببات :

● تنطوي الفكرة الصهيونية في طبيعتها السياسية والاجتماعية على تصور خاص للانسان العربي من حيث طبيعته وحقوقه ، والصلات القائمة بينه وبين وطنه .
كما تركز الخطة التوسعية الاسرائيلية على نظرة معينة الى الانسان العربي تتنافى مع كل ما يمت الى حقوقه بصلة ، اذ تقف واياء على طرفي نقيض ، وترسم هذه الحقيقة الطبيعة السياسية والاجتماعية للصراع العربي الاسرائيلي .

ذلك لان الدعوة الصهيونية في مظاهرها الرامية الى الاستيلاء على اجزاء من ارض العرب والسيطرة على مقدراتهم ليس بوسعها ان تعترف باية حقوق للانسان العربي ، ولا حتى بوجود ذلك الانسان صاحب هذه الحقوق .

وهذه النظرة الصهيونية ليست بنت الساعة ، بل تركز على رصيد تاريخي لا يجوز الاستهانة به ، او بالملايسات التي واكبته وأسهمت في تكوين روايته .

وبالإضافة الى ذلك فان الفكرة الصهيونية وليدة بيئة أوربية تشكلت خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وهي وريثة موقف تعسفي انعزالي خاص عن العالم وشعوبه وحضاراته ، لم تعمل على تخطيه وتجاوز معطياته التاريخية الراهنة ، بل عكفت على تمثله واقتباسه ،

فاعتنقت العنصرية بحجة الدفاع عن اليهود ، وكرد فعل لظاهرة العداء للسامية ، واستنبطت فكرة « القومية اليهودية » بمثابة تعويض لكل مالحق باليهود من أذى على يد العنصرية الأوربية المتعصبة .

وهكذا لقد اقتبست القومية اليهودية شتى المفاهيم والتصورات التي كانت سائدة في المجتمع الأوربي في الربع الأخير من القرن الماضي لتحارب أعداء السامية بسلاحها ثم لتبقى أسيرة هذا السلاح نفسه بعد ذلك حتى مع العرب الساميين . ان النظرة الصهيونية الى حقوق الانسان العربي لا يمكن عزلها عن النظرة الصهيونية الى الانسان العربي نفسه ، ذلك لأنها وليدة الصورة التي شاعت الظروف أن ترسمها لها وفقا لمقتضيات أهدافها وميولها الخاصة .

والفكرة الصهيونية تركز على اغتصاب أرض عن طريق اقتلاع شعب بأكمله من تراب هذه الأرض ، وإذا ما اصطدمت بمقتضيات العدل والشرعية الدولية فانها تلجأ الى تعميمات خبيثة تشكك بها في علاقة القومية العربية بالوطن العربي في فلسطين فتنادي بأنه من سوء طالع الصهيونية أنها « لم تحقق نواياها خلال العهد الذي لم تكن القومية العربية فيه قد استكملت ادعاءاتها بعد » ، فتكشف بذلك عن رأى خبيث يرى أنه « من سوء حظ الصهيونية أنها لم تقتصب فلسطين في غفلة من أصحابها » . ثم يتساءل رأى آخر بخبث قائلاً « متى كانت فلسطين عربية وفي أي حقبة من التاريخ ؟ فيتغافل عن ثلاثة عشر قرناً من تاريخ العرب المتصل بفلسطين ، وعن حقوقهم فيها منذ فجر التاريخ » .

المخطط التوسعي الاسرائيلي :

هذا ولم تظهر مظاهر اسرائيل التوسعية هذه في أي وقت بشكل واضح محدد ، لأن مؤسساتها السياسية والعسكرية اعتبرت حدود الدولة الاسرائيلية المنشودة في حركة ديناميكية مستمرة تتوسع مع تزايد أسباب القوة والنفوذ .

لهذا نشأت اسرائيل كفكرة غامضة حيث لم يكن هناك شعب يهودي يسعى الى تحقيق ذاته سياسياً ، بل كانت هناك مجرد جمعيات دينية وعنصرية مختلفة ، تخطط على خرائط من بنات أفكارها حدوداً مصطنعة ، لبلاد لم تطأها أقدامهم بعد .

والملاحظ أن الغاية القومية الصهيونية نفسها عندما تبلورت ابعادها في مؤتمر بال سنة ١٨٩٧ ، كانت تقسم أيضاً بالقبوض بمسا دعي تيودور هرتزل أن يقول « لو طلب مني أن ألخص مؤتمر بال في كلمة - على ألا أقولها بصوت مرتفع - لقلت « انه في بال تم تأسيس الدول اليهودية ولو قلت ذلك بصوت مرتفع لضحك مني الجميع » . ولكن المؤسسة العسكرية الصهيونية وقتها كانت تعي ما تقول ، وتعتمد على الاغراق في

الغموض لقضاء حوائجها ، فبدأت تطالب بوطن قومي لليهود في فلسطين - مجرد وطن قومي لهم - على حين هي تضمّر فرض « دولة تشتمل على كل الأرض ، من النيل الى الفرات » .

وعندما رسمت اسرائيل خريطتها الأولى بحرب ١٩٤٨ . التوسعية، جاءت على شكل مثلث بالغ الطول شديد النحول ، جملة مساحته ٢٠٧٠٠ كيلو متر مربع ومجموع أطوال حدوده وقتئذ ٩٥١ كيلو مترا ، منها ٥٣١ كيلو مترا مع الأردن ، ٧٠ كيلو مترا مع سوريا ومثلها مع لبنان ، ٢٧٤ كيلو مترا مع شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة .

ومع مولد الدولة تعمّدت قيادتها السياسية أن تغفل عمداً أى ذكر لشكلها الجغرافي ، وجاء دستورها خلواً من أى تحديد لحدود الدولة ، على حين نادى أول رئيس لوزرائها بأن « حدود اسرائيل تكون حيث يقف جنودها » فالقى بهذا التصريح العدواني بعض الضوء على خبايا المطامع الصهيونية ومراميها التوسعية في الوطن العربي .

وعندما اشتعلت ثورة العراق عام ١٩٥٨ ، وكشف الزعيم عبد السلام عارف عن وثائق حلف بغداد الاستعماري ، ظهرت وثيقة صهيونية خطيرة كانت في ملفات هذا الحلف ، تحمل وجهة نظر المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في بعض المناطق العربية المتاخمة ، وما توفره لاسرائيل من مزايا كبيرة اذا ما ضمتها الى رقعة دولتها ، مزايا استراتيجية وسياسية واقتصادية .

وبهذا كانت هذه الوثيقة أول دليل مادي على ما تبينه اسرائيل من خبايا توسعية في الوطن العربي الكبير ، ولم تحظ هذه الوثيقة بأى اهتمام من العالم بفضل تحكم الصهيونية في وسائل الاعلام العالمية ، كما انها لم تثر في الدول العربية أى ردود فعل محسوسة - وهنا موطن الغرابة فعلاً .

نقول ان هذه الوثيقة الصهيونية التي اكتشفها العرب في محفوظات حلف بغداد اظهرت خبايا المطامع الصهيونية التوسعية التي أشعلت اسرائيل على هديها عدة حروب عدوانية لغرض دفع حدودها للامام ، وأغتصاب المزيد من الأرض العربية المجاورة . وقد نجحت في عدوانها صيف عام ١٩٦٧ م . أن تضم الى رقعتها ما يزيد على ثلاثة أمثال مساحتها الأصلية قطعتها من أراضي مصر والأردن وسوريا . وبمجرد أن تم لها ذلك سارعت بالاعلان على لسان زعمائها السياسيين وقادتها العسكريين أنها لن تتزحزح قيد أنملة عن هذه الحدود الجديدة التي زعمت انها توفر لها الأمن المنشود .

وفي الوقت نفسه راحت أجهزتها المختلفة تشكك في حق العرب القانوني في ملكية هذه الأرض . وكشفت اسرائيل بهذا المسلك عن أن الأهداف الصهيونية الجائرة هي الدافع الحقيقي وراء الصراع العربي

خبايا المكامح الصهيونية في الوطن العربي

م	المنطقة	الزوايا السياسية	ج	الزوايا الاقتصادية	الزوايا الاستراتيجية
١	ب	شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة	<ul style="list-style-type: none"> - سهولة الوصول الى المحيط الهندي ودعم الاتصال مع دول افريقيا وآسيا - عزل مصر عن بقية العالم العربي والوقوف في وجه تحقيق الوحدة العربية - الاستيلاء على مناطق تاريخية ذات صبغة دينية . 	<ul style="list-style-type: none"> - استخدام تجاري غير محدود - إخراج النقية ومياه ايلات . - الاستيلاء على الثروات الطبيعية - اشبه جزيرة سيناء وخاصة البترول. - استغلال الامكانات التجارية - لكتلة السويس او التجارة فيها . 	<ul style="list-style-type: none"> ه - ضمان الوصول الى البحر الآخر - تهديد الدول العربية اوراقه عليه . - تحسين الامكانات الدفاعية - والتفصاء على البروزات الجغرافية في - خطوط الحدود . - حرمان مصر من قواعد مناسبة - للهجوم على اسرائيل .
٢	ضفت الاردن الشرقية والعربية	<ul style="list-style-type: none"> - القيام بدور اساسي في المخططات الامبريالية والتجارة المسالة في مشروعات الدلاخ عن الشرق الاوسط 	<ul style="list-style-type: none"> - الاستيلاء على مناطق تاريخية ذات صبغة دينية . 	<ul style="list-style-type: none"> - اشغالة المزيد من الاراضي الزراعية الخصبة . - استغلال الثروة الطبيعية للبحر الميت ومساقط المياه . - تحقيق اقصى استفادة من مياه الاردن والرموك . 	<ul style="list-style-type: none"> - تأمين دلاخ قوى من الشرق عن مناطق اسرائيل العنوية . - تهديد مناطق حيوية بالسعودية والكويت والعراق . - تأمين منطقة ايلات تأمينا كاملا . - تأمين منطقة البحر الميت كمصدر هام للثروة الطبيعية .
٣	المرتفعات السورية ودعا وحوران	<ul style="list-style-type: none"> - الاتصال بمناطق الاقليات السورية وخلق حاجز منها يفصل بين سوريا واسرائيل . 	<ul style="list-style-type: none"> - الاستيلاء على مناطق تاريخية ذات صبغة دينية . 	<ul style="list-style-type: none"> - الاستيلاء على المناطق الزراعية الهامة واضعالة المزيد من الاراضي الخصبة الى رقعة اسرائيل . - السيطرة على منطقة جبل النسيخ - كمصدر اساسي للمياه . - السيطرة الكاملة على مياه نهر اليرموك . 	<ul style="list-style-type: none"> - حرمان سورية من القواعد الصالحة للهجوم على اسرائيل . - تأمين المعايه الكاملة لجاه نهر الاردن . - استكمال خط الدلاخ الجغرافي الاستراتيجي عن مدخل الحرقيا من الشرق وقناة السويس .
٤	حوض نهر الليطاني	<ul style="list-style-type: none"> - تشكيل عامل ضغط على لبنان - دعم الاستقلال السياسي مما يحققه من مزايا اقتصادية . 	<ul style="list-style-type: none"> - توسيع نطاق مساحات الزراعة الخصبة . - السيطرة التامة على منابع نهر الاردن واستغلالها . 	<ul style="list-style-type: none"> - تأمين منطقة الجليل واقامة معقل دلاخ منبع في الشمال . - خلق فاصل طبيعي ومنع بين سوريا ولبنان في هذه المنطقة . 	

الاسرائيلي والمبعث الأول لاثارته ، يؤازرها في ذلك مخطط قوى الاستعمار
والامبريالية في المنطقة العربية .

ان هذا الصراع الضارى في حقيقة أمره نضال سياسى اقتصادى
اجتماعى معنوى عقائدى تتفاقم فيه أسباب العداوة حتى تصل الى مستوى
الصراعات المصيرية ، وتوجه أموره على هذا الجانب قوى استعمارية تسعى
الى خلق كيان عنصرى دخيل ، يضرب جذوره فى كل أنحاء أرض العرب ،
على حين تواجهه على الجانب المضاد حركة قومية تستهدف الحرية والوحدة .

لذلك تعتبر النظرية الصهيونية ان القومية العربية هي العدو الاول
والقوة المضادة ذات الخطر الادهى الذى يعترض سبيل مخططاتها العدوانى
المرسوم .

ويوضح شيمون بيريز وزير الدفاع الحالى خبايا هذه النظرية
الصهيونية المعادية للقومية العربية للدرجة الأولى فيقول فى كتابه «المرحلة
القادمة» (يجب أن تهتم أوروبا وأمريكا بما تملكه أيادينا ، فموقفنا
المتنازع يعتبر قوة تمكنا من أن نسد الطريق فى وجه القومية العربية ،
وأن نكون بديلا لقناة السويس ، وأن نشكل ضغطا على الدول المنتجة
للبنترول ، وتلك التى تنقله) . ومن الطريف أن نشير الى ان ما كانت
تستحله اسرائيل وقتئذ صارت تحرمه اليوم عندما انقلبت الآية بعد نصر
سنة ١٩٧٣ وصار العرب هم الذين يشكلون ضغطا بما يملكون من أرصدة
البنترول أو أسلحته . وجدير بنا ان نتذكر انه بمجرد ان ظهرت اسرائيل
على أرض فلسطين العربية ، صارت هذه الدولة بمثابة التجسيد المادى
لنظرية الاغتصاب والتوسع الصهيونية ، وسببت طوفانا متدفقا من
العداء والرفض العربى لوجودها الغاصب وكيانها الدخيل ، وأصر العرب
على مواجهة مخططاتها العدوانية بالصراع الممتد حتى ولو استمر لأجيال
كثيرة ، أو تطلب منهم ان يخوضوا معارك عديدة . وكان هذا الرفض
العربى هو السمة الغالبة على طبيعة الصراع العربى الاسرائيلى من زواياه
السياسية والاجتماعية وذلك لأن التحدى الاسرائيلى لخطر يعس الكيان
العربى ، والمصير العربى ومستقبل العرب . وهو خطر تتنوع فيه الصور
وتتعدد فيه مصادر العداء ثم لا يقتصر أمره على مجرد اغتصاب واستيطان
جزء من أرض العرب ولا مجرد التوسع فيها بل يسعى الى إعادة السيطرة
الاستعمارية على الوطن العربى بصورة مستحدثة ، وفرض الوصاية على
العرب فى إدارة أمورهم ، وفى أن يكونوا أصحاب القرار فى أى شأن من
شئونهم .

وينبثق هذا الخطر الصهيونى عن الامبريالية الدولية والاستعمار
الجديد الذى يسعى - عن طريق الفتح - وبكل قواه الى تفتيت الوحدة
العالمية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والروحية للعرب ، ثم
لا تكتفى الامبريالية والصهيونية بكل ذلك ، بل تسعيان فى الوقت نفسه
الى تفتيت الوحدة الوطنية داخل كل دولة عربية .

وتغفل الصهيونية ان الفتح - ومعناه استيلاء دولة عنوة على اجزاء من دولة أخرى - وان كان فيما مضى سبب جائز في اكتساب الأرض ، على أساس ان الحرب ذاتها كانت نظاما قانونيا معترف بوجوده وآثاره ، فانه بعد ظهور المواثيق الدولية التي تحرم الحروب فقد الفتح علة ، ولم يعد يصلح سببا لنقل السيادة بمقتضاه على جزء من اراضى دولة الى دولة أخرى .

وننتهى مما سبق الى ان التوسعات الاقليمية التي تاتى وليدة العدوان تعتبر باطلة في عرف القانون الدولي العام .

وحتى تتجنب اسرائيل هذا الدفع القانونى الذى يدين كل عمل عسكرى تهدف من ورائه الى الفتح والاستيلاء على ارض عربية مجاورة فقد اعلنت الى المبرر العصرى لمخططاتها التوسعى ، فنادت مع كل عدوان جديد شنته على العرب بأنها انما تسعى الى تأمين حدودها ، واكتساب المزيد من السلامة الجغرافية لدولتها ، التى تزعم انها تتعرض بصورة مستمرة الى خطر الابادة بالغزو العربى ، وبهذا التضليل حفظت لنظريتها التوسعية بدنياميكيتها اللازمة لاستمرار اغتصابها ارض العرب مع قواى السنين ، وفاقّت النازية والفاشيستية فيما كانت تقدمه فى الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن من مبررات واسباب لعدوانها المستمر على الدول والشعوب .

عن ديناميكية العدوان الصهيونى وتوسعاته الاقليمية :

لقد كان أساس توسع اسرائيل فى جولاتها الاولى ضد العرب عام ١٩٤٨ م . هو رفضها قرار التقسيم الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ م . والذى اوصى بانشاء دولتين فى فلسطين احدهما عربية والاخرى يهودية ، بالاضافة الى تدويل القدس ، وجعلها تحت وصاية الأمم المتحدة .

وقد قسم هذا القرار الاراضى الفلسطينية البالغ مساحتها حوالى ٢٧ مليون دونم الى منطقة عربية مقدارها ١١ ١/٢ مليون دونم أى بنسبة ٤٢ر٨٪ من اجمالى مساحة فلسطين ومنطقة يهودية مقدارها ١٥ ١/٢ مليون دونم بنسبة ٥٦ر٥٪ ، ومنطقة دولية حول القدس مقدارها ١٧٥٠٠ دونم بنسبة ٧ر٪ .

ورغم ان هذا القرار الجائر قد خص اليهود بأكثر من نصف مساحة فلسطين على حين لم يكن اليهود يملكون وقتها سوى مليونى دونم فحسب أى ما يعادل ٧ر٪ من تلك الاراضى فان زعماء المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لم يكتفوا بما خلعه عليهم قرار التقسيم من حقوق العرب بل بدعوا بعد صدور هذا القرار يشنون حملة ارضاب واسعة فى جميع أنحاء فلسطين بقصد طرد سكانها العرب منها واغتصاب ارضهم ودورهم وممتلكاتهم .

وعندما بلغ هذا الارهاب الصهيوني مداه بمذبحة دير يسن التي ارتكبتها الصهاينة فى ٩ ابريل ١٩٤٨ م . أسرعت الدول العربية الى التدخل العسكرى لمساعدة شعب فلسطين فى الدفاع عن حقوقه المشروعة والحفاظ على وطنه . وعندما وقعت اتفاقات الهدنة عام ١٩٤٩ م . كانت اسرائيل قد ضمت الى رقعتها بالغزو ٥/٢ ملايين دونم زيادة عما خصها فى قرار التقسيم فقفز نصيبها من اجمالى أرض فلسطين من ٥٦ر٥ ٪ الى ٧٧ر٤ ٪ على حين انخفض نصيب العرب فى هذه الأرض من ٤٢ر٨ ٪ الى ٢٢ر٦ ٪ .

لقد كان هذا العدوان الاسرائيلى المسلح هو الجولة التوسعية الاولى فى جسم الامة العربية وهى الجولة التى أطلق شرارتها رئيس وزراء اسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ م . عقب اعلان ميلاد الدولة بقوله « . . . ليست هذه نهاية كفاحنا بل اننا اليوم بدأنا وعلينا أن نمضى قدما لتحقيق قيام الدولة اليهودية من النيل الى الفرات » .

ثم استخدمت اسرائيل الحرب للمرة الثانية كوسيلة لتحقيق توسعات اقليمية فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ . وعندما احتلت قواتها شبه جزيرة سيناء أعلن رئيس وزرائها دافيد بن جوريون يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٦ م . أمام الكنيست ضم شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة الى رقعة اسرائيل . ووقف مع ١٢٠ عضوا ينشدون نشيد الأمل - هاتيكفاه - فرحين باقامة جزء من اسرائيل الكبيرة . ولكن أمورا خارجة عن ارادتهم - كان من بينها تصميم شعب مصر على الدفاع عن وحدة ترابه ، وكذلك الموقف الحازم الذى وقفته الأمم المتحدة فى وجه العدوان والتوسع الاسرائيلى - أجبرهم وهم كارهون على الانسحاب واعادة سيناء الى وطنها الأم . . . مصر .

وجاءت بعد ذلك المحاولة الثالثة للتوسع الصهيونى عندما شنت اسرائيل العدوان على مصر والأردن وسوريا صباح الخامس من يونية ١٩٦٧ لتحقيق توسعات اقليمية فى شبه جزيرة سيناء والضفة الغربية للأردن والمرتفعات السورية .

والجدير بالذكر ان الصهيونية راحت تنادى بعد هذا العدوان الاجرامى آن الأرض التى احتلتها فى الجولة الثالثة تشكل ضرورة أمن فضلا على الضرورات الاقتصادية والسياسية التى توفرها . كما نوهت أيضا ان استعمار الأرض بهذه الكيفية قد تكتنفه بعض القيود . أما استعمار مياه وأجواء البحر الأحمر والبحر المتوسط والبحر الميت فلا قيود عليه ، اذ هو مستباح لاسرائيل لآخر ما تصل اليه قبضتها الطويلة ويدها العليا .

وراح بن جوريون يبشر باستعمار البحار والسماء ويعدد مزاياه فيقول : « ان الأمن يعنى أيضا غزو البحر والجو كما يعنى استعمار

الأرض . ويجب أن تتحول اسرائيل الى قوة بحرية هامة ، وقد أكدت هذه الحاجة تلك المقاطعة الاقتصادية التي فرضها العرب علينا ، وغلق قناة السويس في وجهنا » . لقد تحولت الشعوب الصغيرة في العصور الوسطى والحديثة التي تعيش بجوار البحر الى قوى بحرية عظيمة بفضل تطوير بناء السفن ومصائد الأسماك وأول مثل تاريخي لذلك قدمه لنا أناس عاشوا في وطننا وكانوا يتكلمون العبرية مثلنا وأعني بهم سكان صور وصيدا « (١) » .

ولم يكن هذا العدوان التوسعي من جانب اسرائيل سوى حلقة جديدة من سياستها التوسعية طبقا لما ذكره وزير خارجيتها آنذاك أبا ايبان في مجلة الشؤون الخارجية عدد يوليو ١٩٦٥ ، حيث قال انه من الممكن أن نتصور القادة العرب في المستقبل وهم يطالبون اسرائيل بالعودة الى حدود ١٩٦٦ أو ١٩٦٧ كما يطالبون اليوم بالعودة الى حدود ١٩٤٧ م « . ثم فيما أعلنه في ١٦ يونيو ٦٧ بعد انتهاء الجولة الثالثة مباشرة من انه « حتى لو صوتت الأمم المتحدة بكل أعضائها ضدنا فسوف لا تنسحب اسرائيل من الأراضي التي تحتلها » .

وبذلك تكون اسرائيل قد استخدمت الحرب العدوانية للمرة الثالثة كوسيلة لتحقيق أطماعها التوسعية في الأرض العربية .

وتكشف المتابعة الدقيقة لأنشطة الصهيونية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والفكرية عن وجود مخطط صهيوني مرسوم يستهدف غاية قصوى وأهدافا مرحلية نحو اقامة دولة اسرائيل الكبرى في قلب الوطن العربي الكبير .

ان هذا المخطط الذي بدأ أعماله الايجابية منذ انطلقت دعوة « الخلاص والعودة الى فلسطين » في أواخر القرن الماضي ، قد استمر ينمو حتى استفحل خطره بانطلاق العدوان الصهيوني نحو التوسع في الستينات للقرن الحالى . ويجد الباحث بين ثنائيا تلك الأعوام الطويلة انه يمكن تقسيم تلك الفترة التي تقع بين الربع الأخير من القرن الماضي والربع الأخير من القرن الحالى ، طبقا لتطور الفكرة الصهيونية وانجازاتها وتبعاً للمخطط التوسعي العدواني الاسرائيلي الى مدخل ثلاث مراحل رئيسية كالآتي (٢) :

(١) المؤسسة العسكرية الاسرائيلية المجلد الاول من العسكرية الصهيونية - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - بمؤسسة الأهرام .

(٢) «كتاب اسرائيل سنوات التحدي» بن جوريون ص ٦٤ .

المخطط الصهيوني التوسعي العام

المخطط

استعداد فلسطين ١٨٨٧ - ١٨٨٧

المرحلة الثالثة - التوسع

١٩٤٧

جبل المولة المائية - شجار الاقتصادي

وفرش الامر الواقع

(٧) الحقبة السابعة :

الاحتواء الاول والردع المـسـلـوـد

١٩٥٧ - ١٩٤٧

(٨) الحقبة الثامنة :

الانفتاح بالمعونان نحو الحدود الـمـنـة

١٩٦٧ - ١٩٥٧

(٩) الحقبة التاسعة :

الاحتواء التـسـانـي والردع الجـسـم

١٩٦٧

المرحلة الثانية - اقتصاص فلسطين

١٩٤٧ - ١٩١٧

جبل الازهاب - شجار السود والبرج

(٤) الحقبة الرابعة :

التفتين والتعزيز

١٩٣٧ - ١٩١٧

(٥) الحقبة الخامسة :

ملازمة المد التـسـويـي المـسـتـقـي

١٩٣٧ - ١٩٢٧

(٦) الحقبة السادسة :

انطلاق الازهاب

١٩٤٧ - ١٩٣٧

المرحلة الاولى - التسلسل الى فلسطين

١٩١٧ - ١٨٨٧

جبل المشاربين - شجار الحراث

والسيف

(١) الحقبة الاولى :

المودة وبراء الهجرة الى فلسطين

١٨٩٧ - ١٨٨٧

(٢) الحقبة الثانية :

التعهد كـلـوـنـ القـسـوـمـي الـيـسـوـي

١٩٠٧ - ١٨٩٧

(٣) الحقبة الثالثة :

خلق التـوـازـن المـسـكـوـبـة (الـهـاشـمـيـi

١٩١٧ - ١٩٠٧

المدخل الى فلسطين :

وقد بدأ المدخل الى فلسطين بظهور فكرة « الاندماج » ثم اندثارها لتحل محلها فكرة « القومية اليهودية والدعوة الى الهجرة الى فلسطين » واستغرق ذلك الفترة من نهاية القرن الثامن عشر الى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، بتكوين جماعات « حب صهيون » وانطلاق الهجرة الى فلسطين على يد طلائع هذه الجمعيات من حركة بيلو الى أن توحدت جهودها في عام ١٨٨٧ لتبدأ أول المراحل الفعلية التي تشكل المنطلق العملي نحو الدولة اليهودية .

● أولا : مرحلة التسلسل الى فلسطين :

وكانت بدايتها مع باكورة الهجرة لجيل من المغامرين أطلق عليه اسم « العليا الأولى » - والعليا كلمة عبرية تعني الصعود .

ويعود الى هذا الجيل فضل ظهور أول الشعارات الصهيونية فوق أرض فلسطين وهو شعار « المحراث والسيف » عن استعمار الأرض والدفاع عنها ٠٠ أو بمعناه العملي الاستيلاء على الأرض ومنع أصحابها من استردادها .

ومنذ عام ١٨٨٧ وعلى امتداد ثلاثين عاما استمر المغامرون يتوغلون فوق وهاد فلسطين ويجربون ربها .

وكانت الحقبة الأولى بسنواتها العشر جهدا متواصلا لنشر دعوة « القومية اليهودية » والحث على الهجرة الى صهيون واستيطان فلسطين .

وفي عام ١٨٩٧ بدأت الحقبة الثانية بتبلور الأفكار الصهيونية عمليا في اطار « المنظمة الصهيونية العالمية » ، والتحول الى التخطيط الجاد المنظم ، والملتزم بقرارات محددة بشأن « اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين » .

وكان عام ١٩٠٧ هو بداية الحقبة الثالثة والأخيرة في هذه المرحلة اثر استقرار رأى المنظمة - بصفة نهائية وبعد صراع طويل - على أنه لا بديل عن فلسطين وطنيا لليهود .

وقد تميزت هذه الحقبة بتدفق موجات جديدة من المهاجرين « العليا الثانية » تصاحبها مفاهيم سياسية جديدة مستمدة من الفكر الاشتراكي الذي كان سائدا في شرق أوروبا عامة وروسيا خاصة ، وإن ظلت متمسكة بالأفكار النابعة من العقيدة الصهيونية بأن يكون العمل هو أساس الاستيطان ، وأن يكون النقاء اليهودي هو جوهر المجتمع .

وتجسيدا لهذه الأفكار خلقت نواه المؤسسة العسكرية الصهيونية في فلسطين تحت اسم « الهاشومير » أى الحارس .

● ثانيا : مرحلة اغتصاب فلسطين :

يمكن اعتبار عام ١٩١٧ بداية مرحلة جديدة للعمل الصهيونى في فلسطين والتي انتهت باغتصابها . وقد نهض بهذا العمل جيسل من الارهابيين اعتنق أسلوبا جديدا فى سلب الأرض تحت شعار « السور والبرج » تعبيرا عن اغتصاب الأرض بالقوة والانفلاق داخلها والدفاع عنها . واحتوت هذه المرحلة تبعا لأبرز أحداثها على ثلاث حقب .

الحقبة الرابعة : وكانت خاصة بالتقنين للوجود اليهودى في فلسطين ، وصودر وعد بلفور - عندما أعطى من لا يملك لمن لا يستحق وطننا قوميا في فلسطين العربية ثم تأكد هذا الوعد فى صك الانتداب البريطانى على فلسطين بواسطة عصبة الأمم .

واستتبع ذلك تعزيز الوجود اليهودى في فلسطين بتوسيع نطاقه فى ظل الانتداب وتكوين الكيانات السياسية وانشاء المنظمة العسكرية « الهاجاناة » تمهيدا للقضاء على اليقظة العربية النامية فى فلسطين ، والتي بدأت بوادرها الفعلية تطفو على السطح منذ عام ١٩٢٧ لتضع بدايه الحقبة الخامسة وترسم معالمها .

وأتمت **الحقبة الخامسة** بالعمل على مقاومة المد الثورى الفلسطينى، فكانت مشحونة بالصراع الدامى ، وتحولت الهجرة اليهودية خلالها الى هجرة جماعية واسعه يقضيها الاضطهاد النازى لليهود . كما تبلور خلالها التنظيم السياسى الصهيونى فى شكل « الوكالة اليهودية الموسعة » وتطورت القوة المسلحة الصهيونية على ضوء أنماط جديدة من الفكر العسكرى المأخوذ عن البريطانيين أساسا .

ثم بدأت **الحقبة السادسة** عام ١٩٣٧ بانطلاق الارهاب من عقاله وانتهت عام ١٩٤٧ بصودر قرار تقسيم فلسطين من الأمم المتحدة ، وتميزت هذه الحقبة بتعدد أشكال المنظمات العسكرية الصهيونية ، واتساع مجال نشاطها ، خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية عندما شكلت منظمة الهاجاناة قوة ضاربة هي « البالماخ » . كما ازداد نشاط العمل الصهيونى الى حد كبير وتركزت جهوده استعدادا لتحقيق هدف محدد هو « فرض الدولة اليهودية بالقوة المسلحة فى فلسطين » باستغلال فترة الارتباك والتضارب المنتظر أن تسود منطقة الشرق الأوسط والعالم أجمع فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، لاقتناص فلسطين باعتبارها إحدى بقاع الفراغ التى سوف تخلفها هذه الحرب .

❶ ثالثاً : مرحلة التوسع :

سيطر على أمور هذه المرحلة جيل الدولة الفاشية متخذاً شعار « الانقضاء وفرض الأمر الواقع » .

وبدأت المرحلة عام ١٩٤٧ **بالحقبة السابعة** التي تميزت بالعدوان الواسع على فلسطين ، ومحاولة ابتلاعها واحتوائها بعد تفريغها من سكانها العرب بالارهاب .

وقد أعلنت الصهيونية في مستهلها عن قيام الدولة الاسرائيلية في ١٤ مايو ١٩٤٨ ، وتحولت المنظمات العسكرية السرية الى جيش نظامي موحد تحت اسم « قوات الدفاع الاسرائيلي » .

وفي عام ١٩٥٦ شنت اسرائيل حربها العدوانية الثانية ضد مصر في ركاب العدوان البريطاني الفرنسي سعياً وراء القضاء على حركة التحرر العربي النامية والمتمثلة في الثورة المصرية التي أخذت تدعو الى القومية العربية سبيلاً للقضاء على الامبريالية واقتلاع الصهيونية من المنطقة .

ثم بدأت **الحقبة الثامنة** عام ١٩٥٧ بتلك الجهود الصهيونية الضخمة التي بذلتها اسرائيل في الحقل العسكري استعداداً للاندفاع من جديد نحو اغتصاب أرض عربية تحت ستار ما سمته اسرائيل « السعي الى حدود آمنه » .

وقد تمكنت القوات الاسرائيلية في صيف ١٩٦٧ أن تحقق مهام طموحه على أكثر من جبهة عربية ، اذ انتهت الجولة العربية الاسرائيلية الثالثة بابتلاع الصهيونية لكل فلسطين ولثلاثة أمثال مساحة فلسطين من الأراضي العربية المجاورة في سيناء والضفة الغربية للأردن والمرتفعات السورية .

وتلى ذلك **الحقبة التاسعة** للمخطط الصهيوني المرسوم - حقبة العمل المكثف لاحتواء التوسع الثاني ، وتأمين أكبر قدر من المكاسب التي ترتبت على الجولة الثالثة .

الا أن الحرب الرابعة التي بداها العرب ضد اسرائيل في أكتوبر ١٩٧٣ م . قطعت على الصهيونية طريق هذا المخطط التوسعي ، وأجبرتها على الارتداد به نحو الخلف . وقد كانت هذه الحرب بمثابة نقطة التحول لتيار القومية العربية في سعيه الحثيث نحو استعادة حقوقه المشروعة ، وفرض الحل العادل لمشكلة الصراع العربي الاسرائيلي المزمنه . وبذا شكلت الجولة الرابعة نكسة للصهيونية التوسعية وانكماشاً لمخططها العدواني في الوطن العربي .

السلمات البارزة في الصراع العربي الاسرائيلي :

ونستخلص مما سبق أن السلمات البارزة في الصراع العربي الاسرائيلي من حيث طبيعته السياسية والاجتماعية تتركز في الآتي :

- ١ - ان اسرائيل استعمار طائفي أساسه التعصب الديني والشذوذ الرجعي .
- ٢ - ان اسرائيل استعمار عنصري يزعم أن الصهيونية جنس مميز هو شعب الله المختار .
- ٣ - ان اسرائيل استعمار سكني يقوم على إبادة الجنس - العرب - وأقتلاع أصحاب حق وأرض من حقوقهم وديارهم وتحويلهم الى لاجئين منفيين بلا أمل في العودة .
- ٤ - ان اسرائيل استعمار عسكري يفرض وجوده بالقوة الفاشية والبطش والارهاب .
- ٥ - ان اسرائيل قاعدة للاستعمار الجديد تضرب جذورها في جسم الأمة العربية بالدم والنار ، وهي دولة عسكرية صرف في تنظيمها وحياتها وارتباطاتها السياسية والاجتماعية مع الجوار ، ومع العالم أجمع . جيشها هو شعبها ، وشعبها هو جيشها ، وهي في هذا دولة فاشية صرفة .

ويقول الجنرال الاسرائيلي طال نائب رئيس الأركان السابق في هذا الشأن « ان مصير أي شعب من الشعوب يشكل سلوكه ، ومصيرنا جعل منا أمة من المحاريين شعبنا هو جيشنا ، وذلك لأننا لا نستطيع ان نتراجع ، فإلى أين يمكننا ان نتراجع . . وجنودنا يوقنون انهم لا يمكنهم ان يخسروا ، والا حكموا بالاعدام على نساتهم واطفالهم . لهذا يجب على اسرائيل ان يقتل شعبها هو جيشها » .

ولهذا أمكن لاسرائيل أن تحشد في مسرح الحرب كل مرة حوالي ١٣ ٪ من جملة تعداد شعبها على حين حشد العرب في مواجهتها ٣٠ ٪ فقط .

- ٦ - ان اسرائيل استعمار اقتصادي يزداد نمواً وأزدهارا بقدر ما يفتصب من أرض ، العرب وحقوقهم ، وهو عدوان طفيلي ابتزازي شره يسعى الى نزع ملكية شعب بأسره توطئة الى القضاء المبرم عليه .
- ٧ - ان اسرائيل استعمار توسعي عقد العزم على تمزيق أوصال الوطن العربي وتفريغ أهم مناطقه من أصحابها سواء بالطرد أو بالإبادة ، لاقتناعها بأن هذه الأرض لا تتسع لها وللعرب معا ، وأن وجود احدهما هو نفى لوجود الآخر ، وبقاء هذا فناء لذاك ،

وأن الجدير بالوجود والبقاء من وجهة نظرها العنصرية هو شعبها المختار إسرائيل .

٨ - وإسرائيل استعمار بالأصالة والوكالة ، فهي دولة قامت بمؤامرة الصهيونية العالمية وتعيش على متاورات الامبريالية ، وهي للأولى ملجأ وملاذ وموطئ قدم للاحتكار والاستغلال ، وهي للثانية قاعدة ورأس جسر ووكيل استغلالي وعميل احتكاري .

٩ - وإسرائيل سرطان أرضي يفصل مشرق العروبة عن مغربها ، ويفسد تجانس الوطن العربي ويعرقل وحدته ويستنزف طاقاته ويتربص بمصائره .

١٠ - وإسرائيل بكل ما سبق تشكل بالنسبة للعرب أخطر تحديات الاستعمار في تاريخ كفاحهم المتصل ، وفي هذا الشأن يقول موسى ديان في كتابه « يوميات معركة سيناء » « ليس أمام إسرائيل من بديل عن استعمال القوة لتحقيق أي تسوية في خلافاتها مع الدول العربية . ولا تنحصر المسألة بينها وبين العرب في إيجاد حل لهذا الأمر أو ذاك ، ولكن المسألة هي وجود إسرائيل نفسها » .

أما الاعتبارات السياسية التي تحدد لإسرائيل إطار استغلال القوة ضد العرب فيمكننا أن نجعلها فيما يلي :

١ - ضرورة كسب عطف الرأي العالمي وضمان مؤازرة دولة كبرى قبل شن أي صراع في المسرح كأحد الشروط الأساسية لبدء القتال .

٢ - إخفاء أي تواطؤ أو دعم أجنبي لعجلة الحرب الإسرائيلية وخاصة في مراحل القتال الأولى حتى لا تثير الحرب مشكلة عالمية قد تضر بمصلحة إسرائيل .

٣ - عرقلة مساعي الهيئات والمنظمات الدولية لايقاف النار - أو اقرار السلام في المنطقة حتى تظهر بوادر النصر الإسرائيلي ، أو تقوم تحت ستار هذه المساعي بتحقيق الهدف الأول باحتلال مناطق حيوية داخل أرض العرب تصلح كرهينة للمساومة فيما بعد .

٤ - ضمان التدخل الامبريالي السافر والفوري إذا ما تهدد أمن إسرائيل .

٥ - تنشيط الجهود السياسية الرامية الى عزل مصر عن اشقائها العرب ، وعرقلة أي تدابير لاقامة وحدة أو اتحاد أو تنسيق بين مصر والدول العربية وبخاصة في المجال العسكري .

٦ - مداومة خلق المواقف الاستراتيجية الملائمة لتحقيق غاية إسرائيل القومية واقرار سياسة الأمر الواقع عقب كل عدوان تكسب به

اسرائيل مزايا او نقتطع به أرضا عربية عن طريق استعمال القوة .
هذا وقد أدى التزام اسرائيل بسياسة استعمال القوة هذه في
حل مشاكلها مع العرب الى اعتناقها مبدئين رئيسيين في سياستها
العسكرية .

● **المبدأ الأول :** هو المحافظة على ميزان القوى العسكرية في
صالحها لتحقيق أغراضها السياسية الأساسية ويستلزم ذلك مداومة الحصول
بكافة الطرق على مساعدات عسكرية ضخمة من الخارج حتى تضمن
المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ترجيح ميزان القوى في صالحها في كل
وقت .

● **المبدأ الثاني :** هو تبرير سياسة اسرائيل التوسعية العدوانية
أمام الرأي العام العالمي ، ويستلزم ذلك اختلاق الحوادث والمبالغة في
المواقف بما يدمغ العرب أمام العالم بالتعدي والتشدد ويظهر اسرائيل
كدولة لا تبغى سوى التعايش مع جيرانها .

وقد أدى التزام اسرائيل بالسياسة التوسعية الاستعمارية ،
وصعوبة تحقيق غاياتها القومية دفعة واحدة ، الى اتباع منهج المرحلة
في تحديد أهدافها السياسية والعسكرية في نسيجها التوسعي .

ويقول موسى ديان عن مرحلة التنفيذ في سياسة اسرائيل
التوسعية . . « لقد أخذنا ننتقل من غير الممكن الى الممكن ، وها نحن
اليوم فننتشر بين قناة السويس ومرتفعات الجولان وقد أصبح ذلك
ممكنا . اننا نصل الى الممكن عندما نؤمن بسلم يعقوب الذي تصل قمته
الى السماء . وقد نجد أحيانا مثل هذه الأهداف المرحلية كما لو كانت
مستحيلة التحقيق ، ولكن أقدامنا تقف على أرض الواقع ونحن نتقدم
مرحلة بعد الأخرى من أرض الواقع نحو اقامة الأهداف الواسعة » (١) .
ويعتمد المنهج المرحلي في العمل السياسي الاسرائيلي على تفاعل
كامل لأربعة مبادئ هي :

أولا : الواقعية : التي تعين الحد الأقصى لما تطالب به الحركة
الصهيونية في كل ظرف طبقا للأوضاع السائدة والامكانات المتوفرة .

ثانيا : المرونة : التي تقوم بتكييف الأساليب والوسائل .

ثالثا : التشدد : الذي يرسم الحد الأدنى للمطالب الصهيونية
الذي لا يسمح بالتراجع عنه تحت أى ظرف .

رابعا : التصعيد : الذي ينتقل من المرحلة التي تم تحقيقها الى
المرحلة التالية التي تنشدها الحركة الصهيونية مكاسب جديدة ، يكون
حدها الأدنى هو نفس ما تحقق في المرحلة السابقة كحد أقصى ومطلبا
كاملا مزعوما .

(١) كتاب خريطة جديدة وعلاقات مختلفة لموسى ديان ص ١٨٨ - مكتبة معارف - اصدار
عام ١٩٦٩ م .

العوامل السياسية والاجتماعية المؤثرة على الصراع العربي الاسرائيلي :
ويبين الجدول التالي العوامل السياسية والاجتماعية للصراع العربي الاسرائيلي كما تراها وتمارسها المؤسسة العسكرية الاسرائيلية :

العوامل السياسية والاقتصادية والجغرافية المؤثرة على الصراع العربي الاسرائيلي

العوامل السياسية	العوامل	اعتبارات في السياسة العسكرية	اساليب التطبيق
	الالتزام بسياسة العنف لتأمين كيان الدولة	(١) المحافظة على ميزان القوة العسكرية في صالح اسرائيل .	(ا) الحصول على معلومات دقيقة عن قوة العرب العسكرية . (ب) عمليات عسكرية لأضعاف العرب في حالة اختلال ميزان القوة (العرب الولائية) . (ج) الحصول على مساعدات عسكرية ضخمة من الخارج .
		(٢) ضرورة تبرير السياسة العدوانية أمام الرأي العام العالمي .	(ا) اختلاق أو المبالغة في حوادث العدوان . (ب) تصوير العرب في صورة البشاة في العدوان .. واسرائيل كدولة مسالمة .
	الأغراض التوسعية الاستعمارية	صعوبة تحقيق الأغراض التوسعية دفعة واحدة .	المرحلة في تحديد أهداف السياسة العسكرية .
	وضع اسرائيل في المنطقة كدولة دخيلة وسط أعداء اكبر منها عددا وأكثر موارد .	(١) الحاجة الى معلومات دقيقة عن كل ما يدور في البلاد العربية .	(ا) جهاز مخابرات واسع النطاق (ب) شبكة جاسوسية داخل البلاد العربية . (ج) تبادل المعلومات مع أجهزة مخابرات الدول الأخرى .
		(٢) صعوبة الدفاع في حالة هجوم عربي شامل من جميع الجهات .	(ا) مبدأ الحرب الولائية . (ب) ملاحقة العرب بالهجوم قبل استكمال استعدادهم .

العوامل	اعتبارات في السياسة العسكرية	اساليب التطبيق
العوامل السياسية	من جميع الجهات	(ج) التركيز في الدفاع أو الهجوم على جبهة واحدة مع تأمين الجبهات الأخرى . (د) الاعتماد على سرعة الحركة في نقل القوات من جبهة الى أخرى .
	(٣) ضرورة الحصول على التعهد السياسي والعسكري من الدول الموالية قبل الدخول في أي حرب .	(أ) ممارسة الضغوط السياسية (ب) تهيئة الرأي العام (ج) اتفاقات سرية .
	(٤) الحاجة الى المحافظة على معنويات الشعب من التدهور .	(أ) عمليات عسكرية شاملة على فترات لا تلبث تفوقها العسكري . (ب) غارات ارهابية متكررة على السكان العرب لقرى الحدود .
العوامل الاقتصادية	(١) صعوبة الاستمرار في حرب طويلة الأجل .	(أ) تبني استراتيجية الحرب المظلمة . (ب) الاعتماد على التدخل الخارجي لوقف الاشتباكات .
	(٢) ضالة حجم الامكانيات المخصصة للدفاع .	(أ) تطوير الموارد الموجودة الى أقصى درجة . (ب) التركيز على الصناعات الحربية والمساعدة . (ج) الاعتماد على المعونات الخارجية
	مستلزمات ميزانية الدفاع	احتياجات مالية ضخمة للدفاع لا تتناسب مع الدخل القومي للدولة

العوامل	اعتبارات في السياسة العسكرية	أساليب التطبيق
العوامل الاقتصادية	(١) استعالة الاعتماد على التفوق العددي للقوات المسلحة .	(أ) الاعتماد على النوعية بالتدريب المستمر لرفع مستوى كفاءة القوات القتالة .
	(٢) استعالة التوفيق بين احتياجات التنمية الاقتصادية ومتطلبات الدفاع من القوى البشرية .	(أ) الاحتفاظ بقوات نظامية صغيرة وقت السلم . (ب) اعداد قوات احتياط مرسخة يتم استدعاؤها وقت الحرب . (ج) تطوير نظام سريع دقيق للمتعبنة العامة .
العوامل الجغرافية	(١) الالتقاء الى العمق الاستراتيجي للمناورة بالقوات المدافعة .	(أ) بناء شبكة مواصلات جيدة تكفل سرعة تنقلات القوات . (ب) نقل المعركة بسرعة الى ارض العدو .
	(٢) خطوة عامل الزمن في حالة هجوم مفاجئ .	(أ) الاحتفاظ بمبدأ المباذة . (ب) الاعتماد الكامل على الطيران ومستعمرات الحدود في صد الهجوم (ج) التعبئة السريعة للقوات الاحتياط .
	(٣) سهولة فصل اجزاء الدولة في حالة الهجوم المركز	(أ) عدم السماح للقوات المهاجمة بالاختراق . (ب) تنظيم المستعمرات في شكل للاع دفاعية مستقلة .
	صعوبة الدفاع عن الخطوط الامامية	(أ) مستعمرات دفاعية للحدود . (ب) قوات خفيفة الحركة لحراسة الحدود . (ج) الوصول بسرعة الى حدود طبيعية يسهل الدفاع عنها .
	تجمع السكان والزراعة في مراكز معدودة .	(أ) شبكات دفاع جوى قوية . (ب) الالتزام بسياسة الحرب الوقائية .
	صعوبة الدفاع عن المدن ومناطق الصناعة في حالة هجوم جوى مركز	

المعامل	اعتبارات في السياسة العسكرية	أساليب التطبيق
طبيعة الأرض الصحراوية للمعارك .		(ج) نقل المعركة بعيدا الى ارض العدو . (د) تدمير سلاح طيران الدول المعادية .
	صعوبة الدفاع عن الخطوط الأمامية المكشوفة .	(أ) اتباع استراتيجية وتكتيكات الدفاع الهجومي . (ب) الاعتماد على الطيران في تدمير القوات المهاجمة .
	(٢) سهولة تعرض القوات المهاجمة نهادا للتدمير من الجو .	(أ) الاعتماد على سرعة وخفة الحركة باستخدام القوات المدرعة والميكانيكية . (ب) اعداد وتدريب القوات المقاتلة على تكتيكات الاشتباكات الليلية .
	(٣) سهولة قطع خطوط الامدادات والاتصالات .	(أ) التركيز على المرونة واللامركزية في القيادة . (ب) الاعتماد على الالتفاف السريع وانزال المظلات خلف دفاعات العدو لقطع خطوط امداداته ، واتصالاته وعزلها عن بقية القوات .

الخلاصة :

ان الطبيعة السياسية والاجتماعية للصراع العربى الاسرائيلى تتصف بسمات خاصة تصبغ هذا الصراع بالنسبة لاسرائيل بالعدوانية والتوسعية والعنصرية وتدمغ أعمالها بالجور وانعدام الشرعية وخرق القانون العام ، وعلى الجانب الآخر يقف الصراع العربى المسلح فى وجه المطامع الصهيونية والمخططات الامبريالية المرسومة لاغتصاب أجزاء من أرض العرب واقتلاع مئات الآلاف من المواطنين العرب ، هذا الصراع المسلح عادل فى جوهره كما هو لازم لأرساء قواعد العدل والسلام فى منطقة الشرق الأوسط .

ومن الطبيعى أن يترتب على العدوان الصهيونى المستمر اثاره أعمق مشاعر العداوة والبغضاء فى نفوس العرب كافة حيال هذا المعتدى الدخيل .

وتتسع حلبة هذا العداء فتشمل كل المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والروحية والعسكرية . وهو يشكل بهذا صراعا فريدا فى نوعه ، يتصف بالضراوة والتصاعد والاستمرار ، كما أنه يستشرى فى الحجم والخطر مع توالى السنين الى الدرجة التى قد يتحول معها من مجرد صراع محلى وحرب محدودة الى صراع عالمى وحرب شاملة بسبب الطبيعة السياسية والاجتماعية التى يتصف بها هذا الصراع .

مآزق اسرائيل العشرة :

وهكذا فان اسرائيل بالصراع الذى فجرتة فى قلب الوطن العربى قد أوقعت نفسها فى عشرة مآزق كبرى ، لا سبيل الى حلها كما تود وتأمل ، وسوف تكون فيها نهاية احلامها .

١ - مآزق أن تقوم على أسطورة غيبية تحاول بعثها من أكفان الماضى السحيق دون سند أخلاقى أو واقعى سوى خرافة عفى عليها الزمن عن أرض الميعاد . . .

٢ - مآزق أن تقوم على تجربة قد استنفدت أغراضها من تجارب الاستعمار الاستيطانى للعنصر الأبيض وسط عوالم مقهورة مغلوبة على أمرها .

٣ - مآزق أن تقوم على فرضية تفوق عسكري تظنه وقفا عليها بينما هو لا يعدو - حتى مع الإغراق فى التفاؤل - أن يكون حالة مؤقتة ، لا يستقيم لثلاثة ملايين أن يحتفظوا بها طويلا فى مواجهة مائة مليون .

٤ - مآزق أن تقوم فى عزلة عن كل ما حولها ، مرفوضة ومنبوذة ليس أمامها الا أن تعيش كل عمرها كحامية عسكرية ، مثل مجتمع اسيرطة ، أو رايخ هتلر النازى .

٥ - مازق ان تقوم على ذراع طويلة او يد عليا ، فى عصر وفرت فيه مبتكرات التكنولوجيا ما هو كفيل ببتير هذه الذراع وشل تلك اليد .

٦ - مازق ان تقوم على الالتصاق بقوة كبرى تستمد منها الحياة والبقاء على حين أن هذا الالتصاق لا يزودها بوثيقة سرمدية تؤمن كيائها حتى نهاية التاريخ ..

٧ - مازق ان تقوم على اكدوبة ربط الأمن بالأرض فى عصر الصواريخ عابرة القارات والسباحات بين الأفلاك من الاقمار الصناعية .

٨ - مازق أن تقوم على تفوق مادی آنى ، على حين أن المنطقة تذخر بشروات لا آخر لها ، وكلها جميعا تقع فى الجانب المضاد ، على ظهر أرض العرب او فى بطنها ، فتكفل لهم التفوق المادى الاجل والمستديم .

٩ - مازق أن تعيش بدون خريطة مقررّة ، وحدود لا تنفك تتحرك ، ثم تطلب أن يعترف بها من حولها ، على حين ترفض هى أن تعترف لهم بكيان أو حقوق .

١٠ - مازق ان تقوم على وهم فرقة العرب وتشتت صفوفهم ، رغم أنهم ان لم تجمع بينهم وحدة الماضى والحاضر ، فسوف تجمعهم حتما وحدة المستقبل والخطر الصهيونى الداهم الذى أحاط بهم فى فترة خلخلة تاريخية كانت نتيجة حتمية-لانتقالهم من مناخ الحيرة الحضارية والسياسية والاجتماعية التى خلفها لهم الاستعمار والاستبداد الى آفاق القومية والنمو والازدهار .

نقطة التحول :

ولكن موضع الخطأ فى الصراع العربى الاسرائيلى يقع حيث تخيل مخطط الصهيونية ان الزمن قد تجمد بالنسبة للعرب ، وأن التطور قد تجاوزهم .. فلما جاء اليوم الذى تحول فيه الكم العربى الى كيف ، كان طبيعيا أن تختل موازين اسرائيل ... وبمجرد أن اختلت ، كان لابد أن تقع حركة التصحيح .. لتكون نقطة العودة الى المسار السليم لهذا الصراع الذى طال أمده وتفاقت أحداثه .

وليس ثمة شك أن الجولة الرابعة هى نقطة التحول فى صراع استخدمت اسرائيل جولاته الثلاث التى سلفت لحمل مآزقها العشرة سالفة الذكر بالحرب ، على حين رمى العرب فى جولاتهم الرابعة أن يجسدوا لها بعد كل ما بذلته من عناء على امتداد الربع قرن المنصرم . وبعد أن تخيلت ان قطوف العدوان أمست دانية ، نفس المآزق من جديد ، ولكن بصورة أشد حدة ، حتى ينتزعوا منها السلام العادل .. ولو بالحرب .

الباب الثاني
الخلفية السياسيّة

السلام بالحرب

* بانتهاء الجولة العربية الاسرائيلية الثالثة صيف عام ١٩٦٧ ، ظنت اسرائيل انها الحرب التي انتهت كل الحروب ، والنصر الذي ازال جميع المآزق ، وان العرب لم يبق امامهم الا الاستسلام ...

وكان للعرب رأى آخر .. فما أن توقفت النيران ، حتى راحت البول العربية تبذل جهودا سياسية ودبلوماسية واسعة ، لرفض الهزيمة ، وتهيئة الظروف المواتية لارساء قواعد سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ..

وصاحب هذه الجهود عدة محاولات لايجاد تسوية للنزاع العربى الاسرائيلى ، قام بها المجتمع الدولى عامة ، والقوى الكبرى خاصة ، ثم مجموعة الدول العربية وجمهورية مصر العربية بخاصة ..

وتحطمت كل هذه الجهود وتلك المحاولات على صخرة الرفض والتعنت الاسرائيلى ، وظهر جليا أن ما يحتويه قاموس اسرائيل من مفاهيم لا يخرج عن .. العدوان .. والتوسع .. واغتصاب الحقوق .. وفرض الواقع بكل ما يحمله من ظلم واجحاف .. والاستهانة بالرأى العام العالمى .. وازدراء المنظمات الدولية .. واستبان لكل منصف أنه لا بديل للعرب عن الحرب ليحققوا السلام العادل المنشود ..

لقد كان من المستطاع أن يحقق القرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ تسوية مقبولة لمشكلة الشرق الأوسط ، وأن يرسى دعائم سلام عادل فى المنطقة .. ولكن اسرائيل والقوى

الامبريالية المساندة لها عملت بكل ما وسعها الجهد على عرقلة تنفيذ القرار ، ثم تجميده ..

وكان القرار يقوم على دعامين اساسيين هما :

١ - عدم شرعية الاستيلاء على الاراضى بواسطة الحرب .

٢ - ضرورة العمل من أجل سلام عادل ودائم ، تستطيع كل دولة من دول المنطقة أن تعيش فيه بأمان .

ويستطرد القرار فينص على سحب القوات المسلحة الاسرائيلية من الاراضى التى احتلتها فى عدوان ١٩٦٧ ، كما ينص على انتهاء حالة الحرب ، والعيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ..

ويورد القرار ترتيبات معينة للملاحة فى الممرات البحرية ، وتسوية مشكلة اللاجئين ، وضمان السيادة الاقليمية لدول المنطقة ، وتعيين ممثل خاص للسكرتير العام يجرى اتصالات مع الدول المعنية للوصول الى اتفاق مقبول ..

ومنذ صدر القرار ، واسرائيل لا تنى عن وضع العراقيل فى طريق تنفيذه ، وتندرع بالابهام والغموض الذى يشوب تلك الفقرة فى النص الانجليزى القائلة « بسحب القوات الاسرائيلية من اراضى احتلتها » لتبرر بقاءها فى الاراضى العربية المحتلة .. رغم ان بطلان هذا الزعم الذى تستند اليه اسرائيل تؤكد نفس مقدمة القرار ، اذ تنص على عدم جواز الاستيلاء على الاراضى عن طريق الحرب .

لقد قام السكرتير العام للأمم المتحدة بتعيين السفير جونار يارنج ممثلاً خاصاً له فى الشرق الأوسط ، لداومة الاتصال مع الدول المعنية بهدف تشجيع الاتفاق ، والمساعدة بجهوده للتوصل الى تسوية سلمية مقبولة طبقاً للنصوص والمبادئ الواردة فى القرار ٢٤٢ .

وقدم يارنج تقاريره الى مجلس الأمن عن مهمته ، واتضح منها ان اسرائيل اتخذت منذ الوهلة الاولى موقفاً خاصاً يقوم على أن التوصل الى حل للأزمة لا يمكن أن يتم الا من خلال « المفاوضات المباشرة بين الأطراف المعنية » ، وان قواتها المسلحة لن تنسحب من الاراضى المحتلة قبل التوصل الى حل تقبله اسرائيل ، كما اقترح وزير خارجيتها برنامج عمل للمفاوضات المباشرة مع العرب ..

ورفضت اسرائيل اعطاء السفير يارنج تصريحاً يؤكد استعدادها لتنفيذ قرار مجلس الأمن ، متذرعة بأن هذا القرار لا يخرج عن كونه مجرد اطار للاتفاق ، وأنه يستحيل تنفيذه دون مفاوضات مباشرة .

وفى المرحلة الثانية من مهمة السفير جونار يارنج أكدت اسرائيل موقفها السابق بالنسبة لتفسير قرار مجلس الأمن ، وأصررت على أن

الانسحاب يجب أن يتبع الاتفاق بين الأطراف على حدود آمنة ، على حين رأت مصر أن القرار يتضمن خطة لتسوية النزاع يتعين على الأطراف تنفيذها طبقا لاجراءات يضعها الممثل الخاص للسكرتير العام للأمم المتحدة .

وأخيرا ، وفي المرحلة الثالثة التي تميزت بمطالبة الأطراف بالالتزام - عن طريق مذكرة رسمية مكتوبة - بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وبعد قبول الأطراف مبادرة روجرز ، حاولت اسرائيل عرقلة المحادثات ، فامتنعت عنها لمدة أربعة أشهر ٠٠ وعندما استؤنفت الاتصالات ، وقدم السفير يارنج مذكرته في فبراير ١٩٧١ طالبا من الأطراف المعنية تقديم بعض الالتزامات مقدما ، على أن تكون متبادلة ، وافقت مصر على هذه الالتزامات ، على حين جاء رد اسرائيل في شكل تعليق على مذكرة مصر ، ولم تتعرض للالتزامات المطلوبة منها من قريب أو بعيد ٠٠ بل ظلت تصر على عدم الانسحاب الى حدود يونية ١٩٦٧ .

وبهذا الموقف المتعنت ، ورغم النداء الذي وجهه السكرتير العام للأمم المتحدة الى اسرائيل لكي ترد ايجابيا على مذكرة السفير يارنج ، ورغم صدور عدة قرارات للجمعية العامة تناشد السكرتير العام اتخاذ الاجراءات اللازمة لتنشيط مهمة الممثل الخاص ، فقد تمسكت اسرائيل بعنادها ، واستمرت في الامتناع عن الرد على السفير يارنج ، كما رفضت الاعلان عن استعدادها لتنفيذ قرار مجلس الأمن ، معتمدة على مؤازرة الولايات المتحدة الأمريكية لها بلا حدود .

المحادثات الرباعية :

كانت الحكومة الفرنسية تعرب في كل مناسبة عن ان أزمة الشرق الأوسط مرتبطة بالحرب الدائرة في فيتنام ، وان الحل السلمي لهذه المشكلة يحتاج الى محادثات تجرى على مستوى الدول الأربع الكبرى . وفي ١٦ يناير ١٩٦٩ تقدمت فرنسا باقتراح لعقد محادثات رباعية ، للبحث عن الوسائل التي بمقتضاها تستطيع هذه الدول أن تساهم في اقامة السلام المنشود ، طبقا للقرار رقم ٢٤٢ .

وعقد أول اجتماع رباعي يوم ٣ ابريل ١٩٦٩ ، ثم تأجلت الاجتماعات على أمل احراز بعض التقدم عن طريق المحادثات الثنائية الأمريكية السوفيتية . وفي أغسطس ١٩٧٠ وافق الممثلون الأربعة على مبادرة روجرز ، ثم توقفت المحادثات الرباعية لفترة من الوقت ، ثم استؤنفت مع استئناف مهمة يارنج ، حيث ناقشت الدول الأربع الكبرى خلال هذه المرحلة الضمانات التي يمكن أن تقدمها لتسوية المشكلة ، وذلك

بالرغم من معارضة اسرائيل ، الا انها سرعان ما توقفت مرة أخرى نتيجة اشتداد الخلاف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيني بشأن قوة حفظ السلام المقترح تشكيلها ..

وبذلك فشلت المحادثات الرباعية فى نهاية اغسطس ١٩٧١ ، بعد أن تعثرت نتيجة التباين فى وجهات نظر الدول الكبرى ، بالإضافة الى تعثر مهمة السفير يارنج ، ومماثلة اسرائيل وحشها أمريكا لتجسيم المحادثات ، وصاحب ذلك اقتراح الولايات المتحدة الخاص بالقيام بدور الوسيط بين مصر واسرائيل ..

ورغما عن أن مصر رحبت بالمحادثات الرباعية منذ بدأت ، وأعربت عن ضرورة تحمل الدول الكبرى لمسئوليتها تجاه السلام العالمى ، إلا أن اسرائيل رفضت بعناد مجرد فكرة اسهام الدول الكبرى فى التسوية . ليس ذلك فحسب ، بل راحت تشوه الهدف من هذه المحادثات ، فوصفتها بأنها محاولة لفرض تسوية على الأطراف المعنية ، واتهمت فرنسا والاتحاد السوفيتى بالانحياز الى جانب مصر ، وعادت تؤكد أن السلام لن يتحقق إلا بالمفاوضات المباشرة مع العرب .

وراحت اسرائيل تشكك فى شرعية المحادثات الرباعية . كما أعلنت أن العضوية الدائمة للدول الأربع الكبرى فى مجلس الأمن لا تعطىها سلطة خاصة ، ولا وضعاً سياسياً متميزاً ، يبرر قيامها بهذه المهمة .

ثم أعلنت اسرائيل ان المحادثات الرباعية قد فشلت ، وأنه ليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد بأنها ستنتج مرة أخرى ..

المحادثات الثنائية :

بدأت المحادثات الثنائية بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة للتوصل الى حل عادل لازمة الشرق الأوسط مع بدء المحادثات الرباعية فى ابريل ١٩٦٩ ، وكان هدفها الرئيسى هو الوصول الى ترتيبات مقبولة ، تقنع الطرفين بالإعلان عن نواياهما السلمية ..

وبالرغم من صدور عدة تصريحات عن أن هذه المحادثات قد حققت شيئاً من التقدم ، وأن أحد مظاهرها المشجعة هو اتفاق الجانبين على أن الترتيبات النهائية للسلام يجب أن تكون فى شكل اتفاق شامل وليس تسوية على مراحل ، إلا أن القضية الأساسية الخاصة بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة . وكذا مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، كانتا العقبة التى توقفت عندها المحادثات .

ليس ذلك فحسب ، بل ان وكيل وزارة الخارجية الأمريكية المستر جوزيف سيسكو صرح بأنه لا يعتقد أن على إسرائيل أن تعيد جميع الأراضي التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ ، لأن قرار مجلس الأمن لم ينص على ذلك .

وهكذا ، ورغم موافقة مصر على المحادثات الثنائية ، وبدلها كل الجهود لانجاحها ، فقد رفضتها إسرائيل بداية . وتحركت الولايات المتحدة لتبذل كل وسعها في تحطيم هذه المحادثات وإفشالها ، رغم ما بذله الاتحاد السوفيتي من جهود كثيرة للوصول الى نتائج مقبولة ..

مبادرة روجرز :

نتيجة حرب الاستنزاف التي دارت فيما بين سبتمبر ١٩٦٨ ويوليو ١٩٧٠ ، وارتفاع خسائر إسرائيل في الأفراد ، والمعدات والطائرات ، سارع المستر وليم روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم مبادرة في ٥ يونيو ١٩٧٠ بهدف ايقاف الاستنزاف ، والتزام كل من مصر وإسرائيل بحس النيران لفترة محددة ، كما وجه نداء الى الأطراف المعنية للدخول في مفاوضات جديدة عن طريق السفير جونار يارنج ، من اجل تنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ .

واستجابت مصر لهذه المبادرة ، فأوقفت النيران في ٨ أغسطس ١٩٧٠ الا أن إسرائيل لم توف بالشق الثاني من المبادرة ، وهو العمل على انجاح مهمة يارنج وتنفيذ القرار ٢٤٢ ، وكان الأمر الأعجب هو أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تمارس أى ضغط على إسرائيل كي تستجيب للمبادرة التي قدمها نفس وزير خارجيتها ، الأمر الذي حكم عليها بالفشل الدريع ..

مبادرة السادات :

في الخامس من فبراير ١٩٧١ أعلن الرئيس السادات عن مبادرة للسلام ، وحدد معالمها بعد ذلك بالتفصيل في خطاب ضاف ألقاه في اول مايو ١٩٧١ ، تضمن الآتي :

١ - بمجرد الانسحاب الجزئي للقوات المسلحة الاسرائيلية عن الاراضي

العربية المحتلة - كمرحلة أولى من الانسحاب الكامل - تبدأ مصر
فى تطهير قناة السويس وفتحها للملاحة الدولية ..

٢ - بعد هذه الخطوة ، تقبل مصر مد وقف إطلاق النار لمدة محددة ،
يضع خلالها السفير يارنج جدولا زمنيا لتنفيذ قرار مجلس
الأمن ..

٣ - تعبر القوات المسلحة المصرية قناة السويس الى الضفة الشرقية ،
وتقبل مصر الترتيبات التى تحقق عملية فصل القوات المتحاربة ،
وذلك خلال فترة وقف إطلاق النار المحددة ، وإذا انتهت هذه
الفترة دون تقدم ملموس ، يكون للقوات المسلحة المصرية الحق فى
تحرير الأراضى العربية المحتلة بالقوة .

٤ - ترفض مصر أى مناقشة حول نزع سلاح سيناء ، ولكنها على
استعداد لقبول مناطق منزوعة السلاح على جانبى الحدود وفقا
لقرار مجلس الأمن ..

٥ - ترفض مصر أى شكل من اشكال الوجود الاسرائيلى فى شرم
الشيخ ..

وجاء رد الفعل الاسرائيلى معبرا عن نواياها الحقيقية ، اذ زعم قادة
اسرائيل أن المبادرة لا تحوى جديدا ، وان اسرائيل ترفض الشرط الخاص
بانسحاب قواتها المسلحة من الضفة الشرقية للقناة ، ثم أعلنت رئيسة
وزراء اسرائيل انه لا يجدى اسرائيل فتىلا قبول المبادرة المصرية .
وأعقبها وزير دفاعها فأكد أنه ليس لدى اسرائيل أية نية للانسحاب من
أفضل خط استولت عليه ، ثم عادت مائير تعلن « أنها ترى أن يكون
الاتفاق على إعادة فتح قناة السويس منفصلا لا صلة له على الإطلاق
بمهمة السفير يارنج ، ولا بمباحثات الدول الكبرى » ..

وكان لموقف اسرائيل المتعنت ، ورفضها الربط بين إعادة فتح قناة
السويس والانسحاب من الضفة الشرقية للقناة بالانسحاب الكامل من
الأراضى العربية المحتلة وفقا للقرار رقم ٢٤٢ ، نتيجة حتمية .. هى
اهدار فرصة أخرى من فرص تحقيق السلام ، فضلا على تحقيق هدف
اسرائيل فى تجميد الموقف لفرض الأمر الواقع فى المنطقة ..

وهكذا تبين للمجتمع الدولى كافة أن اسرائيل مصممة على اغتصاب
الأراضى بالغزو ، وتجاهل الحقوق المشروعة لغيرها ، وأنها تعتنق سياسة
فرض الأمر الواقع بالعدوان ، ولا تقيم وزنا للرأى العام العالمى ،
ولا لقرارات المنظمات الدولية .

واستغلت مصر هذا الموقف فكشفت اتصالاتها السياسية وجهودها
الدبلوماسية ، للتركيز على أن اسرائيل تلعب بالنار ، وأنها تعرض
السلام والأمن الدوليين للخطر بما قد يعود على البشرية كلها بالضرر

البليخ ، فبدات اسرائيل تفقد تقدير العالم ، وتعانى من عزلة خانقة بفضل انتقاد الدول المحبة للسلام لمسلكتها المشين حيال العرب . ولم يبق ملتفا حولها سوى الولايات المتحدة ، وأشقائها العنصريين الاستعماريين - البرتغال وجنوب أفريقيا وروديسيا وفيتنام الجنوبية . .

ولعل أهم ما يلفت النظر عن سعة صدر مصر ، وبذلها الجهود المضنية للوصول بالقضية الى حل عادل ومقبول ، ان تكون آخر كلمات المستر وليم روجرز للسيد الرئيس أنور السادات فى آخر لقاء بينهما فى القاهرة فى مايو ١٩٧١ قوله :

« لقد قدمتم - يا سيادة الرئيس - كل ما يؤكد طريق السلام ، ولم يعد هناك ما يمكن طلبه منكم من أجل السلام » . .

دعوة مصر لعقد دورة طارئة لمجلس الأمن فى يونية ١٩٧٣

واستمرت مصر فى بذل الجهود لتحقيق السلام العادل فى المنطقة ، والتنبيه الى ضرورة اضطلاع المجتمع الدولى بمسئوليته تجاه السلام العالمى . ثم طالبت بسحب ذلك على ضوء تقرير يقدمه السكرتير العام للأمم المتحدة ، عن مهمة ممثله الخاص السفير يارنج بهدف اتخاذ الاجراءات المناسبة لاقرار السلام طبقا للقرار ٢٤٢ .

وفى السادس والعشرين من يوليو ١٩٧٣ تم التصويت على مشروع هذا القرار ، الذى تقدمت به دول عدم الانحياز ، فحصل على موافقة ثلاث عشرة دولة من الدول الأعضاء فى مجلس الأمن ، بينما امتنعت الصين عن التصويت لرغبتها فى اصدار قرار واضح بادانة اسرائيل واجبارها على تنفيذ قرار مجلس الأمن السابق رقم ٢٤٢ . أما الولايات المتحدة فقد استخدمت الفيتو لتحطيم المشروع الذى أعرب عن أسف المجلس العميق لاستمرار احتلال اسرائيل للأراضى العربية بما يتعارض مع مبادئ ميثاق الأمم المتحدة ، واستمرار اسرائيل فى عرقلة مهمة السفير يارنج . .

واستمرت الولايات المتحدة تتبنى سياسة اسرائيل التوسعية ، فزعمت ان المشروع يشوه القرار ٢٤٢ ، وردد مندوبها نفس الأسباب التى ذكرتها اسرائيل فى رفض المشروع .

وخلصت مصر من كل هذه المباحثات والمبادرات والمبادرات الى انه لا فائدة ترجى من اسرائيل التي عقدت العزم على مواصلة العدوان ، وفرض الامر الواقع ، والتلويح باليد العليا وذراع الردع الطويلة . واكد كل ذلك ما توصلت اليه القيادة السياسية المصرية عقب عدوان اسرائيل عام ١٩٦٧ من ان « ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة » وأيقن كل منصف بحتمية استخدام العنصر العسكري لكسر الجمود الذي أحاط بالقضية ، والتوصل الى تسوية سياسية عادلة للنزاع .

وكان لا بد من اعداد سياسى حاذق لعزل اسرائيل دوليا ، مع مواصلة العمل لحل القضية بالطريق السلمى ، فاذا ما فشلت هذه الجهود ، يصبح لا مفر من استخدام القوة لايقاظ اسرائيل من أحلام الغرور ...

الاعداد السياسية للمعركة :

(١) فى مجال الأمم المتحدة :

واحت الدبلوماسية المصرية تمهد الجو السياسى داخل المجتمع الدولى لكشف سياسة اسرائيل التوسعية ، وانه لا بديل عن العمل العسكرى لاسترداد الحقوق المشروعة . ونجحت فى كل دورة من دورات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وغيرها من الهيئات الدولية ، فى الحصول على تأييد الغالبية العظمى من الأعضاء لمطالبها العادلة ، والفوز بقرارات تدل على تعاضم التأييد الدولى للقضية العربية ، وخاصة فيما يتعلق بحق استرداد الأراضى المحتلة ، وحق تقرير مصير الشعب الفلسطينى ..

(٢) فى المجال الأفريقى :

كان مؤتمر القمة الأفريقى المنعقد فى يونيو ١٩٧١ نقطة تحول بالنسبة لدول القارة الأفريقية ، من مجرد التأييد اللفظى للعرب ، الى اتخاذ الخطوات الفعلية لصالح القضية . وكان لمهمة لجنة الرؤساء الأفارقة المنبثقة من هذا المؤتمر أبلغ الأثر فى ترسيخ الايمان بعدالة الموقف العربى ، وتعنت الموقف الاسرائيلى وعدوانيته .

اذ تشكلت لجنة من عشرة رؤساء أفارقة للسعى للتطبيق الكامل للقرار ٢٤٢ ، القاضى بانسحاب اسرائيل من جميع الأراضى المحتلة ، وانبثقت عن « لجنة العشرة » ، « لجنة الأربعة » واضطلعت بمهمة الاتصال بالأطراف المعنية فى أزمة الشرق الأوسط .

وكان مما أفتق عليه بالنسبة لهذا التحرك الأفريقي أن يتم على مرحلتين ، الأولى تتقصى الحقائق ، والثانية تقدم مقترحات محددة لحل الأزمة ... وقامت لجنة الأربعة بجولتين في المنطقة في نوفمبر ١٩٧١ ، قدمت خلال الجولة الثانية منهما وثيقة لكل من مصر واسرائيل للرد عليها . ثم رفعت اللجنة تقريرها عن نتائج المهمة الى السكرتير العام للأمم المتحدة في ٣ ديسمبر ١٩٧١ . وتضمن التقرير رد مصر واسرائيل على ستة نقاط محددة ، كما تضمن نداء وجهه وزير خارجية السنغال أمام الجمعية العامة ، طالب فيه اسرائيل أن توضح الطريق الذي تراه لاستئناف المحادثات ، وأن تعيد التأكيد بأنها لا تنوى ضم الأراضي العربية بالقوة ..

ولكن اسرائيل امتنعت عن اعلان نيتها في عدم ضم الأراضي العربية ، وبهذا فشلت مهمة الرؤساء الأفارقة ، وأيقنت أفريقيا ان اسرائيل دولة توسعية عدوانية تعادى السلام ، وتقوم على الاغتصاب والتوسع ...

وزادت عزلة اسرائيل في المجال الدولي ، وبدأت الدول الأفريقية تنصرف من حولها ، واصبح قطاع كبير من الراي العام العالي أكثر قبولا لحق العرب في استخدام الوسيلة العسكرية للوصول الى سلام عادل ، وتحرير الأرض العربية المفتصبة ، واستعادة حقوق شعب فلسطين المهدورة .

(٣) في مجال دول عدم الانحياز :

حازت القضية العربية تأييد مجموعة دول عدم الانحياز في جميع اللقاءات التي عقدتها تلك المجموعة التي تمثل أغلب دول العالم الثالث . سواء اكان ذلك في مؤتمر القمة الذي عقد في تونس في سبتمبر ١٩٧٠ ، أم في مؤتمر وزراء الخارجية في جورجيتاون في أغسطس ١٩٧٢ ، أو في مؤتمر القمة الأخير في الجزائر في سبتمبر ١٩٧٣ . وقد أعربت دول عدم الانحياز في هذا المؤتمر الأخير الذي سبق حرب رمضان مباشرة عن تأييدها التام للقضية العربية ، واقتناعها العميق بعدالة مطالبهم في المبارات التالية :

« ان الموقف في الشرق الأوسط مازال متدهورا . وعناد اسرائيل واستمرار سياستها العدوانية والتوسعية بضم الأراضي ، وممارسة القمع ضد سكان المناطق التي تحتلها بالقوة ، يمثل تحديا للمجتمع الدولي وللأمم المتحدة ولحقوق الإنسان ، كما يشكل تهديدا للسلام والأمن العالميين . واذ يذكر المؤتمر بعدم شرعية ضم الأراضي بالقوة ، يطالب اسرائيل بالانسحاب الفوري غير المشروط من جميع الأراضي

المحتلة ، ويتعهد بمساعدة مصر وسوريا والأردن على تحرير
أراضيها بكل الوسائل . والمؤتمر يعتبر أن استعادة الشعب
الفلسطيني لحقوقه الوطنية شرط أساسي لاعادة السلام
العادل والدائم في هذا الاقليم » .

وبهذا زادت عزلة اسرائيل في المجال الدولي ، بعد أن دمغتها
الدول غير المنحازة بالعدوان والتوسع ، وممارسة القمع والبطش
والارهاب . وكان ذلك بالغ الفائدة للمعركة العسكرية الوشيكة .

٤ - في المجال الأوربي :

ودعمت مصر علاقاتها بالدول الاشتراكية في أوربا ، وعلى رأسها
الاتحاد السوفيتي الصديق ، الذي عقدت معه اتفاقية تعاون وصداقة في
مايو ١٩٧١ ، أيد السوفييت بمقتضاها حق مصر في استرجاع أرضها
المحتلة بكافة الوسائل .

أما عن فرنسا فقد كان الجنرال ديغول متظاهما لحقائق الصراع
العربي الاسرائيلي ، ومدركا أن لفرنسا مصالح عديدة مشتركة مع الدول
انعربية . وفي أزمة يونيو ١٩٦٧ حدد الجنرال ديغول موقف فرنسا من
اسرائيل ، على أساس أنها بدأت بالعدوان على الدول العربية ، فقررت
الحكومة الفرنسية فرض حظر كامل على بيع السلاح الفرنسي الى
اسرائيل . ولم يغير الرئيس بومبيدو موقف فرنسا ، وظل يؤيد ضرورة
تطبيق القرار رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٧ ، مما ترتب عليه فتور بالغ في
العلاقات الفرنسية الاسرائيلية ، قابله تحسن كبير في العلاقات الفرنسية
العربية .

كما احرزت الدبلوماسية المصرية مكاسب جديدة في مجال أوربا
الغربية ، كان من أبرزها ذلك التحسن الذي طرأ على موقف بريطانيا بعد
خطاب وزير خارجيتها السير اليك دوجلاس هيوم في هاروجيت في
الحادي والعشرين من أكتوبر ١٩٧٠ ، والذي أعلن فيه :

« يجب أن تنسحب اسرائيل من الأراضي المصرية والأردنية الى
الخطوط التي كانت عليها قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، وأن تتخلى عن
احتلال هضبة الجولان بسوريا » .

وفي نفس المجال طرأ تحسن نسبي على موقف المانيا الغربية ازاء
القضية العربية ، وخاصة بعد اعادة العلاقات الدبلوماسية معها في
الثامن من يونيو ١٩٧٣ .

وهكذا تآكدت عزلة اسرائيل في المجال الدولي ، وأصبحت معظم
الدول شرقا وغربا تدمنها بالعدوان والتوسع ، وتطالبها بالانسحاب من
الأراضي العربية المحتلة ، واحترام حقوق شعب فلسطين .

وكان ذلك انجازا محمودا للدبلوماسية العربية فى طريق تهيئة المناخ
الدولى لتقبل المعركة العسكرية الوشيكة ..

٥ - فى المجال العربى :

ولم يكن لكل هذه الجهود الدبلوماسية العريضة ان تؤتى ثمارها المرجوة
دون تهيئة الجو المناسب للحركة فى المجال العربى ، فأقيمت دولة
اتحاد الجمهوريات العربية فى السابع عشر من ابريل ١٩٧١ ، وأعلنت
الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا فى التاسع والعشرين من اغسطس
١٩٧٣ ، وعقد اجتماع القمة لدول المواجهة فى العاشر من سبتمبر
١٩٧٣ ، ووطدت مصر علاقاتها الأخوية مع المملكة العربية السعودية
الشقيقة ، وباقى الدول والامارات العربية المنتجة للبترول ، حتى يتم
النجاح الذى احرزته مصر فى توطيد جو المصالحة والتعاون فى العالم
العربى من المحيط الى الخليج .

وكانت سياسة مصر هى التعامل مع جميع الدول العربية الشقيقة
بكل الصداقة والتقدير والمحبة ، دون تفرقة بينها . كما كان لزيارة
الرئيس السادات للشقيقات العربية قبل المعركة كل الفضل فى أن
تحققت المئى بمجرد أن بدأت حرب رمضان ، وظهرت أمة العرب فى
أمجد مواقفها ، وفازت باحترام العالم وتقديره ، وأسهمت فى تدعيم
المعركة غاية الاسهام ..

هكذا أصبح الضمير العالمى فى اشد لحظات تعاطفه مع العرب ،
وتفهمه لعدالة قضيتهم . ثم دخل العرب أروع أيامهم فى السادس من
أكتوبر ١٩٧٣ ، فبطلوا بفضل الله كلمتهم هى العليا ، وحطمو نظريات
واقاموا مطها نظريات ، وغيروا الخريطة السياسية للشرق الأوسط ،
وأصبحت الأمور بعد ٦ أكتوبر المجيد جدمختلفة عنها قبلها ..

وكان وراء ذلك قصة لا بد من سردها من البدء ..

الباب الثالث
في البرد..

● ان حرب رمضان وان نشبت في اكتوبر ١٩٧٣ ،
الا ان بدايتها لم تقع في السادس من ذلك الشهر ،
بل سبقتة بأكثر من ست سنوات ..

والنصر الذي حققته القوات المسلحة العربية لم يكن وليد ذلك
اليوم وحده ، كما لم يأت صدفة او بضربة حظ عارضة ، بل انتزعه
العرب بالجهد والعرق والدم ، عن طريق النضال الطويل . لهذا لم يعد
صوابا أن نقصر الحديث عن السادس من اكتوبر وما تلاه من أيام نضال،
بل صار لزاما حتى تكتمل الصورة أن نعود الى الوراء ، لنستعرض كل
أحداث تلك الحقبة الطويلة التي تلت الخامس من يونيو ١٩٦٧ .

ففي الجولة الثالثة منيت قواتنا المسلحة بمحنة اليمه ، اذ وجدت
نفسها في معركة غير متكافئة ، وفرض عليها صراع دون فرصة للقتال ..
فكان أن هزمنا أنفسنا وسلمنا للعدو نصرا لا يستحقه ، لقمة سائغة له .

انها قصة النكسة .. وقد كانت آثارها على القوات المسلحة
العربية بالغة العنف ، فصمم الرجال على أن يأخذوا منها العبرة ،
واقسموا الا يتكرر الحدث الكئيب أبدا ..

وحفلت الفترة بين يونيو ١٩٦٧ واكتوبر ١٩٧٣ بالجهود
الشريفة للعبور من ظلام الهزيمة النامس الى ضوء النصر
الساطع ، قبل أن يبدأ العبور من ضفة القناة الغربية الى
ثرى سيناء الحبيبة ..

وامتلأت هذه الفترة بالأحداث الجسام والاعمال العظام .. كما
اشتملت على الكثير من البطولات والتضحيات ، والنماذج المشرفة للبلد

والفسداء والعمل الصامت الدؤوب .. لم يكن في الامكان الحديث عنها وقتئذ .. فالويل للمغلوب .. وقد آن الاوان للكشف عن بعض هذه التضحيات والبطولات ، حتى تأخذ حقها من البحث والدراسة . بالقدر الذى يبرز وزنها الحقيقى ..

لقد اعادت القوات المسلحة البناء من الاساس نفسيا ومعنويا وماديا . وفي الوقت نفسه كانت تواصل التدريب الشاق والتخطيط الجاد لخوض معركة حتمية ، تستعيد بها كرامتها، وتحرر بها ما اغتصبه العدو من ارضها وحقوقها في حربه الخاطفة .. كل ذلك وأعمال القتال نشطة بين القوات المسلحة الاسرائيلية ، التى حاولت ايقاف أعمال البناء ، والقوات المسلحة المصرية التى صممت على اعادة بناء قواتها الذاتية .. وقد وفقنا الله الى اتمام هذا العمل الضخم فيما لا يزيد عن ست سنوات .. على حين كان خبراء الحرب ومنهم الجنرال أندريه بوفر يقدرها بما لا يقل عن جيل من الزمان .. أما الجنرال موسى ديان فقد راح يؤكد ان العرب بحاجة الى جيلين على الأقل ، قبل ان تقوم لهم قائمة ، أو تكتمل لهم قوة حربية يؤبه لها .

ويمكن من واقع السجل التاريخى والاحداث الموضوعية لفترة السنوات الست السابقة على حرب رمضان أن نجزئها الى أربع مراحل رئيسية هى :

مرحلة الصمود : من يونية ٦٧ الى اغسطس ٦٨

مرحلة الدفاع النشط : من سبتمبر ٦٨ الى فبراير ٦٩

مرحلة الاستنزاف : من مارس ٦٩ الى اغسطس ٧٠

مرحلة ايقاف النيران : من اغسطس ٧٠ الى اكتوبر ٧٣

وكان لكل مرحلة من تلك المراحل هدفها وسماتها وانجازاتها وبطولاتها .. بما يطول شرحه لايفائه كامل حقه ، ولكننا سوف نوجز فيما يلى محتوى تلك المراحل بالقدر الذى يخدم السرد ، ويكشف عن الحقيقة الضائعة بين ارهاصات الدعاية الصهيونية الماكرة ، واكاذيب المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .

بدأت **مرحلة الصمود** فى يونية ١٩٦٧ ، واستمرت حتى اغسطس ١٩٦٨ ، وكان الهدف الرئيسى منها هو الالتزام بنوع من الهدوء لاتاحة الفرصة لاعادة البناء بعد رفع الانقراض بأسرع ما يمكن ، الى جانب تجهيز الدفاع من جبهة القناة .

ورغم الالتزام الشديد بإيقاف النيران ، الا أن تلك الفترة شهدت بعض الملاحم البطولية التى ادارتها قواتنا المسلحة ، بما كان متيسرا لديها من أفراد واسلحة ومعدات قليلة ، فكانت اول تلك الملاحم معركة

رأس العش ، وهي باكورة المواجهة الحقيقية بعد يونيو ٦٧ ، التي تكشف عن معدن المقاتل المصري .. حيث تقدمت قوة مدرعة اسرائيلية في الساعات الأولى من صباح أول يوليو ٦٧ (*) . وغرور النصر الرخيص يملأ جوانبها .. تقدمت من الجنوب لاحتلال بور فؤاد في الشمال ، فتصدت لها فصيلة من القوات الخاصة ، لا يزيد أفرادها عن ثلاثين مقاتلا مزودين بالأسلحة الخفيفة ، ولقنت العدو درسا كانت خلاصته أن النصر السهل الذي اغتصبه قبل عشرين يوما في غفلة من الزمن هو استثناء لن يتكرر أبدا .. وتمكن الرجال بأسلحتهم الخفيفة من إيقاف هجوم المدرعات الاسرائيلية ، وكبدوها خسائر فادحة مما أجبر العدو على النكوص عن محاولة استثمار مكاسبه في يونيو ١٩٦٧ .. ولم يجرؤ بعدها ، وعلى امتداد ست سنوات ، أن يكرر محاولته لاحتلال بور فؤاد الصامدة ..

لقد أثبتت معركة رأس العش أن نكسة يونيو ١٩٦٧ لم تؤثر في ارادة المقاتل المصري ، وأنه قادر على تحقيق النصر اذا ما أتيحت له الفرصة المتكافئة للمواجهة . كما أثبتت أيضا أن الجندي الاسرائيلي ليس تلك الأسطورة التي رددتها عنه الدعاية الصهيونية الخبيثة ..

وفي الجو قامت النصور المصرية يوم ١٤ يوليو ١٩٦٧ بقصف قوات العدو المدرعة والميكانيكية والمدفعية . وعندما تصدت لها طائرات العدو خاضت معها معركة جوية .. وكانت تلك الملحمة في السماء مفاجأة تامة للعدو ، الذي كان الصلف قد أخذ به كل مأخذ اثر ضربته الجوية المركزة التي لم يمض عليها أكثر من شهر الا قليلا ، ولم تفرغ الدعاية الاسرائيلية عن الطنطنة لها والتأكيد للعالم أجمع أن قوات مصر الجوية لن تقوم لها قائمة في المستقبل المتطور .. ولهذا كانت الملحمة الجوية التي ادارها نسورنا البواسل يوم الرابع عشر من يوليو ١٩٦٧ مباغتة كاملة للعدو ، فر على أثرها جنوده مذعورين الى الخلف وقد تركوا مواقعهم رعبا وهلعا ..

وفي البحر كان اغراق المدمرة (ايلات) - نصف قوة الاسطول الاسرائيلي من المدمرات - يوم الحادى والعشرين من اكتوبر ١٩٦٧ ملحمة أخرى ، ولكن هذه المرة فوق الأمواج .. فقد قام أحد لنشآت الصواريخ المصرية بتحطيم تلك المدمرة وغيبها في اليم ، لاجترائها على اجتياز مياهنا الاقليمية شمال شرق بور سعيد ..

كانت تلك الملحمة فوق الأمواج أولى معاركنا البحرية بالصواريخ . كما كانت أولى معارك الصواريخ البحرية في التاريخ .. وقد ترتب عليها تغيير الكثير من النظريات البحرية العالمية ..

(*) من النوافذ الغريب حقا أن ينول اللواء أحمد إسماعيل على القائد العام للقوات المسلحة خلال حرب رمضان قيادة الجبهة اعتبارا من الساعة ٥٠٠ . يوم أول يولييه ١٩٦٧ .

ثم بدأت مرحلة الدفاع النشط في سبتمبر ١٩٦٨ ، واستمرت حتى فبراير ١٩٦٩ ، واتسم الصراع فيها بالتراشق بالنيران لفترات طويلة وبكثافة عالية .. وأثمر ذلك في تقييد حرية العدو في التحرك والمناورة والاستطلاع .. كما تكبد العدو خسائر متزايدة في الأفراد والأسلحة والمعدات ..

بدأت معارك المدفعية في سبتمبر ١٩٦٨ ، وزادت خسائر العدو ، فأسرع يقيم التحصينات وينشئ الملاجئ والمخابئ .. وقامت المدفعية بتدمير بطاريات الصواريخ أرض/أرض القصيرة المدى التي أقامها العدو في مواجهة مدينتي الاسماعيلية والسويس وباقي قرى منطقة القناة ، لتنفيذ مخططه بتدمير تلك المدن والقرى .

وحاول العدو التدخل بالطيران ضد مدفعيتنا ، ولكنه فشل لبراعة اخفاء مواقعها ، ومرونتها في الحركة والمناورة بنيرانها .. ومن هنا بدأ العدو يخطط لاقامة خط تحصينات قوية على طول مواجهة القناة .. وكان ذلك ايذانا بمولد خط بارليف الأول ..

ونجح العدو في اقامة هذا الخط رغم ما تكبدته من خسائر .. مستفيدا من سيطرة قواته الجوية في ذلك الوقت ، ومن اضطرارنا الى تخفيف نيران مدفعيتنا ، حيث كان العدو يرد على قصفنا لمواقع بقصف مدن وقرى منطقة القناة .. وبدأ تأثير نيران مدفعيتنا يقل نسبيا مع زيادة تحصينات خط بارليف .. وهنا راحت قواتنا تبتكر وتستحدث لتدمير هذا الخط بالكامل ، وايقاع الخسائر في أشد ما يؤلم العدو .. جنوده وضباطه .. فاذا ما كانت الأسلحة والمعدات سهلة الاستعراض من ترسانة الولايات المتحدة ، وبلا مقابل ، فكيف يستعوض الأفراد وخسائره فيهم فادحة !!

ولتحقيق هذين الهدفين معا بدأت المرحلة الثالثة وهي مرحلة الاستنزاف في الثامن من مارس ١٩٦٩ ، واستمرت حتى قبلت مصر مبادرة روجرز ، فصمتت النيران مرة أخرى يوم الثامن من أغسطس ١٩٧٠ ..

بدأت مدفعيتنا يوم الثامن من مارس ١٩٦٩ تقصف الخط بتركيز شديد .. واستمر القصف في اليوم الأول لمدة خمس ساعات متواصلة .

وتوجه صباح التاسع من مارس الفريق أول عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة وشهيدها الفألى ، ليرقب عن كثب نتائج هذا القصف .. وسقط وهو في أقصى المواقع الامامية ، ضاربا بذلك أروع مثل في البطولة والفداء .. واستمر القصف شبه متواصل الى أن تحطم زهاء ٨٠٪ من خط بارليف الأول .

ولاحداث الخسائر في افراد العدو .. ولتنمية الروح الهجومية في افرادنا وتدريبهم على تنفيذ العبور .. بدأت عمليات الاغارة على مواقع العدو في الضفة الشرقية للقناة ، وبالعراق القريب .. ليلا ونهارا ..

واستهلت قواتنا أعمال العبور بمجموعات صغيرة ، ثم تحولت الى اغارات كبيرة الحجم والهدف .. وصلت الى حجم السرية ثم اكبر .. ونجحت أعمال الاغارات .. وبرز نشاط قواتنا الخاصة وجماعات الاستطلاع والكمائن .. وتصاعدت أنشطة قواتنا القتالية فأصبحت تنفذ ليلا ونهارا .. وتحولت من مهاجمة اهدف فردية منعزلة الى مهاجمة مواقع حصينة. للعدو في وضج النهار .. وارتفعت معنويات العرب مع كل عبور .. وتزايدت خسائر العدو في الأفراد والمعدات .. وتميزت تلك الفترة بالاستنزاف المستمر ..

وزج العدو بقواته الجوية بتركيز شديد ضد مواقع الدفاع الجوي في يوليو ١٩٦٩ . تمهيدا للتوسع في قصف القوات البرية المصرية وتنفيذ الاغارات بالقوات الخاصة في العمق ، ضد بعض الاهداف المدنية المنعزلة . مثل ابراج خط كهرباء الضغط العالي وما اشبه .. وحاول العدو مهاجمة بعض مواقع قواتنا المنعزلة ، كالجزيرة الخضراء ، وساحل خليج السويس ، وجزيرة شدوان .. وظهرت بطولات لقواتنا ليس هنا مجال سردها .. ولكن يكفي أن نقول أن العدو لم يحاول تكرار تلك الاغارات مرة أخرى ، لفداحة الثمن الذي دفعه فيها ..

وفي مواجهة ذلك قامت القوات المصرية بتنفيذ بعض الاعمال القتالية الخاصة ، التي اقنعت العدو الا امان له ولا أمن طالما استمر يغتصب الأرض العربية ، ويفرض وجوده الكريه فيها ..

وقامت قواتنا البحرية بقصف مواقع العدو في رمانة وبالوظة على الساحل الشمالي لسيناء ، وشنت الضفادع البشرية هجوما على ميناء ايلات الاسرائيلي يوم ١٦ نوفمبر ١٩٦٩ فأغرقت للعدو ثلاث قطع بحرية داخل الميناء ، ثم كررت مهاجمة نفس الميناء يوم السادس من فبراير ١٩٧٠ فأغرقت له قطعتين بحريتين كانتا مكدستين بالمعدات والذخائر .. وكان انفجارهما مروعا ، حطم الكثير من تجهيزات الميناء ومقدمة البلدة .

ومع كل هذه العمليات كانت قواتنا الجوية تشب عن الطوق .. وتفاجيء العدو بين الحين والحين بضربات موجعة ، وتتصدى لطائرات العدو الجديدة من طراز الفانتوم ، التي نشط العدو بالدعاية لها .. وفي التاسع من ديسمبر ١٩٦٩ كانت بداية تحطيم الأسطورة ، اذ اسقطت طائرة ميج ٢١ طائرة فانتوم .. ورسخت ثقة قواتنا الجوية في نفسها وسلاحها وقدرتها ..

وجن جنون العدو ، وهو المختال بنصره .. وراعه توالى الفشل وراء الفشل .. على حين أن قوات العرب تحقق نصرا بعد نصر .. وكان أشد ما يحق العدو ويحزنه شعوره بالعجز عن إيقاف أنشطتنا المتلاحقة برا وبحرا وجوا .. وهذاه تفكيره الخسيس الى أن يتجه وجهة أخرى، لا تفتقر الى الضعة .. فبدأ يقصف الاهداف المدنية ، ولعل ذلك يخفف من ضغط قواتنا عليه ، ويرخى تكتلها أمامه .. ويزعزع ثقة الشعب

في قواته المسلحة ويهز ثباته .. فقصف مدرسة بحر البقر الابتدائية
للأطفال ، ومصنع أبى زعبل المدني .

وفشل مخطط العدو الجديد .. فقد ووجه بعمللاق ضخمة ،
تصدى لطائراته المفيرة بجدارية ومهارة .. هو شبكة الصواريخ المضادة
للطائرات ، فركز اهتمامه نحوها ، وحاول اعاقا بنائها .. وظهرت
بطولات رائعة ، واستبان الاصرار الكامل لرجال الدفاع الجوى
والمهندسين والعمال المدنيين ، الذين اشتركوا في عملية البناء ، واستشهد
الكثير من العسكريين والمدنيين .. ولكنهم واصلوا تنفيذ المهمة ، برغم
كل الفارات والقصف المجنون الذى قام به العدو .

وبدأت فترة استنزاف طائرات العدو ، وتمكنت قوات دفاعنا
الجوى من اصابة وتدمير احدى وعشرين طائرة معادية خلال شهر واحد
هو شهر يوليو ١٩٧٠ ، مما كان له اكبر الاثر في قبول العدو بالحاح
مبادرة وزير خارجية أمريكا المستر روجرز بايقاف اطلاق النار يوم
الثامن من أغسطس ١٩٧٠ .

ومنذ هذا التاريخ دخلت مصر مرحلة جديدة .. هي مرحلة التخطيط
والاعداد لمعركة العزة والكرامة .. ونشط العمل فى صبر وصمت ...

الباب الرابع
في صبر.. وصحة

التخطيط .. والإعداد

اللاحرب واللاسلام :

● في أواخر عام ١٩٧٢ كانت مصر قد استنفدت كل الوسائل السياسية والدبلوماسية لتحريك القضية من مازق «اللاحرب واللاسلام» ، فقبلنا كل قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن .. وقبلنا كافة المبادرات الدولية .. وأيدنا مساعي الدول غير المنحازة ، والدول الأفريقية ، ومبادرة روجرز الأولى والثانية ، ومبادرة يارنج في فبراير ١٩٧١ .. بل تقدم الرئيس السادات بمبادرته الخاصة في الشهر نفسه ، ثم أكدها في مايو من العام نفسه .. وقبلنا الاقتراح الأمريكي بالمحادثات عن قرب .. وعقدنا معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتي في مايو ١٩٧١ ..

كل ذلك فعلناه لمعالجة تجميد الموقف في الشرق الأوسط ، وكل ذلك فعلناه أملا في تحريك القضية والوصول بها الى حل عادل ، الا أن كل ذلك ذهب هباء دون أن نصـل الى نتيجة مقبولة ، على حين انصرفنا اسرائيل الى استغلال مرور الوقت لتصعيد شروطها المتعنتة ، وسد كل الطرق أمام العرب حتى تبقى ارادتها هي العليا .

وفي الواقع ، فاننا لم نضيع هذا الوقت سدى ، بل قضيناه ونحن ندعم قوتنا ونعمق من تأثير جوانبها العديدة سياسيا واقتصاديا ومعنويا وعسكريا . ولما تحققت لنا أسباب هذه القوة المنشودة كان طبيعيا أن ندرس استخدام العامل العسكري لكسر الجمود السياسي للآزمة ،

وتهيئة الظروف المناسبة والمناخ الملائم لاستخدام باقى جوانب القوة المتاحة لنا .

وكان قرار استخدام العامل العسكرى . . وليد اقتناع القيادة السياسية والعسكرية باننا لن نخرج من هذه الحالة الا بالقوة المسلحة . كوسيلة أخيرة لاقتناع اسرائيل بعدم جدوى مداومة العدوان ، او استمرار احتلال الاراضى العربية بالقوة ، او تجاهل الحقوق المشروعة للعرب الفلسطينيين . .

القرار الجرىء

كانت أوجه الاختيار المطروحة امام القيادة العسكرية المصرية والتي ناقشتها وطرحتها للبحث والمقارنة والتفضيل تنحصر فى مجالى عمل محددين هما :

● العودة الى حرب الاستنزاف .

● القيام بجهد عسكرى يفوق مستوى حرب الاستنزاف .

وانتهت المناقشات المستفيضة الى ان حرب الاستنزاف قد استنفدت أغراضها خلال الفترة التى مارسناها من قبل ، كما أن اسرائيل لن تقبل بالعودة اليها لعدة عوامل وقيود عسكرية واقتصادية وبشرية معروفة . ولذا فان أى محاولة من جانبنا لفرض حرب الاستنزاف جديدة سوف تواجه من اسرائيل - ولا شك - برد فعل أقوى وأبعد مدى ، وكان ذلك يعنى اننا كنا أمام احتمال قيامنا بعمليات صغيرة يقابلها العدو برد فعل كبير ، يزيد كثيرا على قيمتها السياسية والعسكرية .

وهكذا استبعدت حرب الاستنزاف بأشكالها المختلفة ، والتي كانت تشمل على تراشقات بالمدفعية وغارات بالقوات الجوية واغارات القوات الخاصة والقوات البرية والقوات البحرية ، وغير ذلك من الأعمال المشابهة .

وبقى امامنا أن نفكر فى القيام بجهد عسكرى اكبر ، وأن نحدد نوع هذا الجهد ومداه ، بحيث يساوى على الأقل تعرضنا لرد فعل كبير من العدو . وبمعنى آخر فلتكن ضربتنا ضد العدو كبيرة على حين نتأهب فى الوقت نفسه ونكون على تمام الاستعداد لصد ضربة العدو المضادة ، التى سوف يوجهها يقينا ، ومهما كانت حدود واتجاهات ضربتنا . .

ولذا تقرر أن تكون ضربتنا ضد العدو شاملة . وكان انشاء القيادة العسكرية لدولة الاتحاد اضافة جديدة للموقف . . اذ فتحت مجالات لأن تكون هذه الضربة مشتركة من جبهتين ، وانشئت هيئة عمليات

للقيادة العامة الاتحادية تعين اللواء بهى الدين محمد بوفل رئيسا لها ،
وقام بمهام التنسيق وتنظيم التعاون المشترك .

واتخذ القرار السياسى باستخدام القوة العسكرية ، كما استعدت
القوات المسلحة لشن عمليات تعرضية رئيسية ضمن اطار استراتيجية
شاملة ومباشرة ، يكون الدور الرئيسى فيها للقوات المسلحة ، بغرض
تغيير موازين الموقف السياسى والعسكرى فى الشرق الأوسط ، وتهيئة
الظروف المناسبة لاستخدام باقى اوجه القوة المتوفرة للعرب .

ولم يات هذا القرار السياسى الجرىء نتيجة افكار
عشوائية أو ضغوط نفسية ، بل جاء نتيجة معرفة
واقعية بأن الوقت هو أفضل وقت ، وإن أغلب - إن
لم يكن كل - ابعاد الواقع المحيط بصانع القرار تبدو
مناسبة ، بل ملحة ، لتحقيق الهدف المنشود .
وكانت واقعية هذا الهدف شديدة الارتباط بواقعية
الرؤية الشاملة للظروف المحيطة به ، والعوامل التى
تسمح بتحقيقه أو تعترض سبيله .

لهذا كله حدد صانع القرار قراره العظيم بما يناسب هذه الظروف
جميعا ، فجاء مناسباً تماماً ، فلا هو يعلو عليها فيلهو به فراغ اللاواقع ،
ولا هو يهبط دونها فيردمه الواقع بركامه .

ومن خلال نظرتة الموضوعية الفاحصة للظروف المحيطة ، وتجاربه
العريضة عبر الجولات العربية الاسرائيلية ، وعبر السياسة المصرية
والعربية . وعبر صور الازمة النفسية التى خلفتها هزيمة ١٩٦٧ ، وتحت
الاصرار على بلوغ الهدف ، حدد صانع القرار قرار الحرب ، وبين الاطار
والاسلوب وفسحة التنفيذ والهدف المنشود ، فجاءت كلها شديدة
التناسق مع متطلبات النجاح .

وحدد الهدف العسكرى ليكون هزيمة تجميع قوات العدو
الاسرائيلى فى سيناء والهضبة السودانية والاستيلاء على مناطق ذات أهمية
استراتيجية تهى الظروف المناسبة لاستكمال تحرير الاراضى المحتلة
بالقوة المسلحة وإن تشكل عنصر ضغط لفرض الحل السياسى العادل
للمشكلة .

وبناء على هذا الهدف الواضح كان على القيادة العامة المصرية أن
نخطط للقيام بعملية هجومية استراتيجية مشتركة ، تنفذ بالتعاون مع
القوات المسلحة السورية ، وتقوم فيها مصر بالاحتحام المدبر لقناة
السويس وتدمير خط بارليف ، والاستيلاء على رؤوس كبارى بعمق
١٠ - ١٥ كيلو مترا على الضفة الشرقية للقناة ، وتكبيد العدو أكبر
خسائر ممكنة ، وصد وتدمير هجمات وضربات العدو المضادة ،
والاستعداد لتنفيذ أى مهام قتالية أخرى تكلف بها فيما بعد . أما سوريا

فتشن الهجوم وتخترق دفاعات العدو بالجولان وتجزئ تجميعه وتدمر قواته وتصل الى الخط - نهر الاردن ، الشاطئ الشرقى لبحيرة طبرية .

وبدأت القيادة العامة عملا طويلا شاقا ، فأجرت العديد من التقديرات والدراسات ، ووضعت في الاعتبار جملة عناصر أساسية لا غنى عنها لبلوغ النجاح ، وتحقيق التخطيط الحاذق والتنسيق الوثيق ، كان أهمها :

١ - دقة تحليل نظرية الأمن الاسرائيلي ، وتحديد جوانب القوة والضعف فيها .

٢ - تقييم الظروف الطبوغرافية والجوية للمعركة القادمة لانتخاب أفضل الأوقات لإدارتها من وجهة النظر العربية .

٣ - دراسة المزاج النفسي للقيادة العسكرية الاسرائيلية ، والاسلوب المتوقع منها للتصرفات وردود الفعل .

٤ - جمع المعلومات الدقيقة عن العدو ، ودراسة نظامه الدفاعي على قناة السويس ، وتقييم قدراته تقييما واقعيا ، دون تهويل أو تهوين .

٥ - انتخاب الاسلوب المناسب لاعداد وتنظيم القوات المسلحة المصرية بما يتلاءم وطبيعة المهام الصعبة التي سوف تواجهها .

٦ - التركيز الكامل على وسائل توفير النجاح ، وعلى رأسها تحقيق المفاجأة الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية ، مع حسن استغلال العوامل السياسية والعسكرية المحيطة بالموقف .

العوامل :

كان الهدف الأول امام المخطط العسكري المصري هو اعتبار نظرية الأمن القومي الاسرائيلي القسامة على اكلوبة «الحصود الآمنة» ، وحتمية الاحتفاظ بالباداة « والقنرة على الردع » ، وضرورة مواجهة العرب فرادى ، وضمان مؤازرة قوة عظمى كحليف موثوق بنجدته في كل وقت .

✽ يرتبط مفهوم « ضمان مؤازرة قوة عظمى كحليف موثوق بنجدته في كل وقت » بطبيعة نشأة وتطور اسرائيل في الشرق الأوسط ، فالنزاع الذي ترتب على تلك النشأة لم يأت نتيجة تفاعلات على قمة النظام الدولي ، ولكنه ارتبط بها نتيجة طبيعة نشأة وتطور الطرف الاسرائيلي فيه ، وكونه جسما دخيلا بغيضا ، لا يستطيع منفردا أن يواجه العملاق العربي الذي لا شك سوف يلفظه خارج أرض العرب ..

ومن هنا كان لا مناص أمامه منذ البداية أن يرتبط عضويا - كأي كائن طفيلي - بجسم آخر قوى ، كي يستمد منه أسباب الأمن والحياة الى أن ينتشر في المنطقة ويتشعب في خناياها وشعابها ، فيسيطر على أهم أعضائها وأطرافها ..

*** ويتبلور مفهوم الحدود الآمنة في الفكر العسكري الاسرائيلي في ضرورة تأمين المجال البري والجوى والبحري لاسرائيل بضمم مساحات واسعة من الأراضي والمياه العربية التي تحقق :**

١ - الاستناد على موانع طبيعية منيع ، يحرم الدول العربية القدرة على القيام بأي تحرك عسكري ، وفي الوقت نفسه ، يسمح لاسرائيل بحرية العمل الهجومي ضد أي دولة عربية .

٢ - أن يقع هذا المانع بعيدا عن قلب اسرائيل ، بحيث يوفر لها عمقا استراتيجيا يضمن لها المزيد من الأمن ، ويفسح لقواتها مجالات أرحب لحرية العمل والمناورة ، بما يؤمن اسرائيل ويهدد عمق الدول العربية .

٣ - أن يمكن الدفاع عن هذا المانع بأقل قدر من القوات التي تستطيع باستغلال المانع أن توقف هجوم العرب لأطول مدة ممكنة ، حتى تتاح الفرص الكافية لتعبئة القوات الاحتياطية الاسرائيلية ، وتحريكها من العمق صوب أماكنها المجهزة لها مسبقا في الحطة العامة على جبهتي سيناء والجولان .

٤ - أن يكون المانع من القوة والضخامة بحيث يحقق تأثيرا نفسيا كبيرا على القوات العربية المواجهة ، وأن يولد لديهم شعورا بالعجز واليأس مع توالي الزمن .

ومن الواضح أن مفهوم الحدود الآمنة في قاموس اسرائيل ينبع أساسا من فكر توسعي عدواني . اذ كلما زادت أراضي الدولة اتساعا زادت حاجتها الى نقل حدودها الى أرض جديدة على حساب جيرانها ، الأمر الذي لا يمكن أن يقف عند حد معين ، أو يحكمه منطق عاقل كما أكدته الجنرال الفرنسي أندريه بوفر الفيلسوف الاستراتيجي الشهير ، ونوه عنه كل من السناتور وليم فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي ، والمستر جيمس شليزنجر وزير الدفاع الأمريكي .

*** أما عن مفهوم « القدرة على الردع »** أو كما اطلق عليه بعض زعماء وقادة اسرائيل تعبير « اليد العليا » و « الدراع الطويلة » فهو قائم على عدة عناصر يأتي في مقدمتها :

١ - رفض الانتظار لحين وقوع الضربة الأولى من الجيوش العربية ، ايمانا بفكرة « الضربة المسبقة » ، والتي تفترض توفر القدرات الكفيلة بكشف النوايا العربية مبكرا في الوقت المناسب ، بواسطة

جهاز مخابرات ممتاز ، يتعاون مع اجهزة المخابرات الأجنبية الغربية ، ويعتمد عليها .

٢ - الاعتماد على القوات الجوية المتفوقة ، والتي تمثل أداة الردع الرئيسية ، المزودة بأحدث وأقوى الطائرات الأمريكية ذات المدى البعيد ، القادرة على تهديد أعماق الدول العربية .

٣ - تدمير أى هجوم عربي فى كل مراحله بل فى ساعاته الأولى ، بضربات برية مركزة بقوات مدرعة كثيفة ، على درجة عالية من الكفاءة القتالية .

٤ - الالتزام بأسلوب الحرب الخاطفة لانهاء القتال فى بضع ايام قليلة حتى لا تضطر الدولة الى الاحتفاظ بمخزونات استراتيجية هائلة ، او تواصل فرض التعبئة الشاملة لمدة طويلة ، فيترتب على ذلك توقف عجلة الانتاج والاضرار باقتصاد الدولة . زد على ذلك أن الحرب الخاطفة تحصر خسائر اسرائيل فى اضيق نطاق ممكن ، وخاصة فى الافراد .

والى جانب هذه المفاهيم الرئيسية لنظرية الأمن الاسرائيلى فقد اهتمت اسرائيل اهتماما بالغاً بتأمين مواصلاتها البحرية مع شرقى أفريقيا وجنوب شرقى آسيا بصفة كونها مصدرها الرئيسى من المواد الخام ، وبخاصة البترول . وتخيلت اسرائيل انه يكفيتها لتأمين هذه المواصلات أن تتمسك بمنطقة شرم الشيخ المصرية وترفض التخلي عنها ، مع فرض سيطرتها على الساحل الغربى لخليج العقبة حتى ابالات .

ولاهدار نظرية الأمن الاسرائيلى ، حددت القيادة المصرية عدة اتجاهات رئيسية بنت عليها خطتها ، كان أهمها :

١ - **حرمان العدو من تفوقه الجوى** ، وذلك بانشاء نظام دفاع جوى حديث وقوى يستطيع شل قدرة طيران اسرائيل ، ويعمل على استدراجه الى مناطق قتل بالصواريخ والمدافع ، مع اتخاذ كل الاجراءات اللازمة لضمان قدرة القوات الجوية المصرية على البقاء والعمل طوال الحرب ، بحيث تشكل تهديدا مستمرا للعدو .

٢ - **حرمان العدو من التمتع بمزايا توجيهه الضربة الأولى** ، وذلك بمفاجاته ومباغتته تماما ، وعلى كافة المستويات ، وسبقه فى توجيه الضربة الأولى . وفى الوقت نفسه ، وضع المخطط المصرى نصب عينيه أن هناك احتمالا - ولو ضئيلا - فى أن يكتشف العدو نية هجومنا مبكرا .

٣ - **حرمان العدو من القدرة على توجيه ضربات مضادة قوية بقواته المدرعة فى المراحل الأولى للهجوم** ، وذلك بفرض المعركة على العدو قبل اتمام استعداد قواته واستكمال حشدتها ، مع استغلال نتائج

المفاجأة ، وحالة الارتباك التي سوف تسود قياداته ، وما يترتب على ذلك من اتخاذ قرارات عفوية دافعها العجلة بلا تخطيط مسبق .

وفي الوقت نفسه تقوية الدفاع المضاد للدبابات لقواتنا البرية المهاجمة ، وبخاصة في الأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات من المدافع والصواريخ .

٤ - **اقتناع العدو بعدم جدوى وجوده العسكري في شرم الشيخ ، وانعدام فائدة تمسكه بها ، وذلك بقفل الطريق الوحيد لامتداد إسرائيل بالبترول من إيران ، بفرض الحصار البحري على باب المندب والبحر الأحمر ، وكذا إغلاق خليج السويس ليقف اغتصابها لبترول سيناء .**

وكان الهدف الرئيسى من ذلك كله هو اقتناع إسرائيل والعالم أجمع أن وجودها في شرم الشيخ ليس هو الحل المثالى لتأمين الملاحة الاسرائيلية في البحر الأحمر ، وأن الضمان الوحيد لذلك هو تحقيق السلام العادل في منطقة الشرق الأوسط .

٥ - **حرمان إسرائيل من ميزة الاستناد على موانع طبيعية وصناعية قوية ، وذلك بالتخطيط الدقيق والاعداد المسبق والتدريب الشاق على اقتحام قناة السويس بالقوة وتدمير تحصينات خط بارليف الأسطورية المقامة على ضفتها الشرقية ، وتوفير كل مقومات النجاح لهذا العمل القذ .**

٦ - **حرمان إسرائيل من ممارسة أسلوب الحرب الخاطفة بفرض المعركة الطويلة عليها ، لاستنزاف طاقتها ، وإظهار نقاط الضعف الكامنة في بنية الدولة ، وكشف اعتمادها المطلق على الحليف في كل شئون حياتها ، وبخاصة الحربية منها ، بالإضافة الى إيقاع الخسائر الجسيمة في أفراد قواتها المسلحة ، ومعداتنا الثقيلة .**

لقد استمرت إسرائيل حصد مزايا الحرب الخاطفة في الجولات الماضية ، فلم يتجاوز قتالها النشاط في الجولة الثانية خريف ١٩٥٦ م ثمانية أيام ، فيما بين ٢٩ أكتوبر و ٥ نوفمبر ، كما لم تزيد على سبعة أيام في الجولة الثالثة صيف ١٩٦٧ م فيما بين ٥ و ١١ يونية ، ألغت بعدها التعبئة وعادت بالدولة الى ظروف الحياة العادية .

وفي مواجهة ذلك صار مد زمن القتال وتحويله الى حرب طويلة أمر يتعارض مع استراتيجية إسرائيل ، ويخرج بها عن إطار قدراتها الاقتصادية والعسكرية .

وكانت ركائز النجاح امام هيئة التخطيط المصرية هي ثقة بالله ليس لها حدود ، وثقة بعدالة القضية ، وثقة بأصالة المقاتل العربى ، وثقة بصلاب الجبهة العربية .

واحتلت دراسة الفكر العسكري الاسرائيلي مكانا هاما في تقديرات جهاز التخطيط بالقيادة العامة المصرية . وكانت تلك الدراسة العميقة لمفاهيم الفكر العسكري الاسرائيلي ، ومعتقداته وقوالبه ، وأنماط تصرفاته ، هي حجر الزاوية في تحديد العوامل المؤثرة على تحقيق المفاجأة ، والمنطلق المناسب لامكان خداع العدو ومباغتته ، وإدارة الأعمال التحضيرية والتنفيذية بشكل لم يألفه العدو من قبل .

وكان الغرض من هذه الدراسة هو تحديد الاتجاهات الفكرية للعسكرية الاسرائيلية للوصول الى افضل السبل لاستغلالها بما يحقق نجاح العملية الهجومية . ونتيجة لهذه الدراسة **برزت المعالم الآتية للفكر العسكري الاسرائيلي :**

١ - تعاني القيادة الاسرائيلية من ثقة مفرطة بالنفس تجاوزت حد المعقول الى متاهات الغرور الاحمق في قدرتها على ردع وارهاب العرب ، وبث الخوف في نفوسهم ، بما يشل قدرتهم على العمل . كما تخيلت هذه القيادة انها قادرة على ترويض العرب واخضاع العقيلة العربية ذات الاصالة والتاريخ العريق - لمفاهيم معينة .

٢ - سومنذ عام ١٩٦٧ واسرائيل تطلق ادعاءاتها عن تفوقها على العرب ، وتؤكد بوجود فجوة حضارية كبيرة ، وفارق تكنولوجي ضخم . وتصور العربي كإنسان ضعيف القدرة على العمل الجاد ، أو التخطيط المنسق السليم .

وعلى ذلك فان مجرد الزعم بالقدرة على التخطيط لاقتحام مانع مائي مثل قناة السويس واختراق خط حصين مثل مثل قلاع بارليف اما هو امر يستحيل على العرب انجازاه ، اذ يصعب تحقيقه على أكثر الجيوش تقدما ، واقواها بأسا واحداثها تسليحا ، فكيف بالجيوش العربية المتخلفة !

٣ - ومن المعتقدات التي ملأت أذهان قادة اسرائيل ضعف قدرة القيادة السياسية المصرية على اتخاذ القرار أو إدارة الصراع المحسوب بكفاءة ضمن اطار الموقف الدولي المعاصر والظروف العربية السائدة .

٤ - ومن ناحية أخرى كانت اسرائيل تعتقد أن الوحدة العربية مجرد خرافة ، وبالتالي ، فان هجوما شاملا تشترك فيه أكثر من دولة عربية امر بعيد الاحتمال ، ان لم يكن ضربا من الخيال .

ان هذه المعتقدات التي عشت في تلافيف الفكر العسكري الاسرائيلي قد طمست بصيرته ، وأدت بقيادة اسرائيل الى استنتاجات خاطئة عن الطبيعة العربية التي تتمسك بالحق ولا تفرط فيه ، ولا تسامر النفس العربية التي تترسب في أعماقها مشاعر العزة والكرامة ، والتي ينبض وجدانها بالحياة ويعمر قلبها الايمان ، ويملا صدرها الاصرار على استرداد الحق والأرض مهما طال الزمن أو تعددت

الصعاب . فالحق يعلو ولا يعلى عليه .. والعرب خير أمة أخرجت للناس .. وسجلهم المشحون بالسؤدد الملى بالفخار ، يمكنه أن يحتل أقى النكسات ثم يواصل الحياة الحرة الكريمة .. ويحقق المعجزات .

وقامت القيادة العربية باستغلال هذه المفاهيم البالية التى سيطرت طوال ربع القرن المنصرم على العقلية الاسرائيلية المخدوعة ، وصبتها فى قالب من الجمود عكس آثاره السيئة على التفكير الاستراتيجى والتعبوى للقيادة الاسرائيلية ، التى لم تحاول بصدق أن تقترب من العقلية العربية اقترابا كافيا ، بل غرقت فى الأراجيف والأباطيل التى ذهبت تروجها عن العرب ، حتى صدقت أفكها ، فخلعت نفسها بنفسها ، وضلت طريقها .. رغم وجود المعاهد الاسرائيلية التى تسعى لنفسها التخصص فى الدراسات العربية السحيقة والمعاصرة ..

وكان العامل الثالث الذى واجهه التخطيط واستوجب عقد الدراسات المستفيضة هو تحديد حقيقة قدرات العدو ، ونقط القوة ومكامن الضعف فى نظامه الدفاعى على قناة السويس .

ونتيجة لهذه الدراسة قدرت القيادة العسكرية ان العدو يملك عدة مزايا أساسية أهمها ، استناد نظامه الدفاعى على مانع مائى قوى هو قناة السويس ، وعلى تجهيزات دفاعية حصينة تتحكم فيه وتسيطر على ضفته الشرقية ، فضلا على احتياطيات عديدة من القوات المدرعة والميكانيكية المنظمة فى انساق متتالية على طول العمق .

أما أهم نقط الضعف فى نظامه الدفاعى فكانت طول خطوط مواصلاته ، وطول مواجهة دفاعاته على امتداد القناة ، واضطراره الى الاحتفاظ بقوات عاملة صغيرة نسبيا فى سيناء فى غير وقت الحرب ، ومن ناحية أخرى فان رصيده البشرى لم يكن يسمح له بقبول الخسائر الكبيرة الأمر الذى جعل وقوعها ذا تأثير حاسم ومباشر على تفكيره وتصرفاته ومعنوياته . وأخيرا - وكما سبق القول - فهو عدو أصابه الغرور فظن أن تحصيناته على قناة السويس بمثابة مقبرة قد أعدها لجيش مصر ليرقد فيها رقدته الأخيرة ! .

وكان لزاما على القيادة المصرية أن تعمل قدر المستطاع على اضعاف أو تجميد نقط قوة العدو واستغلال نقط ضعفه . وعلى ذلك ، استصوبت أن يتم الهجوم المصرى على طول مواجهة القناة (١٧٥ كم) ، بل مده الى الجنوب من قناة السويس حتى مسافة ١٣٠ كم على امتداد الساحل الشرقى لخليج السويس ، ودفعه فى عمق سيناء حتى مسافة ٥ كم شرقا ، على أن يبدأ كل ذلك فى وقت واحد . فمثل هذا الهجوم الشامل سوف يحقق الآتى :

● يرغم العدو على توزيع ضرباته الجوية الموجهة لقواتنا ، وبذلك يصبح تأثيرها ضعيفا .

● يخدع العدو عن الاتجاه الرئيسى لهجوم قواتنا ، وبالتالي يحرمه من تركيز جهود قواته الجوية ضد قواتنا في هذا الاتجاه أو ذلك، فضلا على تأخير وارباك ردود فعله على الأرض ، ويؤجل شن ضرباته المدرعة الى أن يتحقق من اتجاه المجهود الرئيسى لقواتنا ودرجة خطورته عليه .

وكان معنى قرار القيادة المصرية مهاجمة العدو على امتداد مواجهة دفاعاته هو أن تقتحم القوات المصرية قناة السويس عنوة ، وأن تهاجم وتدمر قلاع بارليف فيما بين السويس جنوبا وبور سعيد شمالا .

وحينما قررت القيادة المصرية ذلك كانت تعلم تماما أن عبور قناة السويس بجيش كبير ، بل بجيشين في وقت واحد ، بأقصى ما يملكان من أسلحة وعتاد ، وفي وجه مقاومة عنيفة من العدو المتأهب على الضفة الشرقية ، كانت تعلم تماما أنها مشكلة ضخمة يصعب حلها ، بل قد تبدو للبعض معضلة بالغة الخطورة ان لم تكن مستحيلة .

فكما اظهره سجل الحروب ان عبور الموانع المائية كان دائما اشق العمليات واعقدها واكثرها فداحة في الخسائر . وكم من جيوش حاولت عبور الموانع المائية قديما أو حديثا ففشلت واصابتها الكوارث . وقد يزعم قائل ان الموانع المائية قد قلت قيمتها بفضل تطور أسلحة القتال وظهور المركبات والدبابات البرمائية . ولكن قناة السويس مانع فريد، جد مختلف عن باقى الأنهار والمسالك المائية الأخرى ، التى سبق اجتيازها بالجيوش على مدى التاريخ للأسباب التالية :

١ - يحد القناة شاطئ شديد الانحدار ، مغطى بساتنر أسمنتية وحديدية ، تمنع نزول وصعود المركبات البرمائية الا بعد تجهيزات هندسية مسبقة ، وهى صفة تنفرد بها قناة السويس عن مختلف قنوات وأنهار العالم ، فيما عدا قناة بنما فحسب .

٢ - تتعرض القناة لظاهرة المد والجزر ، فيختلف منسوب المياه تبعاً لارتفاعها وانخفاضها عدة مرات في اليوم الواحد . ويبلغ فارق المنسوب بين أعلى مد وأدنى جزر حوالى ٦٠ سنتيمتراً في شمال القناة ، على حين يزيد هذا الفارق كلما اتجهنا جنوباً حتى يصل الى المترين قرب مدينة السويس . وتفرض هذه الظاهرة أثرها الكبير على تخطيط العبور ، والأعمال الفنية الخاصة بإقامة المعدات وإنشاء الكبارى .

٣ - وهناك عامل آخر كان له تأثيره المباشر على تخطيط العبور هو سرعة التيار واتجاهه . اذ تتميز القناة بشدة التيار وسرعته التى تبدأ من ١٨ متراً في الدقيقة في القطاع الشمالى ، وتصل الى ٩٠ متراً في الدقيقة في القطاع الجنوبى . وفضلاً على ذلك فان اتجاه التيار يتغير دورياً كل ست ساعات من الشمال الى الجنوب وبالعكس .

٤ - ويتراوح عرض القناة بين ١٨٠ ، ٢٢٠ مترا ، أما طولها فيصل الى ١٧٥ كيلو مترا . ويتراوح عمقها بين ١٦ و ١٨ مترا ، وينخفض سطح المياه على حافة الشاطئ بحوالى مترين ، وبذلك لا يمكن عبور القناة بالمعدات المختلفة . لا طفوا ولا خوصا ولا سيرا على القاع . .

ومن الخصائص المميزة لقناة السويس انه كان يوجد على ضفتها الشرقية ساتر ترابى من ناتج حفرها ومداومة تطهيرها ، يتراوح ارتفاعه من ستة الى عشرة أمتار ، وقد أوحى هذا الساتر للعدو أن يستغله في إقامة خط دفاعى محصن على امتداد القناة ، فقام بتعليته حتى وصل في بعض القطاعات الى ٢٥ مترا ارتفاعا في المتوسط .

وفي جوف هذا الساتر الترابى الكبير أقام العدو عدة نقاط حصينة بدل في بنائها جهدا ضخما وأموالا وفيرة ، واستخلص الخبرات المكتسبة من مسارح الحرب المعاصرة في علوم التحصينات والموانع وفنونها ، وطبقها على خط بارليف .

وقد أراد العدو أن يجعل من المانع المائى الفريد الذى تشكله قناة السويس سدا منيعا يحول بين جيش مصر وأرض مصر في سيناء ، فلم يكتف برفع الساتر الترابى نحو السماء ، بل قام بإزاحته غربا حتى لامس حافة القناة تماما ، بزاوية ميل تزيد على ٤٥ درجة ، ليضع أمام المقاتل المصرى مزيدا من العقبات ، وأن ينمى في وجدانه شعورا بالمعجز واليأس . ثم أقام داخل هذا الساتر وفوق قمته وإلى الخلف منه عدة خطوط دفاعية محصنة ، تشكل في مجموعها منطقة دفاعية من أقوى المناطق الدفاعية التى عرفها التاريخ . وقد أطلق اسم « خط بارليف » على الخط الأول منها ، الذى تكلف انشاؤه ٢٣٨ مليون دولار ، أى ما يقرب من نصف تكاليف السد العالى (*) .

ولا تعتبر هذه المنطقة الدفاعية من الناحية العسكرية دفاعا مجهزة فقط ، بل هى منطقة حصينة على امتداد قناة السويس ، من شرق بور فؤاد شمالا حتى رأس مسلة على خليج السويس جنوبا ، وبعمق يمتد الى الشرق حوالى ٣٠ - ٣٥ كيلو مترا . حتى منطقة المضائق . وتحتوى هذه المنطقة الحصينة ، والتى تناهز مساحتها ٥٠٠ كيلو متر مربع على نظام كامل من التحصينات الهندسية والسواتر الصناعية والموانع القوية وحقول الألغام المضادة للدبابات والأفراد ، وتخترقها طرق طولية وعرضية للمناورة بالقوات ، كما تنتشر بها المستودعات والمخازن وورش الإصلاح .

(*) كان هذا هو الرقم الذى أعلن سابقا ، ولكن ظهر فى كتاب « التصدير » الاسرائيل أن جملة ما انفق على الخط يزيد عن خمسمائة مليون دولار ، وبررت تلك التكاليف بالسرقة والرشاوى والاختلاسات . ولا يزال الرقم الحقيقى سرا لم تعلنه اسرائيل بعد .

وتعمل في هذه المنطقة قوات العدو المدرعة ومشاته الميكانيكية ومدفيعته ووحدات دفاعه الجوى ، وجميعها مدربة على مهامها تدريبا جيدا بفضل المشروعات والمناورات المتتالية التى عقدتها على امتداد ست سنوات ، وبخاصة شن الهجمات المضادة ، وأساليب التحرك والفتح لتنفيذها ، وأعمال المناورة لصد القوات المهاجمة ، والقيام بالهجمات والضربات المضادة ، فى تعاون وثيق مع القوات الجوية التى تقف على أهبة الاستعداد للتدخل .

وتستند المنطقة الحصينة الى موانع طبيعية قوية تمتد فى جميع الاتجاهات ، فالى الغرب توجد قناة السويس ، والى الشرق يقع خط المضائق الجبلية والى الشمال البحر الأبيض المتوسط ، والى الجنوب هضبة العجمة الجبلية وخليج السويس . وبكل هذه الخصائص والصفات اعتبر خبراء الحرب تحصينات خط بارليف منطقة حصينة فريدة من نوعها ليس لها مثيل من القوة والمناعة من سجل التاريخ الماضى والمعاصر .

ويتكون هيكل الدفاع فى المنطقة الحصينة من عدة خطوط دفاعية ، ومناطق مجهزة لتمرکز الاحتياطات المدرعة ، ومواقع المدفعية ، وشبكة الطرق الرئيسية والفرعية ، وشبكة الصواريخ المضادة للطائرات طراز (هوك) ، والمدفعية المضادة للطائرات ، والمناطق الإدارية ، وخطوط أنابيب المياه .

ويتكون الخط الأول وهو « خط بارليف » من ٢٢ موقعا حصينا ، تضم ٣١ نقطة قوية ، تبلغ مساحة كل نقطة منها حوالى ٤٠٠٠ متر مربع أو أكثر وهى عبارة عن منشأة هندسية معقدة تتكون من عدة طوابق تغوص فى باطن الأرض وتعلو حتى تصل الى قمة الساتر .

ويتكون الطابق الواحد من عدة دشم (غرف) من الأسمنت المسلح المقوى بقضبان السكك الحديدية والواح الصلب ، ويفصل كل طابق عن الآخر طبقة من القضبان الحديدية والخرسانة المسلحة والأتربة والأحجار ويبلغ سمك هذه الطبقة مترين .

وقد جهزت كل دشمة بعدة فتحات تمكنها من الاشتباك فى جميع الاتجاهات . هذا فضلا عن دشم أخرى مجهزة للأسلحة المدفعية والدبابات . وتتصل جميع هذه التجهيزات ببعضها البعض عن طريق خنادق مواصلات عميقة ، مبينة بالواح الصلب وشكائر الرمل .

وقد وفرت هذه التحصينات والأعمال الهندسية المختلفة وقاية للنقط القوية ضد القنابل الثقيلة حتى ١٠٠ رطل أو يزيد .

ولزيادة مناعة النقط الحصينة ، أحاطها العدو بنطاقات كثيفة من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام المضادة للدبابات والأفراد ، والتى بلغ عمقها حوالى ٢٠٠ متر . هذا بالإضافة الى الشراك الحداعية التى

نغطي ميول الساتر الترابي وقمته . كما جهاز العدو بعض النقاط بخزانات الوقود ومواد النفط ، وتخرج منها مواسير الى القناة ليتسرب خلالها الوقود طبقا لنظرية الأواني المستطرقة ، لتغطية سطح القناة ولاشعالها حتى تتحول مياهها الى مسطح هائل من اللهب ترتفع السنته الحارقة لأكثر من المتر ، وتصل درجة حرارته الى ٧٠٠ درجة مئوية .

واهتم العدو في اختيار هذه النقاط الحصينة ان تغطي الاتجاهات الصالحة لعبور القناة وتقدم القوات الى عمق سيناء وأن تتبادل المعاونة فيما بينها بالنيران ، وهكذا تخلق هذه النقاط بالاضافة للسد الترابي العالي وحاجز اللهب المشتعل سدا آخر من نيران الأسلحة المختلفة المتوسطة والثقيلة ، حيث جهاز العدو مواقع لدباباته فوق الساتر الترابي يفصل ١٠٠ متر على طول مواجهة القناة .

وحتى يتبين القارئ حقيقة هذه القلاع والحصون التي اشتمل عليها خط بارليف النيع ، وتكتمل في ذهنه الصورة الواقعية عنها ، نسوق له فيما يلي وصفا موجزا لأحد هذه الحصون كمثال لما قامت عليه دفاعاته المنيعة على طول امتداد ضفة القناة الشرقية ، كما نسعم الوصف بعدة صور فوتوغرافية ومخططات هندسية لزيادة الايضاح .

هناك بين سهل الطينة والملاحات شرقا ، ورأس العش وبحيرة المنزلة غربا ، وعلى لسان ضيق من الأرض ، قرب علامة الكيلو متر ١٠ ، يقع الحصن الذي يشكل أقصى شمال قلاع بارليف على ضفة القناة الشرقية .

ويلف الحصن من الشمال والجنوب خمسة عشر نطاقا من الأسلاك الشائكة التي تفصل بينها حقول القام كثيفة ، أما من الغرب فيوجد ثمانية نطاقات أسلاك شائكة تفصل بينها أيضا حقول القام . والحصن مزود بأجهزة الانذار والشراك الخداعية التي تكشف أى تسلل أو محاولة اقتراب منه ليلا أو نهارا .

ويرتفع الساتر الترابي حول الحصن الى ١٨ مترا ، ويحيط به من جميع الاتجاهات ، ويقع داخله الكثير من الدشم والملاجئ للأسلحة الصغيرة والرشاشات المتوسطة والثقيلة المبنية في جسم الساتر الترابي على طول محيط الحصن لتوفر له الدفاع من جميع الاتجاهات .

وتتعاون هذه الدشم مع بعضها في انتاج النيران المتقاطعة والمائلة ، ويصل عددها الى ٢٤ ملجأ ثقيل للأفراد والمعدات ، ٢٦ دشمة للرشاشات ، ٤ دشم للأسلحة المضادة للطائرات ، وعدد من مصاطب الدبابات والأسلحة المضادة للدبابات المجهزة بسواتر لحمايتها من الأمام والأجناب .

ويحتوي الساتر الترابي أيضا على أماكن لمبيت وراحة الجنود تتوفر لها أوقاية من كافة النيران الثقيلة غدا القنابل الدرية ، وبها كل

أسباب الترفيه والاعاشة والتكديسات التى تكفى المدافعين لأشهر طويلة من الحصار .

ويصل بين جميع الدشم والملاجئ خنادق عميقة تكفل لأفراد الحصن التحرك تحت الأرض بطريقة مختلفة .

وكل ملجأ أو دشمة يمكنها أن تتحمل القصف الجوى أو البرى الثقيل بفضل ما وفره العدو لها من شكاير رمال وطبقات من قضبان السكك الحديدية ثم طبقات الردم التى يصل سمك الطبقة الواحدة منها الى ٣ أمتار ، ثم سبعة صفوف فوق بعضها من البلاطات الخرسانية؛ ثم طبقة أخيرة من الردم السميك ، وفوق كل ذلك سور من السكك الشائكة الدائرى ، وصناديق سلك معبأة بالدبش والحجارة للوقاية من أسلحة الضرب المباشر .. وكل ذلك هو نتاج الخبرة المكتسبة من تحصينات مسارح الحرب المعاصرة ، ومعين لا ينضب من دولارات المعونة والتعويضات والتبرعات .

وهذه الملاجئ والمخابئ مجهزة للوقاية من الأسلحة الكيماوية وغازات الحرب ، وتتوفر بها كل سبل الراحة ووسائل التهوية والترفيه والاضاءة والتدفئة والاتصال التليفونى بالعائلات فى الخلف .

ويخرج من الحصن مواسير تخترق بطن الساتر الترابى لتلامس صفحة الماء ، وتتصل بخزانات وقود خاصة فى الخلف ، يمكن اشعالها فى حالة اقتحام المصيرين للقناة ، فتحيل صفحتها الى شعلة من نار لا تنطفىء ، ولا تبقى ولا تذر .

وبالحصن معدات الاسعاف الاولى وطبيب معالج ، وبه اماكن للاستحمام بالمياه الساخنة والباردة ، ودورات مياه ، ومطابخ ، وصالة عرض أفلام سينمائية ، ومقصف ومنتدى للاجتماعات والنشاط الاجتماعى . وفى قلبه ملاعب للكرة وللمختلف الألعاب الرياضية . وليس كل ما قدمناه من وصف لحصن الكيلو متر ١٠ من خط بارليف - وهو ليس قطعاً أقوى الحصون التى يشتمل عليها هذا الخط - سوى شرح بالغ الإيجاز يقصر كثيراً عن واقعه .. ولعل الصور الفوتوغرافية المرفقة بالكتاب تساعد القارئ على الالمام بالصورة الحقيقية لحصون هذا الخط الأسطورى المنيح ..

وبين الخط الأول على ضفة القناة الذى سبق شرحه . وخط المضائق الجبلية ، أنشأت القوات الاسرائيلية خطين دفاعيين آخرين هما الخط الثانى والثالث . ويبعد الخط الثانى حوالى ٣٠٠ - ٥٠٠ متر عن الخط الأمامى ، ويتركز فى الاتجاهات الأكثر صلاحية لعبور القناة وتقدم القوات المهاجمة ، وقد انشئ هذا الخط بنفس مواصفات الخط الأول وان كان اقل امتدادا واتصالا .. وهو مجهز أساسا لاحتلاله بالقوات المدرعة الموجودة على الأجناب وفى الخلف .

أما الخط الثالث فيمر على مسافة تتراوح بين ٣ - ٥ كيلو مترات من القناة ، على بعض الاتجاهات الهامة ، وعلى أجناب الطرق الرئيسية المؤدية الى العمق .

وبين هذه الخطوط والى الخلف منها حتى خط المضائق ، انشأ العدو مجموعة من التلال والسواتر الصناعية ، وجعلها كى تحتل بالدبابات ليصد بها هجوم القوات المصرية أو يستخدمها كخطوط فتح لشن الهجمات المضادة ، ويقع أهمها على بعد ١٠ - ١٢ ، ١٥ - ٢٠ كيلو مترا شرقى القناة .

وبالإضافة الى كل ما سبق من خطوط وحصون ونيران ، فقد جهزت القوات الاسرائيلية مناطق تجمع للاحتياطيات المدرعة داخل نطاق المنطقة الحصينة . وتقع مناطق التجمع هذه على أعماق مختلفة تتراوح بين ٥ - ٣٠ كيلو مترا من قناة السويس . وتتمركز فى هذه المناطق احتياطيات العدو المدرعة ، والأسلحة المضادة للطائرات ، والصواريخ المضادة للدبابات .

وداخل اطار المنطقة الحصينة قام العدو بتجهيز عدد كبير من مواقع بطاريات مدفعية الميدان المتوسطة وبعيدة المدى ، بلغ مقدارها حوالى ٢٤٠ موقعا مجهزة ، يعمل ٣٠ موقعا فى الحالات العادية ، ويعمل جزء من الباقي فى حالات التوتر ، ويعمل الباقي كمواقع تبادلية يتم الانتقال اليها فى حالة تدمير أحد المواقع الأساسية لقصف المدفعية المصرية المؤثرة .

ومن ناحية أخرى قام العدو بانشاء شبكة ضخمة من الطرق الطولية والعرضية شرقى القناة وحتى مسافة ٣٠ كيلو مترا منها ، وذلك لتسيير حركة قواته فى أى اتجاه ، وللمناورة بها حسب تطور القتال . وبلغ اجمالى أطوال هذه الطرق داخل المنطقة الحصينة حوالى ٧٥٠ كيلو مترا ، ومعظمها طرق عرضية تخدم التحركات من محور طولى الى محور آخر .

والى جانب اعتماد اسرائيل على قواتها الجوية لتوفير الدفاع الجوى عن القوات المدافعة فى المنطقة الحصينة ، فانها أنشأت شبكة قوية من الصواريخ طراز هوك ، وزودتها بأحدث الأجهزة الالكترونية والرادارات الحديثة ، وذلك لحماية مراكز القيادة والنقط القوية والقلاع وغيرها من الأهداف الهامة .

كانت تلك مجرد عجالة عن منطقة العدو الحصينة وقلاع خط بارليف المنيح ، أما عن عمق سيناء فقد جهزه العدو بمناطق عديدة لتتجمع فيها احتياطياته التعبوية المدرعة ، وخطط أن تسع كل منها لواء مدرعا مدعما ، فى تاهب تام للقيام بالهجمات المضادة القوية ، وشن الضربات المضادة الحاسمة ، بمجرد شعوره باهتزاز الموقف الدفاعى داخل المنطقة الحصينة ..

وظل الاعتماد الرئيسى للقيادة الاسرائيلية على المنطقة الحصينة ، وقلاع خط بارليف بصفة خاصة ، ولذا لم تال جهدا أو مالا أو خبرة لتحويله الى مانع يستحيل اقتحامه ..

من ذلك كله نجد أن قناة السويس وخط بارليف لم يكونا مجرد مانع حصين فحسب ، بل مانع فريد ليس له مثيل فى العالم ، وليست هناك خبرة سابقة فى التاريخ العسكرى لعبور مثله . ويحضرنا فى هذا المجال قول الجنرال دافيد أليعازر رئيس أركان الجيش الاسرائيلى عن خط بارليف « انه سيكون مقبرة للجيش المصرى » . فاذا بالجيش المصرى يقتحم هذا الخط ويحيل دفاعاته الأسطورية الى مقبرة لاليعازر (*) وأقرانه من صقور اسرائيل الذين عادوا بعد الهزيمة يعترفون بكفاءة الجندى المصرى فيقول اليعازر عنه : « لقد كانت أكبر مفاجآت هذه الجولة هى روح الجندى المصرى العالية وكفاءته » .

كان على القيادة المصرية أن تفحص عدة مشاكل وأن تعالجها الواحد بعد الأخرى ، حتى تحقق للمقاتل المصرى أفضل الظروف لأظهار كفاءته وقدراته الكامنة .. إذ كان عليه أن يعبر القناة فى وجه سد من اللهب والنيران ، وأن يصل سليما هو وسلاحه الى الضفة الشرقية ، ويتسلق الساتر الترابى العالى ، ويقتحم بما فى يده من أسلحة خفيفة خط التحصينات ، ويلمر قلاعه القوية ويصد ضربات العدو المدرعة وقصفات طيرانه ثم يرفع علم مصر خفقا فوق أعلى الروابى والقمم .

ثم كان عليه بعد ذلك أن يتابع تقدمه ويواجه دبابات العدو ويقاتلها ويقضى عليها .. كل ذلك تحت ظروف صعبة ولعدة ساعات حرجة تناهز الست ساعات . لقد كان على الجندى المصرى المترجل أن يقاتل بمفرده الى أن تقام المعابر وتصل الدبابات والأسلحة الثقيلة الأخرى الى الضفة الشرقية .. وكان ذلك ضربة من الاعجاز البشرى .. ليس له مثيل فى سجل الحرب .

✽ فالمشكلة الأولى هى أن يجد الوسيلة لاختاد النار فوق سطح الماء ، أو يمنع اشتعالها أصلا ، ولتحقيق ذلك تقرر دفع بعض الأفراد لاغلاق مواشير النابالم بالاسمنت ، وعبور مجموعات من الصاعقه للاستيلاء بسرعة على مستودعات المواد الملتهبة . كما تم انتخاب قطاعات العبور بحيث تجتاز قواتنا صفحة القناة فوق التيار ، لتتفادى النيران المشتعلة فوق الماء .

(*) عزل بعد الحرب عن منصبه ، بعد أن أدانته لجنة تحقيق اجرائات .

❖ **المشكلة الثانية** كانت فتح الممرات فى الساتر الترابى على الضفة الشرقية حتى يمكن اقامة المعديات وتركيب الكبارى لعبور الدبابات والأسلحة الثقيلة . وأجرى ما يزيد على ٣٠٠ تجربة ومحاولة مضنية على امتداد عدة سنوات تمت فيها اختبارات كثيرة لفتح هذه الممرات التى لا غنى عنها لنجاح العبور - بالمدفعية وبكل أنواع المفرقات والصواريخ والإلغام وقنابل الطائرات ذات الأوزان الثقيلة .. التى فشلت جميعا فى أن تحقق شيئا من المطلوب ..

واهتدى أحد الضباط الى فكرة استخدام مدافع المياه ، وفى التو واللحظة قابلت الفكرة التشجيع اللائق بها ، ودرست من كافة الزوايا والتفاصيل ، وتقرر استخدام طريقة التجريف بالمياه تحت ضغط كبير بالاعتماد على مضخات المياه القوية ، والتى أطلق عليها اسم « مدافع المياه » ، بعد تعديلها بواسطة المهندسين المصريين . وكان الأمر يتطلب فتح ٨٥ ممرا فى الساتر الترابى ، يحتاج كل منها لازالة ١٥٠٠ متر مكعب من الرمال والأتربة ، أى ما يساوى ١٢٧٥٠٠ متر مكعب ، تحتاج لجهود نصف مليون رجل/ساعة لرفعها بالطريقة التقليدية ، ولكن مدافع المياه كفلت لنا أن يتم فتحها جميعا خلال ٣ - ٥ ساعة .

❖ **المشكلة الثالثة** كانت تأمين اقتحام المجموعات الأولى من القوات ضد نيران العدو المصوبة برشاشاته ومدفيعته ودباباته ، والتى كان قد ضبط مراميها لتغطى سطح القناة وتحويله الى سد من النيران المتشابكة . ولهذا الغرض خططت أعمال المدفعية وأسلحة الرمي الأخرى لتنفيذ أقوى تهديد نيرانى شهده الشرق الأوسط على امتداد تاريخه الحافل بالمعارك .

❖ **المشكلة الرابعة** كانت ارتفاع الساتر الترابى الذى فاق ارتفاعه العشرين مترا ، والأفراد يحملون كامل أسلحتهم وذخائرهم ومعداتهم . وقد ابتكر الكثير من الأدوات والأجهزة لتسهيل صعود هذا الساتر الحاد الزاوية .. كما كان لتصميم الجنود وعنادهم الفضل فى نجاح الجميع فى ارتفاع الساتر .. بالمعدات المبتكرة حينما ، وبالأطافر والأنياب أغلب الأحيان ..

❖ **أما المشكلة الخامسة** فكانت تتلخص فى توفير القدرة للقوات المترجلة على القتال ضد دبابات العدو وعرباته المدرعة ، التى سيدفعها لشن الهجمات المضادة بعد الدقائق الأولى لاقتحام جنودنا القناة . ولهذا الغرض تم تخطيط عدة إجراءات أهمها :

١ - أن يحمل جنود الموجات الأولى أكبر قدر من الأسلحة والذخيرة وأقل قدر من التعيينات والمياه .

٢ - أن تبتكر وتصنع عربات صغيرة لنقل مالا يستطيع الجنود حمله ، على أن تجر بالأيدي ليتسلقوا بها الساتر الترابي .

٣ - أن تزداد نسبة تسليح الجنود بالأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات ، مع زيادة نسبة الصواريخ الخفيفة المضادة للدبابات ، وأن تجهز خطط النيران المدفعية الميدان للمعاونة من الضفة الغربية .

٤ - أن تدرب الأطقم على فك المدافع وحملها بالأيدي حتى اتمام صعود الساتر الترابي ، ثم يعاد تركيبها بسرعة لتستخدم في تدمير دبابات العدو المقتربة .

٥ - أن تجهز سواتر عالية على الضفة الغربية للقناة لتحتلها الدبابات والأسلحة القوية المضادة للدبابات ، لتشتبك بالضرب المباشر - من الضفة الغربية - ضد دبابات العدو التي سوف تهاجم قواتنا في الضفة الشرقية .

٦ - أن تشكل مجموعات اقتناص دبابات لتدفع تحت ستر نيران المدفعية قبل اقتحام القناة بالقوات الرئيسية ، لتتوغل داخل مواقع العدو ، وتقيم الكمائن على طرق تقسم دباباته ، وتمنعها من الاقتراب صوب القناة .

ولعل أبرز معالم العبور كانت تتلخص في الآتي :

١ - لم يحدث في تاريخ الحروب أن نفذت عملية عبور أو اقتحام لقناة صناعية مجهزة هندسيا ومقام عليها قلاع حصينة كما جهزت قناة السويس وضفتها الشرقية .

٢ - كان لزاما أن يتم اقتحام قناة السويس وقلاع خط بارليف بالواجهة ، بخلاف المتبع في مهاجمة المواقع الحصينة بالالتفاف حولها ، إذ لم يكن هناك مجال لتفادي خط المياه أو خط التحصينات المتصلة أو الالتفاف حولها . ويعتبر ذلك أعقد أنواع الاقتحام للخطوط الدفاعية الحصينة .

٣ - كانت المرحلة الأولى للاقتحام تمثل أخطر مراحل العملية وأكثرها حرجا بالنسبة للقوات المهاجمة ، وأسهلها بالنسبة للعدو المدافع . إذ كان على الجندي المترجل المهاجم أن يستمر في قتال دبابات العدو لمدة لا تقل عن ٦ ساعات قبل أن تبدأ الدبابات والأسلحة الثقيلة الأخرى في عبور القناة والوصول اليه لترفع عنه عبء مقاتلة دروع العدو منفردا بصدوره المكشوف .

وتذكرت مجموعة التخطيط أن موقفا كهذا سبق أن واجه القيادة البريطانية في أكتوبر ١٩٤٢ وهي ترسم هجوم الجيش الثامن في العلمين

ضد حصون المحور التي كانت تستند على حقول الغام كثيفة تضم حوالى نصف مليون لغم وشرك ٠٠

كان الهجوم ائتقلىدى وقتها يقضى باتمامه فى ثلاث مراحل تبدأ باختراق دفاعات العدو ، ثم القتال المتلاحم معه داخل مواقعه الدفاعية ، ثم الانطلاق بالمدرعات فى الأرض المفتوحة غرب دفاعات المحور ٠٠

وكان الخطر الذى يتهدد هذه الخطة هو وقوف قوات البانزر عن كشب من عملية القتال المتلاحم وما يمكن أن يحققه الماريشال روميل بها من مغامرات قد تقضى على الهجوم فى مراحله الأولى ٠٠

وبعد امعان الفكر ٠٠ خرجت مجموعة التخطيط بالحل الأمثل ٠٠٠ بأن أعادت ترتيب مراحل الهجوم ٠٠ لتصنع الاختراق ، ثم تدفع المدرعات البريطانية خلال دفاعات المحور لتنتشر خلفها وتحتل مواقع مجهزة لمنع البانزر الألمانى من التدخل فى مرحلة القتال المتلاحم حتى تفسح لمشاتها المتفوقة الفرصة كاملة للانفراد بمشاء العدو وطحنها ٠

تذكرت مجموعة التخطيط المصرية ذلك ، وابتكرت لمشاكلها حلولا لا تقل حذفا عن حلول لجنة التخطيط البريطانية فى هجوم العلمين الشهير ٠٠

فبمجرد بدء الاقتحام ، تندفع مع الموجات الأولى جماعات مترجله كثيرة مسلحة بالصواريخ والمدافع المضادة للدبابات لتنفذ من بين حصون بارليف دون التورط فى القتال ، بهدف الوصول بأقصى سرعة الى حافتها الشرقية حيث تتربص لدبابات العدو التى سوف تندفع من العمق القريب لتحطم موجات الهجوم بجنازيرها ونيرانها ٠٠ وبدلا من أن تحطم هذه الدبابات مشاتنا التى كانت تعمل فى هذه المرحلة دون ستر دروعها لعدم اكتمال كبارى العبور ، حطمتها جماعات اقتناص الدبابات ، وسترت بذلك عملية القتال المتلاحق داخل حصون بارليف ٠٠ أما طائرات اسراييل فكان الرجاء معقودا بدفاعنا الجوى أن يطردها عن سماء المعركة ٠

كانت لجنة التخطيط ترى قوة هذا الحل فى بساطته ، تماما مثل بيضة كولومبس التى ما أن نجح فى حفظها معتدلة على مائدة الملك فردينانز بعد أن فشلت الحاشية كلها حتى تعالت صيحات الموتورين بالاحتجاج لبساطة الحل الذى أفهم الجميع ٠٠

وبالاستخدام الجديد للصاروخ الذى ابتكرته لجنة التخطيط المصرية تحولت مكامن قوة اسراييل ومبعث فخر جيشها - الطائرة والدابة - الى نقاط ضعفها وسبب هزيمتها ٠

التجهيز الهندسي لمسرح العمليات :

لقد احتلت أعمال التأمين الهندسي دورا هاما في التحضير للعملية الهجومية ، وتشعبت تلك الأعمال وتعددت أنواعها واستغرقت وقتا طويلا واستنفدت جهدا كبيرا . وكانت اهم تلك الأعمال هي اجراءات التجهيز الهندسي في منطقة الجبهة وفي باقي المناطق العسكرية ، التي بدأت منذ يونية ١٩٦٧ ، واستمرت حتى انطلقت الشرارة الأولى لحرب رمضان الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

وسار التجهيز في خدمة التخطيط ومرتبطا بفكرة قرار الهجوم القادم . فاعدت مناطق ابتدائية تكفي ككثائب مشاة مدعمة عندما كان التخطيط مبنيا على أساس القيام بعمليات محدودة ، ثم طور التجهيز لمناطق ابتدائية تكفي ألوية مشاة مدعمة عندما اتسع التخطيط ليكون الهجوم بألوية مشاة .

وأخيرا وضعت الخطة التي نفذت في السادس من أكتوبر ١٩٧٣ على أن يتم الهجوم بفرق مشاة كاملة . وبذا ركزت الجهود لتجهيز المنطقة الابتدائية للهجوم لتكفي الفرق المشاة المدعمة في النسق الأول ، فضلا على الانساق الثانية والاحتياطيات في نطاق الجيش الثاني والثالث الميداني .

وكان تجهيز المنطقة الابتدائية للهجوم يهدف الى :

- ١ - تحقيق تقدم قوات الجيش واتخاذها أوضاعها في المنطقة الابتدائية في سرية تامة .
 - ٢ - تحقيق الوقاية لقوات الجيشين من نيران العدو بجميع أنواعها .
 - ٣ - تهيئة انسب الظروف لتحول قوات الجيشين بسرعة الى الهجوم المفاجئ.
 - ٤ - القدرة على صد ضربات العدو في حالة قيامه بالهجوم .
- لقد تمت أعمال التجهيز الهندسي على عدة مراحل ، مع استغلال طاقات الشركات المدنية للانشاءات ، وشركة استصلاح الأراضي ، وكذا الهيئات التابعة لوزارة الري . وبلغت التكاليف الإجمالية للتجهيز الهندسي في منطقة الجبهة بمفردها ٣٠ مليون جنيه .
- وبدأ التجهيز الهندسي للمنطقة الابتدائية باستخدام شكاير الرمل

لتكسية جميع التجهيزات الهندسية .. خنادق النيران ، دشم الأسلحة ،
مرابض المدفعية والدفاع الجوي ، مداخل الملاجئ .. الخ . وان كانت
الشكاير تتميز بسهولة استخدامها في التجهيز الهندسي وامكانية تنفيذ
حجم كبير من الأعمال في وقت قليل . الا أن الشكاير كان يعيبها عيب
رئيسي هو سرعة استهلاكها اذ لا تتحمل أكثر من سنة واحدة ، وفي
بعض المناطق ذات التربة الملحية يضع شهور قليلة . ويعنى ذلك أن
التجهيزات الهندسية تستهلك وتحتاج الى اعادة تجهيز كل ستة
أشهر أو سنة واحدة في أحسن الأحوال .

ان تجهيزات الجيش الثاني الهندسية استخدم في انشائها حتى
أوائل ١٩٧١ ثلاثين مليون شيكارة .. فهل كان من الممكن تدبير ثلاثين
مليون شيكارة كل عام لاعادة انشاء التجهيزات الهندسية .. وما تتطلبه
من مجهود بشري واستهلاك معدات هندسية لاعادة التجهيز !

لهذا تحول التفكير الى أسلوب آخر للتجهيز الهندسي يحقق
استدامة التجهيزات الهندسية مهما طالت الفترة حتى يبدأ الهجوم ...
وهو استخدام البناء بالطوب لتكسية التجهيزات الهندسية .

وفي نطاق الجيش الثاني مثلا استخدمت ثلاثين مليون طوبة لبناء
خنادق النيران ومرابض المدفعية والدفاع الجوي ودشم الأسلحة ومداخل
الملاجئ .

وتم تجهيز مايزيد على مائتي مربرض نيران كتيبة مدفعية ، وأكثر من
خمسمائة مربرض سرية مدفعية مضادة للطائرات وعدد ضخم من مرابض
نيران كتائب الصواريخ المضادة للطائرات منها جزء كبير مجهز بمباني
الطوب . وقد حقق ذلك تجهيز مربرض نيران رئيسي وأكثر من مربرض
تبادل لكل كتيبة وسرية . وبذلك أمكن أن تتم اعادة تجميع هذه الوحدات
بسهولة حيث كانت مواقعها مجهزة وبأعداد كبيرة تكفي الوحدات
العضوية والوحدات المدعمة للتشكيلات والجيشين .

ولم يتم اختيار المواقع اعتباطا ولكن بعد دراسة مستفيضة للأرض
وللموقف ولفكرة العملية المقبلة ، ولذا فان بعض مواقع المدفعية جهز
ملاصقا لمياه القناة على الضفة الغربية حتى يمكنه تقديم المعاونة الى أقصى
عمق شرق القناة قبل أن تعبر المدفعية على المعديات والكبارى . كما أن
بعض مواقع المدفعية المضادة للطائرات جهزت على مصاطب الدبابات
فوق الساتر الترابي على الضفة الغربية لتحقيق أقصى وقاية للقوات أثناء
عبورها القناة ، ولوحدات الكبارى منذ بدئها في تجهيز معابر المعديات
والكبارى .

ولقد كان للعدد الكبير من المرابض اثره المحسوس في سهولة
المنورة من موقع لآخر ، وفي خداع العدو عن اتجاه الهجوم الرئيسي ،

واجباره على توزيع نيرانه على عدد كبير من المواقع كان معظمها فارغ
أو محتل بأهداف هيكلية .

وكانت أبرز تلك الأعمال هي انشاء سائر ترابي على الضفة الغربية
لقناة السويس لتوفير الوقاية لقواتنا من نيران ومراقبة العدو ، وانشاء
هيئات حاكمة تملو السائر الترابي على الضفة الشرقية للقناة بحوالى
٤ - ٦ أمتار ، وذلك لاحتلالها بالدبابات والأسلحة القوية المضادة للدبابات
وتجهيز شبكة من الطرق والمدقات لتسهيل مناورة القوات أثناء العبور ،
وتجهيز ساحات الاسقاط لمعدات الكبارى قام المهندسون العسكريون
بالاشتراك مع شركات القطاع العام وشركة استصلاح الأراضي ، بتعليه
السائر الترابي الامامى على الضفة الغربية للقناة . وتم في سبيل ذلك
تنفيذ أعمال تقدر بحوالى ٥ ملايين متر مكعب من الرمال والأتربة .

أما « الهيئات الحاكمة » أو مصاطب الدبابات كما اصطلح على
تسميتها ، فقد بلغ حجم الهيئة الواحدة منها ١٨٠ ألف متر مكعب
من الرمال والأتربة في المتوسط ، وانشئ منها عدة عشرات على طول
المواجهة ، بحجم عمل اجمالى زاد على عشرة ملايين متر مكعب من الرمال
والأتربة . .

واستمر تنفيذ الأعمال النهائية في تلك الهيئات حتى بدأت المدفعية
المصرية التمهيد النيرانى بعد ظهر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ . . وكان
هذا من مقتضيات خطة الجداغ . .

ولتسهيل مناورة القوات المصرية أثناء الاقتحام والعبور تم انشاء
شبكة مطورة من الطرق والمدقات بلغ طولها فى منطقة الجبهة وحدها
حوالى ألفى كيلومتر ، كما تم اقامة ستائر على اجناب تلك الطرق وفي
مواجهتها لاختفاء تحركات قواتنا عليها ، وتم أيضا تجهيز عدة عشرات
من المخاضات على ترعتى الاسماعيليه والسويس للربط بين شرق كل
ترعة وغربها ، وذلك بالاضافة الى الكبارى التى كان يعيها تعرضها
للقصف الجوى والتدمير بفعل العدو . .

ولتأمين تقدم القوات والأسلحة لاتخاذ اوضاعها في المنطقة
الابتدائية ، ولتحرك وحدات الكبارى من مناطق تركزها حتى حافة مياه
القناة ، ولتقدم القوات والأسلحة الى المعابر تم انشاء شبكة ضخمة من
الطرق والمدقات الطولية والعرضية بواقع ٢١ - ٢٥ مدقا طوليا وثلاث
مدقات عرضية في المنطقة الابتدائية لكل فرقة .

ونال تخطيط وتنفيذ هذه المدقات درجة كبيرة من الاهتمام لضمان
سهولة تحرك المركبات وانسيابية المنحنيات والميول ، وكما كان هذا العمل

شاقا ومضنيا فهناك مدقات تنشأ في المناطق الرملية وأخرى عبر الملاحات .

وقد أدت هذه المدقات دورها في حرب رمضان حيث جعلت تقدم وحدات الكبارى ثم القوات والأسلحة الى قناة السويس سهلا وأنسيابيا . وبمجرد قفل واحد من هذه المدقات كان هناك العديد من المدقات التبادلية لمناورة القوات ..

ولستر تحرك وحدات الكبارى الى قناة السويس وضمان وصولها سالمة الى ساحات ونقط الاسقاط كان لزاما تنفيذ الأعمال الهندسية التي تحقق ذلك ، حيث كانت سلامة وحدات الكبارى هي أول الضرورات الى سرعة انشاء المعابر لعبور الدبابات والمدفعية وباقي الأسلحة والمعدات .

وكانت هناك طريقتان لذلك .. اما أن ننشئ سواتر ترابية على جانبي الطرق (أو على أحد الجانبين) لاختفاء التحركات على هذه الطرق عن نقط الملاحظة الأرضية للعدو ، أو أن ننشئ ستائر معدنية تحقق الغرض نفسه .

وبعد دراسة تفصيلية وجدنا أن أفضل وسيلة هي الجمع بين الطريقتين : -

✳ انشاء سواتر ترابية بارتفاع يتراوح بين ٥ - ٧ أمتار على أجناب الطرق في المنطقة الأمامية من قناة السويس وحتى عمق ثلاثة كيلومترات من القناة لتحقيق اخفاء التحركات وتأمين المركبات في هذه المسافة من نيران الضرب المباشر . وقد بلغ حجم هذه السواتر حوالى أربعة ملايين متر مكعب من التربة ..

✳ انشاء ستائر معدنية على أجناب الطرق في المنطقة التي تبعد عن القناة أكثر من ذلك . وبلغ طول هذه الستائر حوالى ثمانين كيلومترا ، وهي وإن كانت أسهل في الانشاء وأقل تكلفة إلا أنها تحقق الاخفاء من المراقبة الأرضية فقط ولا تحقق الوقاية من نيران الضرب المباشر .. ولذا فضلنا استخدامها بعيدا عن مدى نيران الضرب المباشر المعادية ..

وقد حققت السواتر الترابية والستائر المعدنية نتائج رائعة حيث تقدمت وحدات الكبارى في السادس من أكتوبر ١٩٧٣ من مناطق تمركزها الى قناة السويس في سرية تامة ، وبدأت في انشاء المعابر على قناة السويس لتمهيد طريق النصر ..

واستعدادا لاقامة الكبارى على القناة فقد تم تجهيز ساحات الاسقاط لوحدة الكبارى على الضفة الغربية للقناة ، وكذا المنازل اللازمة لاستخدام المعدات ، وذلك على طول المواجهة من السويس الى شمال

القنطرة ، على مسافات متساوية ، حتى لا يتمكن العدو من تحديد قطاعات العبور مبكرا فيركز جهوده ضدها بما قد يفسد عملية العبور أو يحبطها ..

وبذا فانه من بين أهم الأعمال لتجهيز المنطقة الابتدائية .. كان تجهيز الشاطئ الغربي لقناة السويس حتى يلائم استخدام وسائل العبور المتيسرة في القوات المسلحة لإنشاء المعديات والكبارى . ويعنى ذلك أن تصل اللواري المحملة بالبراطيم الى حافة المياه لتلقى بها في مياه القناة حيث يتم تجميعها .

لقد كانت الفكرة في تجهيز الشاطئ الغربي هي خدمة خطة الخداع بتضليل العدو عن المواجهات التي سوف يتم فيها عبور قواتنا ، ولذلك وضعت الخطة على أساس تجهيز ساحات ونقط اسقاط البراطيم على طول مواجهة الجيشين وبالتساوى تقريبا في جميع فرق النسق الأول ، وبعدد كبير ، لمقابلة أى تعديل في خطة العملية الهجومية واستخدام أكبر قدر من وسائل العبور .

ولتوضيح الفرق بين ساحة الاسقاط ونقط الاسقاط ، فانه في المناطق التي يبعد فيها الطريق عن القناة يلزم تجهيز ساحة اسقاط تتراوح مواجهتها بين مائة وخمسين مترا وثلاثمائة متر لتدخل اليها مجموعة من العربات من مدق خاص وتسقط البراطيم ثم تخرج من مدق آخر لتدخل مجموعة أخرى من العربات وهكذا ، ويتصل مدق الدخول ومدق الخروج بطريق القناة . أما في المناطق التي يلتصق فيها طريق القناة بحافة المياه فلم يكن هناك بد من انشاء نقط اسقاط تسمح كل نقطة منها بوقوف عربة براطيم واحدة لتسقط البراطيم في الماء ثم تترك نقطة الاسقاط لتدخل عربة أخرى بعدها . وهكذا .

لتجهيز ساحات ونقط الاسقاط تم فتح ممرات في الساتر الترابي على الضفة الغربية للقناة ، كما أنشئت مدقات تصل الى حافة المياه ، وتم تثبيت التربة في ساحات ونقط الاسقاط لتتحمل حركة اللواري الثقيلة .

ولاعطاء القارىء فكرة عن حجم العمل الهائل الذي نفذ فانه قد تم حفر وتمهيد مليون متر مكعب من الأتربة ، وثبتت نصف مليون متر مسطح بالتربة الزلطية .

ثم ظهرت بعد ذلك مشكلة خطيرة ، فبعد أن قمنا بفتح ممرات في الساتر الترابي على الضفة الغربية ، ومهدنا مدقات منها الى عمق مواقعنا ، أصبحت الفرصة متاحة أمام العدو لاستغلال هذه الفتحات اذا فكر في الهجوم .. ولذا كان لزاما أن يعاد قفل هذه الفتحات بطريقة يسهل فتحها قبل بدء هجوم قواتنا ، وفي الوقت نفسه تعطل العدو اذا حاول الهجوم .

وكان **الحل الأول** أن يعاد انشاء ساتر ترابي بارتفاع أقل وسمك أرفع على أن يتم فتحه بواسطة البلدوزرات مع بدء التمهيد النيرانى للهجوم . ولكن ماذا يكون الموقف اذا دمرت بعض البلدوزرات بنيران العدو . ان ذلك سيجعل فتح الممرات أمرا مشكوكا فيه .

وكان **الحل الثانى** - وهو الذى تم تنفيذه - هو انشاء حائط من شكاير الرمال بسمك متر وارتفاع حوالى متر وثلاثة أرباع المتر يشبه الى حد كبير مريض الدبابة ليقلل كل فتحة من الفتحات . وتم التدريب على ازالة هذا المانع ، فقبل بدء التمهيد النيرانى تزال الألغام ومانع السلك الشائك فى سرية تامة ، ومع بدء التمهيد النيرانى تقوم جماعة مشاة من الوحدات التى تحتل الساتر الترابى بإزالة كل مانع شكاير ويتم ذلك فى غضون سبع دقائق فقط تكون بعدها ساحات ونقط الاسقاط جاهزة تماما . وهو ما حدث فعلا فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ .

ولتأمين تمرکز وحدات الكبارى التى كانت موجودة فى المنطقة العسكرية المركزية والتى خطط لدفعها الى الجيشين قبل بدء العملية الهجومية بأيام قليلة ، كان لزاما أن تجهز مناطق تمرکز لهذه الوحدات تحقق استيعاب الحجم المخصص منها للجيش وانتشارها ووقايتها من نيران العدو مع خداع العدو عن هذه المناطق .

ولذا بدأ تجهيز هذه المناطق منذ عام ١٩٧٠ ومع مرور الوقت كان يتم تجهيز مناطق جديدة وتزويدها بحفر عميقة لعربات ومعدات الكبارى ، وحتى لا يكشف العدو احتلال وحدات الكبارى عند وصولهما الى هذه المناطق وضعت خطة خداع تقضى بأن تحتلها بعض العناصر الادارية حتى يتعود العدو على وجود مظاهر الحياة بها ، على أن تخيلها قبيل وصول وحدات الكبارى ليلا مع اخفائها قبل أول ضوء .

كانت مناطق تمرکز وحدات الكبارى منتشرة على طول المواجهة وفى العمق . فكانت مناطق تمرکز الناقلات والمعديات البرمائية والمعديات داخل المناطق الابتدائية لتشكيلات ، أما مناطق تمرکز الكبارى فكان لزاما أن تكون خارج مدى مدفعية العدو ولذا جهزت خلف المناطق الابتدائية لتشكيلات النسق الأول على مسافة تحرك حوالى ساعة ونصف من قناة السويس ، أما احتياطى كبارى الجيشين فكان على مسافة أكبر من ذلك .

ولم تكن مسافات مناطق تمرکز الوسائل البرمائية والمعديات والكبارى من قناة السويس قد حددت جزافا ، ولكنها حددت فى توافق تام مع التوقيتات المخططة لتمام استعداد المعابر المختلفة مع مراعاة زمن التحرك الى المانع المائى وتوقيت بدء تحركها من مناطق تمرکزها .

ولصيانة مناطق تركز وحدات الكبارى دفعت دوريات الى نطاق الجيشين لتطهير الحفر وفى الوقت نفسه لاجراء استطلاع للطرق والمدقات التى تصلها الى قناة السويس واستطلاع ساحات ونقط الاسقاط .

مما سبق يمكن أن ندرك حجم الجهود الكبيرة التى بذلت لتجهيز المنطقة الابتدائية للهجوم على مرور السنين . لقد استمر التجهيز الهندسى حتى بدأ التمهيد النيرانى ظهر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، وكان الشكل العام للمنطقة الابتدائية قبيل السادس من أكتوبر يوحى بالثقة والاطمئنان الى أن العملية الهجومية سوف تبدأ من أرض صلبة وأن النجاح سيكون حليفنا . .



ولم تقتصر أعمال التأمين الهندسى على تلك الاجراءات التى سبق شرحها فحسب ، بل قامت قوات المهندسين والشركات المدنية من القطاعين الخاص والعام بأعمال مجيدة ضخمة شملت أراضى الجمهورية كلها . والجدير بالذكر أن اجمالى تكاليف أعمال التجهيز الهندسى لتجهيز مسرح العمليات بلغ عشرات الملايين من الجنيهات . . ولذلك قصة يجمل بنا الا نغفلها . .

من المعروف أن كل عمل عسكرى يتطلب تأمينا هندسيا ، ودائما تفرض ظروف المعركة السياسية والعسكرية على المهندسين مكان العمل ، وتحدد لهم الأرض والميدان ، ويصبح على المهندس العسكرى أن يطوع علمه ومعداته للتجاوب مع الفروض التى أمليت عليه ، ولا يملك المهندسون العسكريون حلا وحيدا لمسألة ما ولكنهم يوالون البحث والتقصى عن مفاتيح متعددة لكل موقف ، وهو أمر يحتمه سعى العدو الى وضع العراقيل فى وجه كل حل ، فضلا عن نقص المعلومات الدقيقة فى بعض المواقع وبخاصة عن الأرض التى تتغير طبيعتها من مكان لآخر .

وعندما أتت الجولة الثالثة فى صيف يونية ١٩٦٧ بالعدو الى الضفة الشرقية لقناة السويس ، عثر عندها على ضالته فى شكل تلال متراكمة من الأتربة نزعها الكراكات من قاع القناة وهى تعمل دائبة لتعميق المجرى على امتداد نيف ومائة عام .

وهكذا وجد العدو - فضلا على ستائر الصلب والحوائط الحجرية السائدة لمجرى القناة - أتربة سهلة التشكيل فى انتظاره ، فقام بتعليق هذه الأكوام من الأتربة وحولها الى ساتر ترابى يرتفع من نحو ثمانية أمتار الى نحو عشرين مترا وأكثر فى بعض القطاعات ، ودفعه الى حافة القناة مباشرة ببيوله الحادة التى تعجز مركبات القتال عن تسليقها ، وصنع منه ومن الأرض خلفه نقطا قوية تعمل معا فى نظام متكامل يعتمد أساسا على دشم للأسلحة المضادة للدبابات والرشاشات ، وزود الدشم

الحرسانية بمزاغل قوية التحصين تسيطر بنيرانها على الشاطئ الغربي للقناة ، وعلى مياه القناة نفسها لمنع أية محاولة لعبورها .

وفى مواجهة ذلك ، كان علينا أن نقيم التحصينات لوقاية الأفراد وقطع السلاح والمعدات ، وأن نحفر الخنادق ومرابض نيران المدفعية ، وأن ننشئ مواقع للدفاع الجوى ، وأن نجهز مراكز القيادة على جميع المستويات حتى يستطيع القادة أن يسيطروا منها على رجالهم وأسلحتهم .

ثم كان علينا أن ننشئ نقطا قوية مشكلة من سواتر ترابية ومرابض نيران وملاجئ وغير ذلك من التجهيزات الهندسية التى تستطيع منها قواتنا أن ترد على نيران العدو بالمثل ، بل تبدأه بقصفاته رادعة اذا ابلغت نقط ملاحظتنا عن نواياه العدوانية .

ثم كان علينا أن نقيم نظاما من الموانع المضادة للدبابات والمضادة للأفراد فى تنسيق كامل مع خطة النيران .

كل هذا الجهد تم ونيران العدو وقنابل طائراته تنهمر فى محاولات لتحقيق صمود قواتنا فى أعقاب يونيو ١٩٦٧ .

ويحق لنا أن نذكر نموذجين يوضحان أسلوب معالجة المهندسين للمواقف المختلفة تبعا لما تفرضه ظروف المعركة .

● **النموذج الأول** - والجميع يذكرون أن جزءا من سيناء بقى فى قبضة قواتنا بعد يونيو ١٩٦٧ ، وهو منطقه بور فؤاد التى تتصل بمناطق سيطرة العدو بشرطين من الأرض ، أحدهما يصل الى مدينة القنطرة شرق مارا برأس العش والثانى يسير بحذاء ساحل سيناء الشمالى .

لقد أعد المهندسون الشريط الأول بمواقع متتالية يعتمد كل منها على سواتر ترابية ومرابض نيران وأحزمة من الموانع . ولكن الثانى كان أكثر قسوة فرجالنا بمدافعهم وأسلحتهم ينتظرون شتاء تشمسند فيه نوات البحر . وحمل المهندسون معداتهم واتجهوا الى البحر حيث قاموا بإنشاء المواقع الدفاعية وحواجز الأمواج لحمايتها ، ثم ربطوا بينها بطريق ذى تصميم خاص يكفل له الحماية من أمواج البحر . وفى الوقت الذى كانت الحجارة والمواد الأخرى تنقل الى نقط العمل على طول الشريط بجميع الوسائل بحرا وبراً كانت نيران العدو تنهال فوق رؤوس الرجال .

● **النموذج الثانى** - حيث قام العدو بضرب ترعة الاسماعيليه بالقنابل الثقيلة فى فرعها المتجه الى بورسعيد بهدف قطع المياه عن نحو خمسين ألفا من الرجال الذين صمدوا فى المدينة الباسلة . وهناك بين القناة وترعة الاسماعيليه لسان ضيق من الأرض يسهل قطعه بقنابل

الطائرات الثقيلة فتتدفق المياه العذبة من التربة الى مياه القناة المالحة ،
والارض كلها ما بين القناة وبحيرة المنزلة لسان محدود يسميه الرجال
« رقبة الأوزة » . وعلى المهندسين أن يتحركوا بما أعدوه من خطط ومواد
ومعدات ل إيقاف تدفق المياه . . كما تتحرك ضدهم دبابات العدو لتواصل
صنع الحراب والدمار ولتمنع الاصلاح ، ولكن المهندسين - فى كل مرة -
كانوا سرعان ما ينجحون فى إعادة الأمور الى نصابها .

وبحث المهندسون عن طرق أخرى لامتداد المدينة بحاجتها من المياه
فمدوا خطوط أنابيب طاققتها عدة آلاف من الأمطار المسكبة فى اليوم ،
وأنشئوا خزانات للمياه داخل المدينة تكفى الاستهلاك عدة أيام .

ولا يكتفى المهندسون بكل ذلك ، بل يقومون بتجهيز صنادل عائمة
تحمل المياه من مدينة المنزلة الى بور سعيد عبر البحيرة . وعندما يقصف
العدو المجرى الملاحي فى بحيرة المنزلة بالقنابل الموقوتة ، يقوم المهندسون
بتطهير المجرى أولا بأول .

اتجه العدو بعد ذلك الى ضرب منشآت الصيانة والتحكم فى مناسيب
مياه التربة الحلوة فى ساقها المتجه من القاهرة الى الاسماعيلية ، وفرعيها
المتجهين من الاسماعيلية الى كل من السويس وبور سعيد . فقصف هاويس
مدينة القنطرة الذى يتحكم فى منسوب المياه المتجه الى بور سعيد لتحقيق
هدفين أولهما قطع المياه عن بور سعيد ؛ وثانيهما تحويلها الى الأرض
الواطئة لاغرق مواقعنا ورجالنا حول مدافعهم بالمياه الغزيرة المنصرفة من
التربة . وكان هذا أمرا متوقعا ومحسوبا ، وسرعان ما تحكم رجال الرى
فى فيض المياه من بوابات الاسماعيلية ، على حين سعى المهندسون لاصلاح
نتيجة القصف المتكرر وانشاء السدود المؤقتة .

وقصف العدو سحارة أبو صوير حيث تنساب مياه الصرف أسفل
التربة ؛ ودارت دوامة رهيبه تشسقط مياه التربة الى المصرف . وقام
المهندسون ابتداء - وفق تخطيط مسبق - بمحاولة سد السحارة ، ولكن
الدوامة البشعة التهمت كل مالقى فيها من دبش ورمال .

وأسرع رجال الرى بخفض مناسيب المياه فى البوابات والأهوسة
من شبرا الى الاسماعيلية . على حين سد المهندسون التربة ذاتها بحجارة
كانت معدة لهذه المهمة من قبل حتى تم اصلاح المجرى المائى ومنشأته .

ولم يحقق العدو هدفه فى اغراق الأرض بما عليها من مزروعات
وما فوقها من رجال وسلاح . وتشهد بور سعيد الخالدة للمهندسين بأن
المياه لم تنقطع عنها يوما واحدا .

والى جوار الأعمال الهندسية التى نفذت لتحقيق صمود قواتنا البرية
تم تنفيذ أعمال هندسية على نطاق واسع لتحقيق صمود قواتنا الجوية ،
بل لمعاونتها فى انزال ضربات ضد العدو .

ولهذا الغرض تم تطوير شبكة المطارات والقواعد الجوية بإنشاء نحو عشرين مطارا جديدا ، واعداد الممرات التبادلية فى جميع المطارات والقواعد الجوية . كما تم تجهيز ملاجئ محصنة للطائرات من الخرسانة المسلحة زودت بأبواب الصلب بأسلوب علمى مبتكر ، وتصميم هندسى مصرى يحث يعد مفضلة للمهندسين المصريين ؛ عسكريين ومدنيين .

واذ تتكلم الأرقام لتتصف أى عمل هندسى ، تتكلم أرقام هذا العمل الذى تم بالجهود المشتركة للمهندسين العسكريين وشركات القطاع المدنى فتقول ان التكلفة فى هذا المجال فقط قد تجاوزت مائة مليون من الجنيهات، وأن العمل قد شمل أربعة وعشرين مليونا من الأمتار المكعبة من أعمال الحفر والردم ؛ وصب المهندسون خرسانة مسلحة وعادية تجاوزت مليونا ونصف متر مكعب ، واستخدموا كمية من الحجارة تجاوزت مليونى متر مكعب ، أى انها وصلت فى مجموعها الى قرب ما يحتويه الهرم الأكبر من أحجار ، وأضافوا عليها مليونا ونصف المليون من المواد الأسفلتية ، ولقد بلغ وزن أبواب الدشم الخرسانية نحو خمسة عشر ألف طن من الصلب .

وقام المهندسون بتشكيل وحدات هندسية لحدمة كل مطار ، اشتملت على عناصر قادرة على توفير حاجته من الأعمال الهندسية خلال المعركة ؛ واستعادة كفاءته فى حالة تعرضه للقصف الجوى فى أسرع وقت ممكن ، بما فى ذلك عناصر ازالة القنابل الموقوتة وتلك التى لم تنفجر .

وفى اطار توفير التأمين الهندسى للقوات الجوية الذى سار جنباً الى جنب مع كل الأعمال الخاصة بالقوات البرية ، فقد درس المهندسون المشكلتين اللتين تنجمان عن كل قصف جوى .

كانت المشكلة الأولى هى كيفية اصلاح الممرات بعد قصفها بقنابل الطائرات ؛ فى وقت محدود ، يسترد المطار بعده كفاءته ، ويطلق طائراته نحو السماء ، وتم التنسيق مع وزارة البحث العلمى ، واستغرق الجهد المشترك نحو ستة شهور ، الى أن انتهى الدارسون الى خطة تستخدم فى وصف المساحات المدمرة من الأسفلت والأسمنت سريعة التصليب شديدة التحمل .

ولم يلبث رجالنا - فى متابعتهم للبحث والتطور العلمى - أن عثروا على الواح صلب تصلح لهذا الغرض ، وأمكن تصنيعها فى مصانعنا ،

وكانت المشكلة الثانية هى ازالة القنابل التى لم تنفجر بعد ارتطامها بالأرض ، وتلك التى تحتوى على أجهزة تفجير موقوتة ؛ بهدف منع رجالنا من اصلاح ما تم تدميره ، وإبقاء المطار فى حالة شلل انتظارا لانفجارها ، وتم تشكيل وحدات هندسية كاملة لهذا الغرض صار تزويدها بأحدث الأجهزة .

ولتوضيح مدى نجاح تلك الأعمال التحضيرية يجدر بنا أن نسبق

الحوادث قليلا فنذكر أن التجهيز الذي تم في المطارات والقواعد الجوية قد أثبت كفاءته ، إذ صمدت الدشم الخرسانية التي صممها ونفذها المهندسون المصريون لهجمات العدو الجوية بجميع أنواع القنابل والصواريخ ؛ وكان صمودها دليل نجاح مهندسينا وقدرتهم على التصميم والتنفيذ ، فلم تحدث أى إصابة تذكر لطائراتنا وهي داخل الدشم ، كما أن شبكة الممرات التبادلية التي تم انشاؤها بكل مطار وقاعدة جوية فوتت على العدو فرصة اغلاق المطارات ؛ أو منع طائراتنا من مغادرتها أو العودة اليها .

أما رجال وحدات إزالة القنابل فقد أثبتوا أنهم من خيرة رجال المهندسين في البذل والغذاء .. لقد نجحوا في رفع القنابل من الأهداف التي تعرضت للقصف الجوى .. ونظرة على كشف حسابهم تكفى لتبيان أنهم قد رفعوا نحو خمسة آلاف قنبلة مضادة للدبابات ، وما يزيد على عشرة آلاف قنبلة مضادة للأفراد ، وأكثر من ألف قنبلة ثقيلة من أوزان الألف رطل .. وجميعها من أنواع مختلفة ، ومزودة بأحدث ما اكتشفه العلم من شراك خداعية .

ونعود لنستأنف الحديث عن أعمال التجهيز الهندسي لقوات الدفاع الجوى وللقاتل البحرية ..

في نهاية عام ١٩٦٩ صدرت الأوامر بتركيز جميع الجهود والامكانيات لإنشاء شبكة مواقع وحدات صواريخ الدفاع الجوى بما يحقق وقاية مناسبة للأفراد والمعدات ضد قصف العدو الجوى . وكان للمهندسين العسكريين خبرتهم في تصميم المنشآت الوقائية بهذه المواقع ، والتي استفاد بها أصدقائنا في حلف وارسو كما استفادت بها الدول العربية الشقيقة .

وبدأ العمل بشكل مكثف في يناير ١٩٧٠ ؛ تحت قصف جوى شديد استمر نهارا وليلا ، لحشية العدو من اتمام انشاء مواقع الدفاع الجوى واحتلالها ، والتي تعنى بداية النهاية لتفوق العدو الجوى .

لقد تكاثفت جهود مؤسساتنا الانشائية المدنية مع جهود وحدات المهندسين العسكريين لتنفيذ هذه المهمة . وأسهمت نساء مصر وشبابها في بعض المحافظات في أعمال الانشاء بجهد كبير وعزيمة لا تلين بما أثبت . للملا أن الارادة المصرية لا تقهر .

واعيد انشاء كثير من المواقع عدة مرات عقب اصابتها بقنابل طائرات العدو ؛ وأزيل من هذه القنابل مئات كانت موقوتة قبل أن تنفجر . ولجأ المهندسون الى العمل ليلا حيث تقل كفاءة العدو فى القصف الجوى ، وتم تنفيذ معظم هذه الأعمال فى ضوء القمر وأنوار المصابيح اليدوية الصغيرة .

وقبل إيقاف إطلاق النار فى أغسطس ١٩٧٠ تمت المهمة ، واحتلت الصواريخ مواقعها المحصنة ، واختفت طائرات العدو من سمائنا .

وحيث تتكلم الأرقام نجد أن المهندسين قد أتموا بناء عدة مئات من مواقع وحدات الصواريخ ، وعددا مماثلا من المواقع الموهبة ؛ شمل انشاؤها نحو ١٢٥ مليون متر مكعب من أعمال الحفر والردم ، ومليوناً وثلاثة أرباع متر مكعب من الخرسانة المسلحة والعادية ، وتم انشاء آلاف الملاجئ مسبقة الصنع ؛ كما تجاوزت أطوال الطرق الداخلية في هذه المواقع أربعة آلاف كيلو متر أى مثل المسافة بين القاهرة الى طرابلس ، وأنفق المهندسون في هذه الأعمال نحو ٨ ملايين مليوناً من الجنيهات في هذه المهمة .

ولم يخل واجب المهندسين من تجهيز مواقع لرجال بحريتنا وما يتطلبه ذلك من تعامل مع موج البحر ، وتصميمات خاصة تناسب المياه المالحة ، كما شمل ذلك مراكز قيادات ومواقع ونقط الدفاع الساحلى .

أما عن ضفاف القناة ومسألة العبور :

فقد كان على المهندسين أن يعدوا أنفسهم للاشتراك في تنفيذ قرار العبور مهما كانت الصعاب التى تقابلهم . فبدعوا بشبكة للطرق بلغت جملة أطوالها أكثر من ألفى كيلو متر ؛ أى عشر مرات قدر طول القناة نفسها ، لتأمين تقدم قواتنا الى القناة ، ومعها وحدات الكبارى .

وتلى ذلك تجهيز ساحات ومنازل اسقاط مهمات العبور فى مياه القناة بطول المواجهة من السويس جنوباً حتى شمال القنطرة . وكان التجهيز يتم على مسافات متقاربة بما يحرم العدو من تحديد القطاعات الحقيقية المخططة لانشاء المعابر ، كما يوفر فى الوقت نفسه لقواتنا الحربية فى مناورتها من اتجاه لآخر حسب الموقف .

ولتأمين عبور القوات فى عملية هجومية شاملة كان لا بد من اعداد الحجم الكافى من معدات العبور ومهمات . وتمت دراسات على أعلى مستوى من الفكر الهندسى لتحويل أنواع قديمة من الكبارى العادية التى يستغرق انشاؤها يوماً كاملاً الى كبارى اقترحام لا تستغرق أكثر من بضع ساعات . وجرى تنفيذ هذه الأعمال الفنية وغيرها محلياً فى الورش والمصانع المصرية بما حقق زيادة فى وسائل العبور تعادل نصف الكمية التى وردت من الاتحاد السوفيتى .

أما عبور المشاة فى المرحلة الأولى من العملية لحماية الكبارى وتأمين رؤوس الجسور فكانت تستلزم تدبير ألفين وخمسمائة قارب ؛ وقد أمكن للمهندسين توفيرها بتصنيع نصفها محلياً .

ولمعاونة المشاة فى تسلق الساتر الترابى لحط بارليف ابتكر المهندسون سلالم من الجبال وزلاقات من الصاج وغيرها انتجت فى ورش المهندسين .

ورغم بساطة هذه المهمات فإنها حققت نجاحا كبيرا اذ مكنت قواتنا خلال الفترة من بدء العبور حتى بدء تشغيل الكبارى والمعديات من أن تنقل أعدادا كبيرة من المدافع الخفيفة المضادة للدبابات والرشاشات المتوسطة والرشاشات المضادة للطائرات وصناديق الذخيرة وغيرها من الأسلحة والامدادات اللازمة للقوات فى الساعات الأولى من المعركة .

وقد كانت اعقد المشاكل التى قابلت المهندسين ، هى الوصول الى أنسب أسلوب لفتح الممرات فى الساتر الترابى الهائل الذى أنشأه العدو على حافة الضفة الشرقية ، وذلك حتى يتمكن رجال الكبارى من انشاء وتشغيل الكبارى والمعديات ؛ وحتى تجد مركبات القتال - من عربات ودبابات وجرافات تحمل قطع المدفعية والصواريخ الثقيلة - ميولا خفيفة تستطيع صعودها الى خلف الساتر الترابى .

وعلى امتداد خمس سنوات أجريت مئات من التجارب على فروع النيل جهزت بحيث تمثل الواقع تماما على القناة ، وقد استخدمت طرق متعددة فى التجارب منها النسف بالمفرقات ، والقصف بالطيران ، والرمى بالمدفعية والصواريخ ؛ الا انها لأسباب مختلفة لم تحقق النتائج المطلوبة .

وفى سبتمبر ١٩٦٩ استخدمت لأول مرة طريقة التجريف بالمياه لفتح الممرات فى الساتر الترابى باستخدام مضخة كبيرة تسمح بضخ خمسمائة متر مكعب من المياه فى الساعة ، ورغم انها نجحت فى فتح ممر فى توقيت مناسب الا انها اعتبرت وسيلة غير ناجحة لنقل وزن المضخة وحاجتها الى مصدر كهرباء لامدادها بالطاقة ، بالإضافة الى مشاكل أخرى لم يكن من المتيسر حلها .

وفى أواخر ١٩٧٠ طور مهندسو الجيش الثانى أسلوب التجريف بالمياه باستخدام عدد من المضخات الصغيرة الخفيفة ، التى يمكن حملها بالأفراد وتحميلها على القوارب التى تعمل بالوقود السائل ، وقد حقق هذا الأسلوب النجاح المنشود ، واعتبر التجريف بالمياه هو الأسلوب الرئيسى الذى يحسن التركيز عليه وتطويره .

وكان التطوير المنشود هو تدبير مضخات مياه خفيفة الوزن تعمل بالوقود ولها قدرة عالية على ضخ المياه . وأمكن تدبير نوعين من المضخات يحققان المواصفات المطلوبة ؛ أحدهما يعمل بالوقود العادى ، وقدرته متوسطة ، ويحتاج فتح ممر واحد الى نحو خمس مضخات ، وثانيهما مضخات تربينية تعمل بالوقود العادى أيضا الا أن قدرتها تفوق قدرة النوع الأول ، وبذلك أمكن اختصار عدد المضخات اللازمة للممر الواحد الى ثلاث بدلا من خمس .

ونتطرق الى مسائل التدريب على العبور فنجدتها تشمل بالنسبة لوحدات المهندسين القائمة بالتنفيذ على مسائل ثلاث ، تدريب وحدات

العبور على انشاء وتشغيل الكبارى والمعدات والناقلات البرمائية ، وتدريب القوات على العبور بالقوارب والكبارى ووسائل العبور الأخرى ، وتدريب نحو ثمانين وحدة صغيرة من وحدات المهندسين على فتح الممرات فى الساتر الترابى تدريجيا مشتركا مع وحدات العبور ، وذلك لتحقيق مستوى عال من الكفاءة فى انشاء المعابر المتكاملة ، سواء كانت معابر كبرى ؛ أو معابر معديات ، أو معابر ناقلات برمائية .

ولعل أعقد برامج التدريب التى قابلت المهندسين هو انتخاب وتجهيز اجراء من المجارى المائية تتوفر فيها طبيعة قناة السويس من حيث العرض والعمق وسرعة التيار وتغير منسوب المياه ، ثم تجهيز شواطئها بالتكسيات والسواند المشابهة للقناة ، وانشاء سواتر ترابية ونقط قوية تطابق تلك التى أنشأها العدو على الضفة الشرقية للقناة .

كذلك كان يلزم توفر المسافات الكافية من حيث مواجهات وأعماق الأرض على كلا الشاطئين بحيث تماثل طبيعتها تلك الموجودة على جانبى القناة ، ثم امكان استخدام الدخائر الحية بجميع أنواع الأسلحة والطائرات مع الحد الى أدنى قدر مستطاع من الخسائر المحتملة فى الأرض المزروعة والممتلكات الأخرى القريبة . وكل هذه العوامل كانت تعتبر حيوية حتى يسير التدريب بصورة واقعية .

وليس من بأس فى أن نسوق بعض الأرقام حتى تقرب الى ذهن ما تطلبه التدريب على فتح الممرات فى الساتر الترابى من جهد وتكاليف .

ان مجرد اعداد وحدة مهندسين لفتح ممر فى الساتر الترابى كان يستلزم تدريبها مرتين نهارا ومرتين ليلا على أقل تقدير . ولو فرضنا أن كمية الأتربة التى يلزم ازاحتها لفتح الممر فى المتوسط تصل الى ألف وخمسمائة متر مكعب . لوحدنا أن الوحدة تجرف ستة آلاف متر مكعب فى مرات التدريب الأربع . ثم لاعادة الساتر الترابى الى ما كان عليه يلزم نقل وتشكيل ستة آلاف متر ماثلة بدلا من تلك التى جرفت . أما اعادة القطاع المائى الى حالته الأولى فيلزم له استخدام الكراكات لتطهير المجرى المائى من ستة آلاف متر مكعب جرفت من الممر وتحولت الى وحل فى القاع . أى أن تدريب كل وحدة كان يستلزم تحريك أتربة تصل الى ثمانية عشر ألف متر مكعب ؛ فى حين ان العملية الفعلية لا تتطلب سوى ازاحة جزء من اثنى عشر جزءا من هذه الكمية أى ألف وخمسمائة متر فقط .

ولاتمام تدريب ثمانين وحدة بهذا الشكل كان يلزم القيام بنقل تربة تصل فى حجمها الى مليون ونصف مليون متر مكعب ، فى حين أن ما سيتم تجريفه منها فى العمليات الفعلية لن يزيد على مائة وعشرين ألف متر . . هذا بخلاف أعمال نقل الأتربة التى تمت أثناء اجراء مئات التجارب التى

عقدت للوصول الى أنسب أسلوب لهذه العملية ، والتي لا تقل عن نصف مليون متر مكعب أخرى .

هكذا امتدت الأعمال الجيدة التي قامت بها قوات المهندسين العسكريين والشركات المدنية من القطاعين الخاص والعام فشملت أراضي الجمهورية كلها .. استعدادا واسهاما فى المعركة الوشيكة ..

اعداد القوات :

من العوامل الهامة التى وضعتها القيادة العامة المصرية فى تقديراتها أن الظروف قد فرضت على القوات المسلحة أن تقضى ست سنوات ونصف وهى تمارس أعمال الدفاع التى تتسم عادة بالجمود ، الأمر الذى قد يصيب أى قوات تتعرض لمثل هذه الظروف بما يسمى « مرض الخنادق » . ولذلك كان لزاما أن يكون هدفنا الأول من اعداد القوات المسلحة للعملية المقبلة هو تخليصها من آثار حرب الخنادق وعقدها ..

ولهذا الغرض وضعت سياسة حكيمة لاعداد القوات المسلحة ، استغرق تنفيذها فترة طويلة ، وركزت على مجموعة من اللزوميات لاعادة الحيوية والايجابية الى القوات ، وتنقية معنوياتها من شوائب الماضى ، ومن أبرز هذه اللزوميات :

١ - اقناع كافة القوات أن القتال امر حتمى لا مفر منه ولا حل دونه مصداقا للآية الكريمة « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » .

وكانت جولات الرئيس السادات العديدة وزيارات وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة المتتالية لتفقد القوات أثرها فى تحقيق هذا الهدف .

وكان الخط الأساسى الذى تضمنته توجيهات الرئيس السادات يدور حول الوضع المتجمد الذى لا مناص من تغيره . وأن هذا التغيير يجب أن يتم بأيدينا نحن قبل أن يفرض علينا العدو الأمر الواقع بكل ما يعنيه من أجحاف ومهانة ، وأن حالة « اللاسلم واللاحرب » غير قابلة للاستمرار الى ما لا نهاية ، فإذا لم نبدأ نحن بالقتال فإن العدو سوف يسبقنا يوما اليه ، ليكرس احتلاله لأراضيها ، واغتصابه لحقوقنا المشروعة ..

٢ - تدعيم ثقة الرجال فى سلاحهم وتغيير المفهوم القديم الذى يقول بأن « الرجل بالسلاح » فالحقيقة هى « أن السلاح بالرجل » ..

فالرجل اذا لم يكن واثقا من نفسه فأى سلاح سوف يحببه ؟ واذا وثق من نفسه فكل سلاح سوف ينصره . وقد كان هذا العامل الهام من العوامل الحاسمة فى القتال ، اذ تمكن المقاتل المصرى فعلا أن يجد ذاته وأن يواجه بسلاحه أقوى أسلحة العدو فيفتك به وبها .

٣ - ومن نافلة القول ان نذكر ان التخطيط مهما بلغت دقته فان نجاحه يتوقف بالدرجة الاولى على كفاءة التنفيذ . لذلك كان التدريب المبنى على مهام العمليات امرا ضروريا ، كما كان استيعاب السلاح ، ورفع قدرة المقاتلين على السيطرة الكاملة عليه امرا حيويا .

ففى مواجهة هذه المهام العديدة التى كان على هذا المقاتل أن يذللها فان التدريب الشاق كان هو الحل الوحيد لضمان القدرة على تنفيذ اعقد المهام واصعبها بنجاح . . فقطرة العرق فى التدريب توفر قطرات دم فى الحرب .

٤ - واذا كنا قد وصلنا بالرجال الى اقتناع بحتمية القتال وثقة السلاح ومهارة بالتدريب الشاق فقد كان لزاما علينا أن نعمل على كسر حاجز الرهبة ، وتغذية الفارق بين التدريب والواقع ، بأن ترى القوات رأى العين ما سوف تواجهه من أهوال ومشاق .

ولهذا تركز الاهتمام على واقعية التدريب ، واختيار الميادين القريبة الشبه الى قصي حد بظروف وطبيعة المهمة التى سوف تواجه القوات ، واولاها وأهمها مهمة عبور القناة والتغلب على سائر اللهب فوق المياه ، ومواجهة تحصينات العدو وقلاعه . وتم اختيار مجار مائية مشابهة للقناة أقيمت على ضفتها السواتر المماثلة لسواتر العدو وأنشئت عليها النقاط القوية المماثلة لنقط العدو . بل انه فى بعض الحالات نفذ التدريب فى القناة نفسها ، فى منطقة تمتد القناة فيها فى فرعين ، أحدهما ناحيتنا وتحت السيطرة الكاملة لقواتنا . . وذلك عند جزيرة البلاح .

المفاجأة وكيف خططنا لها ؟

كانت المفاجأة واسلوب تحقيقها من اهم الامور الجوهرية التى شغلت بال القيادة العامة المصرية لفترة طويلة ، واستنفدت منها جهودا مفسنية . ولقد نجحت القيادة فى ابتكار الأساليب الايجابية والسلبية التى تحقق هذه المفاجأة سواء على المستوى الاستراتيجى

او التعبوى او التكتيكى .. وكان من العوامل الرئيسية
التي ساعدت على تحقيق المفاجأة وضع خطة محكمة
وشاملة للخداع الاستراتيجى فى كل من مصر وسوريا،
على مستوى الدولة ككل ، تنظمها وتشترك فيها أجهزة
الدولة المختصة ، على أن تتمشى مع خطة الخداع
العسكرى لتحقيق الآتى :

١ - خداع العدو عن احتمال استخدام القوات المسلحة فى عمليات
هجومية قريبة ..

٢ - الاحتفاظ بالسرية الكاملة لفكرة العمليات الهجومية .

٣ - اخفاء التوقيت المحدد لبدء الحرب .

كما تم توجيه الأجهزة السياسية والاعلامية لتوحيد جهودها
وتركيزها لتضليل العدو عن نوايانا الهجومية . وقد تم التنسيق اللازم
فى سرية كاملة ، وحددت خطوط العمل .

واعتمدت فكرة الخداع الاستراتيجى على تنسيق جهود وزارات
الأعلام والخارجية والحربية قبل بدء العمليات بمدة ٥ - ٦ اشهر ،
لتنفيذ مجموعة من الأعمال والقاء بعض التصريحات التى تهدف الى
حجب استعدادنا العسكرى للقيام بأى اعمال قتالية قريبة ، مع خداع
العدو عن التوقيت الحقيقى لبدء العمليات . وفى الوقت نفسه تم
التنسيق كاملا مع سوريا ..

وتحدد هدف الخداع الاستراتيجى من وجهة النظر العسكرية
ليكون خداع العدو عن نية شن عملية هجومية حاليا وستر توقيتاتها
واتجاه الضربات الرئيسية وحجم القوات المشتركة فيها .. ويتم ذلك
بالإبقاء للعدو بأن قواتنا تواصل استكمال استعداداتها الدفاعية ورفع
كفاءتها القتالية وتنفيذ تدريبها ومناوراتها العادية ..

اجراءات الخداع العسكرى :

تضمنت الخطة الكثير من اجراءات الخداع التى استمر
تنفيذها عدة شهور ومن هذه الاجراءات :

١ - متابعة تمام الاستعداد لاستكمال مطالب العملية الدفاعية وتجهيز
الخطوط الدفاعية فى العمق استعدادا لصد أى هجوم مفاجئ
للعو .

٢ - تحريك قوات فى اتجاهات مختلفة وثنائية ، واجراء تحركات
عرضية داخل الجبهة ، وعكسية من وإلى الجبهة ، تحت ستار

التدريب ، مع التغيير المستمر فى حجم واوضاع القوات البرية ،
واماكن تمرکز القطع البحرية فى الموانى والمراسى المختلفة داخل
وخارج الجمهورية .

٣ - استغرق تجميع القوات للهجوم فترة من ٣ الى ٤ اشهر ، بدفع
الوحدات فى عناصر صغيرة ، وتكديس الاحتياجات تباعا فى
الجبهة . كما دفعت القوات الرئيسية من العمق الى الجبهة قبل
ثلاث أسابيع من بدء الهجوم ، تحت ستار القيام بأعمال هندسية
لاجراء مناورة كبرى مشتركة ، وبدأ القتال فعلا أثناء هذه المناورة .

٤ - وضعت خطة خاصة لتحريك معدات العبور من الخلف الى الجبهة،
وهى تعتبر اخطر الشواهد على نية الهجوم خاصة مع حجمها
الكبير . وقد تضمنت الخطة تحركات كثيرة لهذه الوحدات من
الخلف للأمام ، ومن الأمام للخلف ، بالإضافة للتحركات العرضية
كنوع من التدريب على التحرك .

٥ - تضمنت الخطة اجراء تجارب استدعاء افراد الاحتياط على فترات
منتظمة ، بحيث تقع أضخمها فى الفترات المحددة لتنفيذ الهجوم .
بل انه تم تسريح ٢٠ ألف جنسدى قبل بدء العمليات بمدة
٨ ساعة .

٦ - وحددت الخطة الخداعية الخطوط الرئيسية للتحرك الاعلامى
والسياسى الخداعى ، ونفذ كثير من الأعمال والاجراءات الاعلامية
والسياسية لخدمة الخطة الموضوعية ، وقد حققت كلها نجاحا كبيرا .

ويكفى القول أن مخطط الخداع الاستراتيجى - التعبوى قد حقق
نجاحا ساحقا ، أدى الى وصول أجهزة المخابرات العالمية ، وعلى رأسها
وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وكذا المخابرات الاسرائيلية الى
استنتاجات خاطئة ، وبالتالى فوجئ العالم أجمع بالهجوم المصرى
السورى المباغت .

لقد حاول المتحدثون العسكريون الاسرائيليون تعليل ما حدث
بقولهم « انهم قد راوا ولكنهم لم يفهموا » . كما برروا الفشل بأن
اسرائيل كانت تعلم ولكنها تركت مصر توجه الضربة الاولى . وهذه
الأقوال مردودة عليها ، فقبول الضربة الاولى يتعارض تماما مع جوهر
الاستراتيجية الاسرائيلية ، القائمة على ضرورة السبق فى توجيه الضربة
الاولى كتدبير وقائى لا غنى عنه لاحباط التحضيرات العربية .

ومن ناحية أخرى فان ما حدث داخل اسرائيل وأمريكا بعد الحرب
من تحقيقات انتهت الى ادانة بعض كبار المسؤولين عن أجهزة المخابرات
الاسرائيلية والأمريكية خير دليل على نجاح الخطة المصرية والسورية
فى خداع اسرائيل وأجهزة المخابرات العالمية الضالعة معها .

اختيار انسب التوقيتات لتنفيذ العملية الهجومية :

من أهم العوامل الرئيسية فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية
اختيار انسب التوقيتات الملائمة لتنفيذ العملية الهجومية
و لضمان نجاحها . وقد تضمنت هذه العوامل اختيار الآتى :

١ - انسب شهور السنة .

٢ - انسب ايام الشهر .

٣ - انسب وقت لبدء الهجوم او ساعة « سى » أى ساعة
الصفر .

ولهذا الغرض أجريت دراسات مستفيضة لتحديد هذه التوقيتات،
نظرا لما تمثله من أهمية كبرى ليس فقط فى تحقيق المفاجأة ولكن
كذلك لتوفير واختيار انسب ظروف الارصاد الجوية والأحوال الجومائية
والهيدروجرافية التى تساعد أعمال العبور وتؤمن أعمال القتال البحرى
والجوى . ومن ناحية أخرى كان ضروريا اختيار أفضل التوقيتات التى
تناسب تنفيذ الهجوم على الجبهتين المصرية والسورية فى وقت واحد .

أولا : اختيار انسب شهور السنة

هدفت الدراسة الى اختيار شهر من السنة يتوفر فيه الآتى :

- ظروف جوية مناسبة لقواتنا و قل مناسبة للعدو
- امكان تحقيق المفاجأة الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية .
- امكان الاستفادة من الظروف السياسية الداخلية والخارجية .
- والمناسبات والأعياد التى تؤثر على الموقف العسكرى للعدو .
- أن تكون قواتنا قد استكملت رفع كفاءتها واستعدادها الكامل لتنفيذ
المهام المخططة فى العملية الهجومية ، وأتمت التجهيزات الهندسية
فى الجبهة .
- اعتدال الطقس ومراعاة أحوال الجو فى الجبهتين المصرية
والسورية ، حيث يبدأ موسم تساقط الثلج فى سوريا فى شهر
نوفمبر او ديسمبر وتختل الأحوال الهيدروجرافية فى القناة فى
نهاية فصل الخريف .
- أن يتميز بليل طويل حتى يمكن استغلال ساعاته فى اتمام عبور
القوات .

وقد توفرت كل هذه الشروط في شهر أكتوبر حيث :

- تستعد إسرائيل لاجراء انتخابات الكنيست في ٢٨ منه .
- يزدهم شهر أكتوبر بالأعياد الاسرائيلية والدينية ، وهي عيد الفطران ، وعيد المظال ، وعيد التوراة .
- ويأتي شهر رمضان المبارك خلال هذا الشهر ، بما له من تأثير معنوي على قواتنا ، فضلا عما يمكن تحقيقه من مفاجأة استراتيجية بشن الهجوم في شهر الصيام ، الأمر الذي لا يتوقعه العدو .
- وليل أكتوبر طويل يصل الظلام فيه الى حوالي ١٢ ساعة .
- والطقس صالح في الجبهتين لتنفيذ عمليات حربية واسعة .
- وهو أفضل اشهر السنة بالنسبة للاحوال الجوية المناسبة للعمليات البحرية .

ثانيا : اختيار انسب ايام الشهر

- كما هدفت الدراسة الى اختيار احد الايام التي يتوفر فيه الاتي :
- أن يكون عطلة رسمية أو عيداً أو عطلة نهاية الاسبوع بالنسبة للعدو .
 - أن يكون فرق المنسوب بين المد والجزر أقل ما يمكن لتوفير ظروف أفضل لاقامة المعابر والكبارى على القناة .
 - أن يتميز بضوء القمر الساطع ، خاصة في نصفه الاول حتى يساعد على اقامة المعديات والكبارى ليلا ، ثم يبدأ عبور القوات في الظلام خلال النصف الثاني من الليل . وهذا يتطلب الا تقل مدة الاضاءة القمرية عن ٥ - ٦ ساعات قبل ان يغرب القمر ويأفل ضوءه .

وقد توفرت كل هذه الشروط في السادس من أكتوبر ١٩٧٣ حيث :

- تتوقف الحياة في إسرائيل في هذا اليوم ، فضلا عن كونه يوم سبت وعطلة نهاية الاسبوع .
- يوافق يوم ١٠ رمضان حيث القمر مناسب ومضيء من غروب الشمس حتى منتصف الليل .
- يعتبر فرق منسوب مياه القناة في هذا اليوم مناسباً حيث سيتزايد بعد ذلك مع اكتمال القمر بدرًا .

ثالثا : اختيار ساعة (س) - وقت بدء الهجوم

وأخيرا هدفت الدراسة الى اختيار الوقت المناسب الذى يوفر عددا محدودا من ساعات النهار يحقق الآتى :

- أن تتمكن القوات السورية من تنفيذ مهمتها الحيوية الاولى ، التى تنظم اجتياز خندق مضاد للدبابات حفره العدو على طول امتداد الجبهة ، ثم تستولى على خط هام من المرتفعات ، وذلك فى ضوء النهار .
- أن يتوفر للقوات الجوية السورية والمصرية الوقت الكافى لتوجيه ضربة جوية مركزة فى ضوء النهار ، وأن تتاح لها فرصة تكرارها قبل آخر ضوء اذا تطلب الموقف ذلك .
- وفى الوقت نفسه لا تدع للعدو الفرصة الكافية من ضوء النهار لتركيز قواته الجوية والرد على ضربتنا الجوية قبل آخر ضوء اليوم الأول للعمليات . وبذلك نحرم العدو من رد الفعل المؤثر قبل صباح اليوم الثانى ، اذ كانت هذه الفترة ضرورية لتنفيذ أعمال العبور الرئيسية دون تدخل جوى معاكس من العدو .
- أن تتوفر نهارا القدرة الجيدة لمراقبة وتصحيح نيران المدفعية أثناء التمهيد النيرانى للهجوم ، وأثناء قيام قواتنا بصدد هجمات العدو المضادة المتوقعة فى الساعات الأولى التى تلى العبور .
- أن يمكن اسقاط معدات العبور الثقيلة فى مياه قناة السويس بمجرد هبوط الظلام ، على أن يبدأ تركيبها فى ضوء القمر ، بحيث يبدأ العبور عليها بعد غروب القمر فى منتصف الليل .
- أن تكون أشعة الشمس فى أعين العدو أثناء عبور قواتنا فى ضوء النهار ، بما يقلل من كفاءته فى المراقبة والتصويب .
- وبناء على كل ما سبق تم اختيار ساعة « س » لتكون قبل آخر ضوء بمدة ٣٠ ساعة ، حتى يتم خلالها انجاز الأعمال الرئيسية التالية :
- توجيه الضربة الجوية المشتركة بالقوات المصرية والسورية بقوة حوالى ٣٠٠ طائرة .
- تنفيذ التمهيد النيرانى بالمدفعية خلال اربع قصفات مركزة بحوالى ٢٠٠٠ مدفع ولمدة حوالى ساعة .
- تحريك الكبارى من مناطق تجمعها الخلفية الى الضفة الغربية للقناة ، وبدء اسقاطها فى المياه .
- فتح الممرات فى السائر الترابى باستخدام مضخات المياه بوحدات المهندسين .

- إبرار قوات الصاعقة في عمق العدو قبل آخر ضوء مباشرة .

لقد كانت الدراسات التي أجريت لتحديد هذه التوقيتات على درجة عالية من الدقة والمهارة حتى أنها حققت كافة أهدافها دون استثناء . وعلى رأس هذه الأهداف تحقيق المفاجأة الاستراتيجية على العدو ، وما يترتب عليها من أحداث لاحقة . وخير ما يعبر به عن قيمه هذا العمل هو ما ذكره القائد العام للقوات المسلحة المصرية في مجال تعليقه على عوامل تحديد يوم الهجوم وساعته اذ قال :

« لقد كان تحديد يوم (ى) عملا علميا على مستوى رفيع .. ان هذا العمل سوف يأخذ حقه من التقدير ، وسوف يدخل التاريخ العلمى للحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية والبحث «الأمين» » .

سرية التخطيط والتجهيز للعملية :

مع بداية مرحلة التخطيط للعملية الهجومية « بدر » تم تحديد الأسلوب الذى يتبع فى هذه المرحلة بما يكفل سريتها المطلقة واختير أسلوب « التخطيط المتتالى » بحيث يسير العمل من مستوى الى مستوى أدنى تدريجياً ، ووفقا لجدول زمنى محدد . كما اقتصر التخطيط فى كل مستوى على مجموعة معينة ومحدودة من ضباط القيادة ، ومن تداول وثائق الخطط لغير هذه المجموعة .

ومن ناحية أخرى تم تلقين مهام العمليات لبعض المستويات على زعم أنها مشروعات تكتيكية وضعت خصيصا لهذا الغرض لكي تجرى بمعرفة قيادات وقادة هذه المستويات . كما وضع نظام خاص لتداول وثائق خطة العمليات على جميع المستويات ومن المستوى الاعلى الى المستوى الأدنى مع تحديد الوظائف المسموح لها بتداول هذه الوثائق .

وكانت النتيجة البارزة التى جمعت محصلة النتائج التى حققتها مفاجأة العدو هى أحداث تغيير جذرى وفورى فى ميزان القوى العسكرى بالمنطقة وخلق موقف استراتيجى جديد خلال الساعات الأولى من القتال وبالإضافة الى ذلك فقد حققت المفاجأة النتائج التالية :

١ - شل وارباك القيادات العسكرية الاسرائيلية على كافة المستويات ، ومنعها من العمل السريع أو التصرف السليم أو رد الفعل الفورى الذى تشتهر به ، وقد استمرت هذه الحالة قائمة عدة أيام .

٢ - حرمان العدو من تعبئة قواته المسلحة وموارده البشرية والاقتصادية وحشدها فى الوقت المناسب والمكان الملائم قبل بدء الهجوم .

٢ - تنفيذ مهام العمليات المعقدة وعلى رأسها اقتحام قناة السويس وتدمير قلاع بارليف في ظروف أكثر سهولة .

٤ - الإقلال الى حد كبير من الخسائر التي تتعرض لها القوات المصرية مع تكبيد القوات الاسرائيلية أمدح الخسائر في القوى البشرية وفي الأسلحة والعتاد ..

الخطوط الرئيسية للفكرة العملية

وعلى ضوء هذه العوامل العديدة رسمت الخطوط الرئيسية لفكرة العملية الهجومية الاستراتيجية ، ووضع نصب العين عامل أساسي حاكم هو حقيقة قدرات العدو ، وقدرات القوات المسلحة المصرية .

وعلى هذا الأساس روعي الآتي بالنسبة للعدو :

١ - أن يتم تحقيق الهدف من خلال تدمير الجزء الأكبر من القوات المسلحة للعدو في البر والجو والبحر ..

٢ - اضعاف قدرة العدو الجوي وشل فاعلية قواته الجوية على العمل السريع الحاسم ، وحرمان قواته البرية من التمتع كمهدما السابق بسلاح المعاونة الرئيسي والعنصر الهام في أعمال الحسم ، ونعني به قوات اسرائيل الجوية ..

٣ - شل قيادات العدو وإرباكها لفترة زمنية مناسبة ، وعرقلة اجراءات التعبئة السريعة أو الحشد الفعال ..

٤ - اعاققة تحركات العدو وحرمانه من القفزة على المناورة السهلة أو العمل من خطوط داخلية ضد أكثر من جبهة عربية واحدة في وقت واحد أو بالتتالي السريع كما حدث في الجولتين الأولى والثالثة .

٥ - اسكات مصادر نيران العدو منذ اللحظات الأولى للقتال ، وإفساد خططه الدفاعية القائمة على سرعة الحركة والمرونة الفائقة للقوات والنيران .

وبالنسبة للجبهة المصرية فقد روعي الآتي :

١ - أن تستمد للعمل تحت ظروف تفوق العدو الجوي ، وتحت ستر غطاء دفاعنا الجوي في وقت واحد .

٢ - أن تكون مهمتها الأولى بعد العبور هي تدمير قوات العدو على مراحل ، وبخاصة الدبابات .

٣ - أن تعمل على امتصاص ردود الفعل المعادية ، وقدرات العدو الهجومية بأعمال دفاعية وإيجابية نشطة .

٤ - أن تتأهب لتطوير الهجوم في اتجاه الشرق ، على ضوء ما سوف تسفر عنه المارك في رهوس الكبارى .

٥ - أن تشن الهجوم على طول المواجهة ، وفي عمق سيناء وجنوبها ، وأن يتم كل ذلك في وقت واحد .

على أساس هذه الخطوط العريضة وضعت العملية الاستراتيجية الهجومية المشتركة وسميت بالاسم الرمزي « بفر » واستكملت الخطة جوانبها وأصبحت جاهزة للتنفيذ رهن الإشارة وصدر القرار الجريء من قائدنا الأعلى ببدء القتال ، سيرا على درب النضال في سبيل تحرير الأرض وتحقيق النصر .

التنسيق مع الجبهة السورية

كان مجلس رئاسة الجمهوريات العربية قد قرر في العاشر من يناير سنة ١٩٧٣ تعيين الفريق أول أحمد اسماعيل قائدا عاما للقوات المسلحة الاتحادية . وعلى أثر ذلك أوكل الى هيئة عمليات القيادة العامة الاتحادية دراسة الموقف العسكري على الجبهتين السورية والمصرية ، واستعراض طرق الحل المفتوحة أمام الاستراتيجية العربية ، ووضع أسلوب السيطرة الاتحادية على الجبهات العربية .

وقرب نهاية الشهر كانت هيئة عمليات القيادة العامة الاتحادية قد أتمت حصر قوات الدعم من دول الحط الثاني التي سوف تحشد في المسرح لحمة المعركة المرتقبة جنبا الى جنب مع أشقائها قوات دول المواجهة .

وفي العاشر من مارس ١٩٧٣ أتم قائد عام القوات المسلحة الاتحادية دراسة التخطيط للضربة الجوية المشتركة لاضعاف القوات الجوية الاسرائيلية وشمل شبكة السيطرة والحرب الالكترونية المضادة في بدايه المرحلة الافتتاحية للعملية الهجومية العربية المقبلة .

وفي الحادي والعشرين من مارس عقد القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية دراسة مستفيضة مع هيئة عملياته ، تناول فيها دقائق يوم (ي) وسعت (س) كما ناقش احتمالات رد فعل العدو ، واستعرض الاطار العام لتنظيم التعاون الاستراتيجي بين الجبهات العربية القائمة بالهجوم . وأسلوب الحداد السياسي والاستراتيجي لمفاجأة العدو ومباغتته في العملية الهجومية المرتقبة .

وفي أول ابريل تم تنظيم التعاون على الجبهة السورية واعتمد القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية أسلوب القيادة والسيطرة على الجبهتين وطرق تبادل المعلومات بينهما ، كما درس الطرق المختلفة لسحب احتياطيات العدو الاستراتيجية من جبهة الى أخرى بما يكفل تهيئة الظروف المناسبة لهزيمة العدو على مراحل مسبقة التخطيط .

وحرمانه من ميزة العمل من خطوط داخلية ضد الجبهات العربية الواحدة بعد الأخرى كما اعتاد في أغلب جولاته العدوانية السابقة .

وفي صباح الثاني من مايو اجتمعت القيادتان الاستراتيجيتين المصرية والسورية للاتفاق بصفة مبدئية على بوقيتات يومى وسعت س مع مراعاة كافة العوامل المؤثرة بالنسبة لمصر وسوريا . وفي المساء جرى التخطيط العام للضربة الجوية السورية المصرية المركزة ضد اسرائيل ، فحددت أهدافها وشكلها وأسلوب السيطرة عليها ، وتم حصر إمكانات مصر وسوريا التى يمكن تخصيصها لشن هذه الضربة التى كان الجميع على يقين من تأثيرها البالغ على كل ما سوف يتلوها من أعمال قتال .

وفي الثاني والعشرين من مايو أصدر القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية توجيهاته بالفكرة العامة للعملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » لكل من الجبهتين السورية والمصرية ، وحدد لكل جبهة الاجراءات والأعمال المنوطة بها ، والمدة الزمنية المفروضة لانجازها .

وفي صباح السابع من يونية قام الفريق أول أحمد اسماعيل بتحديد الهدف الاستراتيجى العسكرى للعملية الهجومية للقيادتين السورية والمصرية ، واستعرض التشكيل التعموى لهما وكذا الاحتياطي العام للجبهتين .

وفي نفس اليوم السابع من يونية قام اللواء بهى الدين نوفل بتنظيم التعاون بين الجبهتين المصرية والسورية .

وفي أغسطس ١٩٧٣ تم بشعر الاسكندرية واحد من أهم مؤتمرات التخطيط والتنسيق وأطولها ، اذ اجتمع القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية برؤساء أركان القوات المسلحة السورية والمصرية وقادة الأفرع الرئيسية ورؤساء هيئات العمليات المصرية والسورية والاتحادية لمناقشة مختلف العوامل المؤثرة على تحديد درجة استعداد القوات المسلحة للعملية الهجومية ويوم بدء الهجوم بالنسبة للجبهتين ، وفحص حالة البحر والند والجزر ، والجو والطقس وطول الليل والنهار ، والقمر ، ومستوى تدريب القوات وكفاءتها القتالية . كما استعرض الأوضاع الداخلية فى اسرائيل حتى نهاية عام ١٩٧٣ ، وفحص المناخ الدولى من زاوية تأثيره على سير القتال المرتقب .

وتم الاتفاق على أن أنسب توقيت للعملية الهجومية بالنسبة لكافة هذه العوامل هو شهر سبتمبر أو أكتوبر ١٩٧٣ ، مع اعتبار أن التوقيت الثانى هو الأفضل ، ثم أمر الفريق أول أحمد اسماعيل أن يترك البت النهائى فيه للقيادة السياسية .

وفي اجتماع تال مع هيئات العمليات اتفق على أن أنسب يوم لبدء الهجوم هو يوم ١٠ رمضان المبارك ، الموافق ٦ أكتوبر (تشرين أول) .

وفى مساء ٦ سبتمبر أصدر الفريق أول أحمد اسماعيل توجيهات القيادة العامة الاتحادية باستعداد القوات المسلحة السورية والمصرية لشن العملية الهجومية (بدر) فى ظرف خمسة أيام اعتبارا من أول ضوء ١ أكتوبر ١٩٧٣ (تشرين أول) .

وفى أول أكتوبر (تشرين أول) أصدر الفريق أول أحمد اسماعيل توجيهاته الاتحادية بتنفيذ الضربة الجوية المشتركة السورية المصرية سعت ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر ، وكذا الأمر ببدء تنفيذ العملية بدر .

وفى الثالث من أكتوبر توجه الفريق أول أحمد اسماعيل الى دمشق وبصحبه اللواء بهى الدين نوفل حيث أجمع بزميله وزير الدفاع السوري اللواء مصطفى طلاس وقيادته وتم الاتفاق على اللمسات النهائية للعملية الهجومية « بدر » على الجبهتين المصرية والسورية طبقا للخطط الموضوعة والتوقيعات المحددة .

وختم الفريق أول أحمد اسماعيل المؤتمر المصرى بتأكيداته أن المعركة الوشيكة سوف تكون قاسية وطويلة ، وأن العرب سوف يضربون بكل قوتهم وفى كل مكان وفى العمق ، وأن الكل يدرك خطورة القرار الجرى ومنتهى الأمل أن ننجز عملا ناجحا وأن نقبل المخاطر المحسوبة .

وفى الظهيرة استقبل الرئيس حافظ الأسد القسائد العام للقوات المسلحة الاتحادية واعتمد له العملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » لتبدأ الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، ثم قفل الفريق أول أحمد اسماعيل عائدا الى القاهرة ليضع اللمسات الأخيرة لمعركة المصير ..

اللمسات الأخيرة

● أتمت القوات المسلحة لجمهورية مصر العربية الفتح التبعوى طبقا خطة دقيقة ، نفلت خلال فترة زمنية طويلة ، وكان هدفها أحداث تغيير فى أوضاع وتجميع قوات الجيوش الميدانية تدريجيا وبأسلوب ينطلى على العدو ، دون أن يثير شكوكه بما يدور على الجبهة المصرية . . . وكان ذلك أحد العوامل الرئيسية لخداع العدو لخداع الكامل بالنسبة للعملية الهجومية الوشكة .

كما استهدفت أعمال الفتح التبعوى اتخاذ باقى الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة - ونعنى بها القوات البحرية والقوات الجوية وقوات الدفاع الجوى - الأوضاع المناسبة لتنفيذ مهامها المخططة ضمن إطار العملية الهجومية الاستراتيجية .

ولم تقتصر أعمال المرحلة التحضيرية على إجراء الفتح التبعوى للقوات المسلحة فحسب ، بل شملت أيضا - وبطبيعة الأمر - مختلف الإجراءات التنظيمية للعملية المقبلة ، بدءا باتخاذ القرار الاستراتيجى ، وحتى تخصيص المهام لكل فرد ، فضلا على مختلف الأعمال التحضيرية والتنفيذية من تكديس وتشوين المصدات والدخائر والامدادات ، وتجهيز مسرح العمليات ، وتدريب واعداد القوات والقيادات . .

وانتهت تلك الأعمال وقد اتخذت القوات أوضاعها الملائمة لشحن الهجوم ، وأتقن كل فرد مهامه فى العملية المقبلة ، وتدريب عليها وملا الشئوق جوانبه لحوض المعركة وأداء الواجب . . وفى الوقت نفسه ، وبنفس الخطى السريعة الهادفة ، وطبقا لمخطط محكم ، سار اعداد الدولة والشعب

للحرب المقبلة .. للجولة الرابعة في الصراع العربي الاسرائيلي ..
لمعركة المصير ..

وفي الحقيقة ، فان الاعداد للحرب والتحضير لها كان قد بدأ منذ رفض الشعب المصرى .. بل الامة العربية كلها الهزيمة بانتفاضة ٩ ، ١٠ يونيه ١٩٦٧ ، وعندما أعلن الزعيم الخالد جمال عبد الناصر « ان ما أخذ بالقوة لن يسترد بغير القوة » ..

وعندما قرر برنامج ٣٠ مارس ١٩٦٨ « ان لا صوت يعلو على صوت المعركة » .. وعندما سلم الشعب المصرى الشعلة الى الرئيس محمد نور السادات ليقود النضال الشريف على طريق زميله في الكفاح نحو النصر .. وعندما تولى الرئيس السادات رياسته وزارة المواجهة الشاملة .. استعدادا لتحمل قدره في الكفاح .. وعندما أعلن في مجلس الشعب « أن التمهني بلا ارادة نوع من احلام اليقظة » .. كانت هذه جميعا سمات اصرار أكيد على خوض جولة أخرى .. والاعداد لها بكل ما تملك مصر من قدرات .

ولذا صار من غير المستساغ ، بل من غير الممكن ، أن نتكلم هنا بالتفصيل عن مراحل واجراءات اعداد الدولة والشعب والقوات المسلحة للحرب .. فهي اجراءات استغرقت سنوات عدة ، وكلفت الشعب المصرى آلاف الملايين من الجنيهات .. دفعها راضيا .. اسهاما في نصيبه من الكفاح الحتمي ، أملا في تذوق حلاوة النصر ..

وسوف نقصر الحديث هنا على سرد أهم الاجراءات التي نفذت في حتام المرحلة التحضيرية قبيل المعركة :

* رفعت درجة استعداد القوات المسلحة المصرية الى الحالة الكاملة اعتبارا من سعت ٨٠٠ يوم ١ أكتوبر ١٩٧٣ . وتم احتلال جميع مراكز القيادة والسيطرة على مختلف المستويات .. وقد أعلن حينذاك أن تلك الاجراءات قد فرضت لأغراض التدريب ، ولتنفيذ مشروع استراتيجي تعبوي . كان من المعتاد اجراؤه في الموعد نفسه من كل عام .

وقد استمرت القوات البرية في تنفيذ اجراءات التحضير للعملية الهجومية ، واعادة التجميع والفتح التعبوي تحت ستار التدريب ، ورفع كفاءة التجهيز الهندسي لسرح العمليات تحت ستار تحسين الدفاعات .

* واستمرت القوات الجوية والبحرية وقوات الدفاع الجوى في تنفيذ مهامها العادية (الروتينية) لحماية سماء ومياه الجمهورية . وكانت أبرز تلك الأعمال فتح المدمرات والغواصات في المناطق المحددة لها ، واتخاذها الأوضاع الأخيرة .

* ورغم ذلك كله فلقد استمر نشاط العدو على مستواه السابق ، وان انحصر أساسا في المستوى العسكرى فقط .. أما المستوى السياسى

والاعلامى فقد تزايدت حدة تهديدات العدو الكلامية وتصريحاته المتشددة ،
التي تهدف الى التأثير النفسى والمعنوى على الشعب المصرى وتثبيت صورة
القوات الاسرائيلية « الرادعة » فى اذهان الرأى العام العالمى بصفة
عامة ، والاسرائيلى بخاصة .

وعلى الجانب المصرى استمرت عجلة الاستعداد فى التزايد ، فتم
تحديد الساعة ٦٠٠ . يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣ لتكون وقت تمام استعداد
القوات المسلحة المصرية للعمل . . وأصدرت القيادة العامة تعليماتها التى
تحدد التوقيتات الرئيسية لبداية العملية الهجومية ، وأرسلتها الى القيادات
والرؤساء المختصين طبقا للخطة الزمنية المحددة ، التى راعت المحافظة على
سرية النوايا . . كما أصدرت القيادة العامة تعليماتها بعدم السماح بدخول
السفن التجارية المصرية والأجنبية الى موانئ ومراسى خليج السويس ،
وتخفيض عدد السفن المدنية الموجودة هناك . . وذلك للمحافظة على أرواح
البحارة المدنيين من أى أعمال غادرة قد يقوم العدو بها . .

ويجدر بنا أن نسبق الأحداث لنذكر أن العدو عندما لم يتمكن من
الانتقام لحسائره فى القطع البحرية الحديثة ، وخاصة فى لنشات الصواريخ
« سحر » التى ملا الدنيا ضجيجا بشأنها ، عمد الى تركيز نشاطه البحرى
والجوى لاغراق عدد من قوارب الصيد المدنية الصغيرة التى تصادف وجودها
فى البحر الأحمر .

لقد بدأت آلة الحرب فى الدوران سعت ٦٠٠ . يوم ٥ أكتوبر وأصبح
من المستحيل إيقافها .

ومنذ الصباح الباكر ليوم ٦ أكتوبر المجيد . . تزايدت سرعة دوران
آلة الحرب والاستعداد العسكرى . . فقد قامت قوات المهندسين العسكريين
بفتح الثغرات فى موانعنا على الضفة الغربية على طول المواجهة لتسهيل
تقدم قواتنا لاقتحام قناة السويس ، كما قامت بقفل مأخذى المياه لترعة
السويس والاسماعيلية ، لتسهيل عبور الدبابات والحاملات والعربات
الترعة الحلوة عبر المخاضات والمعابر من عمق قواتنا الى الضفة الغربية
لقناة السويس . .

وأتت جميع القوات تحركاتها واتخذت أوضاعها . . واحتلت
الصواريخ أرض - أرض التكتيكية والتعبوية مواقعها . . وعادت
الدوريات التى تسلمت فى هدوء لتلقى نظرة استكشاف أخيرة على النقاط
الحصينة وما وراءها من « خط بارليف » ، كما عادت الجماعات الخاصة
التي دفعت لاجسادها تحضيرات العدو لاشعال سطح القنصة بالوقود
الملتهب ، وذلك بعد أن قصت الحراطيم وسدت المواسير بالأسمنت ،
وأغلقت المحابس والصنابير . .

وقد يثير العجب أن هذه العملية قد تمت بنجاح تام ، فلم يفلح

العدو فى اشعال حريق واحد فوق سطح القناة ، واستولت قواتنا على مستودعات المواد الملتهبة سليمة بكل ما فيها ، مما دفع العدو الى انكار وجود هذه التجهيزات الشيطانية أصلا ، رغم وقوع أحد مهندسى صيانتها اسيرا فى يد مصر ، وأفشائه كل أسرار النابالم وكيفية اشعاله لصفحة القناة بسعير من النيران .

وعلى مستوى الدولة سارت أيضا الاستعدادات للحرب بوتيرة متزايدة فى السرعة ، فرفعت درجة استعداد الدفاع المدنى الى « الحالة ج » اى الى حالة الاستعداد الكاملة سعت ١٣٤٠ ، قبل بدء العملية الهجومية بخمس وعشرين دقيقة فحسب . وللمحافظة على سرية النوايا أعلنت القيادة العامة أن هذا اجراء وقائى ضد أعمال محتملة للعدو . . وأخيرا صدرت الأوامر بإيقاف حركة الطيران المدنى والمساعدات الملاحية . .

وفى مركز قيادة القوات المسلحة المصرية وضعت آخر اللمسات استعدادا لبدء العمليات ، فرفعت خرائط ووثائق المشروع التدريبى الاستراتيجى التعبوى ، وفتحت الخرائط المغلقة ونشرت الخرائط والوثائق الحقيقية ، وتم ضبط جميع الساعات الى اقرب ثانية . . كما ضبطت كذلك مع كل القيادات المشتركة فى العملية ضمانا للدقة المتناهية فى التنسيق . . حتى أن الضبط المبدئى للساعات الرئيسية تم مع اشارات ضبط الوقت من الاذاعة المصرية سعت ١٢٠٠ يوم ٦ أكتوبر .

ووصل الرئيس محمد أنور السادات رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة الى مركز قيادة العمليات ، واتخذ مكانه على رأس هيئة القيادة العامة فى القاعة الرئيسية ، وجلس عن يمينه الفريق أول أحمد اسماعيل ، وعن يساره الفريق سعد الشاذل ، وعن قرب منه اللواء محمد عبد الغنى الجمسى ، واشارت عقارب الساعة الى تمام الساعة ١٣٣٠ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وامسك التاريخ قلعه ليسطر ادويع الأحداث . . وكان المشهد رهيبا ومثيرا الى أبعد الحدود . .

وفى معسكر العدو كان المشهد جد غريب . . فبمجرد عودة السيدة مانير يوم الأربعاء ٣ أكتوبر من رحلتها الى النمسا ، قرأست « مجلس المطبخ » الذى اعتادت الاجتماع به فى منزلها لتناقش ما طرأ من أحداث فى غيبتها . . وجلس حولها ايجال آلون وموشيه ديان واسرائيل جاليلى ذو الخطوة عندها . . واستمعوا جميعا الى العميد اربيه شلومو مساعد مدير المخابرات الحربية وهو يستعرض الموقف ثم يخرج منه باستنتاج أن الحرب بعيدة الاحتمال . .

كان الياهو زاعيرا متغيبا لوعكة الملت به ، أما العميد زفى زامير مدير المخابرات العامة فلم يدع أصلا الى مجلس المطبخ ، ولم يفتقده أحد ، ولا أقترح حضوره فى الجلسة القادمة .

وعلى مدى ساعه كامله قسم اوريه شلومو تعديره للموقف ، وبكل الغرور قطع فى نهايته بتصوره أن العرب لا يفكرون ولن يجرعوا على تصكير صفو السلام على اسرائيل فى المستقبل . المنظور . ثم أكد أنه قادر على توفير انذار عن احتمال الحرب قبل وقوعها بمدة طويلة ، لن تقل بحال عن ٢٤ ساعة فى أسوأ الظروف ، ذلك مع التسليم جدلا بوقوعها وهو وقت أكثر من كاف من وجهة نظر شلومو لسحق العرب قبل أن يتحرك منهم أحد .

وعندما انتهى شلومو من الحديث استرخى الحاضرون فى مقاعدهم ، وظهرت على وجه ديان تعابير الغبطة ، ولم ينس وهو يوجه التقرير الى مرءوسه أن يخلطه ببعض عبارات التوبيخ لاطالته العرض وتورطه فى التفاصيل .

ثم انصرف مجلس المطبخ كل الى حال سبيله وهو يمنى النفس بعطلة هادئة .

لم يكن مجلس المطبخ لجنة وزارية معتمدة لممارسة شئون الأمن ، ولا حتى قسم من مجلس الوزراء مفوض بأمن اسرائيل ، ولكنه احدى سطحات مائير وحلقة من أصدقائها المقربين اعتادت الجلوس معهم كلما حزبها أمر يشغل البال « للدردشة » معهم .

ولم تكن النتائج لتختلف لو اتبعت مائير أسلوبا أكثر انضباطا فجمعت مجلس الوزراء بكامل هيئته صباح يوم الأربعاء هذا ، ولا حتى لو حضر زاعيرا نفسه أو زمير أو كلاهما ، فقد كان الغرور يعنى زعماء اسرائيل وقادتها ، صقورهم وحماتهم ، فراحوا يعيشون فى أكذوبه من صنعهم ، بأن العرب ليس لهم وجود .

وسرعان ما حصلت اسرائيل ثمرة غرورها :

١ - اذا عميت عن فتح مصر وسوريا للهجوم فى المناطق الامامية رغم وصول تحذيرات كافية عنه .

٢ - وتجاهل مجلس المطبخ انذارات كثيرة من مخابرات صديقه .

٣ - وتغافلت الأركان الصامدة الاسرائيلية عن اتخاذ أدنى الاستعدادات فى مواجهة الخطر المتزايد استهانة به .

وتبلور كل ذلك فى حالة غريبة من التسبب كانت عليها التشكيلات الميدانية الاسرائيلية ، وبخاصة فى جبهة سيناء ، فكان أن باغتتها جيوش العرب وهى فى غفوة القيلولة من عصر يوم الغفران . فصرخ بنحاس سابير يوم الأحد ٧ أكتوبر قائلا « لم تكن هناك سوى خطوة واحدة باقية وتباد اسرائيل » .

وكانت نصيحة لجنة اجراءات حيال هذا التسبب أن يتم فوراً :

- ١ - تعيين مستشار خاص لرئيس الوزراء لشئون المخابرات .
- ٢ - دعم ادارة التقديرات والمعلومات في وزارة الخارجية واعادة تنظيمها .
- ٣ - تحديد قواعد توزيع المعلومات على المختصين بوضوح .
- ٤ - اجراء تغييرات جذرية في أجهزة المخابرات العامة والحربية .
- ٥ - انشاء وحدة تقدير للتقارير التي تضعها أجهزة المخابرات العامة (الموساد) ومتابعتها .

ثم اجتمعت الحكومة الاسرائيلية ظهر الجمعة ٥ أكتوبر . ودارت المناقشات واحتدم الجدل . وكان تقرير المقدم يونا بندمان رئيس فرع مصر في المخابرات الحربية هو محور الحديث الذي بداه السيدة مانير في الساعة ١٣١٥ . كان التقرير حاسماً وجازماً . اذ تقول الفقرة رقم . منه « . . على الرغم من ان اتحاد مصر مواع التناهب على جبهة العاة ينطوى في حد ذاته على دلائل يمكن أن تشير ان مبادره هجوميه ، فانه حسب تقديرنا لم يستجد جديد على ميزان القوى بيننا وبين المصريين وبناء عليه نرى ان احتمال قيام المصريين بنجديد القتال ضئيل جداً » .

ثم انتفض الجمع وقد جازمت السيدة مانير بأن لا خطر للحرب . ولا احتمال لهجوم عربي وشيك واصرف كل الى سبيله ليحتفل بعيد الغفران ، رغم أنه على اجانب العربي وقع حدثان كانا كافيان لكشف نوايا الهجوم العربي الوشيك لو صادفا ما يستحقانه من دراسة وتمحيص من أجهزة المخابرات الاسرائيلية .

اما الحدث الاول فهو بدء رحيل عائلات بعض المدنيين الاجانب من مصر وسوريا على وجه الاستعجال ، وأما الحدث الثاني فكان اصدار وزاره الطيران المدني أمراً بإيقاف حركة الطيران المدني في سماء مصر وإيقاف مساعدات الملاحة الجوية ظهر يوم ٥ أكتوبر ، وان تداركت القيادة العامة ذلك باصدار الأمر الفوري باستئناف حركة الطيران المدني بشكلها المعتاد .

وفي فجر ٦ أكتوبر دارت الشكوك في صدر الجنرال دافيد البعازر . فالشواهد تجمع على اتمام الحشد العربي على الجبهتين المصريه والسوريه . وكان أن اجتمعت الوزارة مرة أخرى . وعندما انفض الجمع ظهر السبت ٦ أكتوبر كان القرار أن تتكفل السيدة مانير بالاتصالات السياسية لتخفيف حدة التوتر ، فاتصلت بوزير خارجيتها الذي تصادف وجوده بأمريكا ، وأمرته بإبلاغ وزير خارجية الولايات المتحدة تأكيد إسرائيل أنه اذا كان العرب يخشون هجوما إسرائيليا وشيك الوقوع فان إسرائيل لا تعتزم الهجوم .

وتمت المحادثات التليفونية بين ايمان وكيسنجر في الساعة الواحدة وعشر دقائق ظهرا حسب توقيت القاهرة ..

وفي الوقت نفسه رفضت السيدة مائير اقتراح رئيس الأركان بتوجيه ضربة اجهاض ضد القوات المصرية .. فقد كان المتوقع أن تهجم مصر في آخر ضوء اليوم نفسه .. وكأنما عباد الزمن ست سنوات الى الوراء ، الى ٢٧ مايو ١٩٦٧ ، عندما افتتحت اسرائيل الاسلوب التخديري نفسه لكسب الوقت لتوجيه ضربة ٥ يومية القادرة ..

ونسى رئيس الأركان أن الجيش الاسرائيلي صباح يوم ٦ أكتوبر لم يكن يملك فعلا القدرة على توجيه ضربة الاجهاض (١) .

ثم أمرت السيدة مائير الجنرال ديان برفع درجة استعداد القوات المسلحة الى اقصى حالاتها مع البدء في التعبئة القومية ..

وظهر اليوم نفسه وقع حدث ثالث كاد أن يكشف نية الهجوم ، إذ خلعت سماء مصر على غير العادة من أية طائرة ، فدارت بإسرائيل الظنون وأرسلت طائرة استطلاع فوق البحر المتوسط شمال الدلتا للتحقق من أسباب هذا الهدوء المريب ، وتدارك قائد القوات الجوية المصرية الأمر وأصدر توجيهاته بصعود طائرات التدريب الى السماء ، وبمجرد أن فعلت ذلك هذا بال اسرائيل .

* * *

أما عند جبهة القناة فقد كان المشهد بالغ العجيب .. ففي الضفة الغربية كانت جماعات من جنود مصر يجلسون على حافة القنصة في استرخاء ، وتكاسل ، البعض يمض أعواد القصب ، والبعض الآخر يمض رحيق البرتقال ، وهناك من يسبح في القناة ، ومن يصطاد سمكا .. والشركات المدنية جد نشطة بمعاداتها الميكانيكية في تغطية الساتر الترابي على الضفة الغربية .. والجميع في متعة وخلو بال . وقد تركوا أسلحتهم وخوذاتهم في الخنادق الخلفية أمعانا في خداع العدو على حين كان الجيشان الميدانيان في أقصى درجات الاستعداد للوثوب الى الشرق ..

وعلى الضفة الشرقية ، راح بعض جنود اسرائيل يلعبون الكرة ، والبعض الآخر يجهزون ولائم العيد ، والمراقبون الاسرائيليون قد خلعوا خوذاتهم ، وجلسوا في أبراج المراقبة يلعبون ظروف الخدمة في هذا المكان ويتشاءمون من رتابة الحال وركود الموقف سنوات اثر سنوات .. وكان هذا هو المشهد في الثواني السابقة على بدء حرب رمضان .. ثم دارت المعركة ..

(١) مقالة الجنرال متيامو ييليد في جريدة معاريف - يوم ٢٤ فبراير ١٩٧٥

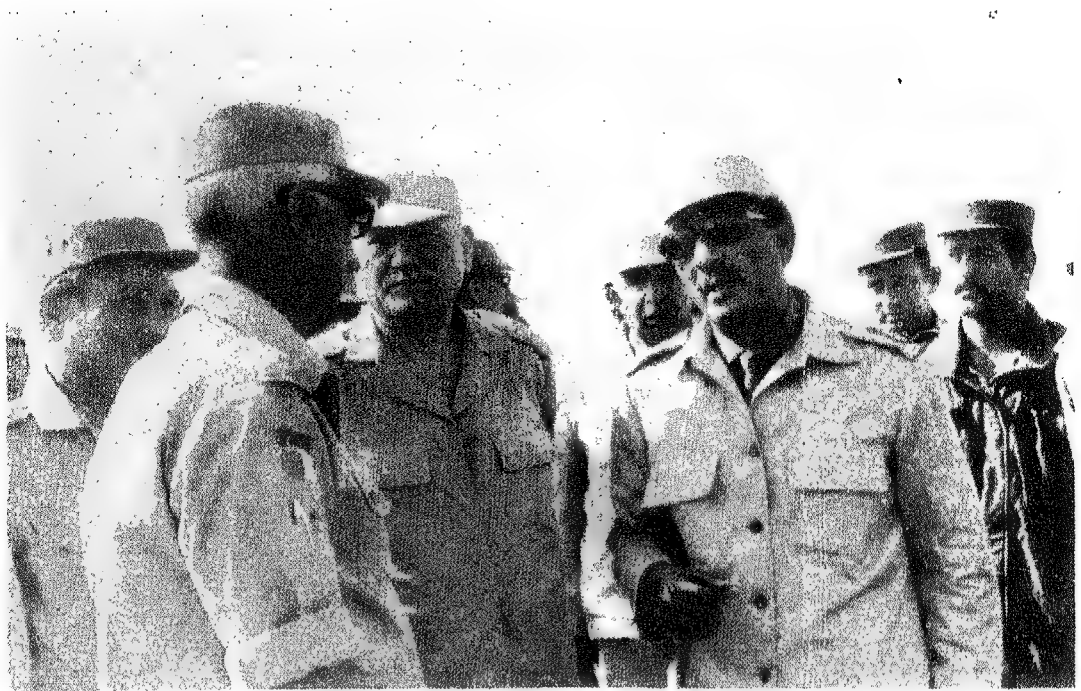
تمت عنوان « تغييرات في الفكر الاستراتيجي الاسرائيل » .



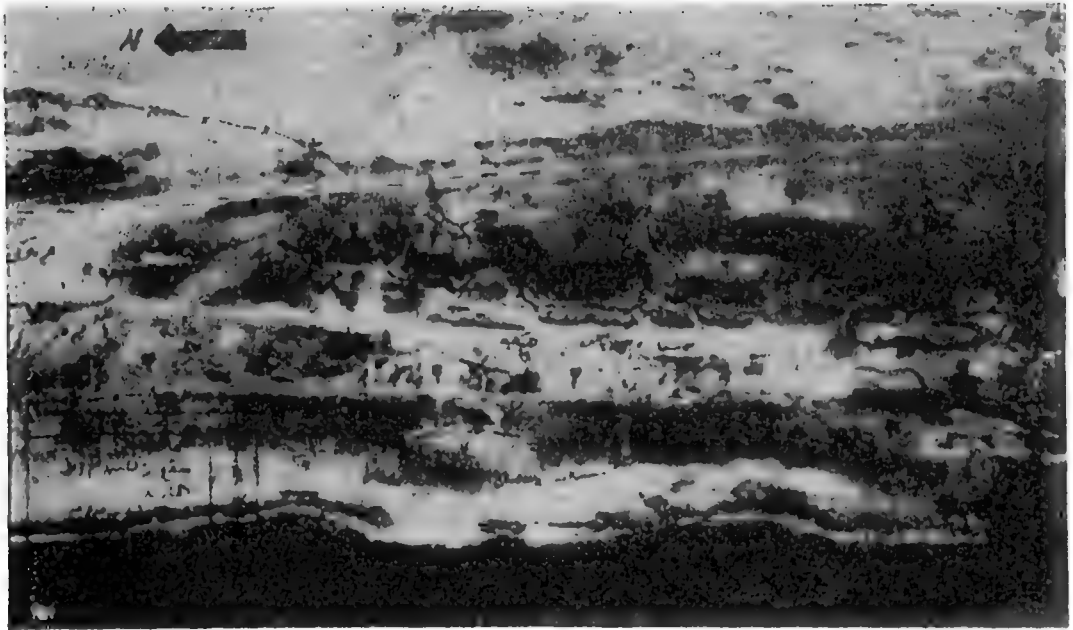
وكان الأمر الأعجب هو أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تمارس
أى ضغط على إسرائيل



« ... وكان على القيادة المصرية أن تفحص كل المشاكل وأن تعالجها مشكلة بعد الأخرى »



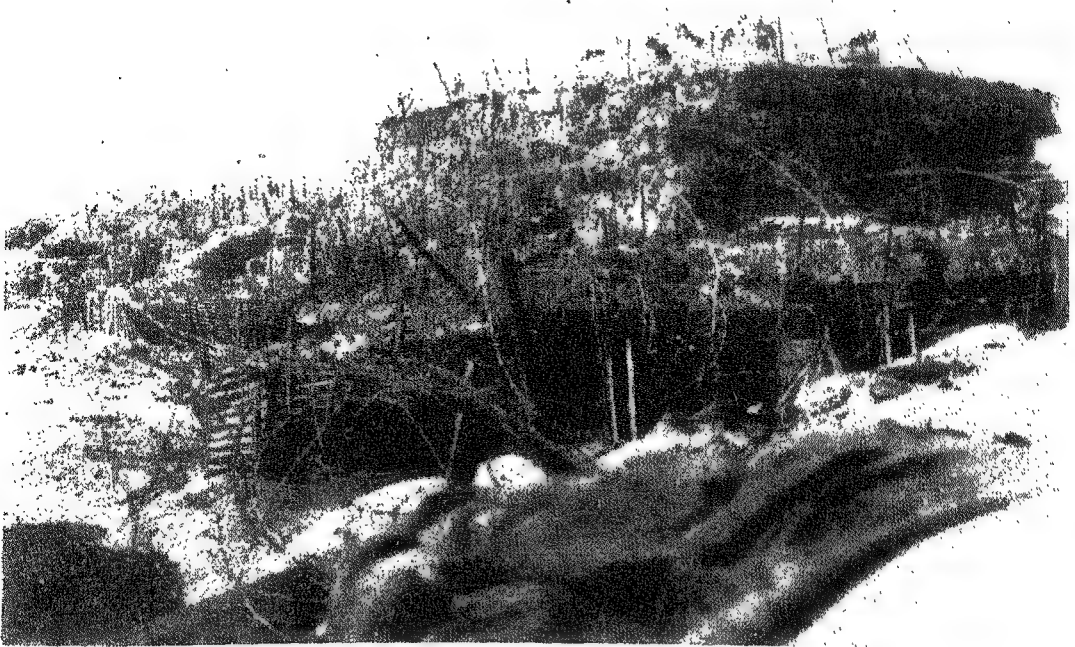




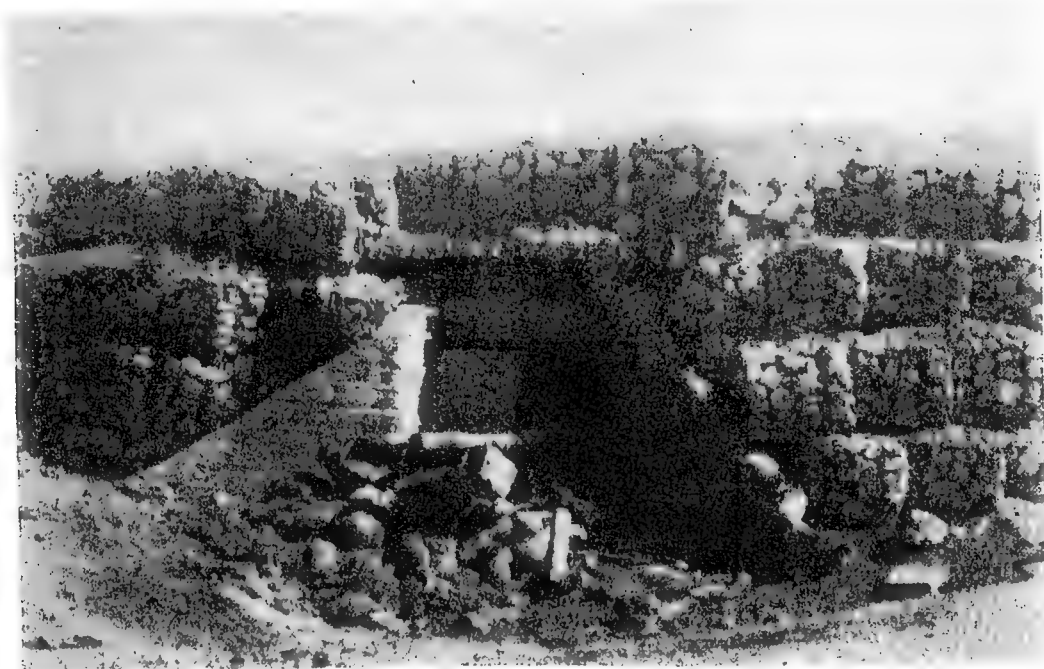
« والنقطة القوية عبارة عن منشأة هندسية معقدة تتكون من عدة طوابق تغوص في باطن الأرض وتعلو حتى تصل إلى قمة الساتر »



« ... وكل دشمة يمكنها أن تتحمل القصف الجوى أو البرى الثقيل بفضل شكائتر »



« . . . ولزيادة مناعة النقط الحصينة احاطها العدو بنطاقات كثيفة من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام »

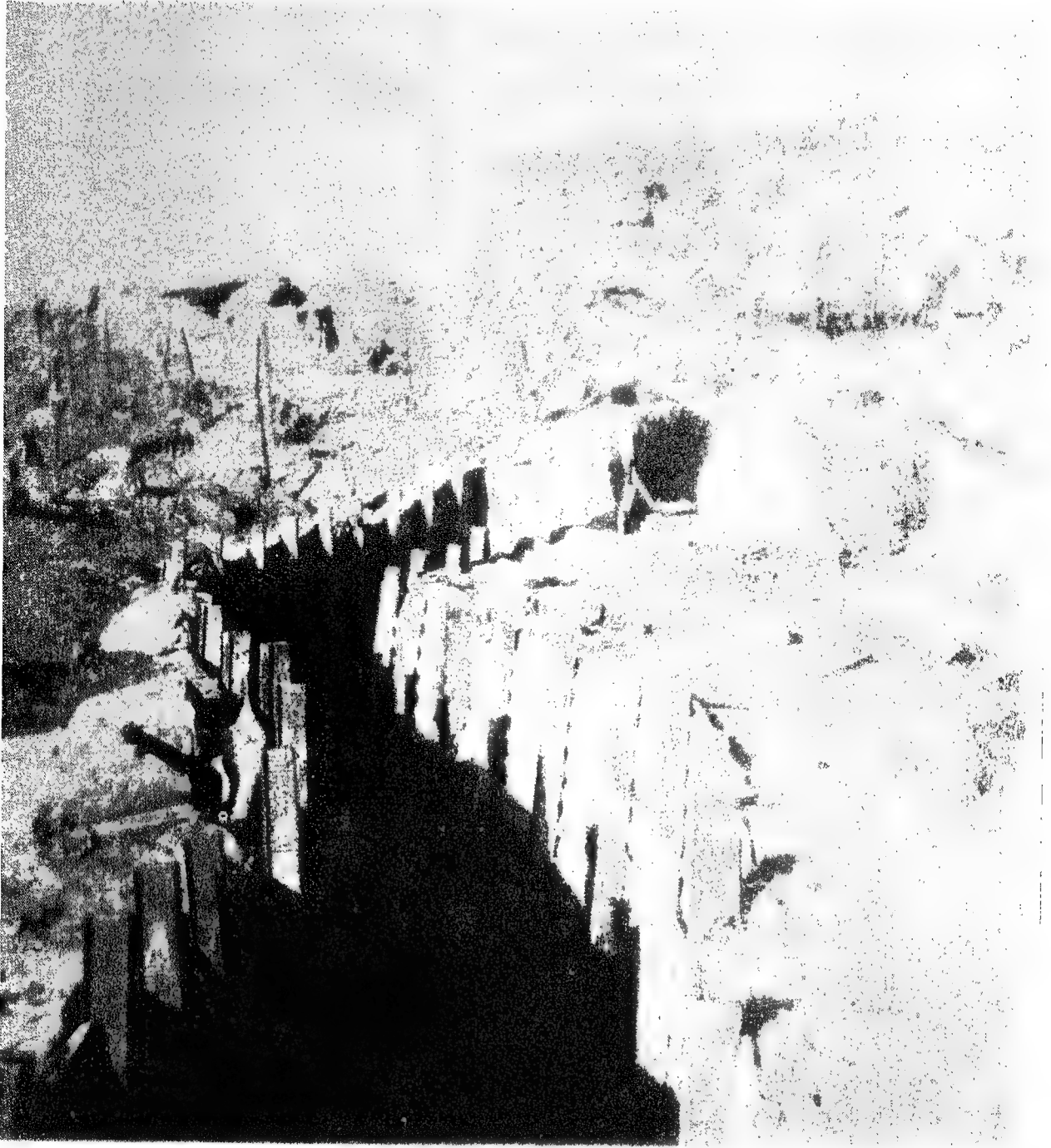


« .. و جهزت كل دشمة بعدة فتحات لأسلحة المدفعية والدبابات »



« وكل ذلك هو نتاج الحيرة المكتسبة من تحصينات مسارح الحرب المعاصرة »

« . . . وظل الاعتماد الرئيسى للقيادة الإسرائيلية على قلاع خط بارليف بصفة خاصة »





« ... وفي الساعة ١٣٣٠ اتخذ الرئيس السادات مكانه على رأس هيئة القيادة العامة »



الباب الخامس
المركب

الحرب .. للسلام

(من الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر الى الساعة ١٢٣٠ يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣)

● كانت عقارب الساعة تشير الى الثانية وخمس دقائق من بعد ظهر ٦ أكتوبر ١٩٧٣ عندما عبرت طائرات سوريا ومصر خطوط المواجهة مع اسرائيل ، واتجهت نحو اهدافها المحددة في الخطة المشتركة ، ثم هدرت مدافع العرب على طول الجبهتين الشمالية والجنوبية في اقوى تمهيد نيرانى شهده الشرق الاوسط .

فعلى الجبهة المصرية انطلقت مائتان وخمسون طائرة مصرية تشق عنان السماء ، فى طريقها المرسوم الى عمق سيناء ، حيث تقع اهدافها المنتخبة بحذق ومهارة ، لتنفيذ الضربة الجوية المركزة التى كان عليها تحطيم ثلاثة مطارات وقواعد جوية ، وعشرة مواقع صواريخ هوك ، وثلاثة مراكز قيادة وسيطرة واعاقة الكترونية ، بالاضافة الى عدد آخر من محطات الرادار ، وموقعى مدفعية بعيدة المدى ، وثلاث مناطق شئون ادارية ، وحصون العدو شرقى بورفؤاد .

وفى اللحظة نفسها هدرت نيران أكثر من ألفى مدفع على طول الجبهة، بين مدفعية ميدان ومدفعية متوسطة وثقيلة ، ومدفعاات وهاونات تشكيلات ووحدات المشاة والمدفعاات ولواء صواريخ تكتيكية متوسطة المدى أرض / أرض ..

وبينما استمر الالفا مدفع ونيف تصب حممها على خط بارليف ونقطة الحصينة ، بدقة وكثافة لم يسبق لها مثيل ، ولمدة ٥٣ دقيقة كاملة ، راح عدد كبير آخر من المدافع يطلق نيرانه بالتنشين المباشر المحكم التصويب

على دسم العدو وأهدافه المنظورة ، التي نجح المراقبون في كشف خباياها رغم ما بذله العدو من جهد ومال لاختفائها وتمويهها عن المراقبة الأرضية والجوية ..

وسحت ستر هذه النيران القاتلة ، التي ناهز وزنها الاجمالي ثلاثة آلاف طن على امتداد فترة التمهيد النيرانى للعبور المجيد ، أخذت جماعات من الصاعقة ومفارز اقتناص الدبابات تعبر مياه قناة السويس ، لتبث الآلغام والشراك فى مصاطب دبابات العدو ، وتقيم الكائن على طرق اقتراب المدرعات الى القناة ، لتشمل حركتها ، وتمنعها من التدخل فى عملية الاقتحام الوحشية ..

لقد كانت الساعة الثانية وخمس دقائق هى ساعة البدء التى حددها الفريق اول أحمد اسماعيل القائد العام للقيادة الاتحادية المصرية والسورية . كما كانت هى الساعة التى طال انتظار العرب لها .. ليثاروا لنكسات سابقة ، ويستردوا حقوقا مسلوقة .. كانت هى الساعة التى أراد العرب أن يبدءوا فيها الجولة الرابعة مع اسرائيل ..

وسرعان ما تتابعت الأحداث الجسام .. فى وتيرة عالية .. ثم استمر تتابعها ثلاثة وعشرين يوما حافلا بأخطر الأمور .. أيام كانت كلها مشحونة بالقتال الضارى العنيف .. الذى تحطمت خلاله أساطير ، وتهافت نظريات ، وسقطت عقائد ، وتوارت استراتيجيات ، وانكشف الزيف للمزاعم الصهيونية الباهتة ، وافتضحت الدعاوى الاسرائيلية الرخيصة ، التى طالما نفخت بها أبواق الدعاية الاسرائيلية على امتداد ربع القرن المنصرم ، عن العرب .. وتخلفهم الحضارى المزعوم .. والفجوة التكنولوجية التى تمسك بتلابيبهم .. وعن نظريات الغزو والتوسع الاسرائيلى .. وأمن اسرائيل والحدود الآمنة .. والجيش الذى لا يقهر .. والذراع الطويلة وحصانة خط بارليف الرهيب .. وكل تلك الأكاذيب والافتراءات التى نقلتها أجهزة الاعلام الصهيونية عن تل أبيب ، ثم راحت تروج لها بإمكاناتها الواسعة فى مشارق الأرض ومغاربها .. حتى صدقها الكثيرون .. وقديما قيل « يستمر الرجل يكذب حتى يصدقه من حوله » .. ثم يكذب حتى يصدق نفسه .. وهنا تقع الطامة ، وقد وقعت باسرائيل فزلزلت بنيانها المنفوش ..

لقد صدقت اسرائيل أكاذيبها ، حتى خرج عليها يوم ٢٤ أكتوبر رئيس دولتها ابراهيم كاتزير يوقظها من أحلام الخيال ، ويكشف لشعبها المخدوع طرفا من الحقائق الأليمة فيقول ..

« لقد كنا نعيش فيما بين عام ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ فى نشوة لم تكن الظروف تبررها ، بل كنا نعيش فى عالم من الخيال لا صلة له بالواقع .. وهذه الحالة النفسية هى المسئولة عن الأخطاء التى حدثت قبل حرب أكتوبر ، وفى الأيام الأولى للحرب ، لأنها كانت قد تفتشت فى

كل المجالات العسكرية والسياسية والاجتماعية ،
وأحدثت فيها مواطن ضعف خطيرة، يجب على الاسرائيليين
جميعا أن يتحملوا مسئوليتها ، وعلينا أن نتعلم بعد
هذه الحرب الفظيعة أن نكون أكثر تواضعا وأقل نزوعا
الى المادية ، كما يتحتم علينا أن نبذل كل طاقاتنا لازالة
الفجوة الاجتماعية ، والتغلب على المادية التي احدثت
بنا » .

وقبل أن يتكلم ابراهام كاتزير ، وبعد أن تكلم ، كانت الحقائق
تفرض نفسها على المسرح .. فيتناقلها العالم أجمع بين الدهشة
والانبهار ..

✽ **فمن أكلوبة التغلف الحضارى العربى** التى افترتها اسرائيل بعد
جولة ١٩٦٧ .. خرجت جريدة الفيجارو الفرنسية يوم ٩ أكتوبر
تقول « ان الرئيس السادات يدرك بحق أن مصر وخلفها سبعة آلاف
عام من الحضارة تشتبك فى حرب طويلة الأمد مع اسرائيل التى
تكافح اليوم لكى تعيش غدا ، ثم لا تفكر أبدا فيما قد تصبح عليه
حالتها بعد ٢٥ عاما مثلا » .

✽ **وعن الفجوة التكنولوجية** التى زعمت اسرائيل أنها سوف تحرم العرب
من اللحاق بها حتى منتصف القرن الواحد والعشرين على أقل تقدير،
قالت مجلة نيوزويك الأمريكية يوم ٢١ أكتوبر .. « ان ثقة اسرائيل
فى تفوقها التكنولوجى على العرب قد سقطت » .
كما قالت مجلة الأوبزرفر البريطانية قبل ذلك بيوم واحد .. « يبدو
الآن أن مصر قد لحقت باسرائيل بل سبقتها تكنولوجيا » .

ثم قالت مجلة تايم الأمريكية يوم ٥ نوفمبر .. « ان التكنولوجيا
المصرية قد جعلت العصر الذى كانت الدبابات والطائرات تسود فيه ميدان
القتال يذهب فى ذمة التاريخ » .

✽ **وعن سياسة إسرائيل التوسعية** .. قال اليهودى. ناتان ليفتجستون
الأستاذ بجامعة كوينز كولج فى جريدة التايمز اللندنية يوم
١٣ أكتوبر .. « ان عدوان اسرائيل وسياستها التوسعية التى
تحاول فرضها عن طريق الحرب واقامة المستوطنات هى التى تسهم
الى حد كبير فى استمرار النزاع فى الشرق الأوسط » .

وقالت جريدة النجم الاحمر السوفيتية فى اليوم نفسه .. « ان
تل أبيب قد بدأت تدفع ثمنها غاليا لسياسة الغزو العدوانية التى
تعتنقها » .

✽ **وعن حرب اسرائيل الخاطفة** قال الجنرال متياهو بيليد فى جريدة
معاريف يوم ٧ فبراير ١٩٧٥ .. من دروس حرب عيد الغفران

انه لم يكن في حوزة الدولة احتياط كاف من الذخائر لمواصلة القتال . لقد استعدت الأركان العامة لحرب خاطفة لا تزيد عن ستة أيام قتال فقط ، ولكن الحرب استمرت ١٨ يوما فتعرض جيش الدفاع تبعاً لذلك الى عجز في ذخائره ، ومن هنا ظهرت ضرورة تخزين ذخائر تكفي ثلاثة أسابيع قتال على الأقل ، حتى اذا نشبت الحرب من جديدة لا يكون علينا أن ننتظر الجسر الجوي ليحمل لنا الذخائر الى القوات التي تقاتل وقتئذ في مختلف الجهات .

✽ وعن نظرية الأمن القومي الإسرائيلي ، نقلت وكالة رويتر عن تل أبيب يوم ٢١ أكتوبر افتتاحية العدد الأسبوعي للجورنال بوست التي تحمل تساؤلاً يراود الاسرائيليين الذين عجزوا عن طرحه لعدم شعورهم بالأمن وهو ٠٠ « ما الذي حدث ؟ وأين يكمن الخطأ ؟ » .

أما جريدة لومانيته الفرنسية فتؤكد في عددها الصادر يوم ١٧ أكتوبر ٠٠ « ان الأحداث الخطيرة التي تجرى الآن في الشرق الأوسط توجه ضربة قاتلة لنظرية الحدود الآمنة كما يفهمها حكم تل أبيب » .

وقبل ذلك صرحت جريدة الديلي تلجراف اللندنية يوم ١٥ أكتوبر بأن « أسطورة الأمن الإسرائيلي قد تحطمت تماماً ، ويجب على اسرائيل بعد الآن أن تتخلى عن فكرة أن أمنها يمكن أن يتحقق بمجرد احتلال قطعة من الأرض دون أى برنامج سياسى » .

✽ وعن أسطورة جيش إسرائيل الذى لا يقهر ، قال أريك سيلفر مراسل الجارديان البريطانية فى القدس ٠٠ « كانت الصدمة الحقيقية لحرب يوم الغفران هى أن الجيش الإسرائيلي قد بدأ فى مظهره على نحو لا يختلف عن سائر الأنشطة فى إسرائيل ، لقد كان الجيش بعيداً عن الاتفاق فى تصرفاته ، وكان يرتجل ، وقد دهمته الأمور وهو فى اغفاءة تنم عن تكاسل ورضا » .

أما جورج ليزلى رئيس المنظمة اليهودية فى ستراسبورج فيقول يوم ٢٩ أكتوبر فى المعنى نفسه ٠٠ « لقد أسفرت الجولة الرابعة عن كارثة كاملة بالنسبة لاسرائيل ، فنتائج المعارك والانعكاسات التى بدأت تظهر عنها فى اسرائيل تؤكد أهمية الانتصارات التى حققتها القوات العربية فى المعركة ، تلك الانتصارات التى أنهت الشعور بالتفوق الإسرائيلي وجيشها الذى لا يقهر ، وأكدت كفاءة المقاتل العربى وتصميمه وفاعلية السلاح الذى فى يده » .

✽ وعن ذراع اسرائيل الطويلة وقواتها الجوية الرادعة ، يقول توماس تشيتهام مراسل وكالة اليونيتدبرس من تل أبيب يوم ١٦ أكتوبر ٠٠ « ان الطيران الاسرائيلى لم يتمكن من تحقيق النجاح الذى كان عامة الشعب الاسرائيلى يتوقعه له قبل الحرب . لقد وضع من خلال سير

العمليات أن التأكيدات الرسمية التي كانت تحدث عن قدرة القوات الجوية الاسرائيلية على القيام بعمل سريع ضد العرب في حالة تجدد القتال كانت مزاعم غير دقيقة » .

أما جان فرنسوا لى موف فيقول يوم ٢٧ أكتوبر ٠٠ « لقد شهد انتباه الخبراء الغربيين الذين درسوا سير الصراع العربى الاسرائيلى وفنون الحرب التي استخدمها المتصارعون أنه بينما انتصر الاسرائيليون عام ١٩٦٧ بفضل تفوقهم الجوى الكامل ، اذ بنشاطهم الجوى يضمحل هذه المرة في القتال والقصف بفضل تسليح العرب بالصواريخ سام . ويرى بعض الخبراء العسكريين أن مبدأ التفوق الجوى الذي اعترف به خبراء الإستراتيجية منذ الحرب العالمية الثانية قد يعاد النظر فيه على ضوء أحداث الجولة الرابعة ، على حين لا يتردد البعض الآخر في تأكيد أن هذا المبدأ قد انهار تماما » .

✳ وعن مخابرات اسرائيل التي « لا تفوتها شاردة ولا واردة ، فلعل ما حدث ذو دلالة خاصة وهو أن تستهل لجنة تقصى الحقائق عملها في البحث عن أسباب الهزيمة العسكرية في جيش اسرائيل يوم ٢٧ نوفمبر برئاسة القاضي شمعون اجرانات رئيس المحكمة العليا الاسرائيلية ، فتبدأ بالتحقيق مع الجنرال الياهو زعيرا رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية ، الذي سبق توجيه الكثير من النقد والاتهامات الى جهازه لاساءته تقدير الموقف على الجبهتين المصرية والسورية ، مما جعل اسرائيل تفاجأ بالحرب ، وكادت هذه المفاجأة أن تعرضها لكارثة محققة . هذه المفاجأة التي وصفها الجنرال حاييم بارليف في الصنداي تايمز يوم ٩ ديسمبر بقوله ٠٠ « لقد هاجمونا ونحن في غفلة » .

ثم لا يقف الأمر عند أجهزة مخابرات اسرائيل بل يتعداها الى مخابرات الولايات المتحدة الأمريكية نفسها التي أكدت مجلة يواس نيوزاند ورلد ريبورت « أن هناك دلائل تشير الى أن وزارة الدفاع الأمريكية غير راضية عن تقارير المخابرات التي تلقتها عن الاجراءات الحاسمة حول الحرب في الشرق الأوسط ، والدليل على ذلك أن ثلاثة من كبار الضباط في وكالة المخابرات الأمريكية قد أقيلا من مناصبهم بصورة مفاجئة في نهاية شهر أكتوبر ١٩٧٣ » .

✳ وعن خط بارليف المنيع يقول الناقد العسكري باولوبتروني في مجلة أنابلا الأسبوعية الايطالية الصادرة في ٣٠ أكتوبر ٠٠ « ان خط بارليف الذي شيدته اسرائيل على غرار خط ماجينو قد تحطم تحت ضربات القوات المصرية ، تماما كما سقط خط ماجينو منذ ٣٤ عاما . لقد فر الجنود الاسرائيليون من هذا الخط بعد أن كانوا يجلسون في خنادقهم وهم يلتقطون أنفاسهم وقد علت القذارة أبدانهم وشحبت

وجوههم ٠٠ لقد فرت فلولهم من الجحيم الذى أطلقه عليهم الهجوم
المصرى المفاجئ » .

✽ وعن شرعية العمل العربى العسكرى صرح أنتونى ناتنج الوزير
البريطانى السابق لجريدة التايمز يوم ١٣ أكتوبر بقوله ٠٠ « هل
يمكن أن يوصف بالعدوان رجل يذود عن أرضه ضد جيش احتلال
طالبته أعلى سلطة دولية مرارا وتكرارا بالانسحاب ؟ » .

وهل يصل الافتراء بالبعض الى درجة الزعم بأن مثل هذه المحاولة
الباسلة لاسترداد الأرض تشكل تهديدا على وجود المحتل فيها ؟
ان اللعب بالألفاظ والحقائق بهذه الطريقة الرخيصة يشكل وضعاً
مشيناً » .

وفى المعنى نفسه تساءل ميشيل جوير وزير خارجية فرنسا يوم
٩ أكتوبر ٠٠ « هل تعنى محاولة عودة أناس الى ديارهم - بالضرورة -
عدواناً مفاجئاً ؟ » .

✽ وعن اعجاز العبور قال الرئيس محمد أنور السادات ٠٠٠ « ان القوات
المسلحة قامت بمعجزة على أى مقياس عسكرى » ٠٠٠

أما توماس تشيتهام مراسل وكالة ي . ب . أ فى تل أبيب فيقول
يوم ١٢ أكتوبر ٠٠٠ « لقد واجهت اسرائيل كارثة مثل بيرل هاربور
تماماً ، وسوف تأتى بعدها فضيحة ووترجيت أخرى ، فمن الواضح
أن اسرائيل على أبواب فضيحة » لقد عبرت القوات المصرية والسورية
خطوط وقف إطلاق النار فجأة يوم السبت ٦ أكتوبر . وقد أمسكت هذه
العملية بالقيادة الاسرائيلية وهى عارية ، وتلك حقيقة لا تقبل الجدل » .
وفى المعنى نفسه يقول هارولد سبيف مراسل الديلى تلجراف
بالقاهرة يوم ٢٩ أكتوبر « لقد غيرت الساعات الست الأولى من يوم
٦ أكتوبر ، عندما عبر الجيش المصرى قناة السويس واقتحم خط بارليف،
غيرت مجرى التاريخ بالنسبة لمصر ، وبالنسبة للشرق الاوسط كله » .

✽ وعن كفاءة المقاتل العربى اعترف موسى ديان فى محاضرة ألقاها فى
النابى الهندسى بتل أبيب ونشرتها جريدة هامو دياى يوم ١ يناير
١٩٧٤ انه كوزير للدفاع لم يقدر فعالية وكفاءة الجنود العربى
القتالية حق قدرها اذ ظهرت على درجة أعلى بكثير جداً مما كانت
بيانات ومعلومات المخابرات الإسرائيلية تؤكده للجميع ٠٠٠

✽ وعن الشرف والكرامة العربية فقد ناشدت جريدة الصنداي اكسبريس
اللندنية يوم ١٤ أكتوبر الرئيس السادات بوقف القتال ٠٠ « بعد
أن سلم الشرف العربى ، وأصبح الرجل الذى يمكنه وقف النار
صباح اليوم هو الرئيس السادات » .

وكتب في المعنى نفسه أديبنا الكبير الاستاذ توفيق الحكيم في جريدة الأهرام القاهرية يوم ٩ أكتوبر قائلا « عبرنا الهزيمة بعبورنا إلى سينا .. ومهما تكن نتيجة المعارك فإن الأهم الوثبة .. فيها المعنى أن مصر هي دائما مصر .. تحسبها الدنيا قد نامت ولكن روحها لاتنام . وإذا هجعت قليلا فإن لها هبة ، ولها زمجرة ، ثم قيام .. سوف تذكر مصر في تاريخها هذه اللحظة بالشكر والفخر » .

ثم خرجت صحيفة المجاهد الجزائرية يوم ٢٣ أكتوبر بافتتاحية تقول فيها « ان الأمة العربية كلها تحس اليوم بفخر عظيم وشكر عميق لجيوش مصر وسوريا التي حققت للعرب أول انتصار لا رجوع فيه ، ومهما تكن النتائج النهائية للمعركة فسوف تبقى حقيقة أنها أنهت مهانة ١٩٦٧ ، وجددت الكرامة العربية » .

✽ وعن السبب الحقيقي وراء وضوح إسرائيل لقرار إيقاف النيران قالت نيوزويك الأمريكية في عددها الصادر يوم ٢٩ أكتوبر « من العوامل التي دفعت إسرائيل الى قبول وقف إطلاق النار أنها كانت تترنح وقتئذ تحت وقع خسائرها المروعة » .

✽ وعن كشف الأرباح والخسائر للجولة العربية الاسرائيلية الرابعة أذاعت وكالة « ي . ت . » يوم ١١ نوفمبر « ان المصادر العسكرية الأمريكية قد أكدت أن الميزان الاستراتيجي في الشرق الأوسط قد مال بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ لصالح العرب » .

أما مجلة نيوزويك الأمريكية فقالت في عددها الصادر في اليوم نفسه « ان الحرب الاخيرة قد كلفت إسرائيل غالبا ، ولولا وقف النار لوجدت تلك الدولة الصغيرة نفسها وقد اقتصرت في معيشتها على الكفاف . ان الحزام مشدود الآن على البطون في إسرائيل الى أقصى درجة ممكنة » .

وكتبت جريدة يوركشاير بوست يوم ١٥ أكتوبر تقول « ان هناك أمرا واحدا مؤكدا تماما الآن ، وهو أن العرب أصبحوا في الوقت الحاضر في مركز تفاوض أقوى بكثير مما كانوا عليه من أسبوع مضى ، وإن إسرائيل قد أصبحت في مركز أسوأ بكثير مما كان العرب أو أي أحد يعتقد قبل بداية الحرب » .

ومن البنتاجون صرحت وكالة « ي . ت . » يوم ٢٩ أكتوبر بأن توقعات المسئولين العسكريين الأمريكيين تقدر الخسائر الأولية لإسرائيل في حرب أكتوبر بحوالى ١٠٠٠ دبابة و ٢٠٠ طائرة وما بين ٨٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ قتيل وجريح .

ومن تل أبيب أذاعت وكالة الأنباء الفرنسية يوم ١٩ أكتوبر « ان الشعور بالألم يسود شوارع إسرائيل حيث الوجوه مقطبة وجامدة ، ولم يحدث من قبل أن تركت حرب مثل هذا الشعور بالحسرة والمرارة في

اسرائيل . انه لم يعد يتردد فى اسرائيل اليوم سوى سيرة الموت هنا وهناك .

مراحل النضال

يعرف خبراء الحرب ان المعارك تسير وفق ما خطط لها اذا كان التخطيط شاملا لأذق التفاصيل ومختلف الاحتمالات . . .

لقد بلغت الثقة بالمارشال برنارد لو مونتجمرى فى خطته ان ذهب لينام فى موعده المعتاد والمركة الفاصلة على وشك الاشتعال . . . وكان مرد هذه الثقة جهدا خارقا للعادة بذله وهيئة أركانه فى التخطيط للهجوم الذى لم يترك شيئا للظروف . . .

وعلى الطرف الآخر يذكر خبراء الحرب ان هناك معارك أخرى ما ان بدأ فيها القتال حتى خرج عن الطوع وسار على نقيض ما كان يرجى له بسبب قصور التخطيط وسطحيته أو ضعف التدريب عليه . . .

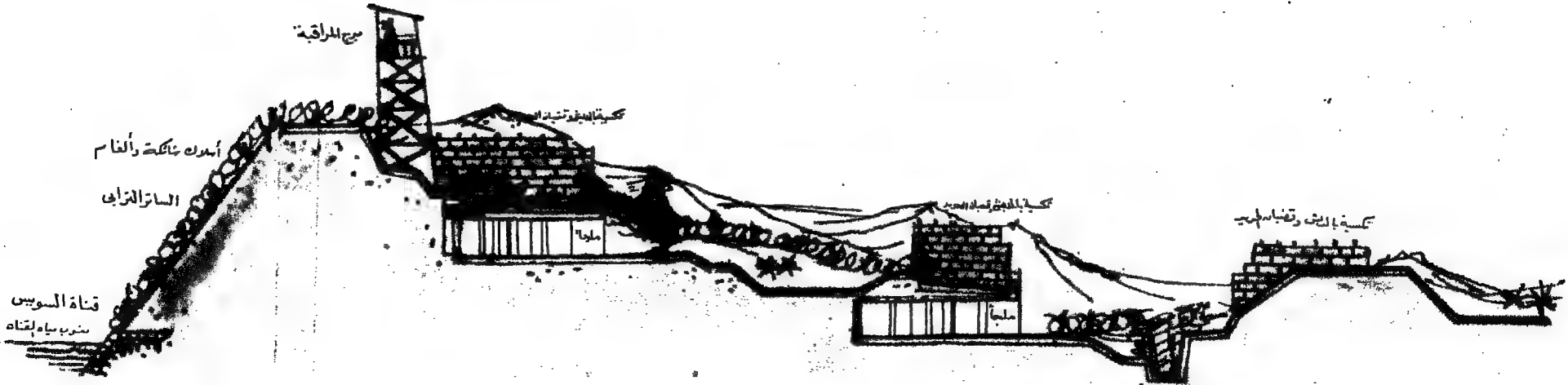
ولكن حرب رمضان كانت قمة فى التخطيط والتدريب ، ولهذا سارت مراحلها طبقا للخطة ، حتى دخول الولايات المتحدة الأمريكية بكل ثقلها الى جانب اسرائيل ، فكان طبيعيا أن يحدث التحول عن الخطة . . .

والحرب تنقسم الى مراحل طبقا لتوزيع المهام التعبوية على التشكيلات القائمة بالتنفيذ فهناك مرحلة تنفيذ المهمة الأولى التى اقتضت فى حالتنا هذه على اقتحام القناة وإقامة خمسة رؤوس كبارى فرق على الضفة الشرقية ثم توحيدها فى رأس كوبريين لجيشين ميدانيين ، ثم المهمة الثانية التى اشتملت على تحطيم الهجمات والضربات المضادة والتشبيث برؤوس الكبارى المكتسبة ، ثم المهمة الثالثة التى تبلورت فى استغلال النجاح وتعزيز الأرض المكتسبة .

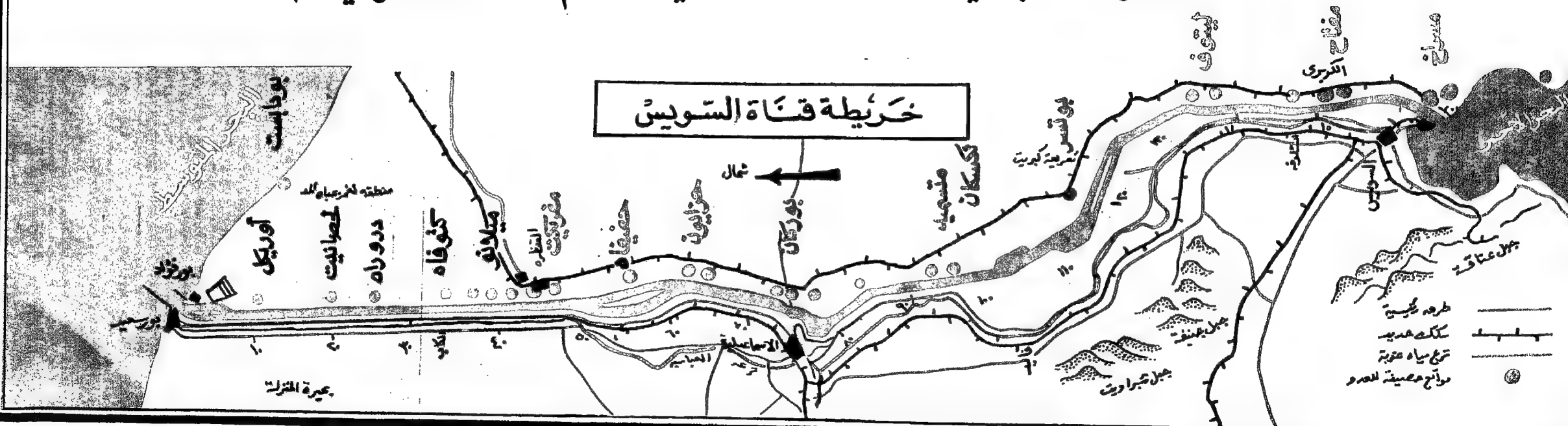
هكذا كانت المراحل الثلاث المخططة لحرب رمضان على جبهة القناة ، الا أن ديناميكية القتال أضافت اليها مرحلتين عند التنفيذ ، كانت الأولى منهما لتخفيف ضغط قوات العدو على جبهة شقيقة ، وكانت الثانية لدخول قوة عظمى شريكا بكل ثقله لموازرة العدو

هكذا ، وعلى امتداد ثلاث وعشرين يوما من القتال الفصارى النشط ، فيما بين الساعة الثانية وخمس دقائق يوم ٦ أكتوبر ، عندما انطلقت طائرات العرب تشق عنان السماء ، وهدرت مدافع العرب تدك حصون إسرائيل ، وحتى الساعة ١٢٣٠ ظهر يوم ٢٨ أكتوبر عندما توقفت نيران الجولة الرابعة بين العرب واسرائيل ،

قطاع رأسى فى إحدى النقط الحصينة



(....) ويتكون خط بـارليف من ٢٢ موقعاً حصيناً ، تضم ٣١ نقطة قوينة)



انقسم القتال طبقا لحجمه وطبيعته الى خمس مراحل
تميزة هي :

● المرحلة الاولى ولمدة ثمانية أيام فيما بين ٦ ، ١٣ أكتوبر :

وتم خلالها اقتحام قناة السويس ، واحتلال خط بارليف الحصين
وقلاع القوية ، والاستيلاء على رموس الكبارى للألوية ثم الفرق ثم الجيوش
الميدانية وتعزيزها .

وبدأت هذه المرحلة بتوجيه الضربة الجوية المفاجئة المركزة العربية ،
ربالتمهيد النيرانى الكثيف على كل من جبهتى القتال ، بدرجة عالية من
التنسيق نوهت عنها الدوائر العسكرية الأمريكية يوم ١٠ أكتوبر ،
ونقلت عنها وكالة الأنباء الفرنسية الى كافة أرجاء المعمورة بقولها .
« لقد نسقت مصر وسوريا جهدهما العسكرى بصورة رائعة لم يسبق لها
مثيل من قبل ، كما أنهما استوعبتا كافة دروس الجولات السابقة » .
كما أكدت الجارديان البريطانية فى اليوم نفسه . « ان الجيش
المصرى والسورى قد برهنا أنهما أفضل تدريبا وأحسن تشكيلا واستعدادا
وأشد جلدًا وأفضل عتادا عما سبق » .

وعندما أشارت عقارب الساعة الى الثانية والثلاث كانت الأمواج
الأولى من طائراتنا تعبر القناة عائدة من مهامها الناجحة ، بعد أن قصفت
أهدافها فى عمق سيناء حتى حطمتها .

وفي اللحظة نفسها إمتلأ المكان بصيحات ثمانية آلاف من
المقاتلين البواسل . هم مهجة مصر وفلذة كبدها . يهللون
بأعذب الكلمات وأسمائها . . الله أكبر . . الله أكبر . .
وأمتلأت صفحة الماء بقوارب المطاط . . واندفعت موجات
الاقتحام الأولى والعيون تحلق من المقل شوقا الى الرمال
الذهبية الحبيبة . التي أمضى القلوب لوعة الحنين اليها .
وعندما وصل الرجال الى الضفة الشرقية . . كانت
اللحظة ، وكان الحث اللذين طال انتظارهما . .

وانطلق الجنود البواسل يصعدون سائرا ترابيا مليئا بكل ما تفتق
عنه ذهن الصهاينة الجهنمي من شراك ومفجرات والفام ، ثم تحولوا الى
قلاع خط بارليف يهدمون بأسلحتهم تارة ، وبسواعدهم تارة أخرى ،
وبأيديهم وأظافرهم أكثر الوقت . .

واستمرت صيحتهم تملأ الأسماع . . الله أكبر . . الله أكبر . .
والفيض لا ينقطع من الأمواج اللاحقة ، تقتحم وتنضم اليهم على أغلى ثرى
فى أشرف مهمة . حتى تم لهم الاستيلاء على رموس كبرى الألوية ثم الفرق
المشاة ، الى أن وحدوها جميعا فى رأس كوبريين لجيشين ميدانيين .

● المرحلة الثانية ولمدة يوم واحد هو يوم ١٤ أكتوبر :

وتم فيها تطوير الهجوم شرقا نحو مضائق سيناء الغربية بهدف تخفيف ضغط قوات العدو البرية والجوية على الجبهة السورية الشقيقة ، وجذب جهد العدو الرئيسى نحو سيناء ٠٠ وبمجرد أن أيقنت القيادة الاتحادية من تحقيق ذلك ، وبعد أن حول العدو مجهوده الجوى صوب مصر ، وبدأ فى تحريك احتياطياته المدرعة الى سيناء ، رأت أنه من الحكمة والخلق أن تشدد قبضتها على رموس الكبارى المكتسبة عبر القناة ، وأن تواصل دعمها حتى تجعل منها الصخرة المنيعه التى تتحطم عليها كل أمواج العدو المهاجمة ، بالغا ما بلغت قوتها وكثافتها ، على أن يؤجل تطوير الهجوم شرقا لمرحلة تالية طبقا للخطة الموضوعية مسبقا .

● المرحلة الثالثة ولمدة ثلاثة أيام فيما بين ١٥ ، ١٧ أكتوبر :

وتم خلالها صد وتدمير كافة هجمات العدو وضرباته المضادة التى ركزها ضد رموس الكبارى شرق القناة ، وبصفة خاصة على الجانب الايمن للجيش الثانى الميدانى ، فى محاولة مستميتة لتصفية رأس كوبرى هذه الفرقة الباسلة ، ثم الجيش الثانى بالتالى ، توطئة لاعادة الاستيلاء على شريحة من الضفة الشرقية شمال البحيرات المرة لستر عبور بعض مفارزه المدرعة الى الضفة الغربية لتدمير ما يمكن تدميره من مواقع صواريخ الدفاع الجوى ، الى جانب ما يمكن أن تحققه مثل هذه العملية التليفزيونية كما أسماها الجنرال الفرنسى أندريه بوفر من كسب اعلامى ترفع به الروح المعنوية المنهارة فى اسرائيل ، وتحجب بعض آثار الأعمال الحربية المجيدة التى حققتها القوات العربية المسلحة على جبهتى مصر وسوريا فى المرحلتين السابقتين ، والتى كانت قد هبطت بمعنويات شعب اسرائيل الى الحضيض .

● المرحلة الرابعة ولمدة خمسة أيام فيما بين ١٨ ، ٢٢ أكتوبر :

وتم خلالها ادارة أعمال القتال النشطة على الضفة الغربية لقناة السويس فى القطاعين الأوسط والجنوبى بين الطرفين المتصارعين ، حيث راح العدو يدفع بمزيد من القوات الى الغرب ، ويحاول بكل السبل توسيع رقعته غرب القناة ، ثم الاستيلاء على احدى مدن القناة الرئيسية (الاسماعيليه أو السويس) بأى ثمن ، ومهما بلغت الخسائر ٠٠ وإشتبكت القوات المصرية فى قتال ضار مع العدو شرق وغرب القناة ، وقصفته بالطائرات والصواريخ والمدفعية ، وهاجمته بالمدفعات والمشاة والقوات الخاصة والدفاع الشعبى ، لحصره وتثبيته ، توطئة لاتمام تدميره ، على حين استمرت تتمسك بقوة واصرار برموس الكبارى المقامة على الضفة الشرقية ٠٠

ثم جاء قرار وقف اطلاق النار الذي أصدره مجلس الأمن يوم ٢٢ أكتوبر بمبادرة وضمان الدولتين الكبيرتين (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي) ، وتأييد المجتمع الدولي بأكمله ٠٠ وأعلنت الأطراف المتحاربة عن قبوله بحيث تسرى أحكامه على القوات في مسرح العمليات في تمام الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

● المرحلة الخامسة ولمدة ستة أيام فيما بين ٢٣ ، ٢٨ أكتوبر :

قبلت إسرائيل القرار وهي تضمحل العدوان ٠٠ وكان وقف النار هو التأمين المنشود لما تعتزم شنه من عدوان جديد ، والانتشار في حمى قرار وقف اطلاق النار ، على حد تحليل الجنرال أندريه بوفر لأحداث هذه المرحلة في ندوته التي عقدها بأكاديمية ناصر العسكرية العليا صباح يوم الخميس ١٥ نوفمبر ١٩٧٣ .

نعم ٠٠ إستغلت إسرائيل القرار لتأمين مغامرتها الجديدة حتى تجعل من موقفها الميئوس منه غرب القناة وضعاً محتملاً وقابلاً للاستمرار ٠٠ ولهذا راحت قواتها تضغط بجنون نحو مدينة الاسماعيلية ، فلما فشلت ٠٠ تحولت عنها الى السويس ٠٠ وتزايدت خسائرها بصورة وهيبة ٠٠ الى أن أعلنت عن قبولها إيقاف النار صباح ٢٥ أكتوبر ، وان إستمرت في القتال حتى فصل مراقبو الأمم المتحدة بين جنودها وجنود مصر ظهر يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ .



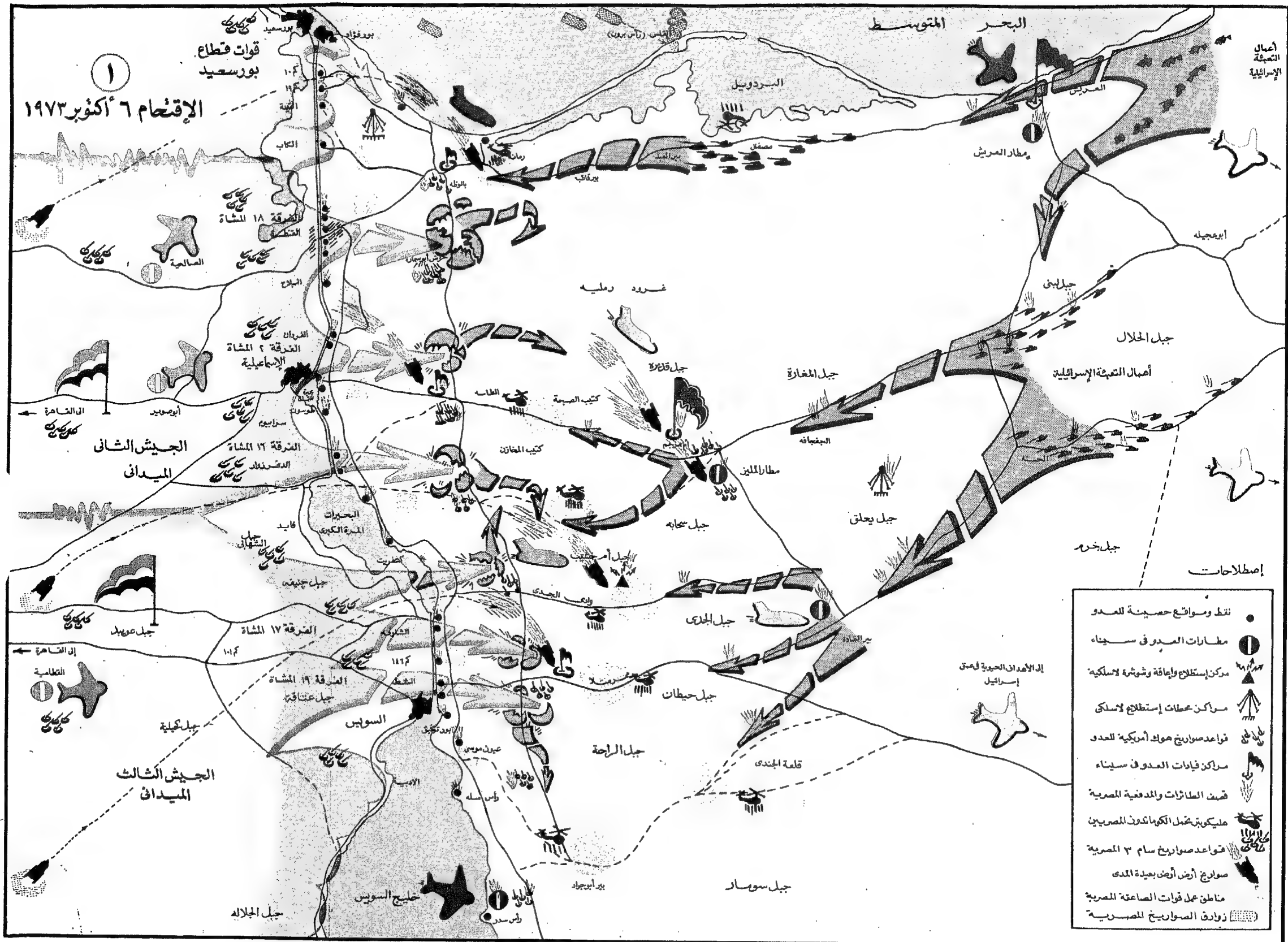
لقد كانت الجولة الرابعة هي المرة الأولى التي مارس فيها العرب العمل التعرضي وانتزعوا المبادرة من إسرائيل ، بعد صبر طال أمده وتجاوزت سنواته ربع قرن .

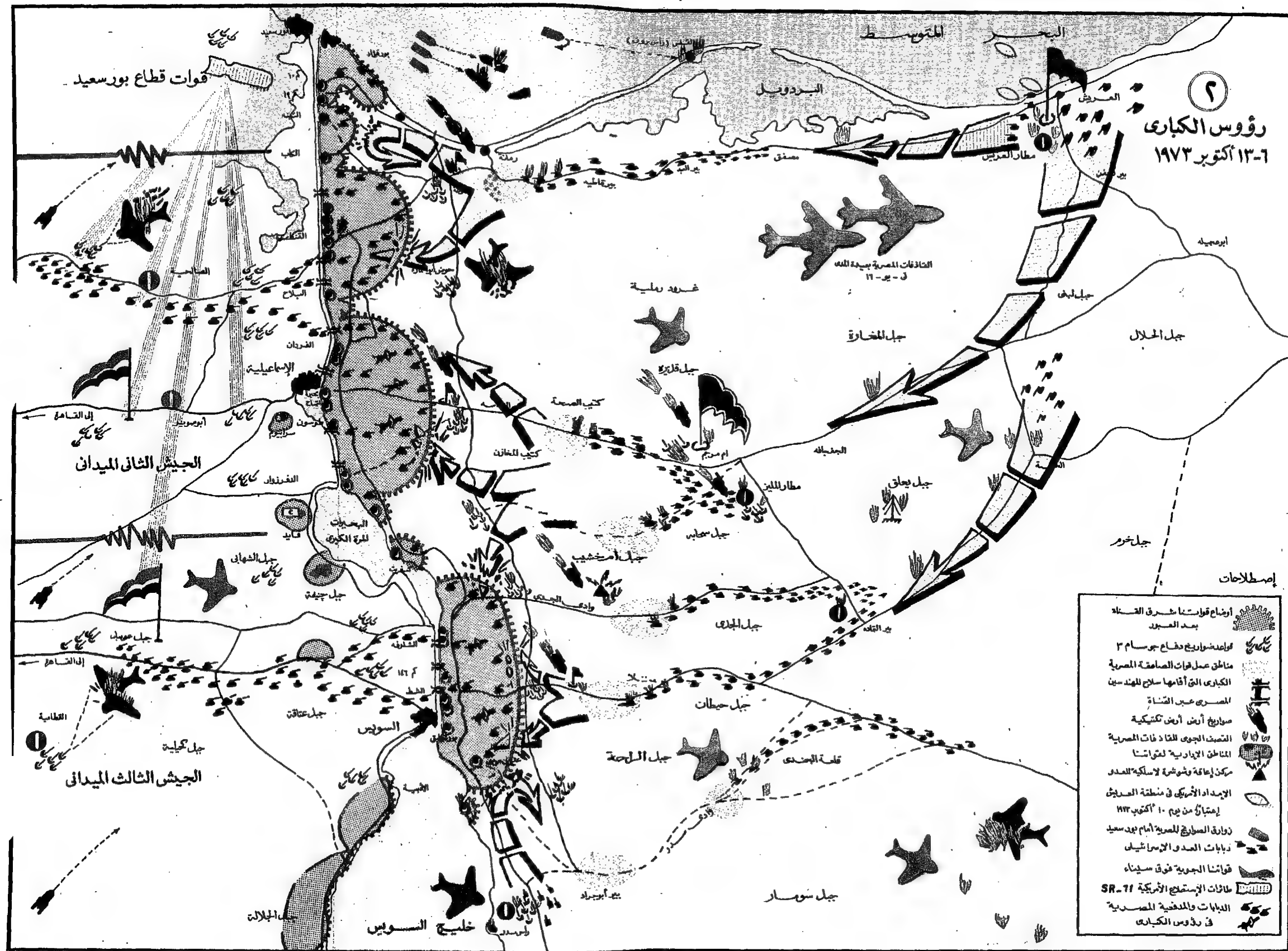
وبفضل التخطيط الحاذق والحشد المكثوم والفتح الماهر وشجاعة الرجال تهاوت نظريات وقامت نظريات ، وسقطت عقائد وارتفعت عقائد ، واحتجبت استراتيجيات وبرزت استراتيجيات .

ولم تعد صناعة الحرب قبل السادس من أكتوبر تماثل صنعها بعده ، اذ صرح الجنرال ارمين زيمرمان المفتش الاعلى لجيش ألمانيا الاتحادية يوم أول نوفمبر « بأن القوات المسلحة الألمانية تقوم بتحليل الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة حتى تطبق الدروس المستفادة منها لتزيد من فاعلية قواتها المسلحة ، وأن ثمة ٣٥٠ ضابطاً من قادة الجيش الألماني خرجوا من هذا التحليل بدروس هامة » .

أما مراسل مجلة الأوبزرفاتور الفرنسية فيقول ٠٠ « ان الجولة الرابعة بين العرب وإسرائيل قد أثبتت أنها أحد الأحداث الخمسة أو الستة

الهامة فى التاريخ الحديث ، ويمكن أن نضعها على قدم المساواة فى أهميتها السياسية والفلسفية الى جانب الفتوحات الاسلامية الكبرى فى العصور الوسطى ، ومع النهضة التى حققها خلفاء بنى أمية ، ومع دحر الصليبيين ، والنهضة العربية والمصرية ، وتأمين قناة السويس . وهى قطعا ليست مجرد نصر عسكرى ، ولكنها خطوة حاسمة قد توضع حدا فاصلا لأقول نجم العرب الذى استمر خمسة قرون ، .





تخطيط الأسطورة

المرحلة الأولى للعملية
الهجومية الاستراتيجية «بلن»
اقتحام قناة السويس
والاستيلاء على رؤوس الكبارى
وتعزيزها ..

٦ - ١٣ أكتوبر ١٩٧٣

اروع الأيام

● بدأ القتال سعت ١٤٠٥ بعبور طائراتنا الخطوط
الأممية للعدو شرق القناة والبدء في تنفيذ الضربة
الجوية المفاجئة المركزة بقوة ٢٥٠ طائرة ضد أهداف
العدو في سيناء ، والتي تضمنت ثلاثة مطارات وقاعدة
جوية ، وعشرة مواقع صواريخ هوك ، وثلاثة مراكز
قيادة وسيطرة واعاقة الكترونية وبعض محطات
الرادار ، وموقعى مدفعية بعيدة المدى ، وثلاث مناطق
شئون ادارية ، وحصون بارليف شرقى بور فؤاد .
وقد نجحت هذه الضربة الجوية تماما وكانت خسائرنا
فيها محدودة للغاية .

وفي الوقت نفسه فتحت المدفعية المصرية نيرانها على طول جبهة
قناة السويس ، وبلغ اجمالى قطع المدفعية المشتركة فى التمهيد النيرانى

أكثر من ألفي مدفع وهاون ، بالإضافة الى لواء صواريخ تكتيكية أرض/أرض .

واستمرت المدفعية تصب حممها لمدة ٥٣ دقيقة على قلاع خط بارليف الحصين ، ونقطه القوية ؛ وتجمعات دبابات العدو ؛ وقيادته ، هذا على حين راح عدد كبير آخر من المدافع يطلق نيرانه بالتنشين المباشر على دشمل العدو وأهدافه المنظورة .

وتحت ستر هذه النيران الكثيفة عبرت جماعات الصاعقة ومفارز اقتناص الدبابات شرقي قناة السويس ، لتبث الألغام فى مصاطب دبابات العدو ، وتشل حركتها بالكمائن ، حتى تمنعها من التدخل فى اقتحام قواتنا لقناة السويس .

ومى الساعة ١٤٢٠ بدأت الموجات الأولى لخمس فرق مشاة وقوات قطاع بور سعيد فى اقتحام قناة السويس ، مستخدمة حوالى ألف قارب اقتحام مطاط ، وبعد عدة دقائق وضع ثمانية آلاف جندي أقدامهم على الضفة الشرقية وهم يهللون بملء حناجرهم . . . الله أكبر . . . الله أكبر . . . وبدءوا فى تسليق الساتر الترابى المرتفع ، واقتحام دفاعات العدو الحصينة ، وهم يحملون أسلحتهم الشخصية ، والأسلحة الحفيفة المضادة للدبابات .

وسرعان ما رفرقت أعلام مصر فوق سبيلاء الحبيبة ، فارتفع أول البنود فى الساعة ١٤٣٠ فى نطاق هجوم الجيش الثالث الميدانى ، ثم فى الساعة ١٤٣٧ فى نطاق هجوم الجيش الثانى الميدانى ، فكان دفعة معنوية هائلة للقوات اللاحقة أن تسرع بالعبور ، وفى الوقت نفسه كانت الكتائب البرمائية تعبر البحيرات المرة من الجنوب ، وبحيرة التمساح عند الاسماعيلية .

ومى الساعة ١٤٤٠ اقتربت بعض طائرات العدو فى مجموعات زوجيه وفرادى وعلى ارتفاعات منخفضة لقصف قواتنا أثناء اقتحامها قناة السويس ، وأسقطنا أول طائرة اسرائيلية فى الساعة الثالثة الا عشر دقائق .

وقامت القوات بحصار نقاط العدو القوية ومراكز مقاومته وقلاع الحصينة ، وبدأت مهاجمتها وتدمير تحصيناتها ، وسقطت أولى حصون العدو - القلعة رقم ١ ، فى منطقة القنطرة - فى الساعة ١٥٠٠ تماما واستمرت القلاع تتهاوى بعدها فسقطت القلعة رقم ٢ جنوب البحيرات فى الساعة ١٥٢٥ ثم القلعة رقم ٣ فى الكيلو متر ١٤٦ الساعة ١٥٣٨ ومعها القلعة رقم ٤ ، ٥ فى الشبط والقلعة رقم ٦ فى الجباسات ، ثم أعقبها القلعة

رقم ٧ فى الفردان فسقطت فى الساعة ١٦٢٠ ، تم القلعة رقم ٨ عند علامه
الكيلومتر ١٠ جنوب بور فؤاد التى قدمنا عنها وصفا كاملا فى الصفحه
٧٢ آنفا ، وسقطت هذه القلعة الحصينه فى تمام الساعه ١٧٠٠ ، وفى
الوقت نفسه سقطت أيضا القلعة رقم ٩ الى الجنوب منها ، وبعدها بنصف
ساعة سقطت القلعة رقم ١٠ عند الكيلومتر ١٩ وسقطت معها القلعة رقم
١١ عند الكاب . ولم تمر خمس دقائق بعد ذلك حتى سقطتا القلعتين رقم
١٢ ، ١٣ جنوب القنطرة ومعهما القلعة رقم ١٤ شمال البلاح .

وصدت قواتنا ودمرت هجمات العدو المضساده المحلية - وحتى
الساعة ١٥١٠ كانت عناصر دفاعنا الجوى قد أسقطت للعدو أربع طائرات
فى الجبهة .

وتحت ستر قوات المشاة ويران المدفعية تقدمت وحدات المهندسين
العسكريين ، وقامت بفتح الممرات اللازمة فى الساتر الترابى وذلك
باستخدام مضخات المياه القوية (مدافع المياه) ، وأتمت فتح أول ممر
منها فى زمن قياسى لم يتجاوز الساعه ، ثم استكملت فتح باقى الممرات
على طول المواجهه فى الساعه ١٥٢٥ . وفى أثناء ذلك كانت وحدات
أخرى من المهندسين تقوم باسقاط معدات (براطيم) المعديات والكبارى
وتقييمها فوق مياه القناة .

ونجحت قواتنا فى اقامة عدد كبير من المعديات ، كما انشأت ١٠
كبارى ثقيله و ١٠ كبارى مشاة . وبدأ تدفق الدبابات والمعدات الثقيله
من الأرض المصرية فى الغرب الى الأرض المصرية فى الشرق . وسار
العمل دقيقا بأكثر مما توقعه أحد . وأثبتت الحطة كفاءتها ، وكانت
المهام تنفذ بجسارة واقتدار . وحتى الساعه ١٥٢٩ كانت عناصر دفاعنا
الجوى قد أسقطت للعدو سبع طائرات بين فانتوم وسكاي هوك .

وفى الساعه ١٥٥٠ استأنفت اذاعة اسرائيل ارسالها بعد صمت
طويل منذ الصباح الباكر مراعاة لطقوس عيد الغفران ، وأصدرت نداء
سافرا لقواتها الاحتياطية للتوجه فورا الى مراكز التعبئة والحشد . وفى
الساعه ١٦٠٠ شعرت القيادة الجوية الاسرائيلية فى أم مرجم بأن قصف
الطائرات والصواريخ المصرية للمنطقة قد أدخل بالسيطرة من مركز القيادة
فى هذه المنطقة ، فقررت نقل السيطرة على القوات الجوية الى العريش .

وفى الشمال - على ساحل البحر الأبيض المتوسط - قام جزء من
قوات قطاع بور سعيد بهجوم مخادع على قلعة العدو الحصينه الموجودة
شرق بور فؤاد ، وذلك لجذب اهتمام العدو بعيدا عن القوات التى نمتحم

القناة في أصعب أماكنها بالمواجهة . ولما كان الطريق الساحلى يؤدى مباشرة الى مركز قيادة العدو الموجود فى منطقة رمانة ؛ فقد كان من المنتظر أن يوجه العدو جزءا محسوسا من احتياطياته المدرعة لايقاف هجوم أى قوات مصرية على هذا الطريق الساحلى ، وكذا توجيه جزء كبير من مجهوده الجوى هناك . .

ولقد صحت توقعات القيادة المصرية هذه ، اذ دفع العدو احتياطياته المدرعة الموجودة فى رمانة لنجدة تلك القلعة الحصينة ، ووجه مجهوده الجوى هناك . . وبذا تمكن ذلك الهجوم المخادع من تحقيق أهدافه . .

وظلت القوات المكلفة بقطع الطريق الساحلى شرق القلعة الحصينة متمسكة بمواقعها لتمنع اقتراب أى قوات للعدو وذلك لمدة يومين ، بالرغم من صغر حجمها ، اذ لم تزد قوتها عن فصيلة من الصاعقة . . وعادت بعد ذلك لتنضم الى قواب قطاع بور سعيد ، ومعها أسراها وغنائمها ، متسللة خلال قوات العدو . .

وفي الوقت نفسه كانت وسائل دفاعنا الجوى قد حطمت للعدو ١١ طائرة فى الجبهة المصرية ، وبعد ٤٠ دقيقة ارتفع هذا العدد الى ١٣ طائرة مما أزعج كثيرا قائد القوات الجوية ، الجنرال بنيامين بيليد ؛ فأمر طياريه فى الساعة ١٧٠٠ بتحاشى الاقتراب من القناة لأقل من ١٥ كيلومتر شرقا ، وذلك بإشارة لاسلكية مفتوحة التقطتها أجهزتنا الخاصة ، وعندما عاودت طائرات العدو نشاطها بعد ذلك كانت صواريخنا تقف لهما بالمرصاد .

ويبين طبيب حصن مفنساخ الملازم دان بيليج تأثير هذه الصواريخ على طائرات اسرائيل ، فيقول فى عدد معاريف يوم ١ نوفمبر ١٩٧٤ . . «كان من أشق الامور رؤية طائراتنا وهى تتحطم فى السماء نتيجة اصابتها بالصواريخ المصرية . . لقد كانت السكاي هوك هى أشدها عرضة للاصابة ، وكم أحزننا أن نراها تنطلق غربا فى جماعات لتعود بعدئذ فرادى أو لا تعود أبدا . . لقد كان ذلك شديد التأثير على معنوياتنا التى زادها كمدا تلك السيمفونية التى راح الدفاع الجوى المصرى يعزفها بكل اقتدار ، والتى تعجز الكلمات عن وصفها .

أما عن جنود العدو فبمجرد أن أطلبوا على مواقعنا حدث لنا جميعا نوع من اليقظ ، اذ أدركنا لحظتها صورة جديدة للمقاتل المصرى الذى يستحيل صدّه ، والذي لا يتوقف أمام أى عائق . . ، .

وهكذا اخلف الجنرال بيليد وعده وفشل فى تنفيذ أى من خططه
الخمسة الموضوعه مسبقا لتدمير حائط الصواريخ المصرى بمجرد اشتعال
القتال .

وقبل آخر ضوء السادس من أكتوبر كانت عشرات من طائرات
الهليكوبتر المصرية تعبر القناة وخليج السويس وهى تحمل مجموعات من
قوات الصاعقة ، صوب أهدافها المخصصة لها على طول المواجهة ، وعلى
أعماق مختلفة وصلت الى ٣٠ - ٤٠ كيلو مترا ٠٠ وتم ابرار تلك القوات
بنجاح ، وبدأت فى تنفيذ مهامها المحددة فانزلت بالعدو خسائر جسيمة .
وحرمت مدرعاته من حرية الحركة ٠٠

وفى الساعة ١٧١٠ وقع أول ضباط العدو أسيرا فى يد قواتنا فى
منطقة جسر الحرش شمال الاسماعيلية ٠٠ وفى الساعة ١٨٢٦ أخطرت
رياسة الأركان العامة الاسرائيلية قيادتها المروسة بالقنطرة عن انقطاع
الاتصال مع قيادة جبهة سيناء الوسيطة ، وكلفتها أن تحل محلها فى
قيادة كافة قوات اسرائيل على الجبهة المصرية ، الى حين أن تستعيد قيادة
سيناء سيطرتها على هذه القوات ، بعد اصلاح وتعويض ما حطمته الطائرات
والصواريخ المصرية من أجهزة ومعدات اشارة وسيطرة فى غاراتها المركزة
عليها .

وفى أقل من ست ساعات ٠٠ وبالذقة فى الساعة ١٩٣٠ أتمت
الفرق الخمس المشاة وقوات قطاع بور سعيد اقتحام قناة السويس على
مواجهة ١٧٠ كيلو مترا ، بقوة ٨٠ ألف جندي من أعز أبناء مصر ، وذلك
باستخدام قوارب الاقتحام المطاط ، ووسائل العبور والاقتحام الأخرى ،
فى ١٢ موجة متتالية ٠٠ وأتمت الاستيلاء على ١٥ نقطة قوية للعدو فيما
بين الساعة ١٥٠٠ والساعة ١٧٣٥ من هذا اليوم المجيد ، وأكملت حصار
باقى النقاط القوية ، كما تمكنت قواتنا من الاستيلاء على رؤوس الكبارى
بعمق حتى ٣ - ٤ كيلو مترات .

ابراج الحمام تنهاوى :

ويصف هذه الأحداث المقدم روبين قائد الكتيبة الشمالية من
القطاع الدفاعى الذى كان يحتله اللواء الاورشليمى بقيادة العقيد بنحاس ،
فيقول ان أشلب أفراد حصون بارليف نزلوا الى المخاضى العميق بمجرد
أن انهالت عليهم قذائف المدفعية المصرية ، اعتقادا منهم أن الأمر مجرد
تراشق آخر بالنيران ، ولهذا لم يتركوا فى الخارج سوى بعض رجال

المراقبة لاعطاء التقارير عما يحدث ، وقد وقعوا لقمة سائفة لموجات الهجوم التي باغتتهم وهم فى قاع الملاجئ

ثم يمضى المقدم روبين فى استعراض ما حدث عصر ومساء السادس من أكتوبر فيقول ، ان كل حصن كان يحتاج منه الى خمس دقائق كامله من الجدل بالتليفون حتى يدرك رجاله أنها الحرب الحقيقية ، وقد أمرهم جميعا بتنفيذ خطة أبراج الحمام التي كانت المدرعات المتأهبة فى العمق القريب ركيزة نجاحها ، اذ وقع عليها عبء سد الثغرات بين الحصون وعندما بدأت هذه الدبابات تتقدم نحو ضفة القناة الشرقية ، واستمع روبين الى تقارير قادتها على أجهزة اللاسلكى ، ساوره القلق . .

كانت الدبابات المصرية على الضفة الغربية تصب نيرانها المحكمة ، وكذا نيران الصواريخ المضادة للدبابات ، فتحصد دبابات روبين كما يحصد المنجل أعواد القمح ، وزاد من خطورة الموقف ان كمانن القوات الخاصة المصرية كانت قد وصلت الى المصاطب الاسرائيلية على الضفة الشرقية قبل أن تصل اليها دبابات الجنرال مندler ، ومن ثم وقعت ضحية لنيران هذه الكمانن . .

ولم ينج من هذه الدبابات سوى اثنتين فحسب ، سارعتا بالانسحاب شمالا بشرق ، وظلنا تتقهقران حتى وصلتا الى حصن « يوادبست » فى أقصى الجبهة ، على اللسان الرملى شرق بور فؤاد . الا ان هجوم المصريين على هذا الحصن كان مجرد هجوم خداعى كما أظهرت الأحداث التالية . .

وتوالى البلاغات على روبين تصف تفاصيل اكتساح موجات الاقتحام المصرية لحصونه ، على حين كانت مئات زوارق المطاط والاطواف تجتاز صفحة القناة جيئة وذهابا ، فى سرعة خارقة وتكرار رتيب ودار فى ذهن روبين ان المصريين لابد قد اجرؤا مئات التجارب حتى وصلوا الى هذا المستوى الرفيع من الحنكة فى العبور .

وبدى لروبين ان الكارثة لم يعد فى الامكان درؤها بعد أن قتل أغلب قادة حصون بارليف فعندما اتصل بقائد حصن « كتوفاه » فى أقصى شمال الساتر الترابى شمال القنطره رد عليه العريف زفولون ، وأبلغه بصوت مرتعش ان الملازم أول ستار قد قتل هو وأغلب الجنود ، وان طائرات اسرائيلية كثيرة قد تهاوت قسرب الحصن ، بعد ان اصابتها الصواريخ المصرية ومزقتها يحول المقدم روبين الى العقيد بتحنس قائد اللواء يلتمس منه العون ، والى عليه ان يرسل التعزيزات على وجه السرعة . .

ولكن بنحاس اعتذر بأنه لا يملك دبابة أو مدفعا واحدا وأنه لا يرى فائدة من توقع وصول أية مساعدة حيوية ، وليس أمام الحصون الا الصمود أو الاستسلام ..

وارتفعت وتيرة الاقتحام المصرى فأسرع روبين الى الاحتماء بالأرض السبخية فى أقصى شمال قطاعه الدفاعى ، حتى يجنبه الطين اللزج شظايا قنابل المصريين التى ملأت الجو ، ولم يتوقف عن طلب النجدة من بنحاس الذى زادت لهجته حدة .. وبنفاد صبر أمره ألا يتصل به مرة أخرى فى هذا الشأن ، وطمأنه أنه سوف يدفع بعض التدعيمات اليه من لواء العقيد جابى الذى أرسله الجنرال مندلر قائد مجموعة العمليات المسئول عن الجبهة لانقاذ ما يمكن انقاذه .. وبمرور الوقت تبين لروبين ان لواء جابى هو الآخر قد انهار ، فقد توالى استغاثه قادة وحداته من نيران المصريين المحكمة التى تنهال على الدبابات من حيث لا يدرى أحد ..

وفى أقصى شمال خط بارليف كان حصن « أوريكال ١ » بقلعه الثلاث الأسطورية يعلن باللاسلكى ان الحالة قد تجاوزت حد الخطر .. وان الحصن فى ميسس الحاجة الى مساعدة عاجلة . وتوجه الملازم دافيد ابودرهم تحت ضوء القمر الساطع لتفقد الحالة ، وبدأ بالقلعة الاولى من الحصن المعروفة « بأوريكل ١ » ، فوجدها مهجورة ، وقد تجمع من بقى حيا من حاميتها داخل دشمة واحدة ، وهم فى حالة هستيريا .. وفى «أوريكل ٢» وجد جاد سمويخ قائد القلعة ميتا ، وكذا قائد «أوريكل ٣» الملازم أوز عزرا .. وقبل أن يتم المرور على كل أجزاء الحصن المنيح باغته المصريون باقتحام القلاع الثلاث وعملا بما تلقاه من تدريب ، قفر الى ذهنه ضرورة شن الهجوم المضاد ، ولكن الواقع أظهر له استحالة ذلك ، فقد كان جنوده يرقدون على الأرض ، وأجسامهم تنتفض من الخوف .

ولما بلغ اليأس بروبين منتهاه وهو جالس فى مخبئه وسط الطين اللزج ، قفل عائدا للخلف حيث كان الجنرال كالمان ماجن يتولى القيادة ، وما ان وقع بصره عليه حتى الحف فى طلب القوث ، ولكن ماجن اخبره أنه لا يمتلك شيئا يستطيع به فك الحصار عن الحصون . وخيم الصمت الثقيل على مركز القيادة الا من أصوات الانفجارات البعيدة . وعلم الحاضرون ان الكارثة قد حلت بخط بارليف .. ثم راحوا يستمعون الى بلاغات سقوط القلاع ... «مفريك» الواقعة جنوب القنطرة مباشرة ، ثم «ميلانو» شمالها ، التى قتل قائدها ومعظم جنوده ثم «لحسانيت» على الخط الرفيع فى منتصف المسافة بين القنطرة وبور فؤاد ...

وعندما اشارت العقارب الفوسفورية فى مركز قيادة ماجن الى الحادية عشرة من ليلة ٧/٦ أكتوبر وصل تصديق الجنرال البرت مندلر

على انسحاب أفراد الحصون شرقا أو استسلامهم ، وعلى الفور أرسل جابى قائد اللواء الشمالى الاذن بالانسحاب أو الاستسلام الى حصونه ، ثم تلاه امنون قائد اللواء الأوسط ، ثم دان قائد اللواء الجنوبى وتوالى وقوع الحصون تباعا ..

وهكذا دمرت قواتنا المسلحة فى أقل من ست ساعات خط بارليف الدفاعى وحطمت حصونه التى استمر العدو يتغنى بها كل السنوات الماضية ، وغسلت عار الهزيمة فى حرب الأيام الستة ، التى لم تكن القوات المسلحة سببها بل ضحيتها ، وحطمت أسطورة الجيش الاسرائيل الذى لا يقهر .. وأظهرت زيف نظرية الأمن الاسرائيلى .. وأعادت الأمور الى مجرياتها الصحيحة ، والمقاييس الى أحجامها الطبيعية فى منطقة الشرق الأوسط ..

لقد كان لعبور القادة مع القوات الى الضفة الشرقية أكبر الفضل فى تحقيق النجاح اذ عبر جميع قادة الكتائب المشاة القناة الى الضفة الشرقية بعد ١٥ دقيقة من بدء الاقتحام أى حوالى الساعة ١٤٣٥ ، كما عبر قادة الألوية ومعهم قادة المدفعية المناظرين لهم فى الساعة ١٥٠٥ ، أما قادة الفرق المشاة وقادة مدفعاتها فقد عبروا بعد مضى ساعة ونصف من بدء الاقتحام أى فى الساعة ١٥٥٠ ، وبذا اكتملت عناصر السيطرة على قتال ونيران الفرق المشاة والمدفعية التى تساندها ..

وفى الساعة ٢١١٥ كانت عناصر دفاعنا الجوى قد أسقطت للعدو ١٦ طائرة على جبهة مصر من اجمالى طلعات العدو فى اليوم الأول للمعركة والتى بلغت ٤٤٦ طلعة طائرة فضلا على ٢٦٢ طلعة طائرة دفعها العدو ليلا . وقصفت قاذفاتنا منطقة شرم الشيخ بالصواريخ فى الساعة ٢٢١٠ فأحدثت بها خسائر كبيرة وانقطع الاتصال بينها وبين وحداتها الفرعية .

كان أهم انجازات السادس من أكتوبر هو تحقيق المفاجأة بفضل السرية والاختفاء والتمويه والحداع ونتيجة نجاح دفاعنا الجوى طوال الأشهر السابقة للحرب فى طرد طائرات استطلاع العدو بعيدا عن مواقعنا .

كما كان من أهم هذه الانجازات أيضا نجاحنا فى انتزاع المبادأة من العدو بعد أن تركناها له ربع قرن ، عربد فيها بأرجاء المسرح واعتدى ، حتى ظن أنه الأوحى فى ساحة الوغى

وإذا اختلى الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزلا

وفى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل كانت آبار ومنشآت البترول فى أبى زينة وسدر وديران شعلة من النيران بفضل قوات الصاعقة المصرية ، التى قامت أيضا بمهاجمة مواقع العدو على طول

الساحل الشرقى لخليج السويس ، وأقامت الكمائن على الطرق ومنعت تحركات العدو ، وأنزلت به خسائر جسيمة .

وقبل أن يبرز فجر اليوم التالى كانت قواتنا قد عززت مواقعها شرقى القناة بأعداد كبيرة من المدرعات والمدفعية والأسلحة الثقيلة ، ونجحت قواتنا خلال السابغ من أكتوبر فى تعميق رهوس الكبارى حتى ٨ كيلو مترات شرقا فى المتوسط . كما قامت قوات الجيشين الثانى والثالث الميدانيين - بمعاونة القوات الجوية - بصد الهجمات المضادة لاحتياطيات العدو المحلية والقريبة والتكتيكية والتعبوية ، التى أطلقها العدو خلال ليلة ٧/٦ وطول نهار ٧ أكتوبر من اتجاهات عدة ، وبقوات مختلفة ، بلغ اجمالها ثلاثة ألوية مدرعة ، بالإضافة الى عناصر الألوية المشاة التى كانت تتمركز شرقى القناة مباشرة .

وفى الساعة ٨١٠ . من صباح السابغ من أكتوبر أبلغت قيادة قوات متلا أن الدبابات المصرية تحاصرها من كل جانب . ولذلك قصة يحسن روايتها . . اذ اندفعت أقسام صغيرة من المفزة البرمائية التى عبرت البحيرات المرة - اندفعت دباباتها لتبث الذعر فى مواقع العدو ولتخل سيطرة العدو على قواته . فانطلقت سرية ميكانيكية برمائية ومعها بعض الدبابات الفردية صوب مضيق ميتلا ، على حين اتجهت سرية أخرى صوب مضيق الجدى .

وتابعت السريتان تقدمهما . وقامت الأولى بمهاجمة قيادة القطاع الجنوبي المتمركزة عند مدخل مضيق ميتلا وذلك فى الساعة ٨١٠ من صباح السابغ من أكتوبر ، ثم واصلت هجومها ضد أهداف العدو الخلفية ، فباغتت موقعا للرادار فى منطقة ممر ميتلا وكبدت العدو خسائر لا يستهان بها قبل أن تعود لتنضم الى قواتنا الرئيسية فى رهوس الكبارى . .

أما السرية الأخرى فقد تابعت هجومها فى اتجاه مضيق الجدى ، وهاجمت بعض المواقع الصغيرة للعدو ، وتجنبت الدخول معه فى معارك طويلة ، اذ كانت تهدف الى الوصول الى مطار تمادا لتباغته . . ونجحت فعلا فى الوصول اليه فى الساعة ١٠١٠ من صباح الثامن من أكتوبر ، وهاجمته فأحدثت به خسائر جسيمة مما اضطر العدو الى توجيه طيرانه للبحث عن تلك القوة الصغيرة الجريئة التى اندفعت بعيدا فى أعماقه لأكثر من ٨٠ كيلومتر . .

الا أن هذه السرية تمكنت من الإفلات بعد تنفيذ مهمتها وعادب للانضمام الى قواتنا الرئيسية . . ولم تكتف بذلك بل قامت بمهاجمة موقع رادار للعدو أثناء عودتها . .

لقد كان لأعمال تلك القوات الصغيرة أكبر الأثر في إرباك سيطرة العدو وإخلال تحركاته .. بل انهيار قياداته في بعض الأوقات ، اذ تصور العدو أن الدبابات المصرية لن تتوقف قبل أن تصل إلى الحدود . رغم أن هذا لم يكن واردا في مهمتها ..

وحتى يتدارك ديان هذا الارتباك والانهيار ، طار إلى قيادة جبهة سيناء ، فوصلها حوالي الساعة ١١٤٠ وقبل أن يهبط من هليكوبتر نصحه جونين بالابتعاد لوجود قوات مصرية على التلال المحيطة بمركز القيادة واحتمال تعرضه للنيران .. ولكن ديان نزل وطلب تقريراً عن الموقف ..

وبعد أن استمع إلى وجهة نظر جونين بالانسحاب بكل قواته إلى الجبال ، مع ترك الحصون لمصيرها ، ثم استقل طائرته وقفل عائداً إلى العاصمة .

وفي الساعة ١٤٣٠ وصل ديان إلى الأركان العامة بتل أبيب حيث أعاد الاقتراح على اليعازر بالانسحاب قوات جونين إلى خط دفاعي عند الممرات لفشل القوات الإسرائيلية في التمسك بالدفاعات عند القنصة أو استعادتها من القوات المصرية .. وكان ديان شديد التشاؤم .. اذ راح يكرر : يجب الدفاع عن دولة إسرائيل ، ولن نتكمن من ذلك مالم نقصر خطوط المواصلات ونترك خليج السويس كله ، ولا مانع من أن نبقي قوة في شرم الشيخ .. ،

ثم اتجه ديان إلى مكتب جولدا مائير ، حيث أعاد عليها فكرته عن الانسحاب الكامل لتفصيل الخطوط وإنقاذ الدولة .. وتملك الخوف مائير فأسرعت تستدعي اليعازر الذي عارض فكرة ديان ، وأصر على استمرار التشبث بالخط الدفاعي الحالي الذي يقع بين الممرات والقناة ، حتى يبدأ منه جونين الهجوم المضاد صباح اليوم التالي .. وقبل أن ينصرف أكد مرة أخرى أن الانسحاب إلى الممرات سوف يكون باهظ الثمن جداً ، وطلب تصديق مائير على أن يتوجه إلى قيادة جونين ليدرس الأحداث عن كثب .

وفي الساعة ١٩٠٠ وصل اليعازر إلى مركز قيادة جبهة سيناء وبرفقته الجنرال اسحق رابين والتقى بجونين على الفور ، كما حضر المقابلة قادة الفرق الإسرائيلية الجنرالات مندر وأدن وماجن ، على حين تأخر شارون لعطل في هليكوبتر الذي كان يستقله ، فلم يصل إلا واليعازر يتأهب للعودة إلى تل أبيب .

وبعد أن استمع اليعازر إلى وجهات النظر المتعارضة أمر جونين بتنفيذ الهجوم المضاد صباح اليوم التالي ، وذلك بأن يندفع آدن بمجموعة عملياته ضد القوات المصرية في قطاع القنطرة ، على حين يتأهب شارون حول

الطاسة وممر الجدى لاستغلال نجاح آدن ، وللضغط على الجيش الثالث لتثبيته فيما بين البحيرات المرة حتى الشط ، أما مندler فكان عليه أن يصد المصريين فى نطاق عمله ، مع الاستعداد لمعاونة شارون فى الهجوم .

وحذر اليعازر قادة مجموعات العمليات الثلاثة من الاقتراب من السواثر الرملية حتى لا تقع قواتهم ضحية للنيران القاتلة للأسلحة المضادة للدبابات المصرية . . وطلب جونين التصديق له بالعبور الى الضفة الغربية اذا ما نجح الهجوم المضاد ، فوافق اليعازر بشرط أن يتم العبور على كبارى مصرية ، وألا يعبر أحد قبل الحصول على تصديقه الشخصى .

وبينما اليعازر يصعد السلم منصرفا قابله شارون قادما الى الاجتماع ، وأثار على التو مسألة الحصون التى لم ينجدها أحد ، وعرض خطة لانقاذ ما بقى منها ، ولكن جونين رفضها . . وعاد اليعازر الى الاركان العامة .

وفى الساعة ١٨٠٠ كان جونين قد أعاد تنظيم النطاقات بجبهة القناة ، استعدادا لشن الهجوم المضاد فى الصباح ، ورسم الحدود بين هجوم مجموعة ادن فى الشمال ، ومجموعة شارون فى الوسط ومجموعة مندler فى الجنوب .

واقترح شارون مرة أخرى الهجوم خلال الليل لانقاذ من بقى حيا فى الحصون ، ومرة أخرى رفض جونين هذا الرأى وسفقه .

وفى الساعة ٢٢٠٠ دفع جونين قوة مظلات الى سدر ليخلى مندler من مسئولية هذه المنطقة النائية حتى يتفرغ للهجوم المضاد فى النطاق المخصص له من جبهة القناة .

وطوال ليلة ٨/٧ أكتوبر ظلت قوات مجموعات العمليات الثلاث تنفذ الفتح التبعوى للاستعداد لشن الهجوم المضاد الذى تحدد له صباح ٨ أكتوبر . . وأصدر جونين الأمر الأخير الساعة ٤٣٠ .

وعلى امتداد اليوم السابع من أكتوبر حاولت طائرات العدو مهاجمة قواتنا على طول الجبهة مع التركيز على المعابر والكبارى فوق قناة السويس ، كما هاجم بعض المطارات على موجتين ، وكان الملاحظ أن الطيارين كانوا يبذلون قصارى جهدهم للابتعاد عن مدى صواريخ الدفاع الجوى المصرى بالإضافة الى استخدام الاعاقة الرادارية — ورغم ذلك فقد أسقطنا للعدو ١٨ طائرة من جملة طلعاته خلال يوم ٧ أكتوبر التى بلغت ٤٨٦ طلعة طائرة .

وقبل أن ينتصف ليل ٨/٧ أكتوبر كانت الفرقة ١٨ المشاة قد حررت مدينة القنطرة شرق ، وأتمت احتلال جميع قلاع العدو وحصونه فى نطاق هجومها ، وعددها سبع قلاع قوية .

الاثنين الاسود :

يتساءل الكولونيل عساف ياجورى (١) عن توافع هذا الهجوم المضاد الذى أمر به الجنرال جونين قائد جبهة سيناء يوم ٨ أكتوبر ، ذلك اليوم الذى دخل التاريخ تحت اسم « الاثنين الاسود » فى سجلات جيش الدفاع ، فيقول ..

« أريد أن أعرف لماذا تركوا صدورنا عارية فى هذا اليوم على جبهة الفردان : ان خيبة الأمل التى أحسست بها وقتئذٍ شعر بها أغلب الجنود ، فكل من عاش وسط أحداثه الكثيرة لن ينسى مرارته أبدا مهما حاول النسيان أو علم نكا الجراح التى لم تلتئم بعد ..

اننى لا أعرف حتى اليوم كم عدد خسائرنا الحقيقية ، وأثناء فترة أسرى كنت أعيش على أمل أن يكون معظم زملائى فى عمليات الاثنين الاسود قد وجدوا طريقهم الى النجاة بعد أن حطم المصريون هجومنا المضاد ، ولكننى عندما علمت من الأسر أذهلتنى حجم الخسائر التى وقعت فى صفوفنا ..

وزاد من حيرتى ما سمعته ممن نجا .. ورحت أكرر عليهم السؤال كيف تأتى لجيشنا الذى لا يقهر ، صاحب اليد العليا والتجربة العريضة ، أن يضع نفسه فى هذا الموقف المخجل ، أين ضاعت سرعة حركته وقأهيه ؟ ..

لقد أصبح الثامن من أكتوبر يوم الدم وخبية الأمل والألم العظيم انه أشد الأيام كآبة وأكثرها احباطا على الجبهة الجنوبية قاطبة .

« لقد كنت أربط مع قواتى فى الساعة ١٤٠٠ داخل المنطقة التى حددتها لى الجنرال آدن شرق الفردان ، ولم يكن التاريخ يعينى فى كثير أو قليل ، اذ كنت حتى تلك اللحظة قد خضت معركة متصلة بدأت ح وصول آدن الساعة ٨٠٠ . يوم الأحد ٧ أكتوبر واستلامه قيادة النطاق الشمالى من جبهة القناة .

« وكانت هذه المعركة المتصلة قد تركت بصماتها علينا جميعا ، اذ فقدنا خلالها أعز الزملاء الذين لم نجد الوقت الكافى للحزن عليهم ، أو الحصول على راحة ولو قصيرة .

« وبينما نحن على تلك الحال أتانا أمر الجنرال آدن بالاقتحام فى اتجاه الفردان ، تنفيذا لتوجيهات الجنرال جونين التى صدرت فى الساعة ٤٣٠ . بشن الهجوم المضاد العام فى جبهة سيناء .

(١) مقال للمعيد ياجورى فى ملحق جريدة مارياف الصادر فى ١٩٧٥/٢/٧ .

« وكان تحت قيادة آدن ثلاثة ألوية دبابات وقع عليها عبء تطهير النطاق الواقع بين طريق حيتام المرضى (الطريق العرضي رقم ٢) وضفة القناة ، في حركة مروحية من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي ، مع محاولة انقاذ من بقي حيا في الحصون التي انهارت ، وفتح الطريق لنقل الحرب الى أرض العدو غرب القناة ، بقوات الجنرالين اربيل شارون والبرت مندler .. »

النهار الطويل :

وانتشرت ألوية آدن على الطريق العرضي فيما بين بالوطة في الشمال والكاسية في الوسط ، وكان على هذه الألوية المدرعة الثلاثة أن تواصل الهجوم المضاد حتى حافة القناة ، فيما بين القنطرة والفردان ، وأن تحتل المعابر الثلاثة التي نجح المصريون في اقامتها شمال السلاح ، وعند الفردان ، وفي الاسماعيلية . وكان نصيبى منها كوبرى الفردان .

« وحوالى الساعة ١٤١٥ تخيل الجنرال جونين أن هجوم آدن سوف يسير طبقا للخطة الموضوعه فأمر شارون بالاستعداد للاندفاع غربا بين الطاسة وممر الجدى لاستغلال نجاح قوات آدن .. »

وفي الساعة ١٤٣٠ بدأت ألوية آدن تتحرك ، وعلى التو انقلبت الدنيا رأسا على عقب .. اذ كان المصريون في انتظارنا ، وبمجرد دخول دباباتنا في ممرهم المؤثر انطلقت نيرانهم بكثافة مذهلة وتصويب محكم ... فذاب هجومنا المضاد في لحظات .

لم تكن المهمة تتناسب مع الموقف الفعلي في الميدان ، وقد عرضت وجهة نظري على الجنرال آدن ، ولكنه رفضها وكرر أمره القاطع بشن الهجوم المضاد الذى أطلق عليه الاسم الرمزي « شاحف » .

« ووقعت على قواتي مهمة الاستيلاء على كوبرى الفردان الذى أطلقنا عليه اسم حزاويون احياء لاسم الحصن المجاور الذى فقدناه .. »

ووعدني آدن بمعاونة المدفعية الثقيلة والطائرات ، ولكن الذى حدث هو نفس ما جاء بلجنة اجرائات .. اذ ظل أحد الألوية الثلاثة قابعا في مكانه الأصلي دون حراك ، تحت زعم أن الأمر بالهجوم لم يصله بعد ، على حين شغل اللواء الثانى نفسه بأعمال ثانوية في ذات المكان الذى كان يربط فيه ومن أجل الحقيقة فقد أصدرت الأمر الى قواتي بالهجوم طبقا للخطة ، على حين كان قلبي مثقلا بالهموم اذ تراءى لى مما استخلصته من معلومات قليلة ، ومما وقعت عليه عيناي ، أن الأمور لا تسير كما يرام ..

كان علينا أن نطهر الأرض التي تفصل بيننا وبين مياه القناة ، وأن نحمل الكوبرى ثم نعبه .. وبمجرد أن اقتربت دباباتي وقعت تحت نيران الفرقة الثانية المشاة التي كانت ترابط فى مواقع جيدة على الضفة الشرقية فى انتظار هجومنا المضاد ..

« ولم ينبج من دباباتي الا أربعة ، هى وحدها التى أفلتت من هذا الجحيم .. »

وعندما علم جونين بما وقع لقوات آدن ، حث شارون على سرعة العمل لتخفيف الضغط الواقع عليه ، ولكن شارون تلكأ ، ثم رفض الانصياع .. أن العلاقات بينهما سيئة من قديم ، وشارون لا ينسى ان جونين كان مرءوسه حتى وقت قريب ، عندما كان يعمل قائد مجموعة عمليات تحت قيادته فى الجبهة .. وفجأة تغير الحال وأصبح جونين هو القائد الأعلى .. ولا يستطيع أحد أن يكبح جماح شارون أو يمنع تعديه الدائم على رؤسائه بلسانه السليط وجنوحه الفطرى الى عدم الانضباط. العسكري ..

ومع تفاقم الأمور وصل ديان وأليعازر الى مركز قيادة جونين ليضعوا الأمور فى نصابها ، واجتمعا بقيادة مجموعات العمليات الثلاثة ، وبدأ آدن بالشكوى من جسامة خسائره فى الدبابات ، ولم يفته أن يلزم شارون لتقاعسه عن الهجوم ، ثم أكد عدم قدرته على تحمل معركة أخرى مثل هذه ..

وأعقبه شارون فاقتصر لنفسه من الجميع ، ولم يسلم من لسانه أحد .. فأدن قد فشل فى تنفيذ واجبه ، وجونين لا يدرك حقيقة الموقف فى الخطوط الامامية لأنه يحرص على البقاء بعيدا عن الخطر ..

وتحول النقاش الى مهاترة ، وحاول جونين تهدئة الجو فاقترح تجنيب القوات ويلات معارك الابداء ، والالتزام فى المستقبل بسياسة المحافظة على أرواح الجنود ..

وعندما انفض الجمع ، خرج ديان يجرد رجليه وكان العمر قد تقدم به عشر سنوات ..

ويختتم ياجورى ذكريات هذا اليوم الأسود فيقول .. « وبمجرد عودتى من الأمر شعرت أنهم يهددوني ، فقد حدث شيء لم يسبق له مثيل ، وانكشفت ثغرات واسعة فى قاعدة حياتنا ، وبذل المستولون غاية جهدهم لاختفائها بدلا من الاهتمام بعلاج أسبابها .. »

« وكان هناك من يشعرون بالأمل ، فبعد كل ما حدث سوف تظهر الحقائق ويرأب الصدع ، وقد كنت من هؤلاء الى وقت قريب ، ولكننى اليوم أتنمى الى من خابت آمالهم .. »

الرجل الذى تحطم

وتقول جريدة هاعولام هازيه الاسرائيلية فى عرض أحداث هذا اليوم الحافل ٠٠ « أن الجنرال موسى ديان قد انهار فى اليوم الثالث من الحرب ، عندما حطمت القوات المصرية جميع هجماته المصادة فى سيناء ، ووصلت القوات السورية الى مسافة خمس دقائق من وادى الأردن ، وأوقعت خسائر جسيمة فى دباباته وطائراته » ان هذه الأحداث حولت ديان الى رجل محطم ٠٠ » .

وقبيل الخامسة عصرا دخل بارليف على مائير فوجدها تجلس منكسة الرأس وقد تملكها اليأس فظهر فى تجاعيد وجهها المتغضن ٠ وعندما وقع بصرها عليه راحت تحكى له كيف اعترف لها ديان بخطئه بعد عودته من جولة تفتيشية على الجبهات ٠٠٠ « جولدا ، لقد أخطأت فى كل شيء ٠٠٠ اننى أنتظر كارثة ، وسوف تضطر الى الانسحاب من الجولان حتى الحافة ومن سيناء حتى المضائق حيث سنحارب حتى آخر طلقة » (١) ٠

وعلى الجانب الآخر ، استمر عبور الدبابات والأسلحة الثقيلة فى نطاق الجيش الثالث رغم تركيز العدو نيرانه لتدمير المعابر ٠٠

كما استمرت المعدات والاحتياطيات تتدفق على المعابر فى نطاق الجيش الثانى أيضا ٠

ونجح الجيشان فى صد كافة هجمات العدو المضادة بعد تكبيدها خسائر فادحة جدا على النحو الذى وصفه ياجورى آنقا ، وبنهاية اليوم كانت الفرق الخمس قد آتت انشاء رهوس الكبارى بعق من ٨ - ١٠ كيلومترات ٠٠ حيث وقفت هناك فى شموخ ٠

أما فى السماء فقد حاولت طائرات اسرائيل مهاجمة أجهزة الرادار لفتح ثغرة فى الحقل الرادارى ، كما ركزت الهجوم على بورسعيد ففصلتها ثلاث مرات فيما بين الظهر والمساء ، وقد بلغ عدد الطلعات المعادية خلال هذا اليوم ٣١٩ طلعة طائرة خص منها بورسعيد وحدها نحو تسعين طلعة وقد أسقط منها دفاعنا الجوى ١٥ طائرة ٠

تحقيق المهمة المباشرة

وخلال التاسع من أكتوبر أتمت القوات المسلحة تحقيق المهمة المباشرة (الاولى) بنجاح ، حيث قامت تشكيلات نسق أول الجيشين

(١) حاييم هرتزوج فى كتابه (حرب يوم الغفران)

(الفرق المشاة الخمس) بتوسيع وتعزيز رؤوس الكبارى المحددة لها .
كما نجحت في صد وتدمير هجمات العدو المضادة المركزة ، التي بلغ
اجمالي القوات التي اشتركت فيها ثلاثة ألوية مدرعة وثلاث كتائب
دبابات ، بالإضافة الى القوات المرتدة من الهجمات السابقة ، وأوقعت
قواتنا بالعدو خسائر فادحة .

واستمرت القوات في تطهير واتمام الاستيلاء على بعض النقاط
القوية والقلاع ، التي أبليت بعض المقاومات الفردية .

وقامت قوات الفرقة ١٨ المشاة بقيادة العميد أركان الحرب فؤاد
عزيز غالي باتمام القضاء على بقايا العدو في مدينة القنطرة شرق — ثاني
مدن سيناء — وأعلنت تحرير المدينة ، ورفعت أعلام مصر عليها .

ونجحت قوات الفرقة ٢ المشاة بقيادة العميد أركان الحرب حسن
أبو سعده ، وبالتعاون مع قوات الفرقة ١٨ المشاة ، والاحتياطي المضاد
للدبابات للجيش الثاني ؛ الذي دفعه العميد أركان الحرب محمد عبد الحليم
أبو غزالة قائد مدفعية الجيش الثاني في هذا الاتجاه — بناء
على أوامر اللواء محمد سعد الدين مأمون قائد الجيش الثاني — نجحت
تلك القوات في صد ضربة مضادة قوية للعدو شنها بلواءين مدرعين وكتيبة
دبابات ، ودمرت قواتنا جزءا كبيرا من هذه القوات المعادية ، وأسرت أعدادا
أخرى منها .

وعند الظهر استعرض الجنرال اليعازر الموقف على جبهتي القتال
وقرر تركيز الهجوم على الجبهة السورية ، مع استمرار دفع المفارز المدرعة
للاشتباك مع رؤوس الكبارى على جبهة القناة .

وقامت قوات الجيش الثالث بصد هجمات العدو المضادة والتي شنها
بقوة لواء مدرع وكتيبتى دبابات ، بالإضافة الى العناصر المرتدة من
الهجمات السابقة ، وتكبد العدو خسائر فادحة ، مما أدى الى فشل كل
هجماته المضادة .

ودفع الجيش الثالث مفرزة قوية في اتجاه الجنوب ، استولت على
نقطة العدو القوية الموجودة في منطقة عيون موسى ، وعلى بطاريتى مدافع
١٥٥ مم سليمتين ، حيث لم يتمكن العدو من نسف المدافع لشدة وطأة
الهجوم المصرى .

وجدير بالذكر ان هذه المدافع قد ثبتها العدو في قواعد خرسانية
داخل دشم قوية التحصين ، وطالما استخدمها خلال حرب الاستنزاف
ضد الاهداف المدنية في مدينة السويس ، وخاصة ضد مستودعات
البترول جنوبها — كما أن الجدير بالذكر أيضا أن القوات المصرية بعد
أن استولت على هذه المدافع قامت بنسفها لتعذر سحبها من مواقعها ،
ولعدم إمكان استخدامها الا في اتجاه مدينة السويس .

وفى المساء التقى الجنرال ديان بمندوبى الصحافة ووكالات الأنباء وأكد لهم أن الاهتمام الأشد قد تحول فى المرحلة الراهنة نحو الجبهة السورية ، وأن الغارات الجوية سوف تقصف الأهداف الاستراتيجية والاقتصادية فيها ، وأنه لم يعد فى قدرة إسرائيل مواصلة القتال على جبهتين فى وقت واحد ، لأن مئات الدبابات قد أصيبت ، كما فقدت إسرائيل خمسين طائرة • وفى نهاية اللقاء أعلن ديان أنه سوف يذيع من التلفزيون على الجمهور نبأ سقوط خط بارليف ، ويحيطهم بالموقف الخطير •• وحذره أحد الصحفيين من أن كشف هذه الحقائق للجمهور سوف يحدث زلزالا •••

وعندما علمت مائير بالأمر منعت ديان من التوجه الى التلفزيون ، وأرسلت ياريف بدلا منه فقام بعرض صورة مخففة للحفاظ على المعنويات •

ولم تهتم وكالات الأنباء بما يذيعه ياريف من تلفزيون إسرائيل ، فقد كانت مشدوهة مما حدث على جبهتى المسرح ، فهذه الجيوش العربية التى طالما استهانت بها فى الماضى قد حققت نصرا لم يظفر بمثله أحد ••• وقد تأكد الجميع ان العرب يقاتلون بقواهم الذاتية ، فليس هناك من يساندهم علنا أو خفية ، وان الكفاءة والشجاعة والبأس انما هى عربية خالصة العروبة •

ومضت الفرق الخمس تعزز الأرض المكتسبة ، وتقتلع منها العدو •

وبنهاية التاسع من أكتوبر تم توحيد رعوس كبرى الفرق لتشكل كل فرقتين رأس كوبرى واحد على مستوى الجيش بعمق ١٠ — ١٢ كيلو مترا كالاتى :

✽ **رأس كوبرى الجيش الثالث** •• من الفرقة ١٩ المشاة بقيادة العميد أركان الحرب يوسف عقيقى ، والفرقة ٧ المشاة بقيادة العميد أركان الحرب أحمد بدوى •

✽ **رأس كوبرى الجيش الثانى** •• من الفرقة ١٦ المشاة بقيادة العميد أركان الحرب عبد رب النبى حافظ ، والفرقة ٢ المشاة • أما الفرقة ١٨ المشاة فقد قامت بتعزيز الخط المحد لها على الاتجاه الشمالى المستقل أمام مدينة القنطرة •

كما قامت الفرق المشاة الخمس بدفع مفارز متقدمة (مجموعات أمامية) مدعمة ، للسيطرة على طرق الاقتراب الى رعوس الكبارى ، وكانت أكثرها نجاحا تلك المفزة المتقدمة التى دفعت من فرقة العميد أركان الحرب فؤاد عزيز غالى ، والتى استولت على بعض معسكرات العدو سليمة (دبابات سنتوريون و م ٦٠) ، بعد أن فر العدو وتركها وراءه •

وقد بلغ اجمالي طلعات العدو يوم ٩ أكتوبر ٤٠٥ طلعات طائرة وجهها أساسا ضد الجيشين الميدانيين وقطاع بور سعيد وبعض المطارات الامامية فضلا على أعمال الاستطلاع الجوي على طول مواجهة القناة .
وقد دمرت قوات دفاعنا الجوي منها ١٥ طائرة .

* * *

وبهذا يمكن القول بأن الانساق الأولى للجيشين الثاني والثالث الميدانيين قد أتمت تحقيق المهمة المرسومة لها في التوقيت المحدد ، وذلك رغم لصعاب والعراقيل التي واجهتها .

لقد كان اقتحام قناة السويس واختراق خط بارليف والاستيلاء على رؤوس الكبارى والتمسك بها مثالا باهرا لمعركة الاسلحة المشتركة الحديثة ، حيث قام كل سلاح بأداء دوره المحدد طبقا لخطة منسقة تضمن توجيه الجهود لتحقيق النصر المنشود .

وعلى هذا الدرب قامت مختلف الأسلحة المقاتلة والقوات المتخصصة بأعمال مشكورة سوف تظل تدرس لأعوام طويلة في مختلف المعاهد والمدارس العسكرية العالمية . . . ولا يمكن هنا — في هذا الكتاب المختصر — أن نوفيها جميعا حقها من الشرح ؛ فذلك يتطلب مجلدات ومجلدات . . . ولكن نكتفي بالقاء بعض الضوء على ما قامت به بعض عناصرها في اقتحام وتأمين قناة السويس ، واختراق خط بارليف ، والاستيلاء على مواقعه الحصينة وتدميرها .

● عن المدفعية المصرية :

أتمت المدفعية المصرية الاستعداد لاطلاق النيران طبقا للخطة في الصباح الباكر ليوم ٦ أكتوبر ، بعد أن دخلت آخر عناصر الصواريخ التكتيكية أرض / أرض الى مواقعها ، وتاهبت الصواريخ التعبوية لتوجيه ضرباتها الموجعة الى العدو .

وقدم مدير المدفعية اللواء محمد سعيد الماحي تمام استعداد المدفعية والصواريخ أرض/أرض الى القائد العام في مركز القيادة الرئيسي . . .

وأصدر القائد العام الاسم الرمزي لبداية التمهيد النيرانى . . فأمر مدير المدفعية بالضرب على جميع وسائل المواصلات التليفونية والاسلكية وكرر كل قادة المدفعية على مختلف المستويات الأمر فى التو واللحظة حتى

وصل خلال ثوان معدودة الى كافة مواقع المدفعية على طول مواجهة قناة السويس ... واشتعلت بذلك حرب رمضان ببدء تنفيذ التمهيد النيرانى للمدفعية والصواريخ فى لحظة واحدة على الجبهة الجنوبية فى مصر ، وعلى الجبهة الشمالية فى سوريا ، وذلك فى الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر .

وكسر الصمت الرهيب .. وتوالت البلاغات عن بدء التمهيد النيرانى وتأثير النيران على العدو .. وتحول الشاطئ الشرقى للقناة الى جحيم مشتعل ، وفوجئ العدو تماما بأقوى تمهيد نيرانى تم تنفيذه فى الشرق الأوسط طوال تاريخه .. حتى أنه لم يتمكن من سحب مراقبيه من فوق الابراج العالية الموجودة بالنقط القوية والحصون .

وسقطت على مواقع العدو وقلاع بالصفة الشرقية للقناة فى الدقيقة الأولى من التمهيد النيرانى ١٠٥٠٠ دانة مدفعية ، بمعدل ١٧٥ دانة فى كل ثانية ..

وتوالت البلاغات عن مدى تأثير النيران ، والخسائر التى أحدثتها بالعدو ، وعن نجاح المدفعية فى فتح جميع الثغرات المخططة فى موانع الأسلاك الشائكة والألغام ، على الميل الأمامى للساتر الترابى ، وحصول النقط القوية والحصون والقلاع المعادية ..

وفى ساعة الصفر تماما (الساعة ١٤٢٠) بدأت الموجة الأولى لقواتنا فى عبور القناة ، ومعها أسلحتها الخفيفة .. ورافق المشاة فى اقتحامها ضباط ملاحظة المدفعية ووحدات الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات .. وفى نفس اللحظة كانت صواريخنا التكتيكية تشق عنان السماء بأمر مركزى من مديرى المدفعية لتصيب أهدافها فى عمق سيناء وتحيلها الى دمار .. وكانت تلك أول ضربة بالصواريخ التكتيكية فى تاريخ الشرق الأوسط .

ونجحت الموجة الأولى فى اقتحام القناة والاستيلاء على الساتر الترابى شرقها ، ورفعت الأعلام المصرية عالية خفاقة . واستمرت المدفعية تدك تحصينات خط بارليف ، وتضرب احتياطات العدو القريبة ، وتسكت مدفعيته تماما ..

لقد نفذ التمهيد النيرانى كما خطط له بالضبط .. وكانت نتائجه أكثر مما كنا نأمل ، اذ أوقع بالعدو خسائر جسيمة فى الأرواح والمعدات ، ودمر جميع تحصيناته الميدانية ، وهدم قلاعه وحصونه القوية بخط بارليف ، وخاصة مداخلها ومخارجها ، واستحالت بذلك النقط القوية الى مقابر لمن فيها ... ونجحت المدفعية فى اسكات مدفعية العدو وشل حركة جميع احتياطياته القريبة ، الى درجة أنه لم يتمكن احتياطي واحد منها أن يتم التحرك لمنع عبور قواتنا ، كما لم تتمكن دبابة معادية واحدة

من صعود الساتر الترابي واحتلال المصاطب المجهزة به لتوقف عبور قواتنا . وبالمثل لم يتمكن مدفع واحد من الضرب على قواتنا الا بعد فوات ساعة من بدء العبور .

وتابعت المدفعية اطلاق نيرانها الكثيفة القوية على النقط الحصينة والقلاع المعادية حتى وصلت القوات المخصصة لاقتحامها الى مسافة حوالي ٢٠٠ متر منها ، حيث قامت قوتا المشاة والصاعقة باقتحامها وتدميرها أو حصارها .

واستمرت نيران المدفعية تزحف امام القوات الاخرى التي تابعت توسيع رؤوس الكباري ، وذلك بفضل ضباط ملاحظة المدفعية الذين عبروا مع الموجات الأولى لقواتنا ، وكذا جماعات ملاحظة المدفعية التي كانت تعمل خلف خطوط العدو ، والتي انشرت مع بداية المعركة على طول مواجهة وعمق العدو ، لادارة نيران المدفعية على أبعد مدى ممكن . وبذلك أمكن لنيران المدفعية أن تصل الى العدو في أعماقه ، بعد أن كان يظن أنه في مأمن منها لبعده المسافة .

أما عن مراكز قيادة العدو في سيناء فقد كان حسابها مع الصواريخ التكتيكية ، اذ وجهت في لحظة واحدة ضربات صاروخية ضد جميع مراكز القيادة والسيطرة الرئيسية للعدو على المحور الشمالي والمحور الأوسط والمحور الجنوبي ، وكذا ضد مركز الاعاقة والشوشرة الرئيسي الموجود فوق جبل أم خشيب . . . وأدت تلك الضربات الى ارباك سيطرة العدو ، مما أجبر قيادة العدو على نقل السيطرة بعيدا الى العمق في العريش . .

وهكذا انتهت المرحلة الأولى من أعمال المدفعية ، لتبدأ قوات المهندسين في فتح الثغرات في الساتر الترابي على الضفة الشرقية . . وتوالى البلاغات عن تقدم بعض احتياطات العدو المدرعة من العمق القريب والبعيد . . ونجحت بعض أعداد فردية من دبابات العدو في احتلال السواتر الترابية الموجودة في العمق خلف خط بارليف ، توطئة لايقاف تقدم قواتنا المترجلة . . حيث لم تكن المعديات أو الكباري قد بدأت العمل بعد ، وبالتالي لم تكن الدبابات أو الاسلحة الثقيلة قد عبرت الى الضفة الشرقية .

كان على المشاة أن تقاتل الدبابات المعادية بمفردها لبضع ساعات حتى تصل اليها دباباتنا وأسلحتنا الثقيلة . . وهنا حل دور رجال المدفعية المضادة للدبابات الذين عبروا مع المشاة في اللحظات الأولى لاقتحام القناة .

وكانت الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات احدى المفاجآت الكبرى التي أعدتها المدفعية لتحطم مدرعات العدو . . ولم تكن تلك الصواريخ

هى المفاجأة الوحيدة بل كان الرجال خلفها بمهارتهم وتدريبهم العالى وروحهم المعنوية وتصميمهم وثباتهم أكثر من مفاجأة ..

واستعدت أطقم الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات لاصطياد دبابات العدو ... وبدأ ضباط ملاحظة المدفعية فى تركيز وحشد نيران المدفعية على السواتر التى احتلتها دبابات العدو ... مما أجبرها على الخروج هربا من هذه النيران لتتلقفها الصواريخ المضادة للدبابات وتحيلها من دبابة هى أحدث ما أخرجته ترسانة الولايات المتحدة الى كومة من الحديد المحترق . أما تلك الدبابات التى نجت من هذا المصير فقد تركتها أطقمها سليمة وفرت بعيدا الى الخلف ..

وحاولت بعض دبابات العدو القيام بالهجمات المضادة المحلية فى الساعات الأولى لعبور قواتنا ، ولم يكن مصيرها بأفضل من سابقتها .. وحتى آخر ضوء يوم السادس من أكتوبر تم تدمير كل دبابات العدو التى كانت متمركزة بالقرب من القناة أو فى العمق القريب .. ولم يكن العدو قد قام بهجوم مضاد رئيسى منسق حتى ذلك الوقت ..

ويقول رجال المدرعات الاسرائيلية انه تبين لهم أنه فى الوقت نفسه الذى تنهمر فيه نيران كثيفة من المدفعية المصرية على حصون خلايا بارليف كان المصريون يعبرون القناة ويدفعون بقوات محمولة بطائرات الهليكوبتر نحو قلب سيناء . وعندئذ اندفعت الدبابات الاسرائيلية لتدعيم الخطوط الامامية الا أن المفاجأة كانت تنتظرها هناك .. وصدر الأمر لها ألا تقترب من خط القناة فلم يفهم قادة هذه الدبابات ما المقصود ولا شعروا بما أصابهم رغم أن الأمر كان شديد الوضوح .. فعلى بعد مئات من الأمتار شرق الساتر الترابى كان عدد كبير من دبابات اسرائيل يرقد معطوبا أو مشتعلا .. لقد وقع ضحية لمئات الصواريخ المضادة للدبابات من طراز ساجر التى أطلق بعضها أيضا من قواعد على الضفة الغربية ..

ولم تمر لحظات قليلة حتى هوجمت دبابات اسرائيل من جديد بنفس هذه الصواريخ ولكنها أطلقت سرسنة المرة من الضفة الشرقية ، ولسوف تظل أطقم دبابات اسرائيل تذكر ذلك الاستقبال الحافل لزمن طويل .

ونشطت بطاريات العدو بعد انتقالها الى العمق ، الا أن المدفعية المصرية أسكتتها على الفور اسكاتا مؤثرا ، اذ كانت تملك السيطرة النيرانية على أرض المعركة بل السيادة النيرانية فى معظم الأوقات ، وكان هذا أحد العوامل الرئيسية فى نجاح أضخم اقتحام لمانع مائى فى العصر الحديث .

ثم استمرت السيطرة النيرانية بعد ذلك ، بل السيادة الكاملة فى فترات كثيرة سواء بالنيران غير المباشرة أو المباشرة بواسطة القى مدفع

وهاون وصاروخ موجه مضاد للدبابات وصاروخ أرض / أرض خلال التمهيد النيرانى للاقتحام ، ثم يضعف هذا العدد طوال الحرب .

وقال الأسير العقيد عساف ياجورى . . لقد كنت أشعر طوال اقترابى من القناة وكأننى أتحرك وفوق كتفى حمل ثقيل هو نيران المدفعية المصرية .

وخلال ٧/٦ أكتوبر تم عبور جميع كتائب الصواريخ المضادة للدبابات المركبة على عربات مدرعة ، وذلك فى القطاع الشمالى من القناة . . أما فى القطاع الجنوبى فقد تأخر تركيب الكبارى والمعديات ١٨ ساعة نتيجة عوامل عدة ، أهمها سرعة التيار فى القناة ، والفارق الكبير فى ارتفاع سطح المياه بفعل المد والجزر . . وكذا اختلاف طبيعة الساتر الترابى المتكون من تربة طفلية تحولت بفعل مضخات المياه الى طين سائل لزج ، أعاق تحرك المعدات لفترة طويلة . . الامر الذى دعا الى سرعة دعم الجيش الثالث بعناصر من الصواريخ المضادة للدبابات من احتياطى القيادة العامة لتعويضه ولو جزئيا عن تأخر عبور أسلحته الثقيلة .

وعلى طول المواجهة تم عبور جميع مراكز ملاحظة المدفعية مع قادة المشاة المناظرين ، بما فى ذلك مراكز ملاحظة قادة مدفعية الألوية والفرق والجيوش . . وتم انتقال جميع كتائب المدفعية الى غرب القناة مباشرة . . . واحتلت بعض الدبابات والأسلحة الثقيلة المضادة للدبابات السواتر العالية على الضفة الغربية لقناة السويس ، فى الأماكن المشرفة على الضفة الشرقية ، للمعاونة فى صد هجمات العدو المضادة .

وطوال ليلة ٧/٦ وعلى امتداد السابع من أكتوبر قام العدو بأكثر من ١٠ هجمات مضادة قوية على جميع رؤوس الكبارى ، سواء ضد الجيش الثانى أو الجيش الثالث ، وأمكن لقواتنا صدّها جميعا ، وكبدت العدو خسائر كبيرة فى دباباته وأفراده . وكانت المدفعية تبدأ فى التعامل مع الألوية المدرعة المعادية بمجرد دخولها فى مرمى أسلحتها ، وحشدت نيرانها على أرتال دبابات العدو فأربكت تشكيلاتها وأنزلت بها خسائر كبيرة . .

وحاول العدو اتباع تكتيك جديد ، فراح يندفع بمدفعاته ومجنزراته بأقصى سرعة ليتوغل داخل أوضاع قواتنا فيقلل من وقت تعرضه لنيران مدفيعتنا ، الا أن مشاتنا تلقفتها بنيران مدافعها الخفيفة المضادة للدبابات والقواذف اليدوية والقنابل اليدوية فأحالتها هشيما تذروه الرياح . .

ولم يكن حظ الهجمات المضادة التى شنّها العدو ليلا على رؤوس كبارى الجيش الثالث بأسعد حالا من هجماته على الجيش الثانى ، بالرغم من تأخر تركيب معديات وكبارى الجيش الثالث كما سبق ذكره ، وتأخر

عبور دباباته وأسلحته الثقيلة المضادة للدبابات حتى أول صوء يوم ٧ أكتوبر .

ولكن العدو خسر أعدادا كبيرة من الدبابات والعربات المجنزرة أمام مواجهة الجيش وعلى اجتنبه بفضل الصواريخ المضادة للدبابات ، ورجال المشاة المسلحين بالقواذف الخفيفة المضادة للدبابات ، وبفضل القنابل اليدوية المضادة للدبابات . وكانت أروع وقفات الجنود المشاة فى مواجهة أحدث ما أخرجته ترسانة الحرب من معدات مدرعة .. كانت الغلبة للرجل ضد الدبابة .

ولم يحرز العدو أى نجاح على طول المواجهة من القنطرة شمالا الى جنوب السويس جنوبا ، ومنى بخسائر ضخمة فى دباباته لم يكن يتوقعها .. وقامت قواتنا بتوسيع رؤوس الكبارى ، وسقط خط بارليف الأسطورى بمعظم نقطه القوية وقلاعه وحصونه .

وخلال يومى ٨ ، ٩ أكتوبر كرر العدو هجماته المضادة ضد رؤوس كبرى الفرق ، ولكنها فشلت جميعا . ووجهت المدفعية عدة ضربات صاروخية ضد مراكز قيادة وسيطرة العدو ، وضد مطار المليز الذى أصيب بخسائر كبيرة ..

لقد كان لحسن تخطيط وإدارة أعمال المدفعية فضل كبير فى إسكات بطاريات العدو ، الأمر الذى حرره من استخدام مدفعيته بحشد أو تأثير .. واستولت قواتنا على عدة مدافع للعدو ، بل بطاريات كاملة تركها جنوده وفروا هارين .. واستخدمتها قواتنا ضده فى التو واللحظة .

وبذلك أصبحت مدفعية العدو لا تشكل خطورة كبيرة على قواتنا ، ولحققت مدفعيته بمصير دباباته . وكانت تلك بعض أعمال المدفعية المجيدة فى الأيام الأولى لاقتحام القناة .

✽ وقبل حرب رمضان ، كانت المراجع العلمية تشير الى ان المدفعية هى المصدر الرئيسى لقوة النيران ، الا أن الدروس التى أبرزتها هذه الحرب تدفعنا الى إعادة تقييم هذه الحقيقة بنظرة أكثر عمقا وشمولا .

» لقد كان للمدفعية المصرية السيطرة النيرانية على أرض المعركة ، بل السيادة النيرانية فى معظم الأوقات ، ..

كما فرضت المدفعية المصرية هذه السيطرة النيرانية من أول لحظات المعركة . ويرجع الفضل فى ذلك الى الآتى :

١ - المفاجأة التى حققها الخداع ، حتى باغتت نيران مدفيعتنا مراقبى العدو وهم مازالوا فوق أبراجهم العالية .

٢ - التفوق الساحق الذي اعتمد على السكم والكيف وضاعف مفعوله المفاجأة بالإضافة الى ما ظهر من نقص في مدفعية العدو .

٣ - المستوى العالي لكفاءة الوحدات والأفراد ، سواء أفراد مدفعية الميدان أو المضادة للدبابات وخاصة عمال توجيه الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ..

٤ - التنسيق الجيد مع القوات الجوية ، ونجاح الضربة الجوية المركزة قبل انطلاق الهجوم في العمق ، في افقاد العدو السيطرة على قواته وإعاقة أجهزته اللاسلكية والالكترونية ، وتدمير بطارياته البعيدة المدى ، التي كانت تقع خارج مدى المدفعية ..

٥ - نجاح حائط الصواريخ الموجهة للدفاع الجوي ، في حرمان العدو من استخدام قواته الجوية فوق أرض المعركة ..

بفضل ذلك كله تحققت السيادة النيرانية الكاملة خلال التمهيد النيرانى ، ولفترة طويلة بعده ، تم أثناءها شل جميع النقاط القوية ، والاحتياطيات القريبة ، والبطاريات المعادية فضلا على مراكز القيادة والسيطرة الواتعة في العمق .

وبرغم أن ما حدث لا يعدو المهمة التقليدية للمدفعية .. الا أن الجديد فيها كان حجم التأثير ، ومدى الاعتماد عليه في عملية اقتحام المانع المائى وقلاع الحصينة .. ومدى خطورة فتح العدو لأى نيران جانبية ، أو وصول دباباته ، ولو فردية ، الى حافة الماء لتدمر أو تعرقل قواتنا القائمة بالعبور ..

وحقق التمهيد النيرانى ماعقدناه عليه من آمال ، اذ شل حصون العدو ومنعها ان تطلق على قواتنا ولو طلقة واحدة طيلة فترة هذا التمهيد ، كما حرم بطارياته من أن تفتح نيرانها ، فلم تعمل أول بطارية الا بعد انتهاء التمهيد بحوالى ٢٠ دقيقة .. وبالمثل لم يستطع أن يتحرك نحو القناة أى احتياطى قريب للعدو ..

لقد كانت هذه السيادة النيرانية بحق أحد العوامل الرئيسية لنجاح اقتحام القناة ..

ثم استمرت السيطرة النيرانية بعدها ، بل السيادة الكاملة في فترات كثيرة ، سواء بالنيران غير المباشرة أو النيران المباشرة .. استمرت بجحيم من النيران ، يصبه أكثر من ٢٠٠٠ مدفع وهاون وصاروخ أرض - أرض على العدو خلال التمهيد النيرانى ، وبأكثر من ضعف هذا العدد حتى نهاية المعركة ..

حشود من النيران ندر أن تحققت في أى وقت مضى .. استطاعت أن تحبط وتوقف بعضا من الهجمات المضادة .. وأن تسلم البعض الآخر

- وهي في حالة غير متزنة من السيطرة والروح المعنوية - الى النيران المضادة للدبابات ، ثم الى قواتنا المقتحمة لتبيدها ..

وبجانب النيران غير المباشرة قامت النيران المباشرة بتحقيق السيطرة والسيادة النيرانية .. ونقصد بها نيران المدافع والصواريخ المضادة للدبابات ، ونيران الدبابات والمدافع عديمة الارتداد والقوافذ الصاروخية للمشاة ، بل نيران كل الأسلحة الصغيرة أيضا .. اذ تضافرت جميعا وأسهمت في فرض السيطرة النيرانية على أرض المعركة .. ثم امتد مجال عملها الى أخطر المناطق حيث أعطت هذه السيطرة ثمرتها المرجوة .. فأوقعت التدمير النهائي بالعدو ..

وكان الاسلوب الذي استخدم به صواريخنا الموجهة المضادة للدبابات أروع ما أضافته المدفعية الى خبرة الحروب .. فقد كانت هذه أول حرب تدار على الأسس العلمية الحديثة ، وتستخدم فيها الصواريخ بهذا المستوى ، سواء من ناحية الكم أو الكيف اذ تضافر كثرة عددها مع مهارة عمال توجيهها على انزال خسائر فادحة بمدفعات العدو اهتزت لفداحتها قيادته ، وادهشت الاوساط العسكرية في العالم أجمع .. واعتبر نسبة ما دمرته هذه الصواريخ الى نسبة ما دمرته باقي الأسلحة الأخرى خطيرة حقا .

* وهكذا استبان للعالم ان الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ، قد قلبت ميزان الصراع بين الدبابه والأسلحة المضادة لها .. وأن الدبابات ، وان كانت ستبقى القوة الهجومية الرئيسية في معارك البر ، الا أن هذا السلاح الرهيب الجديد قد أعادها الى الحجم الحقيقي في أرض القتال ..

ان المدفعية المصرية قد أضافت كثيرا الى العلم العسكري ، باستخدامها الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات على هذا المستوى وبهذه الكفاءة وسوف يسجل التاريخ أن هذه الاضافة ، لم تكن لتظهر بهذا التأثير لولا مهارة عمال التوجيه الاكفاء فاليهم يرجع الفضل في ابراز أقصى امكانات هذه الأسلحة الفتاكة .

وكان نجاح المدفعية في تنفيذ مهامها نتيجة عوامل كثيرة .

١ - الاقتناع بأهمية قوة النيران . والاقتناع هو الأساس الأول الذي جعل قيادتنا توفر هذا القدر من السلاح والذخائر ، وما يتعلق بها من معدات فنية حديثة وأجهزة حاسبة .. الخ وما يتكلفه ذلك من ميزانية باهظة . وهو درس وعته الأركان العامة الاسرائيلية جيدا فأسرعت بعد الحرب مباشرة تعلن انها زادت مدفعيتها ٨٠ ٪ عما كانت من قبل ..

٢ - ارتفاع مستوى كفاءة القادة والأفراد مما مكنهم من استيعاب

أسلحتهم ومعداتهم ومواجهة جميع مواقف ومتطلبات المعركة . وكل ذلك بفضل الجهد الذى قام به الرجال فى التدريب .

٣ - خبرات حرب الاستنزاف التى كان لها الفضل الكبير فى تطوير أساليب كثيرة لاستخدام المدفعية . . . ولقد استوعبت مدفعيتنا دروس حرب الاستنزاف على المستوى التعبوى والتكتيكى فى حين أهملها العدو صلفا .

ولولا ممارسة قيادات المدفعية السيطرة على جميع مستوياتها أثناء ادارة قصفاتها فى معارك المدفعية الشهيرة ، لما بلغت ذلك المستوى الرفيع فى السيطرة على كل هذا القدر من المدافع فى حرب رمضان . .

* كان للتخطيط الجيد المدروس على أسس علمية سليمة على جميع المستويات الأثر الكبير على نجاح التنفيذ ، بل كانت جميع النتائج قد تم اختبارها بطريقة أو بأخرى قبل الحرب ، فكانت قدرات كل سلاح معروفة ومجربة ، وكذا قدرات كل وحدة بل كل تشكيل .

ويكمل هذه الصورة الرائعة من التخطيط تنفيذ خطة الخداع التى ستظل حدثا فريدا ، بالرغم من تحريك هذه الاعداد الضخمة من المدافع . وقد توج هذا التخطيط بتنفيذ دقيق ، ومفهوم رائع لدور المدفعية فى معركة الأسلحة المشتركة .

وعن المدرعات :

فكما بدأ الاعداد لحرب رمضان منذ توقف القتال فى يونيو ٦٧ بدأت القوات المدرعة المصرية تعيد حساباتها على أساس اعداد قوة مدرعة متفوقه لخوض جولة حتمية قادمة فى ظروف متكافئة .

وبعد أيام قليلة من بدء حرب رمضان قال الجنرال ديان :

« فى اليوم الرابع للحرب ، وضح أن مصر أحرزت تفوقا ظاهرا فى معارك المدرعات بسيناء ولو أصرت اسرائيل على الاستمرار فى محاولة دفع القوات المصرية التى عبرت غرب القناة لفقدت اسرائيل قوتها . . . ولما أصبح لديها قوة تذكر . لقد خسرت اسرائيل فى الثلاثة أيام الأولى من الحرب عددا كبيرا من الطائرات وعددا هائلا من المدرعات » .

وهكذا أفادت فترة الاعداد الجدية للحرب فى خلق الارادة المصرية القوية التى تحطم بفضلها غرور اسرائيل .

ويتجلى لنا دور المدرعات فى الساعات الأولى لاقتحام قناة السويس حين استطاعت من المصاطب المدة على الضفة الغربية - التى احتلت منها حوالى ٦٧ مصطبة - الاشتباك مع العدو فى الضفة الشرقية للقناة لمنع

تحركات أفرادهم ومعداته والحقاق الدمار بمدرعاته في حدود مدى الضرب المباشر لدبابتنا .

وتحت حماية هذا الضرب المباشر للدبابات من الضفة الغربية وقصف المدفعية المركز في العمق ، اقتحمت القناة خمس فرق من المشاة المصرية ، وكانت الصفقة الأولى للمدركات الاسرائيلية ٠٠ اذ احتلت حصون معظمها في خط بارليف في غضون الساعات الأولى من القتال ، وأصبح الفرق بين سقوط نقطة وأخرى يحسب بالدقائق .

وعلى الفور تساءل العالم عن التقييم الحقيقي لرجال مدرعات مصر وكيف استطاعوا أن يستوعبوا كل هذا التطور التكنولوجي في نوعية الأجهزة المعقدة ثم يضيفوا اليه كفاءة ميدانية رفيعة .
وأجابت خبرة القتال كما أجاب أسرى اسرائيل .

* ان القدرات الفنية لجندى المدرعات المصرى ٠٠ متفوقة ٠٠ على حين كانت اسرائيل تعتمد على قدرة المعدات أكثر مما اعتمدت على كفاءة الأفراد ٠٠

* ان سائق الدبابة الاسرائيلي ينحصر تدريبه على السواعة في شهرين على الأكثر لا يمارس خلالها أكثر من ٣ - ٥ ساعة سواعة علمية - اعتمادا على سهولة قيادة الدبابات الأمريكية ، وتوفر تسهيلات النقل الهيدروليكي للتروس وقلة الجهد اللازم لممارسة القيادة - وهو لا يهتم بعمليات الصيانة وضبط أجهزة الدبابة واصلاح أى أعطال فنية ، اذ ان أقل عطل كاف لأن يتركها قائدها وطاقتها .

* وما يقال في تقييم السائق ينطبق على الرامى والقائد ٠٠ بل يمكن أن نضيف ان طاقم المدرعات المصرى قادر على تبادل العمل بين المهن المختلفة ، فيستطيع القائد أو الرامى قيادة الدبابة ويستطيع المعبر أو السائق العمل على مدفع الدبابة .

* وتساءل الخبراء العسكريون عن التقييم الحقيقي للمعدات التى تستخدمها القوات المدرعة المصرية ٠٠ ومقارنتها بالمعدات التى يستخدمها العدو .

* فأجابت خبرات القتال واعترفت اسرائيل ان خبرة جندى المدرعات المصرى قد أضافت قيمة كبيرة للدبابات اذ عوضت فيها بعض نواحي النقص الناتجة عن عدم وجود جهاز تقدير مسافة ٠٠ رغم حيويته البالغة لرفع مستوى الدقة فى الاصابة من الطلقة الأولى ٠٠ كما عوض قلة مدى أجهزة الرؤية الليلية .

- لقد عوض مستوى تدريب القادة والرماء المصريين النقص الاول على حين عوض سوء تدريب الاطقم الاسرائيلية النقص الثانى .

وبفضل كفاءة الجندي المصرى كانت خلاصة التقييم فى صالح معداتنا فراح الخبراء يتحدثون عن نقط الضعف الرئيسية فى الدبابات الباتون م ٦٠ ولخصوها فى الآتى :

✱ التعرض الزائد نتيجة لمقاييسها الكبيرة .

✱ عدم كفاية تدريجها رغم زيادة وزنها فضلا على امتياز شكل درع دبابتنا من ناحية زاوية الميل .

✱ سرعة عطلها فى الأرض الوعره وسرعة اشتعالها عند الاصابة نتيجة نوع السائل الهيدروليكي لأجهزة ادارة النسيان الموجودة فى برج الدبابات .

✱ عدم وجود جهاز حاكم وبالتالي علم القدرة على الرمي من الحركة .

✱ زيادة ضغطها على الأرض عن مثيلاتها فى العالم .

✱ قلة القدرة النوعية (نسبة القوة للوزن) .

وبخلاصة الأمر فان المدرعات المصرية قد نجحت فى العبور فى التوقيتات المحددة . وبعد أقل من ٦ ساعات من عبور الموجات الأولى للمشاة . وفى كثير من القطاعات استطاعت أن تصد الهجمات المضادة لمدرعات العدو فى نفس يوم العبور بعد صعود المشاة أمام الهجمات المضادة المحلية .

✱ استخدمت دبابات الألوية المشاة كدبابات للتعاون الوثيق لمعاونة قوات رموس الشواطى استخدمها صحيحا أدى الى النجاح الكامل فى صد الهجمات المضادة ثم تطوير الهجوم لتحقيق المهام الأساسية للفرق المشاة فى توقيتاتها المحددة لها .

✱ استخدمت بعض الوحدات الفرعية الدبابات فى القيام بالهجمات المضادة لتدمير دبابات العدو التى نجحت فى الاختراق وقد نجح هذا الأسلوب فى معظم الأحيان فى استعادة الموقف وتكبيد العدو خسائر جسيمة فى دباباته .

✱ أما مدرعات اسرائيل فقد أدت المفاجأة الى عدم حشدها بالكثافة الواجبة مما أدى الى تفككها وبالتالي سهولة تدميرها .

✱ فشل الاسرائيلون فى استخدام صواريخهم المضادة للدبابات فى الهجوم واقتصروا استخدامها على كمائن تبت فى طريق الدبابات المصرية أثناء مطاردتها للدبابات الاسرائيلية المنسحبة .

✱ أثر النشاط المحدود للمعاونة الجوية - نتيجة قوة الدفاع الجوى المصرى - على أعمال المدرعات الاسرائيلية فحد من نشاطها الى درجة كبيرة .

● وعن قوات الصاعقة :

فما أن اندلعت الشرارة الأولى لحرب رمضان حتى كانت جماعات من الصاعقة تعبر بقواربها المطاط مياه القناة على طول امتدادها من بور سعيد شمالاً الى السويس جنوباً ، لتشكّل طلائع الزحف الهائل . وكان لها شرف رفع أول مجموعة من الاعلام فوق روابي سيناء الجببية ، لتنطلق بعدها موجات متتالية من المشاة والمدفعية المضادة للدبابات .

وعلى الحد الأمامي كان رجال الصاعقة أول من قهر الساتر الترابي العالي ، فستلقوه بالحيال ، وبالأظافر والأنياب ، واستولوا على المصاطب التي أعدها العدو لدباباته وقاموا ببث الالغام فيها ، ثم اندفعت جماعات منهم الى الشرق ، حيث أقاموا الكمائن لاقتناص دبابات العدو التي حاولت الاقتراب من الساتر الترابي . وقاموا بمفردهم باقتحام بعض مواقع العدو الحصينة ، كما اشتركوا مع رجال المشاة في مهاجمة باقى حصون العدو وقلاع القوة .

وانقض رجال الصاعقة والمشاة على مواقع العدو الحصينة في هجمات مكثفة ، فحطموا اسطورة الجيش الذى لا يقهر . ودار القتال الضارى الشرس داخل القلاع والحصون ، واشتبك الخصوم بالسلاح الأبيض ، وبالأيدى ، وكانت الغلبة لجند مصر . الذين كانت الرغبة الجارفة في رفع عار ١٩٦٧ تدفعهم بكل وجدانهم الى تحطيم العدو الصلف المغرور .

وقبل آخر ضوء كانت أعداد كبيرة من طائرات الهليكوبتر قد أفرغت حمولتها من رجال الصاعقة في عمق سيناء شمالاً وجنوباً ، بين جبالها ووهادها . وبعد ساعات قليلة من انطلاق الشرارة الأولى كان رجال الصاعقة ينقضون على أهدافهم في عمق العدو ، وينجزون مهامهم المحددة .

وفي الوقت نفسه كانت جماعات منهم تزحف على مياه البحرين الأحمر والمتوسط ، لتصل الى أهدافها على شواطئ سيناء . لقد فوجيء العدو بهذا الحجم الكبير من قوات الصاعقة تظهر فجأة ، وفي كل مكان من سيناء ، وطوال أيام المعركة .

ففي الشمال قاتل رجال الصاعقة في مواجهة الجيشين الثانى والثالث في عمق سيناء ، قتالاً مستميتاً على الطرق والمضايق ، ضد مدرعات العدو التي حاولت الاقتراب لاجهاض عملية عبور قواتنا وإنشاء رموس الكبارى ، فواجهوا دبابات العدو بأسلحتهم الخفيفة المضادة للدبابات وقنابلهم اليدوية ، بل القوا بأنفسهم في طريق تقدم العدو . وعلى ظهورهم الالغام المضادة للدبابات كى تنفجر فوق أجسامهم مدرعات

العدو ، وتركوا على رمال سيناء بصمة شريفة تشهد بأن هذه البقعة أو تلك قد استشهد فوقها فدائي شهم من رجال الصاعقة ، قدم حياته فداء زميله حتى ينجح العبور ويتحقق الأمل المنشود ..

وفي عمق سيناء استمرت قوات الصاعقة في التمسك بالمضائق الجبلية والممرات ، فمنعت قوات العدو من المناورة الا بخسائر جسيمة .. ونستيق الحوادث قليلا لنذكر كيف أن وحدة من الصاعقة ظلت تتمسك بمضيق سدر من يوم ٦ الى يوم ٢٢ أكتوبر ، فحرمت بذلك العدو من اجتياز هذا المضيق لمدة ١٦ يوما ، حتى جاءها الأمر بالارتداد ، فعادت لتتضم الى باقي قوات الجيش الثالث .

أما في جنوب سيناء فقد أقام رجال الصاعقة قواعدهم في وديانها، واستمروا ينطلقون في اغاراتهم على أهداف العدو في مناطق أبو رديس وبلاعيم وأبو زنيمة والطور .. فبثوا الذعر في قلوب العدو ، وأجبروه على دفع قوات كبيرة من المدرعات والمشاة الميكانيكية لحماية أهدافه بهذه المنطقة .. ونجحت بذلك قوات الصاعقة في جذب وحصر جزء كبير من قوات العدو في جنوب سيناء ، مما خفف الضغط على قواتنا في الشمال أثناء انشاء رهوس الكباري .

وعندما تقرر حرمان العدو من بترول سيناء شارك رجال الصاعقة في نفس وتدمير منشآت ومستودعات البترول في مناطق أبو رديس وبلاعيم وأبو زنيمة وسدر ... واستمرت قوات الصاعقة في بث الذعر في صفوف العدو ، ومهاجمة أهدافه الحيوية في جنوب سيناء حتى توقف إطلاق النار .. بل ظلت بعضها تنفذ مهامها حتى عادت في أبريل ١٩٧٤ .

● أما عن المهندسين العسكريين :

فأمرهم لا يوفيه حقه الا كتاب كامل عن ذلك الانجاز الذي يشبه الإعجاز . فما كان مستطاعا اقتحام القناة وانشاء رهوس الكباري شرقها دون الاعمال البطولية التي قام بها رجال المهندسين العسكريين .. ولكن ضيق المساحة يجعلنا نقصر الأمر على القاء بعض الضوء على أروع تلك الأعمال .

ففي الساعة ١٤٢٠ من السادس من أكتوبر ٧٣ عبرت الموجة الأولى من القوات المهاجمة قناة السويس ، ومعها عناصر من المهندسين العسكريين لتأمين مرور المترجلين في حقول الألغام المعادية ، ثم عادت القوارب لتتنقل الموجات التالية ..

ثم تلا ذلك مباشرة عبور عناصر أخرى لتحديد محاور الثغرات في

الساتر الترابي ، وتجهيز الأرصفة للمعديات والكبارى ٠٠ وعبرت بعد ذلك مجموعات فتح الممرات من المهندسين ومعها مضخات المياه القوية ٠٠ وجدير بالذكر أنه خلال ساعتين من انطلاق الشرارة الأولى كان حجم قوات المهندسين العسكريين التي عبرت القناة ، والتي راحت تعمل فوق سطح الساتر الترابي وفوق صفحة القناة ، قد تجاوز الخمسة عشر ألف مقاتل من المهندسين العسكريين من مختلف التخصصات .

وفي الموجة الثانية عبرت ثمانون وحدة هندسية في قواربهم الخشبية المحملة بالأفراد والمضخات والخراطيم وخلافها من مهمات فتح الممرات في الساتر الترابي .

ووصلت القوارب الى الضفة الشرقية ، واتخذت أماكنها ، وتم تثبيتها ، وركبت الخراطيم في المضخات ومدت وركبت في النهايات الأخرى البشابير ، وأصبح كل فرد جاهزا للعمل . ودارت المضخات بأوامر من القيادة ، فاندفعت المياه من البشابير كالسيوف تشق خط بارليف ، وبدأت التربة تنهار وتحول الرجال خلال دقائق الى لون أسود بفعل الطين المتطاير في جميع الاتجاهات ، على حين كانت جميع أنواع أسلحة قواتنا وقوات العدو تهدر بعنف من حولهم . ومضى الرجال في تصميم مصرى أصيل ينفذون مهمتهم بثقة وإيمان .

وبعد ساعات قليلة بدأت البلاغات تتوالى عن انتهاء المضخات من إزالة الساتر ، وبدأت عملية تثبيت أرضيات الممرات التي تحولت الى وحل لأعماق كبيرة تجاوزت المتر في بعض المناطق . وقد استخدمت في تنفيذ هذه المهمة مواد مختلفة طبقا لطبيعة التربة ، من أخشاب وقضبان وحجارة وشكاير مملوءة بالرمل والواح من الصلب وشباك معدنية وغير ذلك من المواد .

وكانت عملية تثبيت الممرات ضرورية حتى تتمكن آلات الجرف من الخروج من المعديات الى الممرات لتقوم بإزاحة الطبقة الموحلة من الأرض وتصل الى القشرة الجافة التي يمكن للدبابات والمركبات أن تسير عليها دون تعثر .

ومنذ اللحظة الأولى للعبور بدأت أرتال وحدات العبور تتقدم على الطرق المحددة لها من قبل ، وفي التوقيتات المخططة أيضا ، حيث كان ذلك يتوقف على عوامل ثلاثة هي مسافة التحرك من منطقة التمرکز الى القناة ، والزمن اللازم لاسقاط مهمات الكوبرى وتجميعه في الماء ، والزمن اللازم لفتح الممر في الساتر الترابي . وراحت مئات من العربات المحملة بمهمات الكبارى والبنشآت تتحرك على عشرات الطرق في مجموعات صغيرة ، وبفواصل زمنية محسوبة بدقة طبقا لاتساع ساحة الاسقاط المحددة لكل وحدة .

ويبدو تشبيه هذه العملية بأنها مثل خلية النحل تشبيها ينقص من قدر ما حوته من نظام محكم من حيث المسافات والتوقيتات لكل قطعة ومعبرة ووحدة ، فالعربات تتحرك في جميع الاتجاهات ٠٠ من الخلف للامام تتحرك العربات وهي محملة ، ومن الامام للخلف تعود العربات وهي فارغة ، والى اليمين واليسار تحركات تطلبها المناورة بوحدات العبور من اتجاه لآخر ، وفي مياه القناة تحركات مماثلة تتم نهارا ، وعندما هبط الظلام سارت الاعمال ليلا بنفس النظام الدقيق ، اذ كان كل فرد يعرف مهمته ، ويعرف اتجاهه ومكان عمله .

تم كل ذلك رغم محاولات العدو منع انشاء وتشغيل الكبارى والمعديات ، ومنع فتح الممرات في الساتر الترابى ، بالقصف المستمر من الارض والجو على مناطق تمرکز وحدات العبور ، وطرق تحركها ، ومناطق الاسقاط والممرات . وفي النهاية اكتمل العمل العظيم ، واتم المهندسون انشاء الكبارى والمعديات في الجيش الثانى في فترة تراوحت بين ست وتسع ساعات مثلما كان مخططا تماما .

لقد كان عبور فرق المشاة لقناة السويس في نطاق الجيش الثانى عملية يفوق نجاحها كل وصف ، وخاصة في نطاق الفرقة الثانية المشاة حيث عبر الى الضفة الشرقية قبل فجر يوم ٧ اكتوبر حوالى ٢٤٠ دبابة مما مكن قائد الفرقة من استخدام كتيبة دبابات فرقته لمعاونة اللواء الايمن في صد هجوم مضاد قوى للعدو شنه في مساء يوم ٦ اكتوبر ولم يكن يتوقع وجود دبابات مصرية في هذا الوقت على الضفة الشرقية ٠٠ لقد تصور ان دباباتنا سوف تبدأ العبور في صباح يوم ٧ اكتوبر .

وبذا وعلى الرغم من التوقيتات المحددة في الخطة لاستعداد الكبارى فان رجال مهندسى الجيش الثانى بمعونة الله وبالتدريب الجيد وروح الفداء اقاموا هذه الكبارى في توقيتات قياسية

وكان معدل العبور في نطاق الفرقة السادسة عشرة المشاة معقولا الا ان قائد الجيش الثانى - رغب في زياته - فاتصل برئيس مهندسيه (العميد أ . ح . احمد شوقي فراج) في منتصف ليلة ٧/٦ اكتوبر وطلب منه التوجه بنفسه الى نطاق الفرقة ١٦ والعمل على زيادة معدل العبور باتخاذ كل الاجراءات الممكنة .

وأمكن نتيجة لذلك تعدية لواء مدرع كامل في ساعة ونصف (ما بين السادسة والنصف والثامنة صباحا) كما لو كان الامر بيانا عمليا نموذجيا .

وبذلك كان للجيش الثانى في صباح يوم ٧ اكتوبر على الضفة الشرقية للقناة حوالى ٦٠٠ دبابة فضلا على الأسلحة المضادة للدبابات وكتائب مدفعية الميدان وغيرها من أسلحة القتال ٠٠ بل ان معابر الفرقة

السادسة عشرة المشاة كانت جاهزة منذ صباح يوم ٧ أكتوبر لعبور وحدات من الجيش الثالث الميداني اذا تطلب الموقف ذلك .

أما في قطاع الجيش الثالث فقد اصطدمت عملية فتح الممرات في الساتر الترابي وانشاء الكباري بجميع العوامل المعوقة من قصف مركز من طائرات ومدفعية العدو ، الى صلابة تربة الساتر الترابي التي جعلت عملية تجريف المياه شاقة ، ولتحول أرضية الممرات الى وحل تجاوز عمقه المتر ، مما تطلب وسائل اضافية لتثبيت التربة ، نقلت من مناطق التشوين في الخلف ، ومن تغيرات في مناسيب مياه القناة بفعل المد والجزر ، حيث كان القمر في العاشر من رمضان وكلما ارتفع القمر زاد أثر المد والجزر . . والبحر الأحمر والجزء الملاصق له من القناة أكثر القطاعات تأثرا به . . وأخيرا فان سرعة التيار العالية وتغير اتجاهه مع طول زمن التركيب كان عاملا معوقا ذا قيمة سالبة خطيرة . حقيقة ان معظم هذه العوامل المعوقة كانت متوقعة الا أن تكاتفها جميعا في الوقت نفسه أدى الى انشاء الكباري في نطاق الجيش الثالث في نحو ست عشرة ساعة ، بخسارة زمنية قدرها سبع ساعات عن التخطيط الموضوع .

وتم انشاء عشرة كباري ثقيلة وعشرة كباري مشاة ، وعدد كبير من المعدات ، مما أتاح لدبابتنا ومعدتنا وأسلحتنا الثقيلة أن تعبر صفحة القناة وتصل الى رؤوس الكباري في الوقت المناسب .

وقامت الشرطة العسكرية وأفراد مراقبة المرور بجهد مشكور في ارشاد الجميع الى محاورهم ، حتي ينضموا بسرعة الى وحداتهم التي كانت مشتبكة عندئذ بعنف على الحد الأمامي داخل رؤوس الكباري ، ورغم أن كل ذلك تم في الظلام الا أنه سار بطريقة مثالية ترتب عليها وصول الاسلحة والمعدات الثقيلة الى أماكنها المخططة في الوقت المناسب لتقلب موازين القوى في صالحنا .

وقام العدو بتركيز هجماته الجوية ويران مدفيعته على الكباري لاجباط عبور قواتنا . . . وامتصت المعابر الهيكلية معظم هذه الضربات . . وكان لفدائية أفراد وحدات الكباري جميعا من الجندي الى قائد المعبر الفضل في سرعة استعادة كفاءة المعابر بعد اصابتها ، وفي أزمة قياسية ، وتحت نيران العدو . .

وجدير بالذكر أن معظم الكباري أصيبت وأعيد اصلاحها أكثر من خمس مرات . . وقد ضرب العميد أركان الحرب أحمد حمدي نائب مدير المهندسين العسكريين وقائد أحد ألوية الكباري المثل الأعلى في التضحية والفداء ، اذ استشهد وهو يشارك أفراد أحد الكباري في اصلاحه . .

لقد كان للمناورة بالمعابر ، والمناورة بالقوات لعبور عليها بسلسلة

وتدفق ، الفضل الاكبر فى سرعة عبور القوات بالاحجام الضخمة فى الليالى الاولى للعمليات الهجومية ٠٠ ويقول هوارد كالاوى وزير الجيش الامريكى لوكالة الاسوشيتد برس يوم ١٨ اكتوبر فى هذا الشأن ٠٠٠ « ان العبور الذى قامت به القوات المصرية فى قناة السويس فى مواجهة القوة الجوية الاسرائيلية المتفوقة هو بمثابة علامة مميزة فى الحرب الحديثة ستغير من الاستراتيجية العسكرية » .

ولم يقتصر دور المهندسين العسكريين على انشاء المعديات والكبارى ، بل قاموا ببذل مجهود كبير فى الاستيلاء على رموس الكبارى وتعزيزها ، وذلك بالتعاون مع باقى الاسلحة المشتركة فى صد هجمات دبابات العدو ، برص الالغام فى مواجهة مدرعات العدو لحصر مناورتها وايقاف تحركاتها ٠٠٠ كما عبرت الى رموس الكبارى مئات القطع من المعدات الهندسية المتنوعة لتعاون القوات فى تجهيز مواقعها بحفر خنادق ومواقع الدبابات والمدفعية ، وانشاء السواتر ، وغيرها من الاعمال الأخرى .

ويكفى أن نذكر أن قوات المهندسين العسكريين قد رصت حوالى مليون لغم مضاد للدبابات خلال حرب رمضان ٠٠٠

كان للتعاون التام والتنسيق الوثيق بين جميع الاسلحة المقسالة والقوات المتخصصة الفضل الاكبر فى اقتحام قناة السويس ، وتحطيم خط بارليف بقلعه وحصونه ونقطه القوة ، والاستيلاء على رموس الكبارى وتوسيعها ، ثم توحيدها بنهاية يوم ٩ اكتوبر ٠٠

تأمين رموس الكبارى وتعزيز المعابر

الوقفة التعبوية

بعد أن أتمت الانساق الأولى للجيش الميدانية تحقيق المهام المباشرة المخصصة لها شرق القناة توقفت القوات لمدة ٤ أيام (١٠ - ١٣ اكتوبر) حيث تحولت لتعزيز الخط المستولى عليه ، وتأمين رموس كبارى الجيش ، وتعزيز المعابر على قناة السويس ٠٠

وقامت تشكيلات الجيش الميدانية خلال هذه الوقفة بصدد العشرات من الهجمات المضادة للعدو ، التى وجهها - بعد أن أفاق من غشيتها ، واسترد بعض وعيه - ضد رموس الكبارى بقوات تراوحت بين عدة سرايا الى عدة ألوية مدرعة ومشاة ميكانيكية ، ركزها ضد اجناب رموس الكبارى ، محاولا تطويقها والوصول الى المعابر لتدميرها ، لايقاف تدفق القوات المصرية الى الشرق ، أو عزل قواتنا التى أتمت العبور ، عن قواعدها فى الغرب .

وقام العدو في الوقت نفسه بالقصف الجوى المتتالى للقوات والمعاير بأعداد كبيرة من الطائرات وبصفة شبه مستمرة ، محاولا إيقاع أكبر خسائر بها لتليينها توطئة للقضاء عليها ، كما قام بعدة محاولات لمهاجمة بعض القواعد الجوية والمطارات بهدف إحداث خسائر بأنقوات الجوية المصرية على مراحل ، ما دام لا يستطيع تحقيق السيطرة الجوية بالضربة الجوية المركزة على غرار ما فعله بنجاح كبير صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ .

وبلغ اجمالى طلعات العدو الجوية خلال الوقفه التعبوية نحو ١٠٥٠ طلعة طائرة أمكن لقواتنا الجوية اسقاط (٤١) طائرة منها على امتداد أيام ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ أكتوبر .

ولقد أمكن للعدو بذل كل تلك الجهود بفضل الامدادات الجديدة من الأسلحة الأمريكية المنظورة التى انهالت عليه من ترسانات الولايات المتحدة ، وتم تفريغها فى مطار العريش رأسا بواسطة أطقم أمريكية متخصصة ، اعتبارا من ١٠ أكتوبر والأيام التالية . تلك الامدادات التى وصفها جيمس شليزنجر وزير الدفاع الأمريكى يوم ٥ نوفمبر بأنها .. قد استنفدت بشكل خطير المخزون الأمريكى من الأسلحة والمعدات بالقدر الذى سوف يرغب حكومة نيكسون على طلب زيادة ميزانية الدفاع لعام ١٩٧٤ ، ..

ونتيجة لمحاولات القيادة الاسرائيلية المتكررة تصفية رهوس الكبارى أو تثبيتها ، وبفضل استبسال المقاتل المصرى ، تكبدت اسرائيل خسائر كبيرة فى الطائرات والدبابات والأسلحة والمعدات والأفراد ، كان من الممكن أن تكون فادحة بالنسبة لها لولا اسراع أمريكا بنجدها وتعويض خسائرها بالجسر الجوى المشهور . وقد أمكن لقواتنا أسر عدد من دبابات العدو ومعداته وأسلحته سليمة ، وحدث هذا لأول مرة فى تاريخ العسكرية الصهيونية ..

وأبدى حاييم بارليف فى جلسة الحكومة صباح ١٠ أكتوبر عدم ارتياحه من الجو الكثيب الذى أصبح يسود الأركان العامة ، فدعاه اليعازر جانبا وأسر إليه انه يشعر بعدم التوفيق فى الجنوب ، وان العلاقات بين كبار القادة هناك لا يصح السكوت عليها ، واقترح عليه ان يتولى مسئولية هذه الجبهة .. وبعد مشاورات مع ديان ومائير طرأت فكرة أن يذهب بارليف كممثل شخصى لاليعازر ، حتى لا يشعر أحد بعزل جونين أثناء المعركة .. ووافق بارليف تحت شرط ان يعلم جنرالات سيناء انه القائد الفعلى ، وليس مجرد مستشار ..

وعند الضحى وصل بارليف الى مركز قيادة جونين ، واتفقا على صيغة العمل بينهما بأن يظهر جونين أمام الملا وكأنه بارليف رقم ١ فاذا ما اختليا ببعضها صار بارليف هو جونين رقم ١ - ثم خرج بارليف يتفقد قيادته الجديدة .

وسرعان ما وصل شارون الى مركز القيادة ليقتراح معاودة الهجوم بالتنسيق بين قواته وقوات مندler في الجنوب ، على أن يشترك معهم لواء مدرعان يهاجمان في اتجاه شاطئ البحيرات المرة ..

ووافق بارليف على هذه الفكرة ، وأمر بدفع كوبرى في اتجاه الدفرزوار ليكون جاهزا للاستخدام بمجرد أن تسحج الفرصة ..

كانت الامدادات تتدفق على مطار العريش مباشرة تحملها طائرات الجالاكس الأمريكية الضخمة ، وبكل طائرة دبابتان ، لتعويض خسائر إسرائيل الفادحة .. وكانت خطة نقل المعركة الى أرض العدو معدة من سنين ، وبتزايد حجم الامدادات الأمريكية من المدرعات بدأ بارليف يفكر في احياء خطة العبور العتيقة ، وفي مساء ١١ ناقش مع جونين ونائبه أورى بن آرى بعض التفاصيل ، وكان لشارون وأذن كثير من التحفظات بالنسبة لأسلوب العبور ومكانه ، ولكن جونين أصر على التمسك بمنطقة الدفرزوار وأيده أورى وبارليف على طول الخط لأن جانب المنطقة المنتخبة تحميها البحيرة المرة ، والصفة الغربية ليس بعدها ترعة حلوة ، والأشجار الكثيرة ميزة لا يستهان بها في المراحل الأولى من التسلسل . وطار بارليف صباح ١٢ أكتوبر الى الأركان العامة ليعرض الخطة على اليعازر ، وحضر ديان المقابلة الا انه لم يتحمس للفكرة ، ورأى انه حتى اذا ما تمكنت القوات من العبور للغرب فلن يؤدي ذلك الى شيء ..

وطلب اليعازر رفع الأمر الى رئيسة الحكومة ، وراح كل وزير يطرح عشرات الأسئلة حتى ساد الجلسة جو من الفتور ..

وفي النهاية قطع زاعير المناقشة عندما قال ان كل الدلائل تشير الى قرب استئناف المصريين الهجوم شرقا ، فاستغل بارليف الوجود الذي خيم على القاعة فجأة ، واقتراح تأجيل البحث في خطة العبور الى فرصة قادمة .. وفي خلال يوم ١٣ أكتوبر استعدت مجموعات العمليات الاسرائيلية الثلاث ، ووصل اليعازر لتفقد الموقف في الجبهة ..

وفي الساعة ١١٠٠ غادر مندler مركز قيادته للاجتماع باليعازر في مركز قيادة شارون ، الا ان قذيفة مصرية حطمت عربته نصف الجنزير وقتلته ، وتحطمت في اللحظة نفسها العربات المجنزرة المرافقة له ..

وصدر الأمر للجنرال كلمان ماجن بتولى قيادة مجموعة عمليات مندler ، وأصبحت هناك أربعة مجموعات عمليات في الخط الأمامي ..

وحدثت ظاهرة جديدة في المسرح بقيام طائرتا استطلاع أمريكيتان طراز س ر ٧١ أ بالاستكشاف من بور سعيد شمالا حتى جنوب الصعيد على ارتفاع ٢٠ كيلو مترا وبسرعة ٣٥٠٠ كيلو متر / ساعة . وليس ثمة شك أن ما حصلت عليه من معلومات قد أرسلت الى الأركان الاسرائيلية

بالسرعة الكاملة للافادة منها فى الخروج من المأزق الخطير الذى كانت
تعانى منه وقتها ٠٠
وعلى الجانب الآخر كانت مرحلة الوقفة التعبوية تقترب من
نهايتها ٠٠

**لقد كان لهذه الوقفة التعبوية
اهداف عدة تخلف الخطه
الهجومية المصرية لتحرير
سيناء ، ومن أهمها :**

- ضمان ثبات وتعزيز رءوس الكبارى المستولى عليها حتى ولو
تحملت القوات بعض الخسائر ، حيث انه من المفضل انزال أكبر
الخسائر بالعدو من حالة الثبات مع توفر أعمال التجهيز الهندسى
لقواتنا ، عن انزائها وقواتنا البرية فى العراء بلا سواتر أو تجهيزات
هندسية تقيها خطر الهجمات الجوية المعادية ٠٠٠ هذا فضلا عن
أن رءوس الكبارى ، التى تم تعزيزها أصبحت تشكل قاعدة قوية
يمكن أن تستند اليها القوات عندما تقوم بتطوير الهجوم شرقا .
- تحقيق الدفاع الجوى عن القوات فى رءوس الكبارى ، واسقاط
أكبر عدد ممكن من طائرات العدو التى سيوجهها قطعاً ضدها هناك ،
مع توفير القدرة على تحقيق الحماية لقواتنا أثناء أعمالها القتالية
بالانتقال المتتالى لعناصر الدفاع الجوى بالصواريخ خلف القوات .
- ضمان تحقيق الاتزان الاستراتيجى فى المسرح ، بفضل وجود الانساق
التالية للجيش الميدانية ، واحتياطيات القيادة العامة غرب قناة
السويس .
- اعادة تنظيم وتجميع القوات فى مناطق رءوس الكبارى ، واستكمال
الامداد الادارى والفنى بالاحتياجات استعدادا لتطوير الهجوم
شرقا .

وأخيرا فقد كان من الواضح أن عامل السرعة والوقت قد لا يكونان
هما العاملين المؤثرين على التخطيط فى مثل عملياتنا الهجومية هذه مع
اقتحام المانع المائى ٠٠ ولكن المحصلة النهائية للمراحل المختلفة لديناميكا
تلك العملية تشير غالبا الى أن القوات - نتيجة التخطيط المتزن وبفضل
الاعمال القتالية المتتالية - يمكنها انجاز أعمال ذات نتائج ممتازة حقا .

ولم تكن الوقفة التعبوية فترة سكون ، ولكنها كانت فترة نشاط
كبير يهدف الى صد هجمات العدو المضادة المتوقعة من أفضل الأوضاع
الممكنة ، وجدير بنا أن نتذكر أنه خلال هذه الفترة أمكن لقواتنا أن تدمر
للعدو ما يناهز الخمسمائة دبابة ، فضلا عن الآلاف من الأفراد ، ولم

يكن هذا بالأمر الهين ٠٠٠ كما تم الاستيلاء تماما على كل حصون العدو وقلاع خط بارليف ، واستسلم آخر موقع له وهو النقطة القوية في لسان بور توفيق وأسر ٣٧ فردا به منهم خمسة ضباط وذلك في الساعة ١٢٤٥ يوم ١٣ أكتوبر .

وبذلت قواتنا الجوية خلال المرحلة الأولى للعملية الهجومية نشاطا كبيرا ، اذ قدمت المعاونة لباقي أفرع القوات المسلحة ، ونفذت ٢٧٦٥ طلعة / طائرة في المهام التالية :

- توجيه الضربة الجوية المفاجئة سعت ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر ضد مطارات العدو ووسائل دفاعه الجوي ومراكز قيادته ومصادر نيرانه البعيدة .

- اضعاف مجهود العدو الجوي باستمرار مهاجمة المطارات ، ومواقع الصواريخ ومحطات الرادار ، ومراكز القيادة والشوشرة .

- معاونة الجيوش الميدانية أثناء تنفيذها مهامها التعبوية ، وذلك بقصف الأهداف البرية التي تعترض طريق تقدمها .

- انزال الخسائر باحتياطات العدو المتقدمة للقيام بالهجمات المضادة .

- حماية الأهداف الحيوية مثل المعابر ، والمطارات ، والقواعد الجوية ، بالمقاتلات وبالتعاون مع قوات الدفاع الجوي .

وقد تمكنت قواتنا الجوية خلال تلك المرحلة من اسقاط ٢٢ طائرة للعدو في اشتباكات جوية عنيفة .

- ابرار قوات الصاعقة ومجموعات الاستطلاع خلف خطوط العدو ، على طرق الاقتراب الرئيسية نحو القناة ، وعلى امتداد الساحل الشرقي لخليج السويس .

- تنفيذ الاستطلاع الجوي لصالح القوات المسلحة .

القضبان البيضاء

اما قوات الدفاع الجوي فقد قامت بتوفير الحماية المستمرة للقوات البرية شرق وغرب القناة طوال فترة قتالها ، كما قامت بتوفير الحماية والوقاية للقواعد الجوية مما أدى الى فشل العدو في تحقيق هدفه ، سواء بتدمير طائراتنا على الأرض ، أو تعطيل مطاراتنا وقواعدنا الجوية كما حدث عام ١٩٦٧ .

ولقد شكلت قوات الدفاع الجوي بحق المظلة النيرانية والدروع الواقية من هجمات العدو الجوية ضد قواتنا وأهدافنا ، تلك الهجمات التي بلغ اجمالها حتى نهاية يوم ١٣ أكتوبر ٢٧٠٠ طلعة / طائرة ضد

الجبهة المصرية فقط ، ركز ٧٠٪ منها ضد القوات البرية ، ٦٪ ضد المطارات والقواعد الجوية ، ١٥٪ ضد تجمع الصواريخ المستقل في بور سعيد .

وتمكنت قوات الدفاع الجوي خلال المدة نفسها من ٦ الى ١٣ أكتوبر من اسقاط ٩٥ طائرة معادية ، وذلك خلاف ما تم اصابتها وسقط بعيدا أثناء عودته الى مطاراته في عمق سيناء أو قلب اسرائيل .

« وامتلا وجدان الطيارين الاسرائيليين بشعور غريب ، اذ وجدوا أنفسهم لأول مرة في موقف الدفاع ، وعندما كانوا يقتربون من قناة السويس كانت تستقبلهم نيران الدفاع الجوي الذي ملأ صواريخه السماء ، وأطلق المصريون سيلا منهمرا من الصواريخ أرض / جو فكانت الطائرات الاسرائيلية أينما تحركت في السماء تقابلها هذه القذبان البيضاء القاتلة التي كانت تجرى وراءها ، كما امتلأت السماء بالشظايا من كل لون وحجم ، التي كانت تطلقها المدفعية المصرية المضادة للطائرات ، (١) » .

لقد ظهر جليا خلال هذه الفترة بدء تدفق الامدادات الأمريكية الحديثة من الطائرات الفانتوم ومعدات التداخل الالكتروني وصواريخ شرايك المعدلة (ضد الرادارات) والقنابل التليفزيونية (ضد وسائل الدفاع الجوي الأرضية) ، الأمر الذي أدى الى حدوث طفرة مفاجئة في قدرات العدو الجوي وخاصة في حجم وشدة ودقة الطلعات الجوية اعتبارا من ١٠ أكتوبر ، كما ازداد تأثير وكثافة التداخل الالكتروني على جميع أنواع أجهزتنا .

وكانت الطلعات المعادية على الجبهتين المصرية والسورية قد انخفضت من ١١٠٠ طلعة يوميا الى ٧٩٠ طلعة يوم ٩ ، ثم زادت الى ١١٦٤ طلعة يوم ١٠ ، ثم ١١٣٨ طلعة يوم ١٢ .

ورصدت قوات الدفاع الجوي قيام طائرة استطلاع أمريكية يوم ١٣ أكتوبر بعمل طلعة استطلاع جوي على ارتفاع شاهق بمنطقة الجبهة والعمق الاستراتيجي للجمهورية ، وأعلن عنها في اليوم نفسه . وقد ترتب على هذا الاستطلاع تحديد مواقع الدفاع الجوي وأوضاع القوات ، واكتشاف تحضيراتنا لتطوير الهجوم .

فوق الأمواج

واستهلت القوات البحرية نشاطها القتالي مع بدء العمليات الحربية ، فقامت بتنفيذ المهام الموكلة اليها ، والتي تضمنت الآتي :

(١) اسحاق بوريت - المراسل العسكري لجريدة يدعوت أحروروت - حديث

مع طيار اسرائيلي عاد لتهو من جبهة القناة - ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ .

— معاونة أعمال قتال الجيوش الميدانية في منطقة البحر الأحمر ، مع الاستعداد لصد أعمال العدو المتوقعة . .

— تدمير قطع العدو البحرية في عرض البحر . .

— تسديد الضربات ضد موانئ ومراسي العدو ، وأهدافه الساحلية في سيناء . .

— التعرض لخطوط مواصلات العدو البحرية . .

— تأمين النطاق التبعوى بالبحرين الأبيض والأحمر ، وتنظيم الدفاع عن القواعد ونقط تمرکز البحرية . .

وقد اشتركت القوات البحرية في التمهيد النيرانى بالمدفعية الساحلية والصواريخ في قطاع بور سعيد ، وقصفت تجمعات العدو بمنطقة رمانة وشرقى بور فؤاد ورأس برون على ساحل البحر الأبيض ، وشم الشيخ ورأس سدر ورأس محمد ورأس مسلة على ساحل خليج السويس والبحر الأحمر . كما اشتركت سرايا المدفعية الساحلية في شمال وجنوب القناة بتقديم المعاونة بالنيران للجيوش الميدانية ، وكانت انجازاتها رائعة . .

وقامت القوات البحرية بمهاجمة مراسي العدو في بلاعيم بالضفادع البشرية ، وتعطيل الحفار الموجود بها ، واستكمال تلغيم مدخل خليج السويس . كما أغارت الصاعقة البحرية على منطقة أبو دربة بالخليج .

وقامت التشكيلات البحرية والقواصات بتنفيذ طلعات الاقتنصاص واعتراض خطوط مواصلات العدو البحرية ، وأغرقت سفينة تجارية شمال بور سودان . . كما اشتبكت مع أهداف العدو البحرية شرق بور سعيد وأغرقت وحدة بحرية متوسطة (يحتمل أن تكون سفينة انزال جنود) ، وقامت بصد هجمات تشكيل بحرى معاد من ٣ أهداف بحرية ومجموعة قوارب وطائرات هليكوبتر ، وذلك بواسطة مدفيعتنا الساحية اليقظة في رأس السادات .

واشتبكت عناصر الدفاع الساحلى في كل من عزبة البرج شمال الدلتا وجزيرة شاكر في خليج السويس مع وحدات العدو البحرية التى حاولت الاقتراب منها .

وعندما أيقن العدو من تفوق قواتنا البحرية ، ركز هجماته البحرية ضد بلنصات الصيد المدنية ، أما ضد قواتنا البحرية فقد اكتفى باستخدام طائرات هليكوبتر والمقاتلات القاذفة . ولقد بلغ اجمالى خسائر العدو البحرى في هذه المرحلة : —

تدمير ٥ — ٦ طائرات هليكوبتر ، ٢ — ٣ لنشات متوسطة (صواريخ

أو مدفعية) وهدف بحرى متوسط يحتمل أن يكون ناقلة جنود ،
واغراق سفينة تجارية ، واسقاط ٣ طائرات مقاتلة قاذفة ، وتعطيل
حفار بترول .

ملاحق بارزة

وقبل أن ننتقل الى سرد أحداث المرحلة الثانية من العملية
الهجومية الاستراتيجية نتوقف قليلا لنستعرض بعض الملاحق البارزة
فى المرحلة الاولى ..

لقد كان احد العوامل الرئيسية لنجاح قواتنا فى اقتحام قناة
السويس هو احراز قيادتنا للمفاجأة الكاملة ، ويحدث هذا لأول مرة
فى تاريخ الحروب فى المسارح الصحراوية فى وجه مانع مائى مثل قناة
السويس .. حيث يستحيل منطقيا تحقيق هذا القدر من المفاجأة لتعذر
اخفاء جميع القوات فى مسرح عمليات مفتوح مثل مسرحنا ، وعبر مانع
مثل قناتنا ..

لقد اتخذت القوات اوضاع الهجوم وهى على اتصال مباشر بالعدو
دون أن يكشفها مراقبوه الذين يقفون على مسافة ٢٠٠ متر فقط من
ضفتنا الغربية ، ويملكون وسائل استطلاع جوية حديثة ، ويدعمهم
آخر ما أخرجته الترسانة الأمريكية من ابتكارات ، فضلا على جهاز
المخابرات الذى ظل يدعى أنه لا تفوته شاردة ولا واردة عن الدول
العربية ، وتوازره أقوى أجهزة المخابرات الغربية ، وخاصة وكالة
المخابرات المركزية الأمريكية ..

ورغم كل ذلك كانت مفاجأة العدو كاملة بعزم جمهورية مصر العربية
والجمهورية العربية السورية على شن الهجوم أساسا ، فضلا عن موعد
بدئه ، وحجم القوات التى اشتركت فى تنفيذه ، وتلك السرعة المذهلة
التي اقتحمت بها قواتنا المظفرة قناة السويس ، واخترقت خط
بارليف الحصين الذى كان العدو ينادى بعدم قدرة البشر على اقتحامه

**وكانت أخطر المفاجآت وأشدّها وقعاً على العدو ما لقيه من
معنويات مقاتلينا العالية ، واصرارهم الاكيد على النصر أو الاستشهاد .**

ومهما حاولت ابواق الدعاية الاسرائيلية والصهيونية والامبريالية
أن تقلل من قيمة المفاجأة ، وأن تلون الصورة على زعم أن القيادة
العسكرية الاسرائيلية كانت تعلم بلحظة الهجوم وموعده ، وأن القيادة
السياسية هى التى قررت ترك المبادرة للعرب طواعية لأسباب سياسية
واقتصادية .. ومهما حاولت ذلك فهو عذر اقبح من ذنب ، اذ هو
بالتاكيد نفس ما كانت تأخذه اسرائيل على العرب ، وتعهده من مثالهم
فى الجولات السابقة .

لقد كانت المفاجأة بالنسبة لاسرائيل كاملة .. اذ فقد العدو المبادأة واختلت سيطرته على قواته في بداية العملية الهجومية الاستراتيجية ، ولم يتمكن من التدخل بقواته الجوية بتأثير ، أو توجيه نيران مدفعيته بدقة ضد قواتنا وهي تفتح قناة السويس ..

وتسبب كل ذلك في نجاح قواتنا في تحقيق مهامها بخسائر ضئيلة ، ثقل كثيرا عما كنا نتوقعه أو يقدره أى عسكري متخصص .. لقد كنا على استعداد لتقبل خسائر كبيرة خلال الاقتحام والعبور ، لأنه كان علينا أن نفتح طريقنا وسط النار والحديد مهما كان الثمن .. وقبلنا التضحية ، ولكن خسائرنا جاءت أقل مما قدرنا بكثير .

ان الإنسان المصرى كان في هذه الساعات الحاسمة يعطى بسخاء وكان فى قمة الاحساس بأصالة تاريخه وعظمة مستقبله .. فجاد كما لم يجد به أحد من قبل . وأثبت انه خير امة أخرجت للناس .. وانه أفضل أجناد الأرض ..

ولم يتمكن العدو نتيجة ذلك من القيام بانتظام بالهجمات المضادة المحلية المخططة من قبل .. بل راح يرتجل ويضرب بطيش وحمق .. ولهذا بدت أفعاله كلها بسودها الارتباك .. بينما تمكنت قواتنا بفضل دقة التخطيط وروعة التنفيذ وبسالة الرجال أن تحطم كافة هجماته وضرباته المضادة ، وتسحقها الواحدة وراء الأخرى .. وامتلات أقباص الأسرى بجنود اسرائيل وقادتهم ..

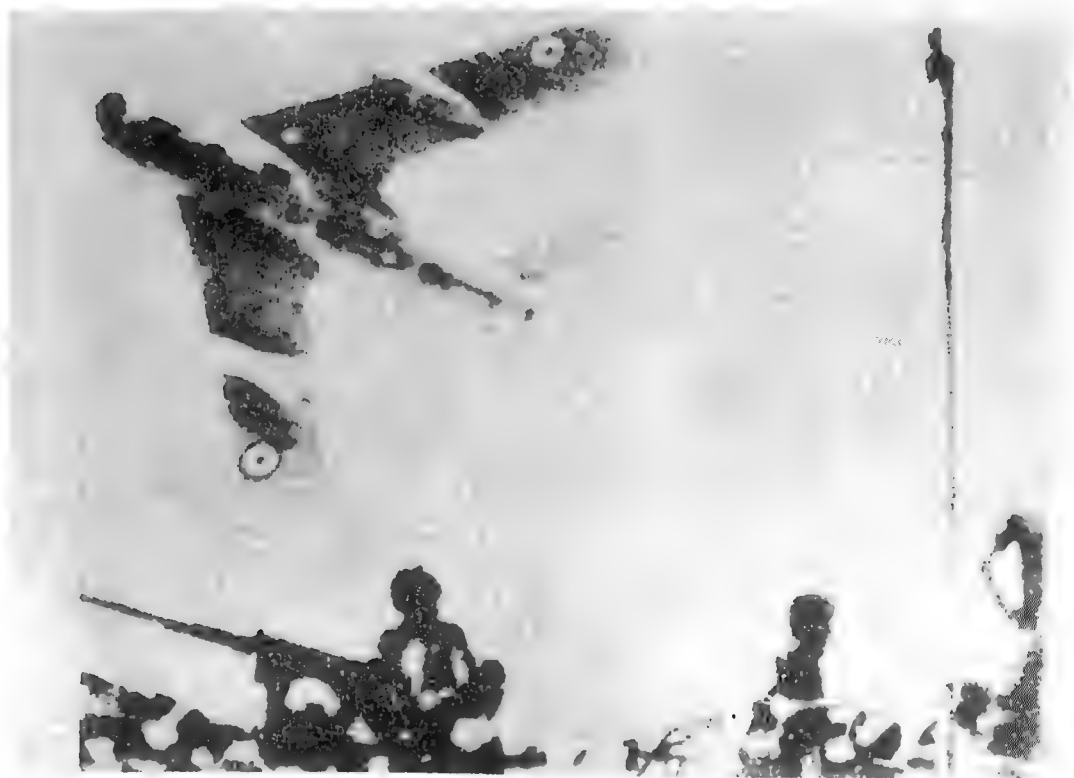
ويصف مراسل جريدة ידיعوت احرونوت في عددها الصادر يوم ٥ فبراير ١٩٧٤ كيف فشل الهجوم المضاد الكبير يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ .

» .. على امتداد ليلة ٨/٧ أكتوبر دارت مناقشات طويلة بين جنرالنا في مركز قيادة جبهة القناة الذى كان يسوده جو من اليأس ازاء طلبات النجدة المتتالية التى راحت تنهال عليه من المواقع الأمامية .. ولأن عدد الدبابات التى حطمها المصريون منذ بدأوا الحرب ظهر عبء الغفران كان قد تجاوز وقتئذ اضعاف ما كان يتوقعه أشد الناس اغراقا فى التشاؤم ..

» وظهر جليا ان القتال قد تحول الى عملية سحق وتمزيق فى وحدتنا وعتادنا ..

» وعلى امتداد تلك الليلة صار تجهيز الهجوم المضاد بعد جدل عنيف استمر حتى ساعات الفجر الأولى .. وكان السؤال هل نهجم على كلا الجيشين الثانى والثالث معا ؟ أم نركز هجومنا على واحد منهما فقط ؟ وبكم مجموعة عمليات يحسن ان نشن هذا الهجوم المضاد ؟ .. وكيف ؟ ثم هل نستغل النجاح بالعبور الى الضفة الغربية ؟

» ومع ضوء الصباح الباكر انطلقت مجموعة الجنرال آدن تشن الهجوم المضاد الكبير ، واندفعت الدبابات الاسرائيلية نحو القنطرة وجنوبها .. وبدا لفترة من الزمن أن النجاح أصبح وشيكا .



الضربة الجوية المصرية المركزة المفاجئة



« .. ودعرت طائراتنا موقعى مدفعية بعيدة المدى »



الصواريخ المصرية تدمر قلاع بارليف



« وصب ألفا مدفع الحشم فوق العدو »



« ... وتحت ستر النيران الكثيفة عبرت جماعات الصاعقة
ومغارز اقتناص الدبابات قناة السويس »





« . . . واستهلت قواتنا أعمال العبور بمجموعات صغيرة »



« . . ووضع ثمانية آلاف جندي أقدامهم على الضفة الشرقية

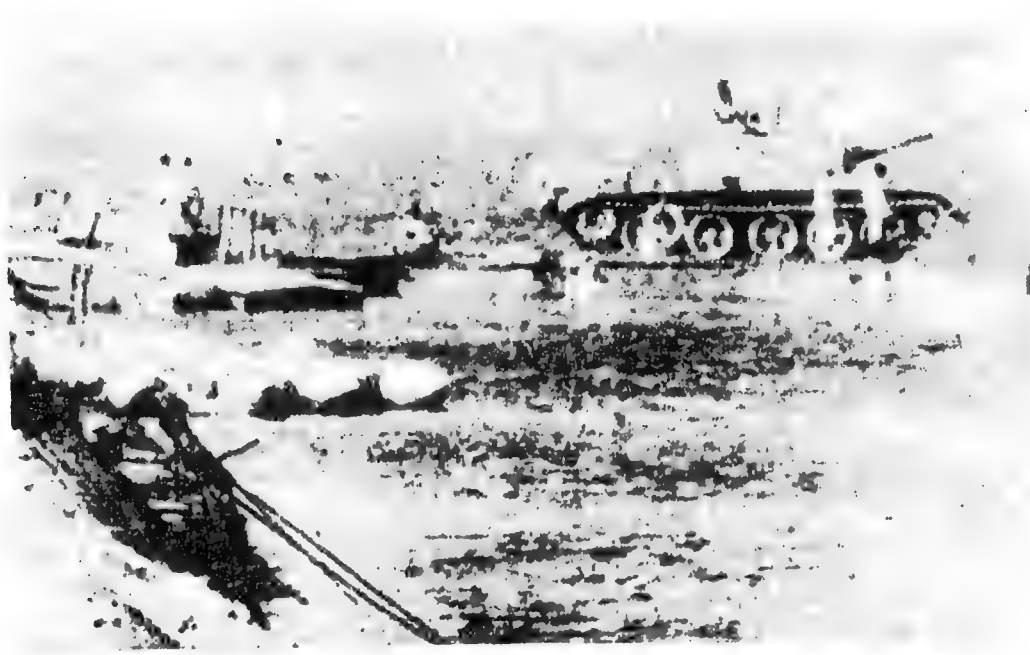
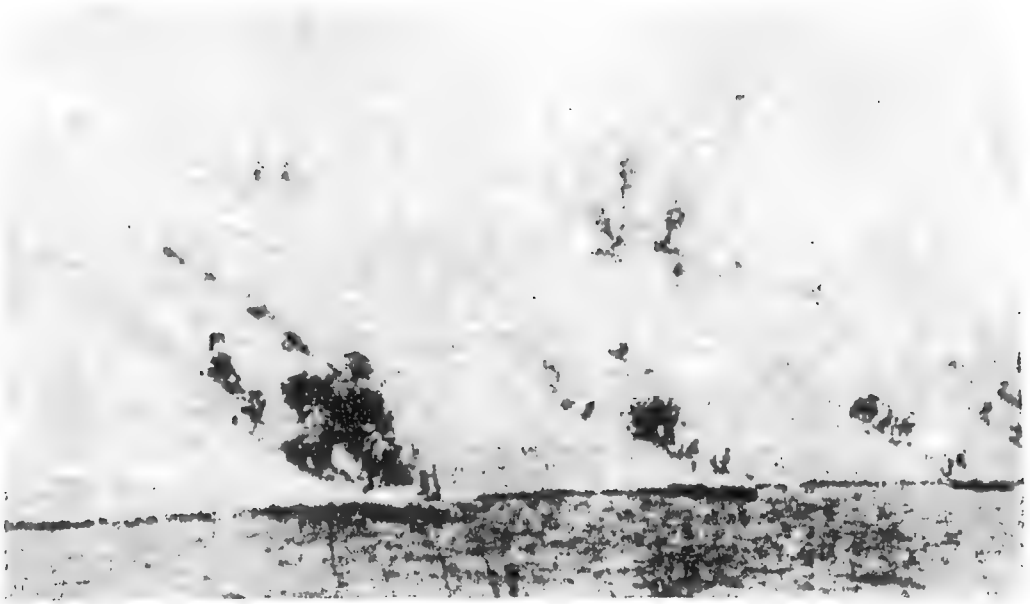
للقناة وهم يهللون . . الله أكبر ! الله أكبر



مدافع المياه تشق الساتر الترابي



« . . وبالأظافر وبالأنياب تسلقوا الساتر العالي »



« . . . ونجحت قواتنا من إقامة عدد كبير من المعديات »



« . . . واستمر تدفق قواتنا نحو الشرق »



« . . وقامت دباباتنا بتدمير هجمات العدو »

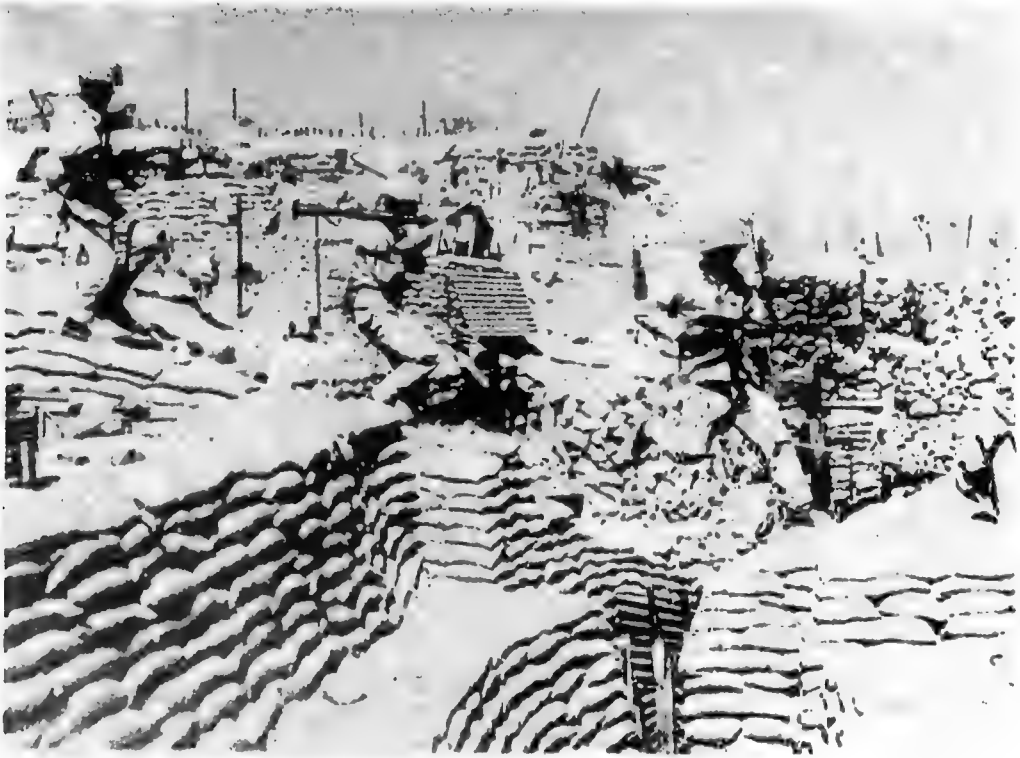


« ... وإنشأت عشرة كبارى ثقيلة . وعشرة كبارى مشاة »



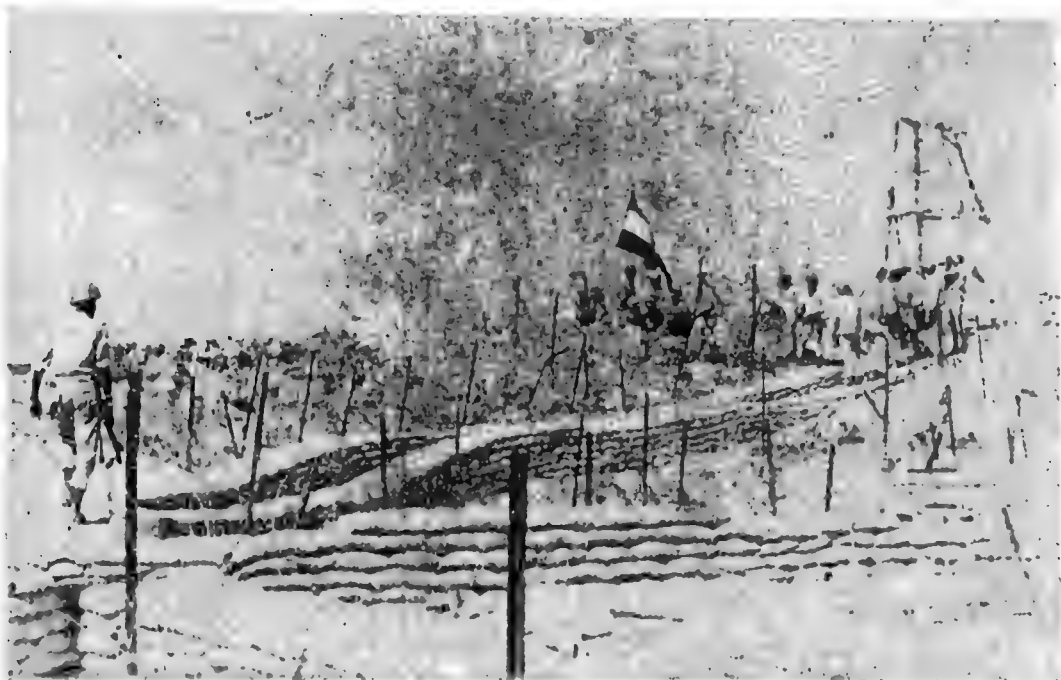
« ... وفي الساعة ١٧١٠ وقع أول ضباط العدو أسيرا في أيدي قواتنا »

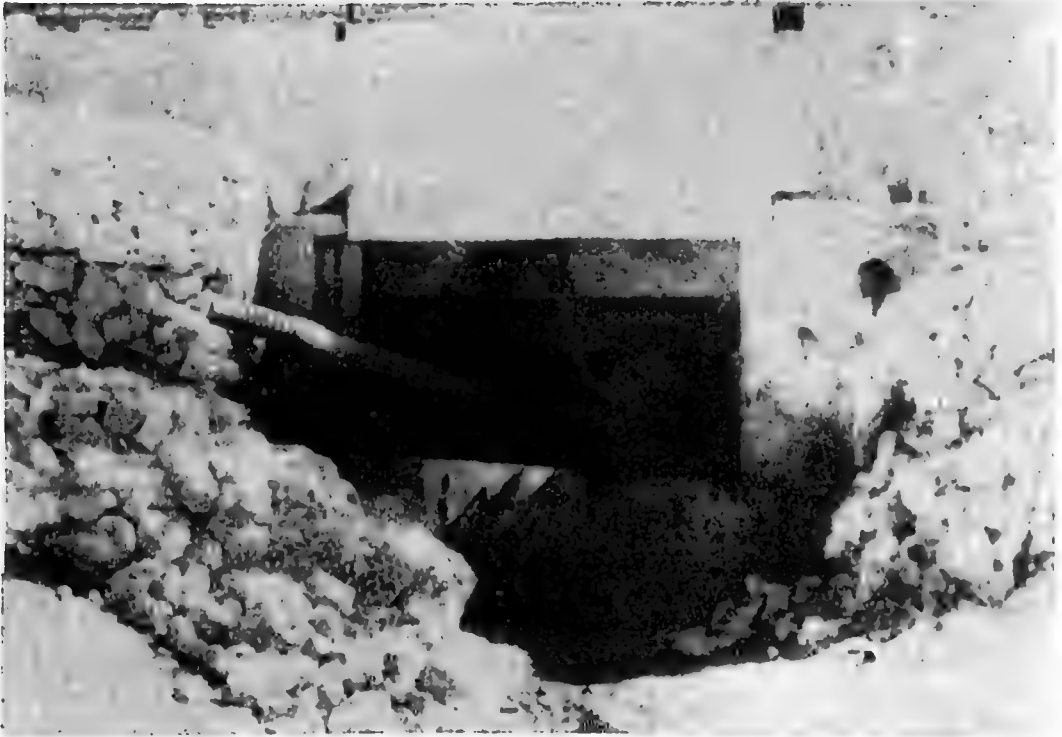
« ... وفي أقل من ست ساعات سقط خط بارليف وتحطمت الأسطورة »





« وسرعان ما رفرفت أعلام مصر فوق سيناء الحبيبة »





« . . . واستولى الجيش الثالث على مواقع العدو »



« . . . وأخيراً وافقت القيادة على أن نسلم أنفسنا عن طريق الصليب الأحمر
ملازم ناحوم بن زيون »



« .. وقامت القوات المصرية بتنفيذ بعض الأعمال القتالية الخاصة »



« .. وقفل مخطط العدو إذ ووجه بعمللاق ضخيم هو شبكة الصواريخ المضادة للطائرات »

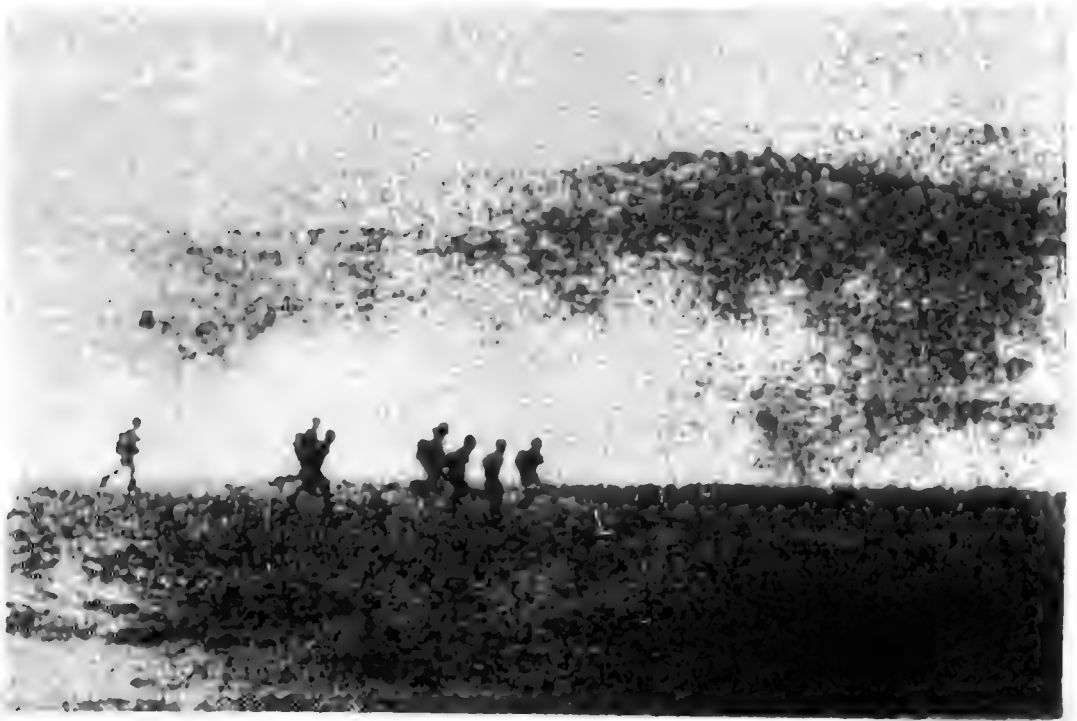


توغلت المقاتل المصري رغم المقاومة العنيدة داخل أوضاع العدو



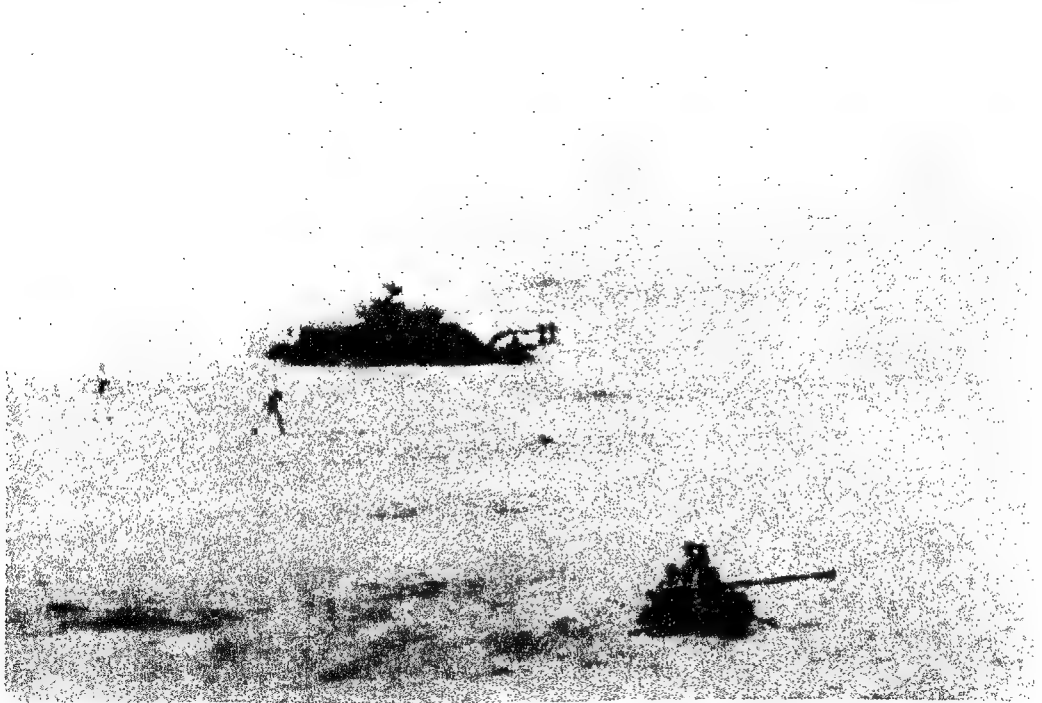


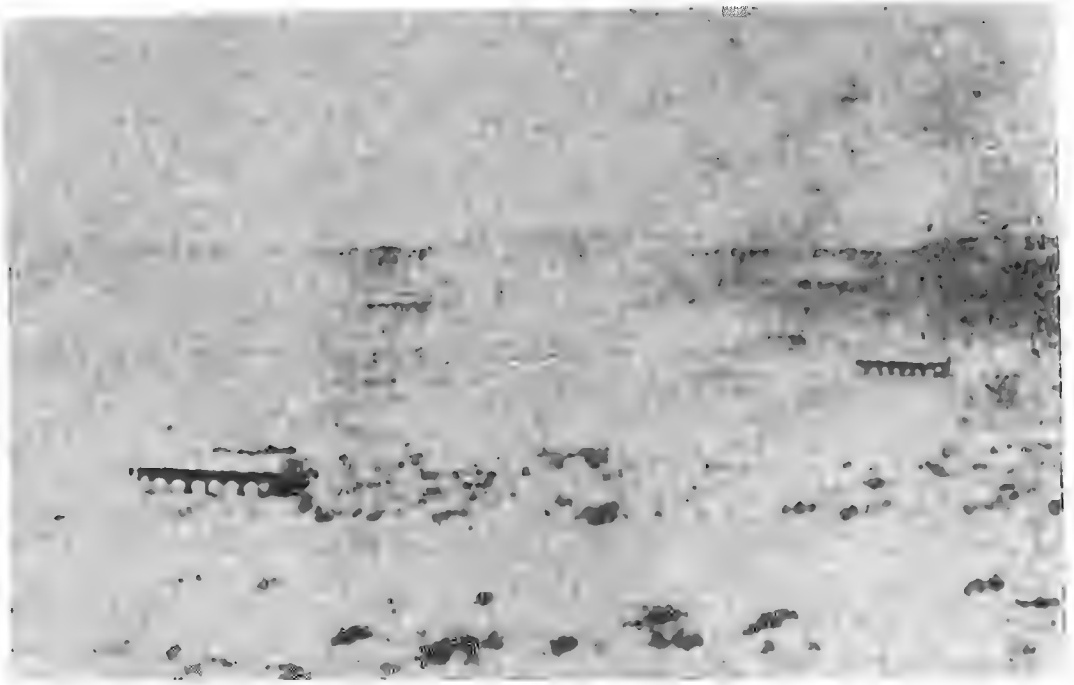
« ... وازدادت ضراوة المعارك حدة على امتداد يوم ١٤ أكتوبر »





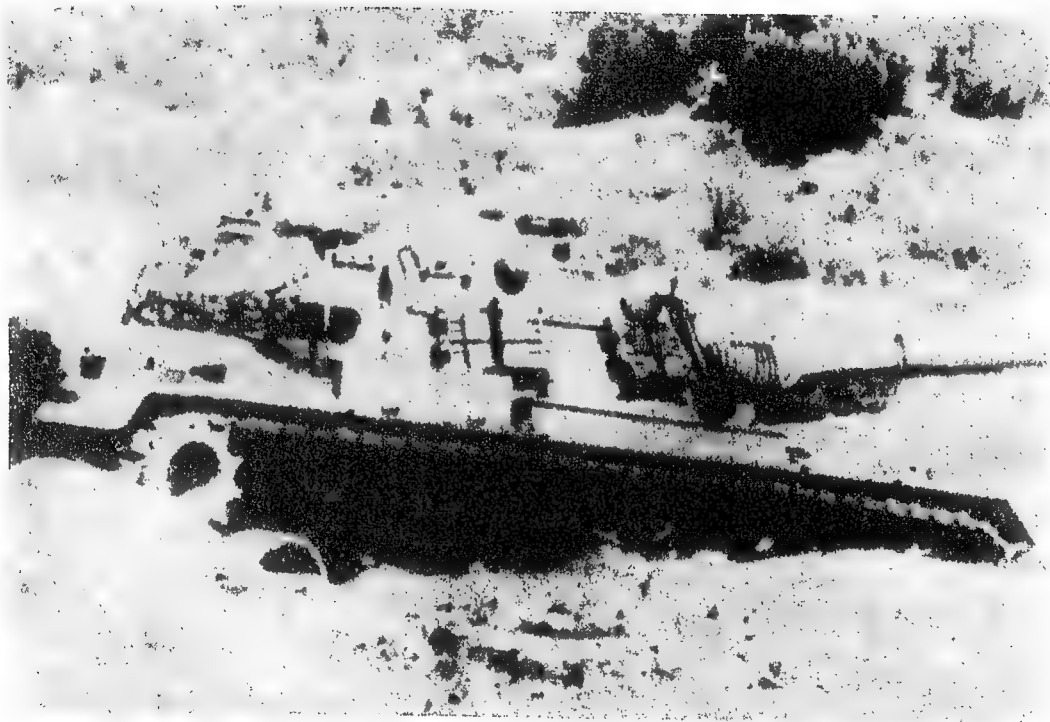
« ... واستردت الفرقة ١٦ المشاة الأرض المفقودة قبل أول ضوء »





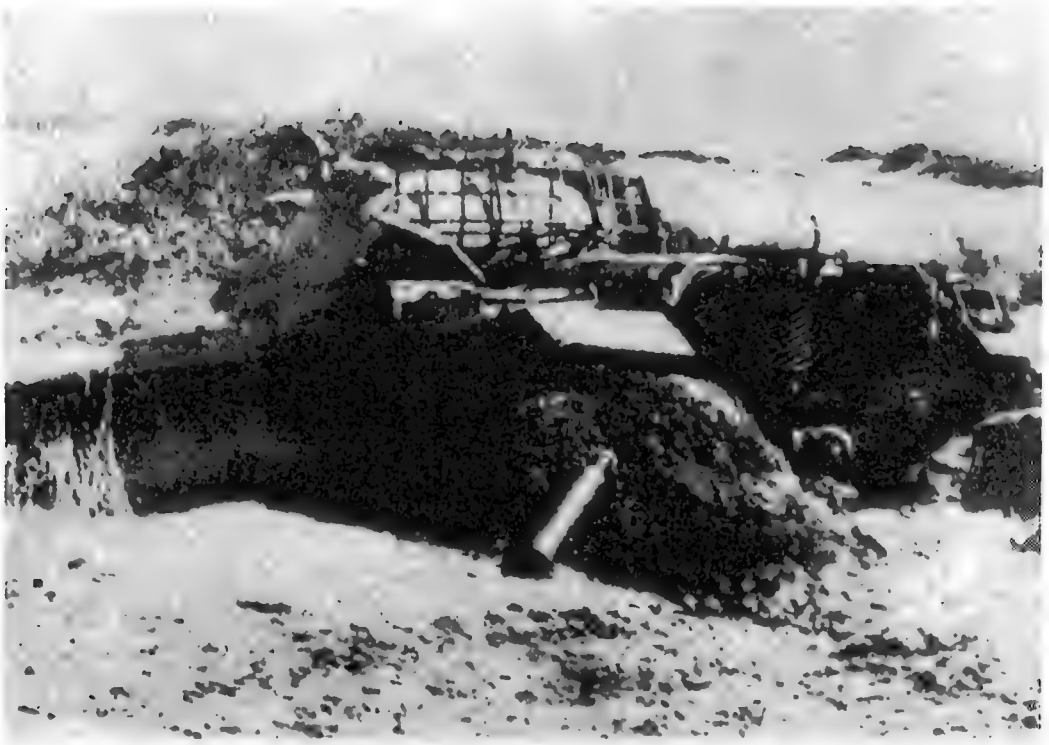
« . . واستمرت قواتنا في حصار قوات العدو المتسللة »





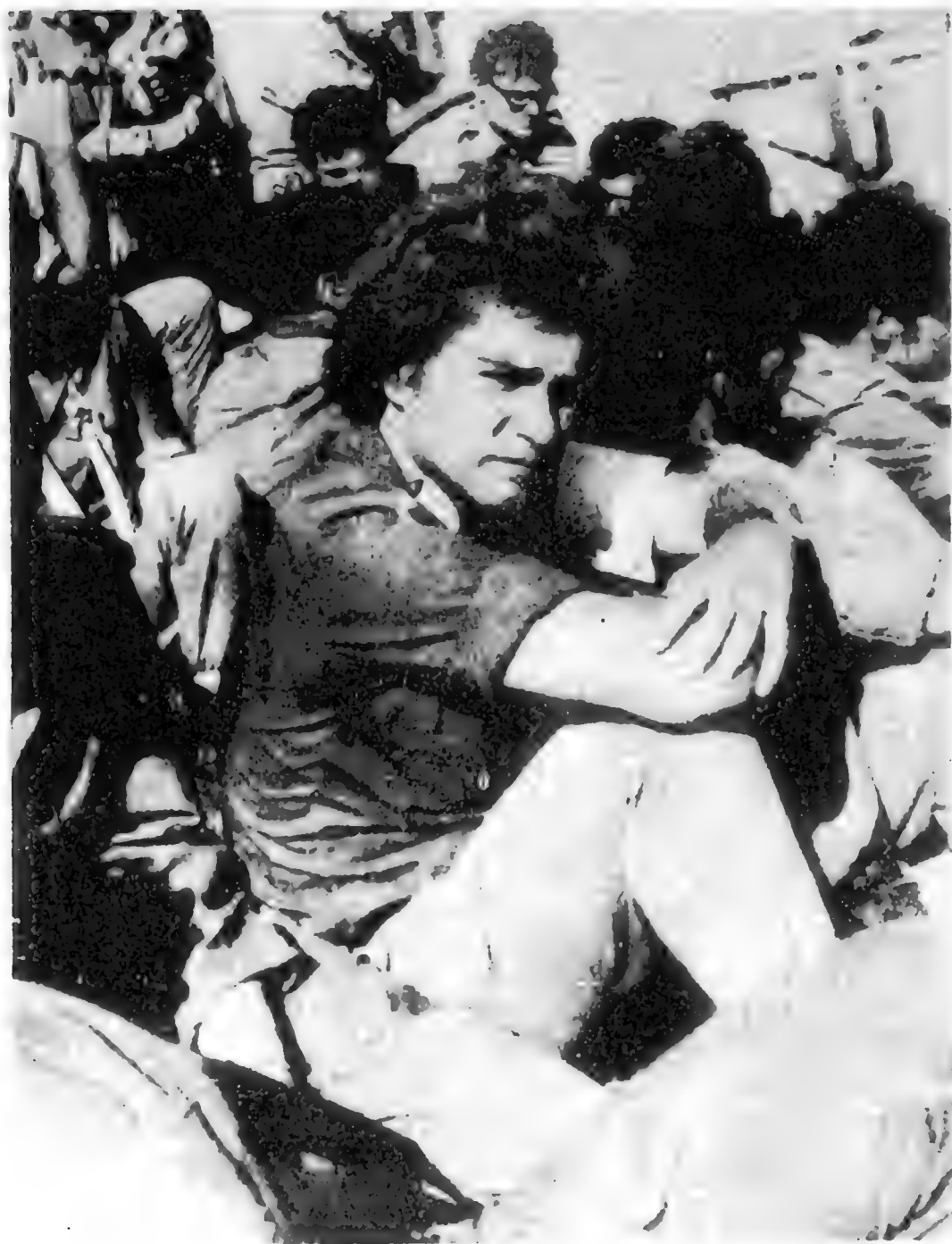
« ... واستمرت القوات المصرية في تدمير مفارز العدو المنتشرة »





« . . . وتصدت قوات السويس الصامدة للعدو »





« . . . ونحولت قوات العدو إلى رهينة نضغط بها على اسرائيل »

« وجلس جونين في مركز قيادته يصدر التعليمات الى آدن ويؤكد عليه ضرورة الاستيلاء على الكبارى المصرية قرب الفردان سليمة ، حتى يمكن نقل قوة من جيش الدفاع عليها الى الضفة الغربية .
« ومهما قيل في شأن هذا الهجوم المضاد فليس من شك انه فشل فشلا ذريعا ، وأنه كلفنا ثمنا دمويا باهظا ..

« ورغم هذا الفشل ، فقد وصلت الى تل ابيب تقارير مضللة سرعان ما انتشرت انبأوها داخل وخارج اسرائيل بان جيش الدفاع قد عبرة القناة .. ثم اتضح في ساعة متأخرة جدا ان الواقع في أرض المعركة يختلف تماما عما يشاع في الخلف ، وأن الموقف على الجبهة أصبح مشحونا بالمرارة ..

بل الاخطر من ذلك أن الموقف على جبهة القناة - بعد فشل هجوم اسرائيل المضاد الكبير كانت تشوبه حالة من فقدان الاتزان والارتباك في الموقف التعبوى والتكتيكي للعدو ، راح يعمل جاهدا على تداركها لاستعادة توازنه ، بسرعة اجراء التعبئة والفتح التعبوى لقواته بعد ان ضاعت منه المبادرة وطاش صوابه ..

كما راح يعيد تنظيم وتدعيم القيادات على الجبهتين المصرية والسورية .. واستمر في أعمال القتال التعطيلي على الجبهة المصرية بهدف أنهاك قواتنا بالهجمات المضادة المتتالية ، وإيقاع أكبر خسائر بها تمهيدا لتدميرها ، الا انه لم يتمكن من تحقيق ذلك ، اذ استمرت قواتنا في التشبث بمرموس الكبارى وتوسيعها ، بل أنزلنا به خسائر فادحة .

كما استمرت قوات دفاعنا الجوى في تنفيذ مهامها بكفاءة تامة ، مما ادى الى صد وتدمير هجمات وضربات العدو الجوية ، واحداث الخسائر بطائراته ..

اما قواتنا الجوية فقد استمر هيكلها الرئيسى سليما في مواجهة قوات العدو الجوية التى راحت طائراتها تتساقط هشيما ، وتتناكل قدرتها تدريجيا ..

نتيجة لكل ذلك ، ولعدم تحقيق العدو اى من اهدافه المرجلة خلال تلك الايام الحاسمة ، اتخذت حكومة اسرائيل قرارا باستلعاء قدامى القادة الذين حققوا لاسرائيل ذلك النصر الرخيص في الجولة الثالثة عام ١٩٦٧ ، على أمل أن يرفع ذلك من معنويات الشعب والجيش الاسرائيلى، وأن يوحى بقدرة القدامى على تحقيق ما فشل فيه الاحداث .. ولعلمهم يعيدون السيطرة المختلة الى مكانها الصحيح .

لقد كانت اهم العوامل والاسباب التى ادت الى ذلك الارتباك في السيطرة هى :

— عدم تصور اسرائيل على المستوى السياسى والعسكرى — امكان أن تقوم مصر وسوريا بالهجوم لاستعادة أراضيها المحتلة .

— تحقيق مصر وسوريا للمفاجأة الكاملة ، بما اذهل اسرائيل واجبرها على التحول للدفاع لأول مرة فى تاريخها الضحل .. بل على جبهتين ، وهو الأمر الذى كانت تعمل مستميتة على تجنبه ، وكان لذلك تأثير نفسى بالغ السوء على معنوياتها .

— كانت اوضاع العدو تتناسب وحالة اللاسلم واللاحرب ، التى سادت الشرق الأوسط بفضل تعنت اسرائيل وصلفها ، ولم يكن الفتح التعبوى الجزئى بكاف لمقابلة هجوم عربى شامل ومنسق ، يتصف بالاصرار والاقتدار ..

— وجد العدو نفسه أمام نوعية جديدة من القيادات والقوات العربية لم يواجه مثلها من قبل فى أى حرب من الحروب السابقة ، من نواحى التدريب والتصميم والروح القتالية والأسلحة المتطورة التى تم استيعابها ..

— النصر السريع الذى حققته سوريا فى الأيام الأولى للعمليات ، حيث كانت قواتها على وشك اتمام تحرير المرتفعات السورية (هضبة الجولان) ، واستعادة الحدود الدولية (خط ٤ يونية ١٩٦٧) .

صدق البلاغات العسكرية العربية ومطابقتها لحقيقة أعمال القتال الجارية ، وتناقض بيانات وتصريحات اسرائيل وتخبطها الواضح وكذبها المفضوح ..

— الخسائر الفادحة التى تكبدتها اسرائيل فى الافراد والمعدات ، بخاصة فى الدبابات والطائرات والافراد .

ان اهم ما نلاحظه على المستوى التعبوى فى جبهة سيناء هو اهتزاز سيطرة قادتها على قواتها ، سواء فى ذلك قيادة جبهة سيناء البرية او الجوية ، وذلك نتيجة للعوامل السابق ذكرها ، بالإضافة الى مفاجأتها تماما بافتحام القوات المصرية قناة السويس ، وتحطيم قلاع خط بارليف ، والاستيلاء على معظم النقاط القوية ومراكز المقاومة والحصون خلال الساعات الأولى للهجوم ، بما حرم هذه القيادة من الوقت اللازم للتدخل ، أو تخطيط لادارة رد الفعل المناسب .

وكان لضربات القوات الجوية والصواريخ المصرية التى انهالت على مراكز القيادة والسيطرة الاسرائيلية فى سيناء الفضل الأكبر فى اختلال نظام السيطرة على القوات ، وانتقال السيطرة على جبهة سيناء عدة مرات من أم مرجم الى بالوظة ثم الى أم مخسة .. وكذا انتقال السيطرة على القوات الجوية بسيناء بين المليز والعريش عدة مرات .

الضغط شرقاً

المرحلة الثانية للعملية
الهجومية الاستراتيجية (بدر) .
تطوير الهجوم شرقاً وتوقفه
١٤ أكتوبر ١٩٧٣

نجدة الشقيق

● ظهر من سير اعمال القتال في المرحلة الاولى للعملية الهجومية الاستراتيجية ان العدو يركز جهوده الرئيسية لايقاف هجوم القوات السورية كاسبقية اولى ، وذلك لعوامل عدة يأتى على راسها قرب القتال هناك من الاراضى الاسرائيلية ، الامر الذى يهدد العمق الاسرائيلى بصورة مباشرة .

ولهذا ركزت اسرائيل مجهودها الرئيسى ، ودفعت جزءا كبيرا من احتياطياتها التعبوية والاستراتيجية صوب الجبهة السورية . كما اتضح للقيادة المصرية ان العدو سوف يكتفى بتثبيت الجبهة المصرية ، وذلك بصفة مؤقتة ، لحين ايقاف التهديد السورى وتصفيته قبل ان يحول مجهودها الرئيسى صوب الجبهة المصرية . وظهر ذلك جليا من هبوط وتيرة هجمات العدو المضادة ، واضمحلال حجمها على الجبهة المصرية فى نهاية المرحلة الاولى ، وتحول بعض قوات العدو الى تجهيز خطوط دفاعية جديدة الى الشرق من رموس الكبارى ، بعيدا عن قواتنا .

ولاحباط مخطط العدو ، قرر القائد العام الفريق أول احمد اسماعيل العمل على اجبار العدو على نقل جهوده صوب سيناء . لتخفيف الضغط على القوات السورية . ولاجبار العدو على هذه المناورة تقرر التعجيل بقيام القوات المصرية بالضغط شرقا على العدو في سيناء مبكرا عما كان مخططا له من قبل ، اذ كان التخطيط العام السابق يقتضى تطوير الهجوم شرقا بعد اتمام انشاء رؤوس الكبارى ، وتحطيم كافة الضربات المضادة .

ولذلك تقرر أن يقوم الجيشان الميدانيان الثانى والثالث بتطوير الهجوم شرقا بجزء من قواتهما ، مع استمرار تمسكهما فى الوقت نفسه برؤوس الكبارى ، بواسطة القوات الأصلية التى كانت موجودة هناك منذ بداية العبور ، ونعنى بها الفرق المشاة الخمس .

وفى صباح ١١ اكتوبر الباكر اتمت اجهزة القيادة العامة المصرية تقدير الموقف والتخطيط لتطوير الهجوم شرقا بجزء من القوات المدرعة والميكانيكية ، للوصول الى المداخل الغربية لسلسلة المضائق الجبلية .

وتلخصت فكرة العملية فى استخدام مفارز قوية من القوات المدرعة والميكانيكية للسيطرة على شريحة من الأرض يصل عمقها الى ٣٠ كيلو مترا من القناة حتى المداخل الغربية للمضائق والممرات ، وأوكل اليهما مهمة تدمير قوات العدو الموجودة هناك ، وحرمانه من استخدام الطريق العرضى الذى يقع على هذه المسافة . والذى يوفر للعدو حرية الحركة والعمل ضد رؤوس الكبارى .

ولقد سبق للعدو فى الأيام السابقة استخدام ذلك الطريق العرضى للمناورة باحتياطياته المدرعة من الاتجاهات المختلفة وحشدتها لشن الهجمات المضادة والضربات المضادة القوية المتتالية ضد قوات رؤوس الكبارى ، والتى كان يهدف منها شق الطريق الى القناة وعزل القوات المصرية فى شرق القناة عن قواعدها فى الغرب تمهيدا لحصارها وتدميرها بعد ذلك . وان كان العدو قد فشل فى تحقيق هدفه فى الأيام السابقة إلا أن التفكير العسكرى السليم كان يقضى بسرعة حرمان العدو من استخدام ذلك الطريق العرضى تجنباً لآى مفاجآت قادمة .

كما كلفت تلك المفارز أيضا أن تمنع اندفاع قوات العدو من الشرق الى الغرب عبر تلك المضائق والممرات ، وذلك تمهيدا لتحقيق المهمة النهائية للقوات المسلحة ، فى الأيام القليلة التالية ، وفقا للخطة الموضوعة .

وقد احاط بهذا القرار مخاطر عدة ، كان أهمها خروج القوات من ستر غطاء صواريخ الدفاع الجوى المتمركز غرب القناة ، وتعرضها بالتالى لضربات العدو الجوية ، التى تلاحظ ازدياد شدتها وكثافتها ابتداء من ١٠ اكتوبر ، بفضل وصول الدعم الأمريكى لاسرائيل . كما

كانت ضرورة التمسك برءوس الكبارى على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وعدم اضعاف القوات الرئيسية الموجودة هناك او في غرب القناة تشكل ضرورة ملحة بصفة كونها الضمان الاكيد لعدم فقد القوات المسلحة اتزانها الاستراتيجى او التعبوى في هذه المرحلة الحرجة من المعركة الضارية .

ولذلك نصت التوجيهات الصادرة على استخدام مفارز صغيرة الحجم نسبيا ، ولكنها ذات قوة نيران كبيرة ، على أن تكون من خارج التكوين الاصلى للفرق المشاة الخمس التى كان عليها أن تستمر في التمسك برءوس الكبارى .

وهكذا تقرر ان يتم الضغط شرقا بمفارز مدرعة وميكانيكية بقوة كتائب والوية . ويتم توفير حمايتها ضد طائرات العدو بواسطة وسائل الدفاع الجوى الأرضية من صواريخ ذاتية الحركة وصواريخ محمولة ومدفعية مضادة للطائرات، وذلك بالإضافة الى مقاتلات القوات الجوية .

وفي الساعة ٦١٥ . يوم ١٤ أكتوبر وجهت القوات الجوية ضربة مفاجئة ضد أهداف العدو الهامة في سيناء ، كما تم تنفيذ ضربة بالصواريخ التكتيكية أرض / أرض متوسطة المدى ، ضد مراكز سيطرة العدو ، ومحطات الاعاقة الالكترونية ..

وفي الدقيقة نفسها فتحت نيران أكثر من ٥٠٠ مدفع ميدان متوسط وثقيل وعربة اطلاق صواريخ ، واستمرت النيران تنهمر فوق رؤوس العدو ومواقعه لمدة ١٥ دقيقة ، كى تمهد الطريق أمام القوات المهاجمة ، وتنزل بالعدو العقاب الجسيم .. وبدأت المفارز المصرية المدرعة والميكانيكية الهجوم سعت ٦٣٠ . يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ على النحو التالى :

- بقوة لواء مدرع وكتيبة ميكانيكية في اتجاه ممر متلا الجبل .
- بقوة لواء ميكانيكى في اتجاه مضيق الجدى .
- بقوة لواءين مدرعين في اتجاه المحور الأوسط .
- بقوة لواء مدرع في اتجاه المحور الشمالى .

وتقدمت المفارز في وجه ستارة عنيفة من نيران العدو وخاصة من اسلحته المضادة للدبابات التى اعتمد فيها على الصواريخ المضادة للدبابات الامريكية الحديثة الصنع ، التى وصلت المسرح توا . ووجه العدو على عجل الجزء الأعظم من قواته الجوية لاجباط تقدم قواتنا وايقاف هجومها ، كما ركز نيران مدفعيته الثقيلة على مواقع صواريخ دفاعنا الجوى ، وخاصة تلك التى انتقلت الى القرب من القناة لد الفطاء الجوى الى أبعد ما يمكن في الشرق ، وكذا تلك التى انتقلت الى داخل رؤوس الكبارى لتوفير الدفاع الجوى عنها .

ورغم المقاومة العنيدة تمكنت المفارز المصرية المدرعة والميكانيكية من التغلغل داخل أوضاع العدو لمسافة تراوحت بين ١٢ - ١٥ كيلو مترا وأوقعت به خسائر كبيرة ، واحتلت بعض مواقعه ، وأثبتت بغير شك أن التفوق النوعي في القتال إنما هو في جانب المقاتل المصرى الجسور ..

وازدادت ضراوة المعارك حدة على امتداد يوم ١٤ أكتوبر ، واتسعت ساحة القتال فاشتملت على كل شريحة الأرض التى تقع الى الشرق من رءوس كبرى الجيشين الميدانيين ، وحتى ١٥ - ١٨ كيلو مترا شرقا ..

ورجحت كفة قواتنا ، فأسرع العدو بحول جهد قواته الجوية من الجولان الى سيناء ، لينتقد الموقف الميئوس منه ، الذى أصبحت قواته تعانيه ، وفى الوقت نفسه ظهرت للقيادة الاتحادية دلائل قوية تشير الى تحريك العدو للجزء الرئيسى من احتياطياته الاستراتيجية وقواته المعبأة .. وخاصة من المدرعات ، صوب سيناء ..

وبنهاية اليوم ، وعندما ظهر جليا أن العدو قد تحول باهتمامه وقدراته الرئيسية نحو الجبهة المصرية ، بما خفف الضغط كثيرا على جبهة سوريا .. وبمجرد أن تأكدت المعلومات عن تحريك العدو لقوات برية جديدة من عمق اسرائيل صوب القناة ، قدرت القيادة العامة المصرية أن تطوير الهجوم شرقا قد حقق أهدافه العامة فى هذه المرحلة ، فأصدرت أوامرها بعودة المفارز داخل رءوس الكبارى لاعادة تنظيمها وتقويتها .. مع تعديل أوضاع بعض القوات ودعمها استعدادا لصد وتدمير الهجمات والضربات المضادة القوية المدرعة التى توقعت القيادة المصرية أن يبدأ العدو شنها خلال يوم ١٥ أكتوبر . وسرعان ما أثبتت أحداث الجبهة صحة ما توقعته القيادة العامة المصرية .

وخلال ذلك اليوم قامت القوات الجوية المصرية بتوفير الحماية الجوية للقوات البرية أثناء الهجوم ، وصدت هجمات العدو الجوية (الساعة ٩.٠٠ . والساعة ١٥.٢٠ يوم ١٤ أكتوبر) ولم ينجح العدو الا فى اصابة ممر فرعى واحد فى أحد مطاراتنا .

ودارت فى اليوم نفسه أروع معارك قواتنا الجوية حيث اشتبكت مقاتلاتنا (ستون طائرة ميج ٢١) مع تشكيل جوى معاد كبير ، وصل عدد طائراته الى ٧٠ - ٨٠ طائرة فانتوم وميراج فوق سماء الدلتا ، وأسقطت للعدو فى هذه المعركة خمس عشرة طائرة فانتوم ، مقابل تسع طائرات ميج ٢١ سقطت احداها نتيجة تصميم طيارها على الاقتراب من الطائرات المعادية التى اصابها لىتم تدميرها من مسافة قريبة للغاية . فانفجرت الفانتوم واصاب انفجارها طائرتنا ، ولكن طيارها تمكن من القفز سالما ، وعاد الى قاعدته ليشارك فى الطلعات التالية .

كما هاجمت قواتنا الجوية قوات العدو التى كانت تعترض هجومنا .. وأخرجت لكل هذه المهام حوالى ٥٠٠ طلعة / طائرة ، وأسقطت

للعـدو ١٧ طائـرة فـي مـعـارك جـوـية دـارت عـندما حـاول مـهـاجـمة أهـدافنا فـي العـمق . و كان يـوم ١٤ أـكـتـوبـر يـوما مـجـيدا لقـواتنا الجـوية البـاسـلة ..

واستمرت قـوات الدفـاع الجـوى فـي تـوفـير الغـطاء الجـوى للقـوات البرية والقواعد الجـوية بكفـاءة ، و ذلك فـي مـواجـهة تـركـيز العـدو لمـجـهـوده الجـوى ضـد الجـبهة المـصرية فـي مـحاوـلة لـاحـباط هـجـوم المـفـارز المـصرية .

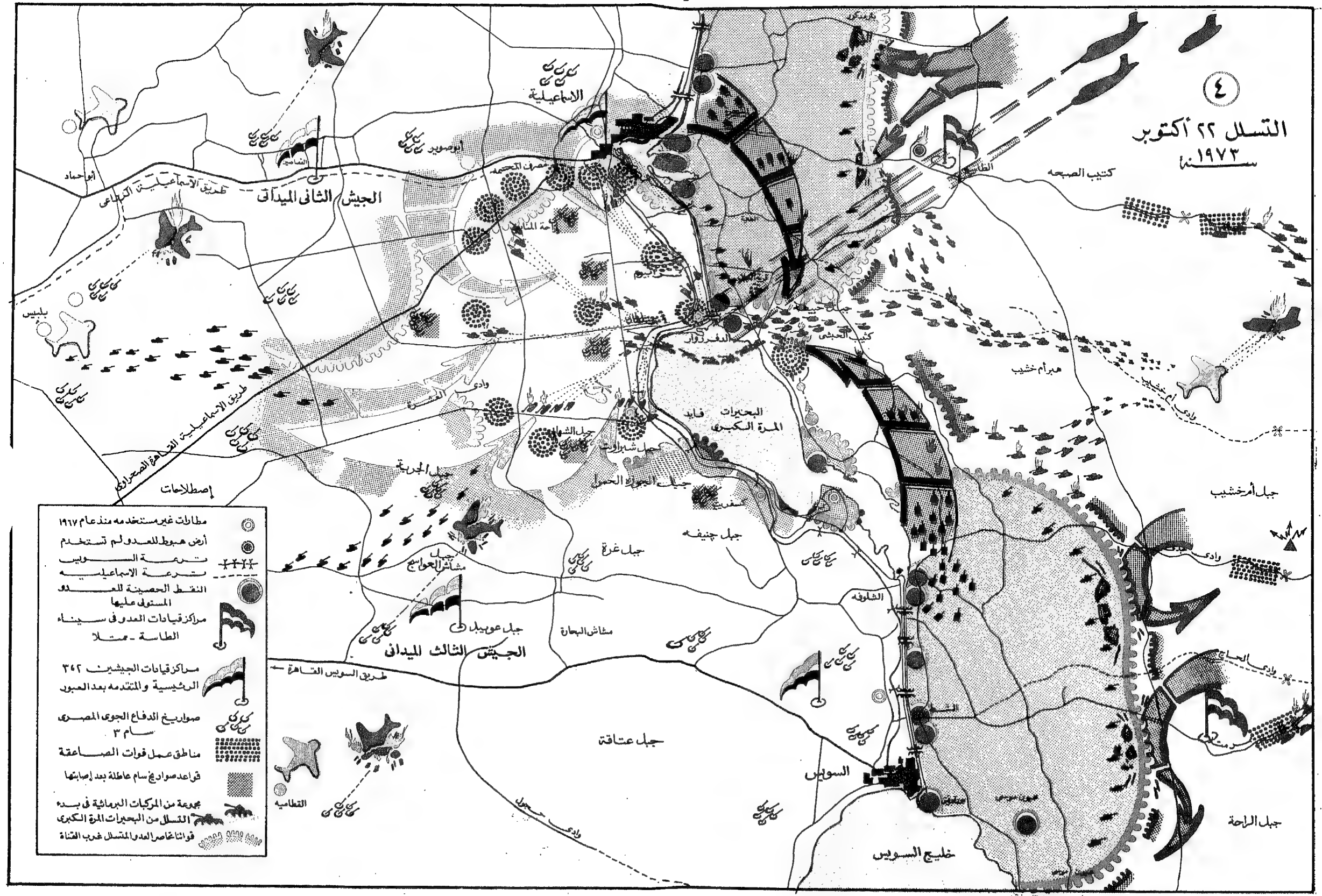
وقـد قامـت قـوات الدفـاع الجـوى بـنـقل بـعض كـتائب الصـوارـيخ الـى شـرق القـناة ، لـمـد الغـطاء الجـوى لـابـعد مـسـافـة مـمـكـنة الـى الشـرق ، تـوفـيرا لـلـحـمـاية المـنـشـودة لـهـجـوم المـفـارز المـصرية - و تمكـنت قـوات الدفـاع الجـوى خـلال هـذا الـيـوم مـن أسـقـاط ١٤ طائـرة للعـدو .. و كان يـوم ١٤ أـكـتـوبـر يـوما مـجـيدا ايـضا لدفاعنا الجـوى العـظـيم ..

اما القـوات البـحـرية فـقد اسـتـمرت فـي تـأديـة المـهام المـخطـطة لـها ، وقامت المدفعية السـاحـلية والصـوارـيخ البـحـرية بـقـصف مـواقـع العـدو وتـجمـعات قـواته البرية والبـحـرية فـي شـمال سـيناء .. و وقع اشـتبـاك بـحـرى مـع تـشـكـيل مـعاد تـسـانـده طائـرات الـهـليـكـوبـتر شـمال سـاحـل الدلتا ، و تم تـدمـير ٣ لـنـشـات صـاروخية للعـدو ، كما أسـقـطـت لـه طائـرتين .

وقصفت القـوات البـحـرية العـدو ومـراسـيه فـي جـنـوب سـيناء ، كما نفـذت الصاعقة البـحـرية أـغـارة خـاطـفة عـلى مـنـطـقة الشـيـخ بـيـشان جـنـوب الطور . واستمرت القواصـات والمدمرات فـي تـأمـين مـواقـعنا وقـطـع خـطـوط مـواصـلات العـدو البـحـرية . و هـكـذا كان يـوم ١٤ أـكـتـوبـر يـوما مـجـيدا ايـضا لقواتنا البـحـرية المـجـسـور ..

٤

التسلل ٢٢ أكتوبر
س ١٩٧٣



- مطارات غير مستخدمة منذ عام ١٩٦٧
- أرض هبوط للعدو لم تستخدم
- ترسة السويي
- ترسة الاسماعيليه
- النقط الحصينة للعدو المستولى عليها
- مراكز قيادات العدو في سيناء
- الطاسة - مثلا
- مراكز قيادات الجيشين ٣٤٢
- الرئيسية والمتقدمة بعد العبور
- صواريخ الدفاع الجوي المصري
- سام ٣
- مناطق عمل قوات الصاعقة
- قواعد صواريخ سام عاطلة بعد إصابتها
- مجموعة من المركبات البرمائية في بدء
- القتال من البحيرات المرة الكبرى
- قواتنا تحاصر العدو المتسلل غرب القناة

معارك الدبابات الكبرى

المرحلة الثالثة للعملية
الهجومية الاستراتيجية (بئر).
صد الهجمات المضادة المركزة
١٥ - ١٧ أكتوبر ١٩٧٣

عام :

● استمرت مصادر المخابرات والاستطلاع الحربية
منذ العاشر من أكتوبر ١٩٧٣ تتابع تدفق الامدادات
الامريكية على اسرائيل .

واتضح للقيادة المصرية ان الولايات المتحدة الامريكية لا تعوض
اسرائيل عن خسائرها فقط ، بل تمدّها بدعم جديد من الاسلحة
والمعدات الحديثة ، واهمها الدبابات والصواريخ الحديثة المضادة
للدبابات ، وصواريخ الشرايك والقنابل التليفزيونية ، ووسائل الشوشرة
والاعاقة الالكترونية ..

وبعد نجاح القوات المصرية في تخفيف الضغط عن جبهة سوريا ،
واجبار العدو على تحويل مجهوده الجوى الرئيسى الى الجبهة المصرية ،
وظهور بوادر انتقال اهتمام العدو من الجولان الى سيناء ، قرر الفريق
أول أحمد اسماعيل دعم رموس الكبارى وتقويتها ، وتحويلها الى صخرة
تتحطم عليها أمواج دبابات العدو التى توقع القائد العام أن القيادة
الاسرائيلية سوف تدفع بها فى هجمات وضربات مضادة قوية خلال
الخامس عشر من أكتوبر .

وصح ما توقعته القيادة المصرية . اذ نشط العدو فحشد فى

حرب رمضان - ١٩٧٧

مواجهة رؤوس الكبارى حوالى ٩ ألوية منها ٦ لواءات مدرعة وبعض الكتائب المستقلة من المشاة والدبابات والأسلحة الأخرى ، بالإضافة الى مختلف أنواع القوات ، فضلا على احتياطياته التعبوية والاستراتيجية وقواته الجديدة التى استمر فى تشكيلها فى الحلف ، والتى شملت لواءين ميكانيكيين ولواء مظلات .

وركز العدو اعتبارا من ١٥ أكتوبر هجماته وضرباته المضادة القوة المتفوقة ضد رؤوس الكبارى على طول المواجهة ، ووجه جهوده الرئيسية بصفة خاصة ضد الجانب الأيمن للجيش الثانى الميدانى (اللواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة) .

واستمر العدو خلال الفترة من ١٥ الى ١٧ أكتوبر يشن الهجمات والضربات المضادة ضد نفس اللواء . وبلغت بقوات جديدة الى المعركة مستغلا فيض الأسلحة الأمريكية التى أصبحت تصل اليه فى العريش بدلا من ميناء حيفا توفيرا للوقت فأمكنه أن يدفع أربعة ألوية مدرعة جديدة لتعويض الخسائر الفادحة التى الحقناها به اثناء ضرباته المضادة ضد ذلك القطاع الضيق من خط الجبهة ..

لقد دفع العدو فى هذه المرحلة حوالى ١٢٠٠ دبابة ، هاجم معظمها القطاع الأيمن للجيش الثانى الميدانى ، وتحطم خلال هذا القتال العنيف جزء كبير منها ، ومنى العدو بهزيمة سوف تبقى مرارتها فى حلقه لسنوات طويلة قادمة ..

الا أن العدو تمكن خلال نفس الفترة من ستر عبور بعض القوات الصغيرة - حوالى سرية مشاة ميكانيكية وسرية دبابات برمائية - عبر الطرف الشمالى للبحيرات المرة عند مطار الدفرزوار المهجور ، مستغلا ظلام ليلة ١٦/١٥ أكتوبر ، بهدف تحقيق كسب معنوى يغطى به آثار الأعمال الحربية الجديدة للقوات المسلحة المصرية والسورية .. ويرفع به من معنويات الجيش والشعب الاسرائيلى ، التى كانت قد تدهورت وقتئذ حتى وصلت الى الحضيض تماما ..

سرد الأحداث الرئيسية للمرحلة :

تأكدت القيادة العامة المصرية من عزم العدو على شن هجمات وضربات مضادة قوية يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، اذ لاحظت أنه قد حشد ٩ ألوية (منها ٦ مدرع ، ٢ لواء ميكانيكى ، ولواء مشاة) فى مواجهة رؤوس الكبارى .. وتابعت القيادة المصرية نشاط العدو فى أعمال الاستطلاع بقوة على طول المواجهة ، لتحديد نقاط الضعف والأجناب المعرضة فى أوضاعنا ..

واستمر العدو خلال ذلك اليوم بشن الهجمات المضادة المحدودة
الحجم والهدف لارهاق قواتنا ، كما أنشأ خطوط صد في مواجهة قوات
رءوس الكبارى لتثبيت باقى القوات .

واعتبارا من النصف الثانى من يوم ١٥ أكتوبر نشط العدو في
توجيه الضربات المضادة ضد رءوس الكبارى جميعا ، وركز جهوده
الرئيسية ضد الجانب الأيمن للجيش الثانى (اللواء الأيمن للفرقة ١٦
المشاة) ، ثم توالى هجمات العدو الليلية بوتيرة عالية .

واستمرت قواتنا تصد وتدمر تلك الهجمات ، ولم يتوقف العدو
عن دفع قوات جديدة ضد اللواء الذى كان يحمى الجانب الأيمن للفرقة
١٦ المشاة المصرية . إلا أن هذا اللواء استبسل في الدفاع واستمر يصد
هجمات العدو المضادة ، ثم تحول الى حصار العدو وتدمير قواته ،
وأوقع به من الخسائر المؤكدة ما بلغ مقداره كتيبتى دبابات كانتا قد
حاولتا التسلل داخل أوضاع اللواء الدفاعية ، عبر الأراضى السبخية
شرق القناة ، خلال ليلة ١٦/١٥ أكتوبر ١٩٧٣ .

وتوالى هجمات العدو الليلية بهدف تصفية رأس الكوبرى في هذا
القطاع ، والاستيلاء على جزء من الضفة الشرقية للقناة ، لإنشاء المعابر
اللازمة لنقل جزء من القوات والأسلحة الى الضفة الغربية .. ولكن
العدو لم يتمكن من تنفيذ هدفه هذا .. فلم ينجح الا في دفع العناصر
الأمامية للواء الأيمن الى الخلف لمسافة حوالى ٢ - ٣ كيلو متر ولكن
قوات الفرقة ١٦ المشاة سرعان ما استردت الأرض المفقودة قبل أن يبرزغ
فجر اليوم السابع عشر ، ثم أتمت تدمير قوات العدو في مواجهتها
بعد ذلك .

إلا أن العدو تحت ستر الهجمات المضادة الليلية تمكن من أن يدفع
بقوات صغيرة لا يتجاوز حجمها سرية المشاة الميكانيكية ، تركب حاملات
أفراد برمائية أمريكية الصنع (عشر ناقلات م ١١٣) وسرية دبابات
برمائية (من سبع دبابات) .. وتسلفت تلك القوة الصغيرة تحت ستر
الظلام عبر الطرف الشمالى للبحيرات المرة الى مطار الدفرزوار المهجور
واختبأت داخل الأشجار والأحراش الكثيفة المنتشرة في تلك المنطقة ..

ومع استمرار فشل العدو في تصفية رأس الكوبرى للواء الأيمن
للفرقة ١٦ المشاة ، ومع تزايد خسائره ، وخاصة في الدبابات والأفراد
عمد الى دفع قوات مدرعة اضافية ، حتى بلغ اجمالى ما دفعه منها على
التوالى أكثر من أربعة ألوية مدرعة جديدة (أى حوالى ٤٠٠ - ٥٠٠
دبابة) ، زجها للقيام بهجمات مضادة قوية ضد نفس اللواء الأيمن
المستبسل ، مع متابعة هجماته المضادة ضد باقى قواتنا فى رءوس
الكبارى الأخرى ، بقوات جديدة طوال الفترة من ١٥ الى ١٩ أكتوبر ،
حتى تمكن في النهاية من دفع اللواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة نحو الشمال
مسافة ٨ - ١٠ كم ..

ولكن العدو لم ينجح فى أى هجوم مضاد آخر ضد أى من رؤوس الكبارى الأخرى ، بل فشلت جميع هجماته ، وتكبد فيها خسائر ضخمة للغاية ، واستولت قواتنا على الكثير من المعدات الصالحة والأسرى .

وعلى الضفة الغربية للقناة قامت القوات الاسرائيلية المتسللة صباح السادس عشر من أكتوبر بالتسرب صوب مواقع الصواريخ المضادة للطائرات ، وهاجمتها بالنيران من بعد . وأسكتت البعض منها ، وأحدثت بذلك ثغرة فى نظام دفاعنا الجوى ، استغلتها قوات العدو الجوية فى مهاجمة مؤخرة قواتنا ، وستر أعمال القوات المدرعة المتسللة ، التى اصطدمت ببعض القوات المصرية ، فتمكنت من تدمير جزء من دبابات العدو ، وأجبرت الباقي على الاختفاء فى منطقة الأحرار حول الدفرزوار .

وكانت القيادة المحلية فى موقع التسال على يقين من قدرتها على القضاء على باقى قوة التسال المعادية .. ولهذا دفعت قوة صغيرة كلفتها بالقضاء عليها ، الا أن العدو استمات فى فتح الثغرة ودعمها ، وألقى بكل ثقله الجوى ضد أعمال قواتنا البرية غرب القناة ، والتى كانت قد حرمت من فطائها الجوى بالصواريخ على النحو الذى فصلناه آنفا .

ودفع العدو فى مواجهة الثغرة على الجانب الشرقى للقناة بقوات مدرعة جديدة ، بلغ حجمها أكثر من أربعة ألوية مدرعة - كما سبقت الإشارة إليه - لتعمل ضد اللواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة ٠٠ الا أن هذه المدرعات الإضافية فشلت بدورها عدة مرات فى فتح الثغرة أو دعم القوات التى تسالت الى الغرب .

وتضاربت البلاغات المرسلة من القيادات المحلية بشأن قوة وحجم واتجاهات وطبيعة عمل قوات العدو التى تسالت الى الغرب عند الدفرزوار ، ولم تفلح الهجمات المضادة التى شنتها القوات الاحتياطية المصرية الصغيرة هناك فى تدمير قوات العدو بالكامل وان كانت قد أنزلت بها خسائر فادحة ، واستمر العدو فى دعم قواته فى الغرب وزيادة حجمها تدريجيا .

ولذا رأت القيادة العامة المصرية ضرورة التدخل لانهاء هذا الوضع ، وأصدرت أوامرها بعدم العمل بقوات صغيرة وقررت استخدام لواء كامل من الاحتياطيات الموجودة بالغرب لتدمير قوات العدو الموجودة هناك .

وكانت خطة القيادة العامة تقضى بحصار القوات المتسللة فى أضيق مساحة فى الغرب وسرعة تدميرها بواسطة ذلك اللواء من الاحتياطى ، والعمل فى الوقت نفسه على حرمان العدو من تدعيم قواته فى الغرب بقلل الثغرة ومداخلها من الشرق بواسطة قوات من الجيش

الثالث تقوم بالهجوم شمالا على امتداد الشاطئ الشرقى للبحيرات المرة للاتصال بقوات من الجيش الثانى تهاجم جنوبا من داخل رأس كوبرى الفرقة ١٦ المشاة .

وتم حشد نيران المدفعية ضد قوات العدو المنتشرة فى منطقة الدفرزوار وهاجمتها القوات الجوية بالمقاتلات القاذفة وطائرات الهليكوبتر .

ولكن لم يحقق الهجوم المضاد للواء المصرى (من الاحتياطى فى غرب القناة) النتائج المرجوة وذلك لتركيز العدو لمجهوده الجوى لمساعدة قواته الموجودة هناك ، ولانتشارها فى المناطق الزراعية ودخل الحدائق والأحراش ، ولاختفائها داخل المباني الخالية فى المعسكرات المهجورة ، ولذا لم تتمكن قواتنا من حصر جميع العدو الرئيسى وتدميره بالكامل ، وان دمرت فى قتال باسل كل ما اصطدمت به من قوات للعدو .

وعلى الضفة الشرقية لقناة السويس دفع لواء مدرع من داخل رأس كوبرى الجيش الثالث للهجوم والاتصال بقوات الجيش الثانى واتمام اغلاق مداخل الثغرة من جهة الشرق . .

وتقدم اللواء المدرع فى مواجهة مقاومة معادية عنيفة ، ازدادت ضراوة كلما اقترب من رأس كوبرى الجيش الثانى ، وذلك لتيقن العدو من فداحة خسائره لو أمكن للقوات المصرية اغلاق المداخل الشرقية المؤدية الى الثغرة . واستخدم العدو لايقاف هجوم هذا اللواء كل الأسلحة المتوفرة لديه ، من قوات جوية وقوات مدرعة وصواريخ أمريكية حديثة مضادة للدبابات ، ودار قتال رهيب بين اللواء المدرع المصرى وقوات معادية تفوقه حجما عدة أضعاف .

وبنهاية يوم ١٦ أكتوبر وصلت المسافة بين القوات التى دفعت من الجيشين الثالث والثانى الى حوالى أربعة كيلو مترات، ولكنها لم تتمكن من تحقيق الاتصال ، الذى استمات العدو لمنعه ، وتوقفت العناصر المتقدمة للواء المدرع المصرى جنوب النقطة الحصينة عند تل سلام على الضفة الشرقية للبحيرات المرة الكبرى .

وتوالت اشارات القادة الاسرائيليين - التى تمكنت اجهزتنا من التقاطها - تطلب الاذن بتأجيل تنفيذ المهام لغداخة الخسائر ، وخطورة الموقف ، وعنق النيران المصرية التى تسد فى وجوههم كل طرق الاقتراب الى القناة . .

كان العدو يعلم أن قرار وقف النيران على وشك الصدور . . وبالتالي سوف يكون سريانه ضمنا له فى مفامرته التى بدت ملامح فشلها تلقى ظلالها الكثيفة على موقفه العام . . ولهذا قرر الاستمرار فى المغامرة ، رغم ما حاق به من خسائر ، لعل ما يأتى به

الغد القريب يخفف ولو قليلا من لوعة الهزيمة ، ويرفع ولو بقدر محدود من المعنويات المنهارة في الجبهة وفي عمق الدولة ..

وعلى هذا استمر العدو يعزز قواته تدريجيا في الغرب ، مبتدئا باستخدام المعدات البرمائية ، ثم المدرعات .. وبعد أن تمكن من دفع العناصر الامامية للواء الايمن للفرقة ١٦ المشاة شمالا .. انشأ كوبريا استعمله في عبور قواته الى الغرب ..

وكان ذلك الكوبري بعيدا عن طائلة اسلحة المشاة .. الا انه كان في متناول مدفعية الجيش الثاني ، بل المدفعية بعيدة المدى للجيش الثالث ، وبفضل التعاون الوثيق بين قائد مدفعية الجيش الثاني (العميد اركان الحرب محمد عبد الحليم ابو غزالة) وقائد مدفعية الجيش الثالث (العميد اركان الحرب منير شاش) أمكنهما أن يحولا معبر الكوبري الى جحيم مستعر .. وغرق الكوبري والدبابات فوقه .

وبعد انقضاء عام كامل سجل الجنرال اربيل شارون ذكرياته عن هذه الفترة الاليمة في عدد جريدة داغار الصادر يوم ٢٢/١٠/١٩٧٤ فقال :

« في لحظة من اخطر فترات الحرب يوم ١٧ اكتوبر قابلت ديان وبارليف في الساعة ١٣.٠ بعد أن مرت ٣٦ ساعة على عبور مجموعتي الى الضفة الغربية حيث خاضت معارك ضارية ازدحمت بسببها ارض القتال بالجثث المبعثرة هنا وهناك التي بلغ عددها حوالى ٣٠٠ من جنودى ..

« وفي اليوم نفسه بدأ المصريون بطوقونا ويغلزون كافة المنافذ في وجوهنا .. وتوقفت قوات كثيرة لنا في الشرق غير قادرة على التسلل الى الغرب .

ولما لامنى بارليف خلال هذه المقاتلة وقال ان الفرق شاسع بين الخطة التي عرضتها عليه للعبور غربا وبين ما حدث فعلا .. تملكنتى سورة الغضب ، وحدثتني نفسى ان اصغعه على وجهه ، ولكننى تماكنت اعصابى وحولت ذهنى الى احداث الساعة ١٠.٠ من ليلة ١٦/١٧ الرهيبة .. فتذكرت قتلانا الكثيرين ومركباتنا التي تحولت الى اكوام من الفحم » ..

ودفع العدو ثمننا غاليا لتلك المفامرة .. اذ تحولت منطقة الدفرزوار شرق وغرب القناة الى مقبرة لمدرعاته وافراده ، بل مقبرة لوحدات كاملة من تنظيمه الميداني .. وبعد عشرين يوما وصف جرانفيل بوست مراسل روتر الحربى ارض هذه المعركة .. فكان مما قاله عنها .. « لا يزال حطام الدبابات الاسرائيلية من طراز سنتوريون وعليها آثار الحريق والرماد مبعثرة على امتداد المنطقة الصحراوية المسطحة ، ذكرى للمعارك التي تمثل أروع الانتصارات المصرية » ..

وطوال تلك الفترة لم يتمكن العدو من تعديده سوى لواء مدرع واحد ، واستغل بقاياه الممزقة التي نجت من جحيم المدفعية المصرية في عمل الكمان في منطقة الأشجار حول الدفرزوار ، وفي تشكيل الدوريات الصغيرة (كل من ١ - ٢ دبابة ، ١ - ٢ فصيلة مشاة) التي داومت على التسلل الى مواقع الصواريخ المضادة للطائرات لاخلال نظام الدفاع الجوي ، وذلك باطلاق النيران على تلك المواقع من مسافات بعيدة .

وعلى امتداد تلك الفترة قامت بعض القوات المصرية من المشاة والدبابات الموجودة على الضفة الغربية . وبعض احتياطيات القيادة من عناصر الصاعقة والمظلات بالهجوم المضاد على قوات العدو المتسللة لحصرها وتدميرها . وانزلت بالعدو خسائر ثقيلة . وتقاضت منه ثمنا غاليا جدا مقابل مغامرته الاستعراضية التي كان الجنرال أندريه بوفر المدير السابق للمركز الاستراتيجي الفرنسي أول من أطلق عليها اسم « المعركة التليفزيونية » .

وركزت قوات العدو الجوية جهودها بعد ان حدثت الثغرة في نظام الدفاع الجوي ، فتمكنت من انقاذ فلول العدو المبعثرة هنا وهناك بين الأشجار ، واحتتمت تلك القوات الميؤس من وضعها داخل القرى والحدائق والأحراش ، وتجنبنت الدخول في قتال جدي مع القوات المصرية التي استمرت في البحث عنها واصطيادها وتدمير ما تجده منها .

وقامت قواتنا الجوية خلال هذه المرحلة بألف وخمسين طلعة لحماية الاهداف الحيوية والقوات البرية ، وصدت الهجمات الجوية المركزة التي حاول العدو توجيهها مرتين ضد بعض المطارات والقواعد الجوية دون نجاح ، وكذا حماية قطاع بور سعيد . وكان تفصيل هذه الطلعات المخططة بحذق وجسارة ٩٥٠ طلعة مقاتلة ، ٩٠ مقاتلة قاذفة ١٠ طلعات هليكوبتر . كما قامت القوات الجوية بمهاجمة قوات العدو شرق وغرب منطقة الدفرسوار ، وأغرقت كوبريا آخر للعدو .

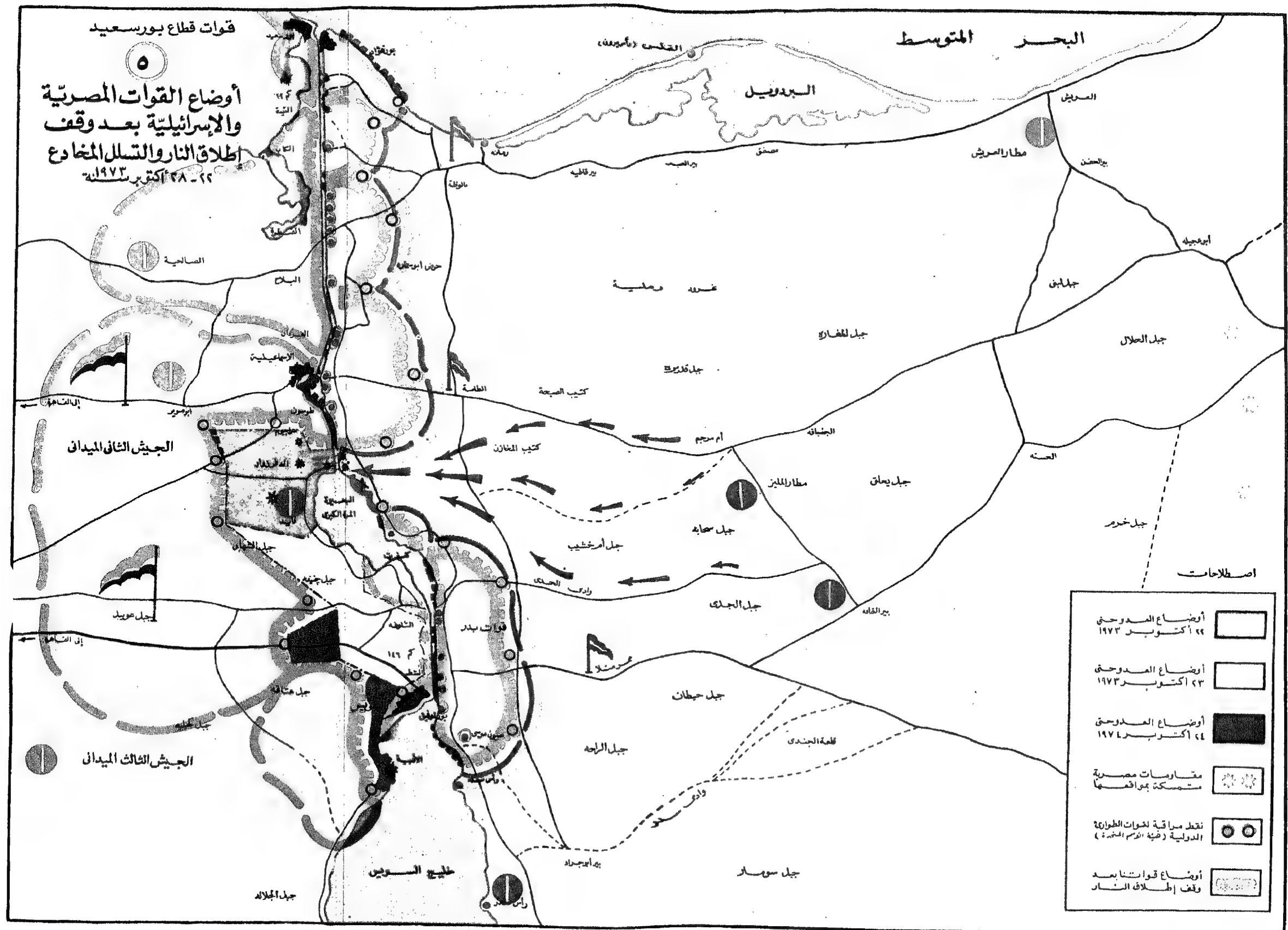
وقد تحملت القوات الجوية خلال تلك الفترة أعباء ثقيلة تربت على نجاح العدو في فتح الثغرة التي وان كانت قيمتها صغيرة ، الا أنها على كل حال كانت ثغرة في نظام دفاعنا الجوي ، في القطاع الأوسط من الجبهة غرب القناة ، وقد تمكنت قواتنا الجوية خلال نفس الفترة من اسقاط اثنتى عشرة طائرة للعدو .

وظلت قوات الدفاع الجوي - رغم خسائرها - تواصل تقديم الحماية الفعالة لقواتنا البرية من مواقعها غرب القناة ، وفي قطاع بور سعيد ، ورغم تركيز العدو الجوى لمجهود كبير هناك بغرض تدمير جميع الصواريخ المضادة للطائرات الموجودة به ، تمكنت قواتنا المسلحة في هذا القطاع بالتعاون مع أهالي بور سعيد والسلطات المدنية من استعادة كفاءة نظام الدفاع الجوي عدة مرات ، مما فاجأ طائرات العدو التي ظنت في كل مرة أنها قد قضت عليه القضاء المبرم الأخير .

ويكفي دفاعنا الجوي فخرا انه قد دمر للعدو ٤٠ طائرة خلال هذه المرحلة من ١٥ الى ١٧ اكتوبر ، والتي بلغ حجم طلعات العدو الجوية فيها نحو ٧٠٠ طلعة طائرة .

واستمرت القوات البحرية فى تنفيذ مهامها فى البحرين الأبيض والاحمر ، فقامت بقصف منطقة رأس سدر باللنشات المسلحة ، وصدت محاولات العدو الكثيرة للاقتراب من منطقة بور سعيد وبعض مراسينا على البحر الاحمر ، كما دمرت مجموعة من الضفادع البشرية حاولت مهاجمة بعض القطع البحرية فى ميناء بور سعيد .

وأغرقت القوات البحرية خلال نفس الفترة لنشا مسلحا للعدو ، واصابت لنشا آخر بعطب جسيم ، واستمرت غواصاتنا ومدمراتنا فى فرض سيطرتنا على مياه البحرين الأبيض والاحمر وقطع مواصلات العدو البحرية ، وغلق موانيه . .



المعركة التليفزيونية

المرحلة الرابعة للعمليات
الهجومية الاستراتيجية «بدر»
تطور القتال غرب القناة
١٨ - ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣

عام :

● وأخيرا جاءت المرحلة الرابعة من الحرب ، والتي
دارت فيها أعمال القتال النشطة على الضفة الغربية
لقناة السويس بصفة اساسية .

قامت قواتنا المسلحة خلال هذه الفترة بحصر قوات العدو التي
نجحت في العبور غرب القناة ، وتدمير عناصرها التي اقتربت من
مدينة الاسماعيليه تهدف الى الاستيلاء عليها . . . وتمكنت القوات المسلحة
المصرية بالتعاون مع عناصر الدفاع الشعبي وقوات الشرطة والاهالي من
حصر قوات العدو في قطاع ضيق ملاصق للقناة شمال البحيرات المرة ،
في مناطق الأشجار والأحراش . .

وتأهبت القوات المصرية لتوجيه الضربة القاضية ضدها عندما
جاءها قرار وقف إطلاق النار الذي أصدره مجلس الأمن بمبادرة وضمان
القوتين الأعظم ، وبتأييد من المجتمع الدولي كله . .

وأعلنت مصر واسرائيل عن قبوله ليسرى منذ الساعة ١٨٢٥ يوم
٢٢ أكتوبر ، واحترمت مصر القرار الذي كان ينص على انسحاب اسرائيل
من كل الأراضي العربية المحتلة الى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ . . وأصررت على

البدء فوراً في تنفيذ ذلك ٠٠ أما سوريا فقبلت إيقاف النيران يوم ٢٤ أكتوبر ٠٠

ولكن العدو قبل القرار لأنه كان يترنح وقتها على شفا الهزيمة ، وقبله أيضاً لأنه يوفر له عنصر تأمين في مغامرته المحفوفة بالمخاطر ، التي قام بها ليسرق النصر من العرب ، ويحقق كسبا معنوياً يغطي به آثار الأعمال الحربية المجيدة لقواتنا - ولهذا أظهر العدو رضاه بقرار إيقاف النار ، وأصر النية على المضي في العدوان ٠٠ بل تمادى في تعريض قواته للخطر ، واضعاً نصب عينيه أنه سريعا ما سوف يصدر قرار آخر بوقف إطلاق النار فيؤمنه من انتقام القوات المصرية ٠ وكان هذا هو نفس ما فعله في الجولات الثلاث السابقة

سرد الأحداث الرئيسية :

قامت قوات الجيش الثاني المتمركزة في غرب القناة وعناصر من احتياطيات القيادة العامة من المظلات والصاعقة باستعادة الساتر الترابي على الضفة الغربية في مواجهة الثغرة عند الدفرزوار وشمالها ، ودمرت قوات العدو هناك ، ووجهت أعمالاً نشطة بوحدات من الصاعقة والمظلات جنوب ترعة الاسماعيليه وفي منطقة فايد ٠٠

وركز العدو جهوده ضد القوات التي احتلت الساتر الترابي ، والتي وإن أبدت مقاومة بطولية ، إلا أنها اضطرت تحت ضغط العدو الى الارتداد شمالا ، بعد قتال عنيف وخسائر فادحة في الجانبين ٠٠

وحاول العدو اتمام الضغط والوصول الى مدينة الاسماعيليه لتحقيق نصر سياسي وعسكري ، ولكن رجالنا استماتوا في التشبث بالأرض ، وتعاونت عناصر المظلات والصاعقة والمشاة ، فأجبت كل محاولات العدو لاقتحام مدينة الاسماعيليه ٠

ونظمت عناصر الجيش الثاني الموجودة غرب القناة أوضاعها الدفاعية على النطاق الدفاعي الثاني غرب القناة وجنوب ترعة الاسماعيليه ، وذلك بواسطة احتياطيات الجيش الثاني ، وعناصر من احتياطيات القيادة العامة ، وتمت الاحاطة بقوات العدو المتسللة واحتوائها ، ومنع انتشارها شمالا أو غربا أو جنوبا ، تمهيدا لتدميرها في مرحلة لاحقة ٠٠

واعتبارا من ٢٠ أكتوبر عاود العدو محاولات التسلل بعناصر صغيرة في اتجاه الجنوب الا أن قوات الجيش الثالث الميداني بقيادة اللواء محمد عبد المنعم واصل تصدت له ببسالة منقطعة النظير ، وصدت كل محاولاته ، ودمرت قواته التي حاولت الانتشار صوب مؤخرتها ، وردت ما بقي منها على قيد الحياة صوب الشمال ٠٠

واستمرت محاولات العدو طوال يومي ٢١ ، ٢٢ أكتوبر لمواصلة

التسلل جنوبا ، ولكنه لم يحقق النجاح المأمول ، كما لم يشكل أى تهديد جدى على قوات الجيش الثالث سواء الموجودة منها فى رأس الكوبرى شرق القناة أو الموجودة غربها ، وذلك حتى بدأ سريان قرار وقف إطلاق النار سعت ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر .

وكان كل ما نجح العدو فى تحقيقه حتى ذلك الوقت هو تدمير عدد من مواقع الصواريخ المضادة للطائرات ، مما دفع القيادة المصرية الى سحب باقى الصواريخ المنتشرة فى المنطقة الملاصقة للجزء الجنوبى من قناة السويس حتى لا تتعرض للتدمير ، وللمحافظة على سلامة نظام الدفاع الجوى .

وقد أدت هذه الأحداث الى كشف الغطاء الجوى بالصواريخ عن قوات الجيش الثالث شرق القناة ، مما أتاح للعدو فرصة مهاجمتها بالقوات الجوية بتركيز شديد ، وتجاوزت طلعاته الجوية خلال يوم ٢٢ أكتوبر على الجبهة المصرية وحسدها ٨٤٥ طلعة/طائرة ، الأمر الذى لم يحدث مثله طوال الحرب .

وخلال تلك الفترة استمرت قوات الجيشين الثانى والثالث المرتكزة شرق القناة فى تثبيت العدو فى مواجهتها ، ودفعت ببعض المفارز لمهاجمة قوات العدو هناك ، ودارت بعض المعارك الصغيرة فى حجمها ، الكبيرة بالنسبة لما أوقعته فى العدو من خسائر .

وتمكن اللواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة من شن الهجوم المضاد الذى استعاد على أثره بعض مواقعه التى كان قد اضطر لاختلافها سابقا . وفشل العدو فى تصفية رأس كوبرى هذا اللواء منذ بدأ يضغط عليه فى الخامس عشر من أكتوبر حتى انتهت أعمال القتال فى ذلك القطاع يوم ٢٥ أكتوبر .

وفى الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر بدأ سريان قرار وقف إطلاق النار . وكان موقف القوات المضادة كالآتى :

• قواتنا فى رؤوس الكبارى متشبثة بمواقعها شرق القناة ، بكل من عناصر الجيش الثانى والجيش الثالث .

• قواتنا غرب القناة تحتل النطاق الدفاعى الثانى ، وتؤمن المنطقة جنوب الاسماعيلية ، وقد أتمت حصار قوات العدو فى الضفة الغربية من القناة ، وشمال البحيرات المرة .

وبذا أصبحت قوات العدو المتسللة محصورة بين ترعة الاسماعيلية شمالا ، والنطاق الدفاعى الثانى غربا ، ومنطقة جبال شبراويت والشهابى وجبل جنيفة وجبل القط جنوبا .

وخلال تلك الفترة قامت قواتنا الجوية بتنفيذ حوالى ٢٥٠٠ طلعة طائرة منها ١٨٠٠ طلعة مقاتلات ، ٣٠٠ طلعة مقاتلات قاذفة ، ٢٠ طلعة

هليكوبتر ، و ١٠ طلعات استطلاع جوى • الى جانب طلعات أخرى مختلفة ، كل ذلك بغرض حماية القواى البرية والقواعد والمطارات وتدمير قوات العدو المتسندة فى المنطقة غرب وشرق البحيرات المرة والقناة ، وإبرار عناصر الصاعقة داخل أوضاع العدو ، كما ركزت جزءا كبيرا من جهودها لحماية قوات رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القناة ..

وتمكنت قواتنا الجوية خلال هذه الفترة من اسقاط حوالى ٣٣ طائرة وهليكوبتر للعدو ..

واستمرت **قوات الدفاع الجوى** فى توفير الحماية للأهداف الحيوية بالدولة وللقوات البرية والمطارات والقواعد الجوية ، وصدد هجمات العدو الجوية التى اشترك فيها ما يربو على ١٨٠٠ طلعة/طائرة خلال هذه الفترة (من ١٨ الى ٢٢ أكتوبر) •

وبعد سحب عناصر صواريخ الدفاع الجوى من المنطقة الملاصقة للقناة فى قطاع الجيش الثالث أصبحت هناك ثغرة فى نظام الدفاع الجوى عرضت قوات رأس الكوبرى فى الجيش الثالث لهجمات العدو الجوية .. وتشجع طياروه بعد أن ابتعد الخطر الذى كان يردعهم .. ورغم ذلك فقد تمكنت قوات الدفاع الجوى من اسقاط حوالى ٢٧ طائرة خلال هذه المرحلة ..

واستمرت **القوات البحرية** فى تنفيذ مهامها لحماية سواحل ومياه الجمهورية ، وتدمير سفن العدو البحرية وقطع خطوط مواصلاته • وصدد المدفعية الساحلية اغارة للعدو على منطقة الغردقة ليلة ١٩/١٨ أكتوبر ، وتم تدمير زورق وجماعة ضفادع بشرية ، كما صددت اغارة باللنشات المسلحة على الميناء ليلة ٢٢/٢١ أكتوبر ، وتم تدمير لنشين مسلحين •

وحدثت معركة بحرية بين لنشات صواريخنا ومدفيعتنا وصواريخنا الساحلية وبين تشكيل بحرى معادى من ٤ - ٦ لنشات صواريخ حاول الاقتراب من خليج أبو قير ، وتم تدمير واغراق لنشين صواريخ (سعر) واصيب لنش ثالث شحط بعد ذلك امام رشيد ودمرته القوات الجوية صباح اليوم التالى ، كما تم خلال هذه الفترة تدمير ١ - ٢ هليكوبتر حاولت انقاذ افراد هذه اللنشات المصابة ..

وفى مجال قطع طرق المواصلات البحرية المعادية تم اغراق سفينة تجارية وأخرى (يحتمل أنها كانت تحمل طائرات هليكوبتر) ، كما أغرقت وحدة بحرية متوسطة (يحتمل أنها سفينة انزال جنود) وناقلة البترول الاسرائيلية « سيروس » حمولة ٤٦ ألف طن ، عند مدخل خليج السويس ..

الانتشار في حمى القرار

المرحلة الخامسة للعملية
الهجومية الاستراتيجية
« بمر »
الاندفاع جنوبا وغربا

٢٣ - ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣

عام :

● قام العدو بعد سريان قرار وقف اطلاق النار ، وفي
حماه ، بدفع جماعات صغيرة من الدبابات والمشاة
الميكانيكية عبر المسالك الجبلية والمدقات صوب الجنوب .
وحاولت بعض تلك القوات عدة مرات اقتحام مدينة
السويس التي خالتها لقمة سائغة تططن بها
دعايتها .

ولكن شعب السويس تكاتف مع قواته المسلحة في الذود عن حياض
المدينة الصامدة ببسالة منقطعة النظير ، وأباد عدة موجات للعدو ، وكبده
خسائر كبيرة ، فرجع العدو عن هذه المحاولة الباهظة التكاليف .

واستمرت جماعات صغيرة للعدو تتدفق جنوبا وغربا ، مع تجنب
المقاومات المصرية ، وتحاول الانتشار فوق أكبر مساحة ممكنة والوصول
الى أماكن لم تكن موجودة بها عندما سرى قرار وقف اطلاق النار للمرة
الأولى (القرار رقم ٣٣٨ لمجلس الأمن) . وكانت المؤسسة العسكرية
الاسرائيلية تهدف من وراء ذلك الى الوصول خلف قواتنا لتقطع خطوط

امداداتها ومواصلاتها .. وهكذا تداخلت القوات المتضادة ، واختلط بعضها ببعض الآخر اختلاطا شديدا ..

واستمرت القوات المصرية في حصر قوات العدو ، ومنع انتشارها صوب الشمال أو الجنوب أو الغرب ، كما استمرت في تدمير كل ما تعثر عليه من مفارز معادية منتشرة في الجيب المعادي غرب القناة وشرقها حتى حل يوم ٢٥ أكتوبر فتوقفت الاعمال القتالية النشطة بإعلان اسرائيل وقف اطلاق النار وان استمرت بشكل محدود في القطاع الجنوبي بجهة قناة السويس حتى الساعة ١١٢٣ يوم ٢٨ أكتوبر ، عندما بدأت قوات الطوارئ الدولية في الوصول الى مشارف مدينة السويس للفصل بين المتحاربين .. فهدأ القتال الى حين ..

سرد الأحداث الرئيسية :

عندما وافقت جمهورية مصر العربية على قبول قرار مجلس الأمن بوقف اطلاق النار وضعت القيادة العامة للقوات المسلحة في اعتبارها احتمال ان يعثب العدو بهذا القرار ، ولهذا نصت توجيهات العمليات التي اصدرتها في الساعة ١٧٢٠ يوم ٢٢ أكتوبر الى جميع تشكيلات ووحدات القوات المسلحة على الآتي :

✳ « بناء على قرار مجلس الأمن ، وموافقة جمهورية مصر العربية ، بوقف اطلاق النار ، وبناء على أوامر القائد العام للقوات المسلحة يوقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ١٨٥٢ اليوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ اذا التزم العدو به . على جميع القادة اتخاذ كافة الاجراءات اللازمة لتأمين قواتهم بما في ذلك المفارز المتقدمة . تبقى القوات المسلحة في الحالة الكاملة للتأهب لحين صدور تعليمات أخرى » .

وعلى الجانب الآخر كانت القيادة الاسرائيلية تضمر شيئا خبيثا .. سوف تنكشف دوافعه اذا ما رجعنا الى ملابسات اتخاذ قرار المغامرة الاسرائيلية غرب القناة وتأثير قرار وقف اطلاق النار عليها .

ولقد قررت القيادة الاسرائيلية القيام بتلك المغامرة الخطرة لتحقيق عدة أهداف أهمها :

- تحويل « تيار الحرب » لتأخذ اسرائيل مبادرة الهجوم .
- تغطية آثار النصر العسكري الباهر للقوات المسلحة المصرية باقتحام قناة السويس واجتياح خط بارليف ، وتحويل الأنظار عن الصدمة التي تلقاها الجيش الاسرائيلي .

- تقوية الروح المعنوية بين القوات الاسرائيلية التى تعرضت لهزائم ساحقة فى المراحل الأولى للحرب .
- رفع الروح المعنوية لشعب اسرائيل واستعادة ثقته فى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .

ووضعت القيادة الاسرائيلية فى اعتبارها أن تنفيذ تلك المغامرة قد يؤدى الى حدوث ارتباك وشلل فى السيطرة العسكرية المصرية وإن ادارة القتال غرب القناة قد تضطر القيادة المصرية الى سحب أجزاء من قواتها من رءوس الكبارى الصامدة فى الشرق مما يسهل مهاجمتها بعد ذلك ، كما أن طريقة القتال هناك توفر الفرصة للمدركات الاسرائيلية للقيام بأعمال المناورة والتطويق .

وأخيرا فقد قدرت القيادة الاسرائيلية أن أى نجاح تحصل عليه غرب القناة أمر بالغ الأهمية مهما كان محفوفا بالمخاطر ، ذلك لأن الدول الكبرى لن تسمح باستمرار الحرب طويلا ولا بد أن يتوقف اطلاق النار فى الجبهة خلال أيام قليلة ٠٠ ومن المفيد لاسرائيل سياسيا أن تكون لها قوات غرب القناة لاجداث حالة من التوازن فى الموقف السياسى العسكرى الطارىء .

وكان أخشى ما تخشاه القيادة الاسرائيلية أن تنجح الجهود السياسية فى اصدار قرار وقف اطلاق النار فى المسرح وشيكا ، ولهذا كانت شديدة الرغبة فى اتمام عمل عسكرى ما ، خاصة وقد توفر لها سيل منتهر من المعونات العسكرية الأمريكية عوضها عن خسائرها السابقة وزاد من قدراتها الهجومية .

وبعد أن أكد الاستطلاع الجوى الأمريكى أن القوات الرئيسية للفرقة المدرعة المصرية التى كانت ضمن الاحتياط الاستراتيجى فى الغرب قد عبرت الى سيناء يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ لتطويع الهجوم شرقا وتخفيف الضغط على سوريا ٠٠ اطمأنت القيادة الاسرائيلية الى الموقف السائد فى المسرح ، أصدرت أوامرها ببدء تنفيذ المغامرة ٠٠

وحددت لها المهام التالية :

- فتح ثغرة فى حائط الصواريخ المصرى تتيح للطيران الاسرائيلى أن يعمل بشئ من الحرية فوق القوات المصرية المتمركزة فى رءوس الكبارى .
- احداث أثر نفسى عميق على التفكير العسكرى المصرى .
- الاحتفاظ بمواقع فى الغرب يمكن أن يحميها وقف اطلاق النار ويغضى مخاطرها ، كما تصلح للمساومة السياسية فيما بعد .

وسارت أحداث التسلسل الى غرب القناة كما سبق ذكره الى ان صدر قرار وقف اطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

وما أن صدر هذا القرار حتى اتضح للقيادة الاسرائيلية انها رغم الحسائر الفادحة والثمن الباهظ الذى تكلفته - فانها لم تحقق أى هدف من أهدافها المنشودة .

فهي لم تنجح حتى صدور القرار فى أن تفتح ثغرة ذات قيمة فى نظام الدفاع الجوى المصرى بالصواريخ ، ولم تستول على أى من مدن القناة للطبقة بها ، ولم تهز أو تربك القيادة المصرية ، ولم تحدث فقداء فى الاتزان الاستراتيجى كما كانت ترجوه ، ولم تستدرج قوات كبيرة من رؤوس الكبارى شرق القناة ، ولم تحقق تهديدا ما لى من طرق الامداد والمواصلات .

وأخطر من ذلك كله أن وضع قواتها فى غرب القناة كان معرضا ومكشوقا الى حد خطير بما يهدد بكارثة عسكرية اذا اشتعل القتال مرة أخرى ، خاصة والقوات المسلحة المصرية تحيط بها من أغلب الاتجاهات .

وعلى ذلك فقد أضمر العدو منذ الوهلة الأولى أن يعيث بقرار وقف اطلاق النار ، ويخرج على الموائيق الدولية .

وعقب وقف اطلاق النار مباشرة بدأ العدو محموم يدفع قوات جديدة عبر القناة الى الغرب ليدعم قواته المحصورة هناك مستغلا احترام القوات المصرية لقرار وقف اطلاق النار وعدم تهديد المعابر بالتالى أو التدخل لمنع العبور بالنيران .

وفى الساعة ٢١٤٩ يوم ٢٢ أكتوبر أى قبل أن تنقضى ثلاث ساعات على قرار وقف اطلاق النار - التقطت أجهزة استطلاعنا أوامر لاسلكية أصدرتها القيادة الاسرائيلية الى قواتها تحضها على الاسراع فى العبور الى غرب القناة « لأن الموقف خطير ويهدد بكارثة » .

ومنذ الساعة ٢٢٥٠ بدأ تسرب العدو الى الجنوب عبر المسالك والمدقات الجبلية بقوات صغيرة مع تجنب الاصطدام بالقوات المصرية الموجودة هناك ، ودون الاقتراب من قواتنا الرئيسية . وانتشرت القوات جنوبا . ثم بدأت تلك المفارز الصغيرة تناوش بعض مواقع الصواريخ المصرية منذ الساعة ٢٠٠٠ صباح ٢٣ أكتوبر .

وخلال يومى ٢٣ و ٢٤ أكتوبر استمرت قوات العدو تنتشر جنوبا نحو مدينة السويس وطريق الامداد والمواصلات الرئيسى الذى يربطها بالقاهرة .

وحاول العدو اقتحام المدينة أول مرة يوم ٢٣ أكتوبر ليعوض بها فشله الذريع أمام الاسماعيلية ولكن خاب أمله اذ ردت المدينة الباسلة عنها

مدحورا . وتصدت له بقوات من الجيش والشعب وهزمته شر هزيمة .
فتنايع الانتشار صوب الجنوب . وتسلمت بعض عناصره الى منطقة الادبية
التي لم يكن بها سوى عناصر ادارية قليلة من القوات البحرية .

وفي الساعة ٥١٠ . يوم ٢٤ أكتوبر أفاد قائد قوات الطوارئ
الدولية بأن وزارة الدفاع الاسرائيلية تطلب الموافقة على وقف اطلاق النار
اعتبارا من الساعة ٧٠٠ يوم ٢٤ أكتوبر - ووافقت القيادة العامة المصرية
على التو وأصدرت أوامرها بأن تلتزم جميع التشكيلات والواحدات
بايقاف النيران في هذا التوقيت اذا احترم العدو كلمته .

ولكن العدو لم يحترم عهده مرة أخرى اذ ركز قصفه الجوى على
قوات رأس كوبرى الجيش الثالث ، ثم حاول اقتحام الادبية في الساعة
٦٥٠ . واستمات رجال الادبية في الدفاع عنها ، بالتعاون مع بعض
أفراد حرس الحدود .

وعندما وصلت الساعة ٧٠٠ وبدأ اطلاق النيران - توقفت دبابات
العدو بلا حراك أمام الادبية وتظاهر العدو بحبس نيرانه ثم اندفع فجأة
الى داخل الادبية بمجرد أن رأى مراقبى الأمم المتحدة يقتربون من المنطقة
في الساعة ٩٥٥ حتى ثبت وجوده المسبق هناك .

واستمرت بعض العناصر الصغيرة من قواتنا تتمسك بجزء من
منطقة الادبية قرب الساحل خلف العدو لمدة سبعة أيام بعد وقف اطلاق
النار الأخير . حتى أمكنها اقناع المراقبين الدوليين باثبات وجودها
هناك .

وفي الشمال حشد العدو قوة كبيرة من الدبابات حاول أن يقتحم بها
مدينة السويس في الساعة ١٠٥٥ يوم ٢٤ أكتوبر .

ولم تكن تلك المحاولة مفاجئة للقوات المصرية اذ توقعت الغدر من
العدو وتكرار محاولة الاستيلاء على مدينتهم الصامدة . وكانت هناك
عناصر قوية من أطقم اقتناص الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات
دفعها قبل ذلك العميد أ . ح يوسف عفيفى قائد الفرقة ١٩ المشاة
الموجودة برأس كوبرى الجيش الثالث بعبادته الشخصية لتقوية الدفاع
عن السويس ، كما عاونتها مدفعية الفرقة ١٩ المشاة من الشرق .

وتصدت قوات المدينة الصامدة لقوات العدو فدمرت له عددا كبيرا
من الدبابات . واستمر القتال ، فدار بالسلح الأبيض حتى الساعة
١٧١٥ يوم ٢٤ أكتوبر ، وعندما حل الظلام أثر العدو الانسحاب وترك
وراءه دبابات كثيرة محترقة وعدة جثث قتلى .

ومن الجدير بالذكر أن العدو قدم يوم ٢٠ يناير ١٩٧٤ كشوفا الى
الصليب الأحمر بأسماء قتلاه الذين لم يتمكن من العثور على جثثهم أو

حرب رمضان - ١٩٣

سحبها من جبهة القتال ٠٠ واشتملت تلك الكشف على أسماء ٧٧ ضابطا و ٢٣ طيارا و ٦٩٩ جنديا ومدنى واحد ٠٠

ويتضح من تلك الكشف أن قادة الهجوم الاسرائيلى على مدينة السويس يوم ٢٤ أكتوبر قد فتكت بهم المدينة عن بكرة أبيهم (وهم الرائد يورى آريل والقباء موسى آدينو ، يتسحاق حوشمان ، اسرائيل مندلسون ، أمور زاهر ، كارمى أدلر) ٠

وفى الجنوب حاول العدو بعد ظهر يوم ٢٤ أكتوبر مهاجمة المنطقة جنوب الأدبية ، الا أن قوات حرس الحدود المتمركزة هناك تصدت له ببسالة بالتعاون مع عناصر من القوات المغربية الشقيقة فارتد العدو شمالا ٠٠ ولم يجرؤ مرة أخرى على الانتشار جنوب الأدبية ٠٠

ومع صباح يوم ٢٥ أكتوبر وفى تمام الساعة ٨٠٠ كرر العدو محاولة اقتحام مدينة السويس مرة ثالثة ، فدمرت له المدينة عشر دبابات فى قتال عنيف استمر حتى الساعة ١٥٥٠ ارتدت بعده بقايا العدو لتقف على مشارف المدينة وهى تلعق جراحها ٠

وبعد اعلان اسرائيل مرة أخرى قبول قرار وقف اطلاق النار الثانى (قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩) ابتداء من ٢٥ أكتوبر ، استمرت القوات الاسرائيلية حتى ظهر يوم ٢٨ أكتوبر تمنع دخول المراقبين الدوليين أو عناصر قوات الطوارئ الدولية الى القطاع الجنوبى من الجبهة حول السويس لاثبات وجود القوات المتداخلة هناك ٠٠

وخلال تلك الفترة استمرت القيادة الاسرائيلية تدعم عناصرها غرب القناة ، وتحشد قوات كبيرة لتهاجم بها المقاومات المصرية الصغيرة المتداخلة مع قواتها ٠

وأبدت عناصرنا الصغيرة المنتشرة فى أرجاء المنطقة شجاعة فائقة - اذ ظلت تقاتل بعيدا عن قواتها الرئيسية ، دون امداد وفى مواجهة قوات أكبر منها عددا ٠٠

وتمكنت قوات العدو من القضاء على جزء منها ، ولكن الباقى خاض قتالا مجيدا ضد العدو الذى يحاصره من كل جانب حتى تمكن من كسر هذا الحصار ، وانضم على قواتنا الصامدة حول السويس وفى داخلها ليحولها الى قلعة منيعة تتحطم على أسوارها كل محاولات العدو لاكتساب أرض جديدة ، أو الاقتراب من المدينة ٠٠ على حين ظل البعض الآخر يتمسك بمواقعه الى أن انسحب العدو يوم ٢١ فبراير ١٩٧٤ ٠

وفى الصباح الباكر من يوم ٢٨ أكتوبر حاول العدو للمرة الأخيرة اقتحام مدينة السويس ، وتحطمت تلك المحاولة على صخرة الصمود العظيم وبفضل الكمان المضادة للدبابات ، وأطقم اقتناص الدبابات ، التى دفعتهما الفرقة ١٩ المشاة لتأمين مداخل المدينة ، بالإضافة الى القوات الأخرى التى

كانت تؤمن المدينة ذاتها من هذه الفرقة ، ومن الدفاع الشعبى والشرطة والأهالى البواسل .

وفى الساعة ١١٢٣ بدأ وصول مقدمات قوات الطوارئ الدولية . واتخذت مراكزها بين القوات المتحاربة عند مشارف المدينة فى تمام الساعة ١٢٣٠ يوم ٢٨ أكتوبر . فهدأت النيران الى حين .

هكذا تمكنت القوات الاسرائيلية من توسيع الجيب الاسرائيلى غرب القناة فى حمى قرار وقف اطلاق النار . واستطاعت بالغشى والخداع أن تزيد من مكاسبها فى الأرض بمقدار يزيد على ضعف ما كانت تحتله عندما سرى قرار وقف اطلاق النيران يوم ٢٢ أكتوبر .

ولكن هل تمكنت اسرائيل بذلك أن تحقق ما كانت تهدف اليه !

لقد أمكن للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى حمى قرار ايقاف النار أن تنشر قواتها على مساحة واسعة من الأرض غرب القناة .

ولكن هذا العمل وضع تلك القوات فى موقف بالغ الضعف عظيم الخطر ، اذ أصبحت تلك القوات ذاتها تشكل جيبا هشا عديم الفاعلية والتأثير ، كما أجبر المؤسسة أن تستمر فى تعبئة القوات المسلحة الاسرائيلية لمدة طويلة بعد ذلك ، رغم ما فى هذا الاجراء من أضرار لا يستطيع الاقتصاد الاسرائيلى احتمالها وتعانى منها الحياة اليومية فى اسرائيل بخاصة .

هذا فضلا على أن القيادة العسكرية تكون بذلك قد زجت بقوات كبيرة الى مسرح حرب طويلة الأمد على عكس العقيدة التى تعتنقها منذ أنشأت جيش الدفاع .

كما تكون قد ورطت هذه القوات داخل عرين حرب الاستنزاف الذى عانت من خسائرها الاليمة فى نفس المكان - امبراطورية لم تكن تغرب عنها الشمس وذلك منذ عشرين عاما بالضبط ، وأجبرها المصريون على الجلاء عن منطقة قناة السويس ، اذ أصبح ثمن بقائها أبهظ من خسائر جلائها . ونفس الشئ انطبق على جيب اسرائيل الهش . ولكن بصورة أشد .

بعد القرار

● لقد كانت اسرائيل تخشى دائماً أن تتورط في حماقة عسكرية غرب قناة السويس ، تخف بها مخاطر عديدة ، فتعاني قواتها من الامتداد البعيد بأكثر مما يتحمله الجيش الاسرائيلي ، وتقرب من الكثافة السكانية المصرية ، وتثير الرأي العام العالمي وتتسبب في ادانة الضمير الحر لها بالعنوان والاحرام .

ولكن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية اقدمت - لأسباب عدة - على القيام بتلك المغامرة ، التي نجحت لأسباب مختلفة لم ترد أصلاً على مخيلة من خططوها ولم يحمها من الابادة الا نفس قرار ايقاف النار أ

وبعد القرار ٠٠ أصبح وضع القوات الاسرائيلية في الثغرة خطراً يهددها بكارثة فقد حشرت القيادة الاسرائيلية في الثغرة سبعة ألوية كاملة كانت في حقيقة الأمر ، وكما أكد حاييم بارليف رئيس الأركان العامة السابق ، مجرد رهينة يسهل أسرها بهجوم مركز من القوات المصرية من اللعنة التي تتم فيها حشد قوات جديدة من المشاة والمدفعات والمدفعية ، لتحكم بها الحصار الكامل حول هذا الجيب الهش .

وزاد من سوء موقف تلك القوات الامتداد الكبير لخطوط مواصلاتها الى قواعدها في اسرائيل ووقوع معبرها الى الغرب بين الجيشين الثاني والثالث وعدم اتزان أوضاعها التكتيكية والتعبوية غرب القناة .

وأصبح وضع القوات الاسرائيلية على الجبهة المصرية كلها - وليس في الجيب فقط - بالغ الغرابة .

فقد عززت القيادة الاسرائيلية قوات الثغرة خوفاً من الضغط المصري

المحتمل عليها ، حتى أصبح حجمها سبعة ألوية كاملة . ولحماية الطرفين والمداخل المؤدية إليها فقد وقفت عن كثب منها خمسة ألوية أخرى اقتصرَت مهامها على حماية المداخل الى الثغرة . هذا بالإضافة الى عشرة ألوية نى مواجهة رؤس كبارى الجيش النانى والثالث . فضلا على الاحتياطي الاستراتيجى الذى صار لزاما على اسرائيل استمرار الاحتفاظ به فى اقصى درجات التعبئة والاستعداد على النقيض تماما مما تنص عليه نظرياتها العسكرية أو يتحمله اقتصادها القومى . وبدا أصبح لاسرائيل فى سيناء حوالى ٢٥ - ٣٠ لواء تحت التعبئة الكاملة .

ويزيد الصورة وضوحا العلم بأن الاشتباك بالنيران وبأعمال القتال لم يتوقف طوال الفترة من ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ حتى تم الاتفاق على الفصل بين القوات فى ١٨ يناير ١٩٧٤ (أى ٨٦ يوما) سوى ثلاثة أيام فقط .

لقد بدأت هذه الاشتباكات بين القوات المصرية والاسرائيلية منذ ٣١ أكتوبر ١٩٧٣ واستمرت حتى يوم ١٧ يناير ١٩٧٤ وناهز عددها ١٥٠٠ اشتباك منها ٤٣٩ اشتباكا كبيرا .

فطوال شهر نوفمبر تابعت القوات المصرية تعديل أوضاعها التكتيكية لاتمام حصار العدو واحتلال هيئات ذات أهمية تكتيكية أفضل . وأدى ذلك الى حدوث ٩٣ اشتباكا كبيرا بنيران الأسلحة الصغيرة والمدفعية والصواريخ المضادة للدبابات والدبابات .

وخلال شهر ديسمبر والنصف الأول من يناير نشط العدو فى اقامة التجهيزات الهندسية لاضفاء نوع من الاستقرار التكتيكي على موقفه التعبوى غير المتزن . وهبت القوات المصرية تمنع العدو من اتمام تلك التجهيزات الهندسية وتستنزف قواه البشرية وتوقع الحسائر فى معداته وأسلحته .

فحدث ٢١٣ اشتباكا كبيرا خلال شهر ديسمبر ١٩٧٣ ، و ١١٣ اشتباكا كبيرا خلال النصف الأول من يناير .

وكانت معظم الاشتباكات تبدأ بنيران الأسلحة الصغيرة ثم تتصاعد الى القصف بالمدفعية والهاونات ونيران الدبابات . وذلك عدا بعض الاشتباكات التى اديرت على شكل قصفات نيران مدفعية مركزة مخططة مسبقا .

وطول تلك الفترة استمرت قوات نسق أول الجيش الثالث المتمركزة شرق القناة صامدة كالصخر فى مواقعها . بل نجحت فى استيلاء على مواقع جديدة . وتم توحيد قوات الفرقتين ٧ و ١٩ المشاة تحت قيادة العميد أركان الحرب أحمد بدوى وأطلق عليها اسم « قوات بدر » .

وخلال تلك الفترة استمرت قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية والقوات البحرية فى رفع كفاءتها القتالية وتنفيذ مهامها المخططة لحماية سماء ومياه الجمهورية .

واسقطت قوات الدفاع الجوى سبع طائرات للعدو حاولت اختراق
مجالنا الجوى للقيام بالاستطلاع .

● وهنا يبرز سؤال عن حقيقة مفامرة الثغرة . ولماذا اقدمت
عليها اسرائيل ؟ وهل حققت بها ما كانت تهدف اليه ؟ وما هي حقيقة
النجاح الاسرائيلى - اذا كان هناك نجاح ؟

وحتى تتضح الاسباب والدوافع التى ادت بالقيادة الاسرائيلية
الى اتخاذ قرار « الثغرة » والأهداف التى سعت الى تحقيقها ، فمن الضروري
أن نسترجع الموقف السياسى العسكرى الذى كان سائدا فى المسرح عندئذ
وأن نتذكر حالة الموقف المعنوى السياسى لشعب اسرائيل وقواته المسلحة
فى ذلك الوقت .

لقد ظلت اسرائيل - تساندها فى ذلك أجهزة الدعاية الصهيونية
والامبريالية - ولعدة ست سنوات تمجد فى القوات المسلحة الاسرائيلية
وتتغنى بذلك النصر الرخيص الذى حصلت عليه نتيجة عدوان يونية ٦٧ ،
حتى بلغ الحال بجولدا مانير رئيسة وزراء اسرائيل أن تقول « لا أعرف
أن هناك قوة عظمى تقع بين أمريكا غربا والاتحاد السوفيتى شرقا سوى
اسرائيل » كما صرح أحد القادة الاسرائيليين « ان القوات الاسرائيلية
قادرة على احتلال المنطقة المحصورة بين المغرب والخرطوم وبغداد
والكويت خلال بضعة ايام » .

كما استكانت اسرائيل الى مناعة المنطقة الدفاعية الحصينة التى
انشأتها عند قناة السويس والتى أطلقت عليها اسم «خط بارليف»
واطمانت الى استحالة اقتحامها بواسطة القوات المسلحة المصرية فأخذت
أبواق الدعاية الصهيونية عامة والاسرائيلية خاصة تزيد من التأثير النفسى
لمناعة ذلك الخط حتى قال عنها الجنرال اليعازر رئيس الأركان
الاسرائيلى السابق « ان خط بارليف سيكون مقبرة الجيش المصرى » .

وبالإضافة الى تلك القناعتين الرئيسيتين كانت هناك دعاوى أخرى
روجت لها اسرائيل خلال ربع القرن الماضى عن العرب وتخلفهم الحضارى
والفجوة التكنولوجية الواسعة بين اسرائيل والدول العربية .

وجاء يوم السادس من أكتوبر . واقتحمت القوات المصرية قناة
السويس واخترقت خط بارليف ، واستولت على كل قلاعه ومواقعه
الحصينة بسرعة اذهلت العالم أجمع .

وفشلت جميع هجمات وضربات العدو المضادة ، وتهاوت طائرات اسرائيل (ذراعها الطويلة) ، وتكبّدت خسائر فادحة في الافراد والمعدات لم تعرفها من قبل طوال تاريخها . . وكان من الممكن أن تؤدي الى انهيارها التام لولا مسارعة الولايات المتحدة الأمريكية الى نجدتها .

وحدثت حالة من الارتباك . . واختل الاتزان على كل المستويات السياسية والعسكرية ، وفقدت القوات المسلحة ثقتها في قياداتها ، وفقد الشعب ثقته في قواته المسلحة التي « لا تقهر » .

ولهذا كان من الضروري البحث عن كسب معنوي يرفع من الروح المعنوية للشعب والقوات المسلحة ويعيد الثقة المفقودة ، ويغطي آثار الأعمال الحربية المجيدة للقوات المسلحة المصرية والسورية .

أما من الناحية السياسية ، فقد طال أمد الحرب بالنسبة لاسرائيل، وبدأت تدخل في أسبوعها الثاني ..

وبدأت المحاولات السياسية في المجتمع الدولي - وخاصة بين القوتين الأعظم لايقاف إطلاق النار . . قبل أن يستفحل الصراع ويجذب اليه قوى خارجية قد تحوله من صراع محدود الى حرب عالمية صاروخية نووية .

وهال اسرائيل أن يوقف القتال وهي في هذا الموقف الانهزامي الكامل ، وما سوف يترتب عليه حتما من انهيار المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، بل النظام الاسرائيلي كله ، فكان أن فكرت في القيام بمغامرة تحفظ لها ماء وجهها ، ولكن يجب الاسراع بتنفيذها لأن إيقاف إطلاق النار ، فضلا عن أنه سوف يؤمنها ويضمن سلامتها الا انه سوف يعقبه ولا شك الدخول في مباحثات ومفاوضات لايجاد حل للأزمة . . ولم تجد أمامها ألا ان تسعى لخلق وجود لها غرب القناة والاستيلاء على مناطق ذات أهمية استراتيجية ، لعله يعيد لها بعض التوازن في الموقف السياسي العسكري على الجبهة المصرية ويشكل عنصر ضغط في مرحلة التفاوض . . خاصة وأنه كان قد تم تحقيق هذا التوازن على الجبهة السورية .

ويجدر بنا أن نعيد ذكر الأهداف والمهام التي حددتها القيادة الاسرائيلية لمستوضح مدى نجاح القوات الاسرائيلية في تحقيقها .

الأهداف السياسية العسكرية :

لقد كانت اسرائيل تخشى دائما ان تتورط في مغامرة عسكرية غرب قناة السويس تحف بها مخاطر عديدة ، ولكن القيادة الاسرائيلية راعت عدة عوامل أهمها :

١ - ان أى نجاح قد تحصل عليه غرب القناة أمر يمكن احتماله مهما كان محفوظا بالخطر . ذلك لأن المجتمع الدولى - والقوتين الأعظم بصفة خاصة - لن يسمح باستمرار الحرب طويلا . ولا بد أن يتوقف اطلاق النار فى الجبهة خلال أيام قليلة . وفى هذا تأمين لوجود القوات الاسرائيلية غرب القناة .

٢ - أن الجهود السياسية قد دخلت مرحلة الاتصال المباشر بين القوتين الأعظم - وهذا يوحى بقرب صدور قرار وقف اطلاق النار . ولذا يجب الاسراع باتمام عمل عسكرى ما ، يؤدى الى تحقيق مكاسب سياسية لأحداث حالة من التوازن فى الموقف السياسى والعسكرى .

٣ - ان تنفيذ تلك المغامرة قد يؤدى الى حدوث ارتباك وفشل فى السيطرة العسكرية المصرية وان ادارة القتال غرب القناة قد يضطر القيادة المصرية الى سحب أجزاء من قواتها من رعوس الكبارى الصامدة فى الشرق ، ان لم يكن كلها ، مما يسهل مهاجمتها بعد ذلك وتصفيتها واستعادة الأوضاع السابقة على القناة . أو بقول آخر تصفية المكاسب العسكرية المصرية .

وكل ذلك يجعلنا نستنتج أن الأهداف التى سعت لتحقيقها القيادة الاسرائيلية كانت ذات طابع سياسى ومعنوى أساسا ويمكن أن نجعلها فى الآتى :

- ١ - تحويل « تيار الحرب » لتأخذ اسرائيل مبادرة الهجوم وتحقيق توازن ما فى الموقف السياسى والعسكرى .
- ٢ - تغطية آثار النصر العسكرى الباهر للقوات المسلحة المصرية باقتحامها قناة السويس ، واجتياحها خط بارليف .
- ٣ - تقوية الروح المعنوية بين القوات الاسرائيلية التى تعرضت لهزائم ساحقة فى المرحلة الأولى للحرب .
- ٤ - رفع الروح المعنوية للشعب فى اسرائيل واستعادة ثقته فى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .

حقيقة النجاح الاسرائيلى :

ما تقدم من سرد للأهداف السياسية والعسكرية والأهداف والمهام الاستراتيجية (والتي سبق ذكرها فى الفصل السابق) يمكن الحكم على مدى الفشل الاستراتيجى الذى منيت به القوات الاسرائيلية . ولكن لزيادة التوضيح يحسن ان نورد الحقائق التالية من أعمال القتال غرب القناة حتى صدور القرار الثانى (٣٣٩) لوقف اطلاق النار :

١ - لم تتمكن القوات الاسرائيلية من تدمير الاحتياطيات التعبوية والاستراتيجية المصرية غرب القناة ، بل ظلت تلك الاحتياطيات تحاصر القوات الاسرائيلية وتمنع انتشارها الى الغرب أو الجنوب أو الشمال .

٢ - لم تتمكن من اجبار القيادة المصرية - عن طريق ارباكها استراتيجيا أو احلال اتزانها الاستراتيجي - على سحب قوات ذات شأن من ردوس الكبارى فى الشرق ، بل ظلت قوات ردوس الكبارى صامدة فى مواقعها لم ينجح هجوم مضاد واحد ضدها ، ولكن تسبب بعضها اراضى ومواقع جديدة خلال تلك الفترة .

٣ - لم تتمكن القوات الاسرائيلية من الاستيلاء على أى من المدن الرئيسية لمنطقة القناة (الاسماعيلية أو السويس) .

٤ - لم تتمكن من اتمام حصار أو تدمير أو حتى مجرد التهديد بتدمير أى من التجمعين الرئيسيين للجيش الثانى أو الثالث ، وان تمكنت من تهديد خطوط المواصلات البرية لقوات رأس كوبرى الجيش الثالث (قوات بدر) .

٥ - لم تتمكن القوات الاسرائيلية - خلال قتال دام اكثر من ثلاثة عشر يوما - من استعادة أجزاء حيوية من قناة السويس سوى جزء صغير من الشاطئ الشرقى طوله حوالى ١٠ كيلو مترات جنوب رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة .

مما سبق يتضح فشل القوات الاسرائيلية فى تحقيق أى نجاح استراتيجي نتيجة اعمالها غرب القناة ، وان كانت قد نجحت فى تحقيق بعض النجاحات التكتيكية ، وخاصة بعد صدور قرار وقف اطلاق النار الاول وانتهائه - ولكن لم تتمكن أيضا من تحويلها الى نجاحات استراتيجية .

ان تقييم نتائج اى حرب يجب ان يجرى على أساس المحصلة النهائية لها ، وفى نطاق التطورات العالمية التى أحدثتها ، وليس على أساس مكاسب تكتيكية محدودة .

وهنا يجدر بنان نشر الى ان اسرائيل بعد ان فشلت فى تحويل تلك النجاحات المحدودة الى نجاحات استراتيجية ، حاولت بتركيز دعايتها والطنطنة بها تحويلها الى نجاح سياسى معنوى . ويمكن القول أنها قد نجحت فى تحويلها الى كسب معنوى فقط وذلك لعوامل عدة أهمها التأثير القوي للدعاية الغربية والصهيونية والاسرائيلية التى حاوت تصوير تلك النجاحات التكتيكية المحدودة كنصر اسرائيلى مضاد يوازن النصر العربى الباهر .

وتجدر الإشارة الى أن اسرائيل - رغم محاولاتها المتعددة - لم تنجح في تحويل تلك النجاحات التكتيكية المحدودة الى نجاح سياسي . وكان الفضل في ذلك يعود أساسا الى القيادة السياسية المصرية والقيادات السياسية العربية المخلصة التي أمكنها نتيجة وضوح الرؤية السياسية العسكرية تقييم حقيقة النجاح الاسرائيلي التكتيكي المحدودة .

وأخيرا يجب علنا أن نؤكد أن ذلك النجاح التكتيكي المحدود الذي حققته اسرائيل قد خلق أوضاعا استراتيجية غير مواتية للقوات الاسرائيلية ، كان من المؤكد أن تؤدي الى فشل استراتيجي محقق اذا ما استؤنفت أعمال القتال النشطة مرة أخرى بعد تكوين التجمعات المصرية الملائمة .

فبعد قرار وقف اطلاق النار الأول (٣٣٨) كان من الضروري للقيادة الاسرائيلية تأمين قواتها الموجودة بالغرب في منطقة محدودة من الأرض محاصرة من جميع الجهات وذلك بمحاولة الانتشار والاستيلاء على قدر أكبر من الأراضي . . . واستتبع ذلك دفع قوات أكبر الى داخل الجيب المحصور .

وننتج عن ذلك أوضاع استراتيجية غير ملائمة لاسرائيل :

- قوات كبيرة (حوالي ٦ - ٧ لواءات) موجودة في منطقة محدودة من الأرض ومحاطة من جميع الجهات اما بموانع طبيعية أو صناعية أو بقوات مصرية ، ويسهل قطعها الى أجزاء صغيرة وحصرها ثم تدميرها بعد ذلك ، فضلا على مصاعب الامداد والاخلاء وطول خطوط المواصلات ، والاستنزاف اليومي للأفراد والمعدات .
 - لتأمين تلك القوات خصصت القيادة الاسرائيلية قوات أخرى (٤ - ٥ لواء) لحماية المداخل الى الثغرة (عند الدفرزوار) .
 - ولتثبيت رعوس الكبارى المصرية خصصت القيادة الاسرائيلية حوالي عشرة ألوية في مواجهة رعوس كبارى الجيشين الثاني والثالث، وذلك بالإضافة الى الاحتياطي الاستراتيجي الذي صار لزاما على اسرائيل استمرار الاحتفاظ به في أقصى درجاته التعبئة .
- وبهذا كانت اسرائيل مضطرة للاحتفاظ بدرجة تعبئة عالية لقواتها المسلحة لمدة طويلة وذلك على النقيض تماما مع ما تنص عليه نظرياتها العسكرية أو يتحمله اقتصادها القومي .
- في النهاية تحولت القوات الاسرائيلية الموجودة غرب القناة من سلاح تضغط به اسرائيل علينا الى رهينة نضغط بها نحن على اسرائيل ، ومصدر استنزاف لأرواح ومعدات واقتصاد اسرائيل .

ولم يبق الا تدميره :

وبدأت القيادة العامة المصرية التخطيط لتدمير قوات العدو المحاصرة غرب القناة يوم ٢٩ أكتوبر ، أى قبل أن تمر ٢٤ ساعة على وقف النيران الأخير وبعد أن تم احتواء العدو من كل جانب .

ويجدر ذكر أن القوات التي احتوت الجيب منذ ١٦ أكتوبر حتى وقف النيران كانت ضخمة ، على حين كان العدو يظن أن القيادة العامة قد استنفدت احتياطاتها جميعا ولهذا أذاع أننا دفعنا بالجيش الأول من القاهرة الى الجبهة ، وسرعان ما تلققت وكالات الأنباء هذا النبأ .

تم تعيين اللواء سعد مأمون قائدا عاما لقوات تدمير الجيب المحاصر .
وكما دته نزل الى أدق التفاصيل فى التخطيط لانجاز المهمة .

وعرضت الخطة على القائد الأعلى يوم ٢٤ ديسمبر ، وصدق عليها فى اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة بالقناطر .. وكانت تقضى باستخدام خمسة فرق منها فرقتين مدرعتين والباقي ميكانيكية لتوجيه ضربات تهدف الى تقطيع الجيب الى أقسام منعزلة ، ثم تدميرها جزءا جزءا بعد ذلك .

وكان هناك تنسيق وثيق مع الاجناب ، اذ كلفت الفرقة ١٦ على الجناح الايمن للجيش الثانى بتوجيه ضربة قوية لاجلاق عنق الجيب الضيق عند الدفرزوار والذي لم يكن يتجاوز اتساعه ٦ كيلو مترات فقط .

اما قوات بدر فكان عليها ايضا أن تضغط على العدو بشدة لتحجز اكبر قدر من قوائمه فى مواجهتها .

وبالمثل تم تخطيط أعمال قتال القوات الجوية والدفاع الجوى والصاعقة والمظلات لمساندة هجوم قوات مأمون فى مهمتها ..
وكانت الأحداث السياسية تتلاحق بنفس السرعة ..

وجاء اتفاق الفصل بين القوات وظهرت حقيقة «الثغرة» ، « والنصر الاسرائيلى المضاد » ورضخت اسرائيل — بل طلبت ترك الثغرة ، بل تركت ذلك الجزء الصغير من القنصة الذى كانت قد تمكنت من اعادة الاستيلاء عليه عند الدفرزوار . وسحبت قواتها شرقا بعيدا عن القناة .

وبدأت « حرب الجنرالات » فى اسرائيل .. ونشط بينهم تبادل الاتهامات .. وعرف الجميع حقيقة تلك المفامرة ومدى الخسارة التى سببتها لاسرائيل ..

وأجمعت كلمات أغلب المحللين والفلاسفة العسكريين على أن معركة الجيب الاسرائيلى غرب القناة لا تعدو فى جوهرها مظاهرة صهيونية دعائية .. اصدق ما يطلق عليها هو اسم « المعركة التلفزيونية » .

الباب السادس
زراعتها المبتورة

غابة الصواريخ قوات الدفاع الجوي

البناء

● عندما تولى الرجل منصبه قائدا لقوات الدفاع الجوي كانت الحقائق أمامه واضحة وصارخة .
فالقوات الجوية الاسرائيلية متفوقة بشكل واضح ، والطائرات من أحدث طراز ، والطيارون على مستوى عال . لقد استغرق اعداد هذه القوات ما بين ١١ - ١٥ عاما . وثمة عامل آخر ، هو الثقة الكبيرة التي اكتسبتها قوات اسرائيل الجوية بعد جولة ١٩٦٧ ، عندما استطاعت في ساعات قليلة أن تقضي على القوات الجوية المصرية ، وعلى وحدات الصواريخ سام ، ثم تسببت بعد ذلك تماما على سماء مسارح العمليات .

وفي مقابل ذلك كانت قوات الدفاع الجوي المصرى تتألف من بضع مدافع ورشاشات مضادة للطائرات من مخلفات التطور ، وعدد ضئيل من بطاريات الصواريخ ، وقلة من أجهزة الرادار المتفرقة ، لا تشكل بأى معيار شبكة متكاملة للانداز .

وإذا كانت القوات الجوية الاسرائيلية قد امتدت أمامها فسحة الوقت الكافية للدراسة والاعداد منذ عام ١٩٥٦ ، وحتى شنت ضربتها المركزة المفاجئة صباح الخامس من يونية ٦١٩٧ ، فإن قوات دفاعنا الجوي - التى لم تكتمل بعد - كان عليها أن تتصدى لطائرات اسرائيل التى ملأها زهو النصر بالثقة ، فراحت تغير يوميا على مواقعنا ، وتقصف المدن والقرى العربية ، وتقتل الأطفال فى مدراسهم ، والعمال فى مصانعهم والمواطنين

الآمنين في مدنها وقراها ، واستلزم كل ذلك أن تقوم قوات دفاعنا الجوي بهام الاعداد والتخطيط والدراسة جنباً الى جنب مع مهام القتال .

انه هرم جديد كان على دفاعنا الجوي ان يشيده . ومثلما تضفى حرارة النار على الصلب قوة ، رفع التحدي من عزم الجنود ، وقوى من ارادة القتال بمثل ما استشرى الخطر واشتدت الآلام .

واثر العزم والتصميم في عام ١٩٦٩ عن جهاز دفاع جوي جيد التنظيم في الجبهة ، وان لم يكن كافياً من حيث الحجم لانجاز كل المهام الملقاة على عاتقه وقتئذ .

ثم بدأت حرب الاستنزاف في ذلك العام كما اسلفنا شرحه ، وعندما ارتفعت خسائر اسرائيل في الافراد والمعدات نتيجة قصف المدفعية المصرية ، والاعمال الخاصة التي قامت بها قواتنا في أعماق العدو ، دفعت الأركان العامة الاسرائيلية بقواتها الجوية - ذراعها الطويلة - في المعركة ، وبدأت هذه القوات تستدرج مقاتلاتنا الى معارك جوية في محاولة لاختفائها ومنعها من الاشتراك في القتال الدائر على الجبهة .

وركزت كل جهودها في هذا العمل ، واستنبطت أساليب جديدة للكائنات الجوية ، واختارت لتنفيذها أكفأ طيارها بعد أن زودتهم بتدريب متواصل على هذه الأساليب ، وبمناجاة أسلوب الكائنات الجوية أمكن للقوات الجوية الاسرائيلية أن تقلل من فعالية مقاتلاتنا في الجبهة .

ثم جاءت المرحلة الثانية ، وهي اخراج الصواريخ المضادة للطائرات من المعركة ، ولتوفير مقومات النجاح لهذا العمل ، حصلت اسرائيل على خبرة القوات الجوية الأمريكية في تعاملها مع الصواريخ سام - ٢ في فيتنام ، وركزت وسائل حربها الالكترونية لشل فاعليتها ، ثم قصفتها بتركيز شديد ليس الغرض منه مجرد التدمير فحسب ، بل الارهاب أيضاً .

ففي احدي الغارات التي شنتها القاذفات الاسرائيلية (سكاى هوك) على واحدة من بطاريات الصواريخ ، ألقت على هذا الموقع الذي لا يتجاوز أبعاده ٣٠٠ متر × ٢٠٠ متر حوالى ٥٠ قنبلة من العيارات ٥٠٠ ، ١٠٠٠ رطل ، أى ما يقارب ١٥ طناً من المتفجرات ، في حين أن المعدلات المرحية لتدمير القوات في هذه المساحة لا تزيد عن ٣ أطنان ، وكان ذلك يعنى أن هناك ١٢ طناً من المتفجرات تزيد على الحاجة ، ليس غرضها التدمير ، وانما الارهاب النفسى .

وواصلت قوات اسرائيل الجوية غاراتها على امتداد ثلاثة أشهر ، ركزت خلالها هجماتها ضد بطاريات الصواريخ في الجبهة ، التي واجهت هذه الهجمات بشجاعة نادرة ، وأصررت على الاستمرار في القتال مهما كانت التضحيات

ولم تذهب التضحيات سدى فقد روت دماء شهداء الدفاع الجوى عام ١٩٦٩ الأرض التى أثبتت خبرة القتال الناجحة فيما بعد ، وأن تقرر فى ذلك الوقت اخراج الصواريخ من الجبهة الى حين ،

الهرم الجديد :

تشبعت أعمال قوات الدفاع الجوى خلال النصف الأول من عام ١٩٧٠ فى اتجاهات متعددة ، فبينما كان المهندسون يقيمون التحسينات اللازمة لطائرات الصواريخ فى الجبهة ، كانت التعديلات الفنية الكفيلة بتحسين أداء معدات الصواريخ سام - ٢ تجرى بسرعة هائلة .

وانبرت الأطقم الجديدة تجرى التدريب على الصواريخ سام - ٣ التى تم التعاقد عليها مع الاتحاد السوفيتى ، وفى الوقت نفسه كان هناك مجهود هائل يبذل فى تدريب باقى عناصر الدفاع الجوى المختلفة ، وفى تطوير أساليب التدريب لتساير أساليب القتال التى تم استنباطها من خبرة المعارك السابقة .

وفى هذه المرحلة امتدت المناقشات دون توقف ، فالكمل يصر على ادراك الكمال ، الا أن أهم الدراسات وأكثرها إلحاحا كان يتركز حول أسلوب عودة الصواريخ الى الجبهة ، وتبلورت الآراء فى وجهتى نظر :

* الأولى .. رأى يرجح القفز بالصواريخ الى المواقع الأمامية بالجبهة مباشرة ..

* والثانية رأى يفضل * الزحف البطيء ، بها نحو الجبهة ..

واحتدم الصراع بين طائفتين إسرائيل التى راحت تحطم محاولاتها لإنشاء مواقع الصواريخ ، وتقصف فى الحاح القائمين بالعمل فيها ، وبين القيادة المصرية التى أصرت - وخلفها الجنود والمهندسون والعمال - على إنشاء هذه التحسينات بأى ثمن ..

وتغلبت وجهة النظر الثانية ، التى تقضى بإنشاء التحسينات على أنساق ، بحيث يتم إنشاء كل نسق لتمرکز به بطاريات الصواريخ تحت حماية الأنساق الخلفية .

وقامت الأنساق الأولى ، وتم احتلالها بالصواريخ فى صمت ، دون أن تنتبه إسرائيل .. ولاستغلال هذا النجاح تقرر إنشاء ثلاثة أنساق أخرى تمتد الى منتصف المسافة بين القاهرة والجبهة . ووضعت لها خطة جديدة دقيقة طموحة .

فخلال ليلتين فقط تحتم أن يتم انشاء التحصينات الكافية لعدد كبير من مواقع صواريخ سام ٢ وسام ٣ ، وتجهيز مراكز القيادة اللازمة لها ، وانشاء المواصلات المختلفة ، وتمهيد الطرق والمدقات ، وإقامة المعدات الهيكلية وتحريك بطاريات الصواريخ لاحتلال هذه المواقع ، وتحريك واحتلال جميع وسائل التأمين الضرورية لها من مدفعية مضادة للطائرات ورشاشات ومختلف وسائل الانذار .

وبالمثل كان على مجموعات من مهندسى الالكترونيات أن تندفع خلال هاتين الليلتين أيضا لتضبط وتختبر وتولف هذا العدد الكبير من المعدات الالكترونية التى يجب أن تكون جاهزة للقتال خلال ساعات قليلة من وصولها الى مواقعها .

وتم كل ذلك فى الوقت المحدد بدقة متناهية ، وعاد الفضل فى ذلك الى الرجال ذوى العلم والخبرة والارادة التى لا تلين .

غابة الصواريخ

وفى صباح أحد أيام شهر يونيو ١٩٧٠ فوجئت الطائرات الاسرائيلية المفيرة بالصواريخ المصرية تنطلق من كل حذب وصوب فتنزل بها الحسائر التى لم تكن فى البال . وبكل الغيظ والحقد وجهت القيادة الاسرائيلية هجمة مركزة ضد بطاريات الصواريخ التى نبئت كالتين الشوكى فى الصحراء ، الا أن هذه الهجمة لم تحقق للسلاح الجوى الاسرائيلى سوى المزيد من الحسارة .

وتكررت المحاولات لتدمير صواريخنا بعز يد من الفانتوم - الطائرة الأسطورة التى يصعب تدميرها - وبمزيد من أسلحة الاماعة الالكترونية ومزید من العتاد ، وبأحدث أساليب وتكتيكات الاقتراب والهجوم ، ووسائل التدمير المتطورة ، وأعمال المناورة والخداع . وكانت النتيجة دائما مزيدا من الطائرات الهاوية ومزيدا من الطيارين الأسرى .

وراحت اسرائيل تتباكى وتشكو من تآكل قواتها الجوية ، ثم أحجمت كلية عن مهاجمة صواريخنا التى أطلقت عليها اسم « حائط الصواريخ » ، تارة « وغابة الصواريخ » تارة أخرى . وأعلنت الولايات المتحدة عن عزمها على تعويض اسرائيل عن كل خسائرها فى الفانتوم أو سكاي هوك .

وخلال شهرى يونيو ويوليو ١٩٧٠ استطاع عدد قليل من بطاريات الصواريخ - فى تكامل مع عناصر الدفاع الجوى الأخرى - أن يدمر لاسرائيل ما يربو على ١٦ طائرة فانتوم ، أى ٢٥٪ من جملة ما كان متوفرا لديها وقتئذ من الطائرات ، وأن يصيب عددا مماثلا منها ..

وبدأت قاعدة الهرم الجديد تتسامى نحو السماء ، ثم توقفت النيران في الجبهة الى حين .

وفي منتصف عام ١٩٧٢ صرح احد قادة اسرائيل بأن الدفاع الجوى المصرى لم يعد يشكل اى خطر ، وانه قد تم اتخاذ جميع الاجراءات التى تجعله عديم الفاعلية .

اما في مصر فكانت توجيهات اللواء محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى لرجاله تركز على ان السلاح الجوى الاسرائيلى يزداد قوة يوما بعد يوم ، نوعا وكما ، بما يصله من طائرات فانتوم وسكاى هوك جديدة ، وبمعدلات كبيرة ، فضلا على معدات الحرب الالكترونية المتطورة ، والصواريخ جو/ارض المتنوعة ، والقنابل التليفزيونية ..

وتؤكد ان على كل فرد من الدفاع الجوى ان يراقب بدقة ودقة كل تطور او توسع في قوات اسرائيل الجوية ، حتى تتخذ التدابير الفورية لمجابهتها بالاسلوب العلمى السليم ، ويمكن مفاجأة اسرائيل بقوتنا الحقيقية عندما يحل اليوم المرتقب .

وجاء اليوم

في السادس من اكتوبر ١٩٧٣ عبر جنود مصر قناتهم تحت حماية الدفاع الجوى الذى حرم العدو من تفوقه الجوى ، ووقى كل الاهداف ذات الاهمية العسكرية والاستراتيجية بالدولة .

وجاءت الطائرات تحمل كل ما انتجته أحدث الترسانات من وسائل الدمار ، لتؤدب هؤلاء العرب الذين هبوا يستعيدون ارضهم وكرامتهم ، وتدق لحملهم وعظامهم كما وعدت رئيسة وزراء اسرائيل .

موجات من الطائرات تتلوها موجات .. تحاول تدمير المعابر وسحق القوات التى تعبر .. وامتدت ذراعنا الطويلة في ثقة وجبروت .. وحدث اتصال ملتهب بين الارض والسماء .. وانهالت طلقات المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ سام - ٢ وسام - ٣ وسام - ٦ تحمى سماءنا .

ولم يكن سام - ٦ هو المفاجأة كما ذكرت اغلب وكالات الانباء ، ولكن المفاجأة الحقيقية كانت مقاتل سنة ٧٣ ، الذى استطاع ان يتسبب هذه المعدات استيعابا وتطويرا واستخداما . فتهاوت امامه الطائرات ذات النجمة السادسة الزرقاء ، واحترقت وهى تندفع نحو الارض .

وعندما غربت شمس ذلك اليوم المشهود ، كان حطام ١٣ طائرة فانتوم وسكاى هوك يجثم هامدا فوق الرمال الساخنة ، بينما كان عدد من الطيارين الاسرائيليين يدخلون قفص الاسرى .. هذا بالاضافة الى

الطائرات التي أصيبت وسقطت بعيدا ، أو تمكنت من اتمام رحلة العودة .

وكان اجمالي الطائرات التي هاجمت قواتنا حتى آخر ضوء السادس من أكتوبر ١٩٤٦ طائرة .. وبفضل دفاعنا الجوي .. فشلت كلها في أن تحقق شيئا .. وهوت يد إسرائيل العليا .. وبترت ذراعها الطويلة .

وأصرت رئاسة الأركان الاسرائيلية على احباط عملية العبور بأى ثمن ، ولهذا استمرت الطائرات تغير ليلا ، بعد أن أضاعت أرض المعركة بالمشاعل فحولت الليل الى نهار . وأنجزت مزيدا من القصف الجوي قابله مزيد من الطائرات تهوى محترقة . وكان اجمالي الطائرات التي هاجمت قواتنا ليلا ٢٢٦ طائرة .

وأشرقت شمس السابع من أكتوبر فازدادت الهجمات الجوية عنفا وكثافة ، وزاد تنظيمها .. وراحت تستخدم أسلوبا أفضل - وأن لم يكن أكثر جدة - وهو الاقتراب على ارتفاعات منخفضة جدا حتى تتجنب الكشف الرادارى ، ثم ترتفع فجأة لتلقى بقنابلها وصواريخها ، قبل أن تقفل عائدة .

كان هذا هو ما حاولت الموجات الأولى اتباعه ، ولكنها لم تستطع أن تنفذه طويلا ، اذ تصدت لها الصواريخ سام - ٧ القصيرة المدى ، والمصممة للتعامل مع الطائرات على الارتفاع المنخفض ، وكذا المدفعية والرشاشات م/ط ، واجبرتها على الارتفاع المبكر ، فوضعتها في أكثر الأوضاع مناسبة لتقتلها الصواريخ سام - ٦ وسام - ٣ وسام - ٢ ..

كانت الأسلحة تعرف أهدافها ، فتوجه ضدها ، طبقا لارتفاعها وسرعتها ، ولم تجد الطائرات الاسرائيلية فتيلة من استخدامها للاعاقة والشوشرة ، سواء آكانت من مصادر أرضية ، أم من المستودعات الموجودة بنفس الطائرات المهاجمة ، فقد أمكن لمقاتل الدفاع الجوي بعد دراسات طويلة أن يتغلب على هذه الاعاقة .. ولكن كيف ؟

انه سر لا يريدون التصريح به اليوم حتى ينفعهم غدا ..

وهكذا سقط عدد كبير من طائرات العدو على حين استمرت عملية العبور تتدفق تباعا الى الضفة الشرقية ، لتحطم عددا أكبر من الحصون المعادية .

ولم يصب جندي واحد من جنودنا بشران الطائرات الاسرائيلية ، كما لم تصب أية معدة من معدات الدفاع الجوي ولو بخدش طفيف حتى تلك اللحظة .. وكان ذلك نصرا رائعا بلا جدال .. اذ بترت ذراع إسرائيل الطويلة وطاش سهمها ..

وكان على القيادة الاسرائيلية ان تغير من تكتيكات الهجوم الجوى سريعا ، فاتخذت اسلوبا جديدا يقضى باقترب الطائرات على نفس الارتفاعات المنخفضة ، وعلى مسافة بعيدة خارج مدى نيران الدفاع الجوى - كما كانت تتصور - ثم تلقى بالقنابل والصواريخ اثناء الصعود ، وتبتعد عن الهدف ..

ولكن الدراسة المسبقة للعدو الجوى واساليبه المختلفة ، وتدريباته التى قام بها فى الماضى ، واسلحته التى استخدمها فى المسرح ، جعلته مثل الكتاب المفتوح ، فكان ما يفعله معروفا لنا ، وكان رجالنا دوما على استعداد لهزيمته فى كل لحظة .

وكانت الصواريخ سام - ٦ الخفيفة الحركة قد احتلت مواقعها فى الامام ، فزاد مدى المظلة التى حققها الدفاع الجوى للقوات البرية .. وأسقطت عددا آخر من الطائرات الاسرائيلية ، وتهاوت كمية أخرى من المظلات الصفراء ، تهبط فى ذلة لتدفع طيارى اسرائيل الى اقفاص الاسرى ..

وجن العدو ، فالعبور ينسحاب بغزارة ، والمعاير تزداد قوة ومتانة .. والكبارى تتحول الى شرايين وأوردة تندفق عبرها أسباب الحياة بين الضفتين جيئة وذهابا ..

ولم يعد امام اسرائيل الا ان تزيد كثافة الهجمات الجوية .. وكان ذلك عبئا ثقيلا ، اذ أدرك الطيارون الاسرائيليون أخيرا استحالة اختراق هذه الشبكة المتينة التى نسجها المقاتلون المصريون بدقة رائعة ، فراحوا يتخلصون من حمولاتهم المدمرة على المسافة التى تكفل لهم الامن ولنا الامان .

ونجح العبور ، وتعززت المواقع ، ولكن القيادة الاسرائيلية لم تسلم بذلك ، فدفعت بالهجمات المضادة البرية التى كان لابد لها من تأييد جوى . وكان متوسط عدد الطائرات المعادية التى اقتربت لقصف قواتنا البرية شرق القناة يتراوح بين ٥٠٠ - ٦٠٠ طائرة يوميا ، أسقطت أغلب حمولتها بعيدا .. فيما عدا بعض الطيارين المغامرين الذين اقتربوا من نيراننا فدفعوا الثمن غاليا ، اذ فقدوا طائراتهم ووقعوا فى الأسر .

واصدرت القيادة الاسرائيلية فى اليوم الاول للحرب أمرا مشددا الى طيارىها بعدم الاقتراب من قناة السويس لمسافة تقل عن خمسة عشر كيلو مترا ، وكان ذلك بعد أقل من ثلاث ساعات فحسب من بدء القتال .

وتراوح متوسط ما يفقده العدو يوميا من طائرات فى هذه المهمة ، أى عند مهاجمة القوات البرية شرق القناة ، بين ٤ - ٦ طائرات ، ونتيجة لذلك تلاشت كثافة الهجمات الجوية حتى وصل الدعم الأمريكى لاسرائيل ، فعاد الخط البيانى الى الارتفاع ثانية بصورة ملحوظة ..

لقد حققت قوات دفاعنا الجوى غطاء جويا صلبا ، قاتلت قواتنا البرية فى حياه ، فحققت المعجزة ، وفازت بثناء الكافة واعجابهم العظيم .

الضربات الفاشلة :

وفى الساعة السادسة والنصف من صباح اليوم الثانى للقتال - ٧ اكتوبر - قامت الطائرات المعادية بمهاجمة سبعة من المطارات المصرية المتقدمة ، هى بنى سويف وبيرتمريضة والقطامية والمنصورة وجناكليس وشبراخيت وطنطا ، وخصصت ٨ - ١٢ طائرة فانتوم وسكاى هوك لكل واحد من هذه المطارات ..

وكان هذا تكرارا آليا للخطة التى اتبعتها القوات الاسرائيلية صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، وحققت بها نجاحا ساحقا اخرج القوات الجوية المصرية من المعركة حتى نهايتها .

واقتربت الطائرات الاسرائيلية على ارتفاعات منخفضة جدا فوق البحر المتوسط لتباغت مطارات شمال الدلتا ووسطها ، وفوق البحر الأحمر لتنقض على المطارات الأخرى ، وظنت انها سوف تغلب بذلك على الحقل الرادارى المصرى ، وتفاجيء دفاعنا الجوى .. ولكن المفاجأة جاءت هذه المرة من جانب مصر .

وجدير بنا ان نتوقف هنا لنفحص امر المفاجأة التى يصعب تحقيقها بقوات ذات طبيعة عمل دفاعية ، أى التى لا تتحكم فى توقيت ومكان الضربة التى تكيلها للعدو . كما ان اخفاء حجم وتمركز وحدات الصواريخ يعتبر أمرا مستحيلا الى حد كبير مع التطور الهائل فى وسائل الاستطلاع حيث يستطيع أى قمر صناعى أمريكى جوال ان يلتقط لها صورا دقيقة ومتجددة بصفة مستمرة . كما تستطيع أى طائرة استطلاع أمريكية الصنع سواء أطلقتها الولايات المتحدة أو إسرائيل ان تقوم بنفس المهمة ، وبتكاليف أقل .

أما عن نوعية المعدات فلم تعد سرا بعد نشر خواصها كل يوم فى المجلات والكتب المتخصصة . ويستطيع الاستطلاع الالكترونى ان يعرف تفاصيل عمل هذه المعدات ، هذا بالإضافة الى وسائل الاستطلاع المتعددة الأخرى .

وعلى ذلك فالمفاجأة الوحيدة المتبقية للمعركة فى عصرنا الحديث أصبحت تنحصر فى أسلوب استخدام هذه المعدات فنيا وتكتيكيا وتعبويا ، كما أن خداع وسائل الاستطلاع المختلفة - وان لم يكن أمرا سهلا . يلعب دورا كبيرا فى هذا المضمار .

.. لقد وعث قوات دفاعنا الجوى هذه المبادئ ، وبدلت كل الجهد لتحقيقها ، ففشل هجوم العدو على مطاراتنا فشلا ذريعا ، وكل

ما استطاعت الطائرات الثماني والستون التي هاجمت قواعدنا الجوية ومطاراتنا صباح السابع من أكتوبر أن تفعله لم يتجاوز القاء قنبلة في نهاية ممر فرعى بأحد المطارات ، وقنبلة زمنية أخرى بجوار مبنى منزول في مطار آخر أصابته بتصدع بسيط ، لم يمنعه من مواصلة العمل .

واستمرت القاذفات المصرية تقلع من هذه المطارات لتقصف أهدافها في عمق سيناء . . على حين كانت المقاتلات المصرية تنتظر الطائرات المعادية قبل أن تبارح المجال الجوي المصري لتدخل معها في معركة جوية وتدمرها . . فبترت بذلك ذراع إسرائيل الطويلة . . وخسر العدو في هذا الهجوم ثمانى عشرة طائرة فانتوم وسكاي هوك ، وعددا من طياريه وملاحيه .

لم يكن ذلك سهلا على قوات دفاعنا الجوي لأن اكتشاف الطائرات على الارتفاعات المنخفضة مع تركيز الإعاقة والشوشرة الالكترونية التي تقوم بها مازالت إحدى المشاكل العلمية التي يعكف العلماء على دراستها .

وقد أسهمت خبرتنا القتالية في التوصل الى بعض الحلول للمشكلة ، بالإضافة الى ما بذله الجنود من تدريب شاق حقق لنا انتهاز بعض الأساليب التي مازلنا ندرجها في عداد الأسرار العسكرية . كما أضاف مقاتلو الدفاع الجوي مبادئ جديدة الى علم الالكترونيات ، وفن استخدام قوات الدفاع الجوي .

كذلك فان استخدام شبكة المراقبة بالنظر التي تعتمد اساسا على الفرد الذي لا يتأثر بالإعاقة الالكترونية ، ويستطيع رؤية الطائرات على الارتفاع المنخفض ، مع تزويده بشبكات مواصلات تعتمد على أساس من الدراسة العلمية العسكرية الدقيقة ، قد حقق نجاحا كبيرا في هذا المجال .

وبالإضافة الى تلك المشاكل فان إصابة الطائرات الحديثة بالصواريخ عمل يحتاج الى درجة عالية من الكفاءة .

ولناخذ مثلا لذلك الطائرات الفانتوم - التي تعنى بالعربية « الشبح » - فهي بلا جدال طائرة قتال ممتازة ، والى جانب ما تتمتع به من مدى كبير وسرعة عالية وارتفاعات عمل مختلفة ، فانها تتميز أيضا بالآتي :

أولا : تحمل هذه الطائرة مستودعات إعاقة الكترونية لتعمية أجهزة الرادار ومحطات توجيه الصواريخ ، وتعمل على حيزات تردد مختلفة ، تغطي الترددات المستعملة بوسائل دفاعنا الجوي .

ثانيا : تحمل الفانتوم صواريخ موجهة جو/أرض مختلفة الأنواع ، منها الصواريخ راکبة الشعاع التي تتجه تلقائيا بمجرد إطلاقها نحو

اي مصدر كهرومغناطيسي ، كما انها تستمر في اتجاهها بدقة حتى لو انقطع هذا المصدر عن البث وذلك لوجود ذاكرة الكترونية بالصاروخ تحتفظ له بالمعلومات الابتدائية عن مصدر الاشعاع وتوجهه نحوه .

ثالثا : تحمل الطائرات الفانتوم الاسرائيلية صواريخ تعمل على ترددات الأجهزة الالكترونية المصرية ..

ورغم ذلك فقد امكنا ان نتغلب على هذه الصواريخ ، وان نسقطها بعيدا عن أهدافها .. ولكن كيف ؟ ..

انه سر حربي آخر ما زلنا نحرس عليه كل الحرص ، توصلت اليه العقول المصرية ومهندسو الالكترونيات المصريون .

وبالاضافة الى هذا الصاروخ يوجد لدى اسرائيل نوع آخر من الصواريخ الحرارية التي تتجه نحو مصدر الحرارة كمولدات القوى ، وكذا الصواريخ الموجهة بالتليفزيون .. وتحمل الفانتوم قنابل مختلفة الأنواع تصل حمولتها الى سبعة أطنان ..

رابعا : تجهز الفانتوم بمعدات الكترونية عظيمة الفائدة للطيار ، واهمها المبيئات الخاصة بنشاط وسائل الدفاع الجوي الأرضي . فمجرد أن تلتقط الفانتوم بأجهزة رادار الدفاع الجوي يضئ مصباح أمام الطيار لينبهه الى ذلك ، وكأنه يهمس في أذنه « كن حذرا » .

فاذا اقترب الطيار من مناطق عمل الصواريخ سأم وأطلق عليه صاروخ من الأرض ، يضئ مصباح آخر لينذره أن الصاروخ قد أطلق نحوه .. وعند هذا الحد يبدأ حاسب الكتروني - موجود بالطائرة - في العمل تلقائيا ، فيجري عمليات حسابية معقدة ، تشمل سرعة طيران الصاروخ ومسافته واتجاهه وامكاناته في المناورة وطرق توجيهه وامكانات الطائرة والطيار ، وسرعته وارتفاعه واتجاهه و .. الخ . ويتم ذلك بالطبع في جزء من الثانية .

ونتيجة لهذه العمليات الحسابية يحدد الحاسب الالكتروني للطيار اللحظة المناسبة للقيام بالمناورة عندما يضئ مصباح ثالث فيرتفع الطيار أو يغير اتجاهه ، ويزيد أو ينقص من سرعته اذا لزم الأمر ، حتى يتعد فجأة وبطريقة حادة عن مسار الصاروخ أرض / جو ويفلت من ملاحقته له .

وكل هذه التدابير الالكترونية تؤدي الى النزول باحتمال تدمير الطائرة بالصاروخ الموجه أرض/جو الى الصفر ..

فاذا علمنا أن خاصية « احتمال التدمير العالي » هي أهم ما تتميز به الصواريخ ، بل أن تعقيد المعدات وغلو الثمن ، والمجهودات الشاقة التي بذلت في صناعة هذه الصواريخ قد هدفت الى تحقيق احتمال تدمير كبير ، اذا علمنا ذلك امكنا ان نقول ان الطائرة الفانتوم هي فعلا

« شبح » ولكن العرب في عام ١٩٧٣ لم يكونوا يؤمنون بالاشباح او يابهون بها ..

والواقع ان هناك معدات اخرى حديثة تعاون طيار الفانتوم على تحقيق مهامه ، ولكن يكفي ما ذكرناه آتفا عن هذه الطائرة التي أصبحت معرضا في ميادين بلادنا .

وخير تعقيب على ذلك ما قاله احمد طيارى الفانتوم الأسرى الرائد طيار جبرو يعقوب امنون « لقد كانت الصواريخ المصرية مؤثرة للغاية . وكنا نحاول الابتعاد عن مواقعها خشية ان تصاب طائرتنا .. وعلى الرغم من محاولات التملص منها الا انها كانت فعالة للغاية ، مما أدى الى وقوع خسائر كبيرة في الطائرات الاسرائيلية ، وبخاصة طائرات الفانتوم » .

أيقن العدو الجوى من فشل هجومه الاول على المطارات المصرية ، فراح يطور أسلوبه ، ويجرى بعض التعديلات التى تلخصت فيما يلى :
اولا : مضاعفة عدد الطائرات التى تقوم بالهجوم لتصبح ١٦ - ٢٤ طائرة ضد كل مطار .

ثانيا : مهاجمة مواقع الرادار التى تقع فى طريق الاقتراب من هذه المطارات ، لتدميرها وفتح ثغرة فى الحقل الرادارى يتسلل داخلها دون انذار عنه .

وفشل العدو فى أسلوبه الجديد بفضل المدفعية والرشاشات م/ط التى كانت تدافع عن مواقع الرادار ، والتى كانت - رغم صغر حجمها - على درجة عالية من الكفاءة أجبرته على الهجوم من ارتفاعات أعلى مما يجب ، وبالتالي لم يعد تصويبه دقيقا ، فسقط أغلب قنابله بعيدا عن أهدافها .

وفى الوقت نفسه امتصت مواقع الرادار الهيكلية جزءا من نيران العدو ، وذلك بالإضافة الى اجراءات أخرى لم يحن وقت نشرها . كما وقعت بعض الأضرار فى عدد من أجهزة الرادار ولكنها لم تسبب فى حدوث أى ثغرة فى الحقل الرادارى ، وأمكن استعادة موقف هذه الأجهزة بسرعة بفضل كفاءة الأطقم وشمول خطة الإصلاح الفورى .

ثالثا : وضع مظلات جوية من الطائرات الاسرائيلية على طريق خروج الطائرات المهاجمة ، وعن كئيب منها ، وقد تكونت كل مظلة من ١٢ - ١٦ طائرة . وأمكن لقيادة القوات الجوية الاسرائيلية توفير كل هذه الأعداد من الطائرات بعد وصول الدعم الأمريكى ، وتعويض خسائرها فى الطائرات .

وكان واجب المظلات هو تركيز الاعاقة الالكترونية الكثيفة باستخدام الاجهزة التى وصلت أخيراً من الولايات المتحدة ضد محطات توجيه الصواريخ أساساً ، بالإضافة الى محطات رادار الانذار .

كما كان لهذه المظلات واجب آخر هو الدخول فى معارك جوية مع المقاتلات العربية التى تعترض الطائرات الاسرائيلية سواء عند اقترابها أو عند انسحابها .

مطار واحد فقط استطاعت الطائرات الاسرائيلية اغلاقه لمدة تزيد على ثلاث ساعات ، ولم يكن هذا المطار الوحيد مدافعاً عنه بالصواريخ وإنما بوحدة مدفعية صغيرة ، ورغم ذلك فقد دمرت هذه الوحدة بالتعاون مع الوحدات الأخرى التى مرت فوقها الطائرات المغيرة ، دمرت للعدو اثنتى عشرة طائرة أى ما يساوى ثمانية وأربعين مليون دولار .

وثمة نجاح آخر حققته القيادة الاسرائيلية هو تدمير أوتوبيس مدنى يحمل بعض القرويين ، كانوا فى طريقهم الى سوق المدينة الاسبوعى ، وقتلت طائرات إسرائيل ستين قروياً بين رجل وامرأة وطفل بقذيفة مباشرة اسقطها الطيار الاسرائيلى الشهم .

وظلت القواعد الجوية والمطارات المصرية تستقبل الطائرات وترسلها الى أهدافها طبقاً للخطة الموضوعة . ولم تصب أية طائرة مصرية وهى على الأرض طيلة أيام القتال . . وكان معنى ذلك أن ذراع إسرائيل الطويلة قد بترت وفقدت بأسها بفضل دفاعنا الجوى الباسل .

الآف الأطنان فوق بور سعيد :

لم تستطع الطائرات الاسرائيلية أن تحقق شيئاً فى جبهة القناة فقواتنا قد عبرتها بنجاح ، والجيشان الثانى والثالث قد عززا مواقعهما فى الشرق . وتزايد سقوط طائرات إسرائيل يوماً بعد يوم بنيران الصواريخ سام ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ والمدفعية المضادة للطائرات المصرية . وذراع إسرائيل الطويلة مشلولة أمام دفاعنا الجوى القوى . .

اذن فليكن الانتقام حيث بصيص من الأمل فى استعادة بعض الثقة فى هذه الدراع المبتورة . .

وعلى ذلك قررت إسرائيل أن تكون ضربتها ضد بور سعيد ، المدينة الباسلة التى تقف فى أباء ورشم عند المدخل الشمالى للقناة على شاطئ البحر المتوسط . فهناك لا خوف من مقابلة نيران الدفاع الجوى المهلكة ، اذ لا توجد بها سوى أربعة بطاريات فقط من طراز سام ٢ وسام ٣ ، وبعض المدفعية والرشاشات المضادة للطائرات ، تشكل فيما بينها تجمعاً منعزلاً ، لا يتوفر له تعاون بالنيران مع جميع الجبهة .

اما امداد المدينة فليس له طريق الا الساحل ، وتكفى قنبلة او صاروخ واحد لقطعه فى اى موضع على امتداده الطويل .

وتساعد جغرافية المنطقة القوات التى تهاجم بور سعيد جوا ، فالى الشرق تقع قناة السويس ، والى الشمال البحر المتوسط حيث يمكن للطائرات المهاجمة أن تطير فوقه على ارتفاع عدة أمتار دون خطر ، ودون أن تتمكن أجهزة الرادار أن تميزها من خلال أمواج البحر ، والى الغرب تقع بحيرة المنزلة التى لا يفصلها عن البحر سوى شريط ساحلى ضيق ، والى الجنوب تمتد أرض منبسطة وسبخات ملحية .

لقد وفرت هذه الظروف الطبوغرافية أفضل الفرص للطائرات المعادية أن تقترب من المدينة عن طريق الشرق مباشرة ، وعن طريق الشمال فوق البحر بصورة شبه مباشرة ، وعن طريق الجنوب والغرب بصورة غير مباشرة بعد أن تقوم بحركة التفاف واسعة بعض الشيء . وكان هذان الاتجاهان الأخيران هما الأكثر احتمالا اذا أراد العدو أن يحقق المفاجأة .

وحدث ما توقعناه تماما ، إذ قامت طائرات اسرائيل يومى ٦ ، ٧ أكتوبر بالالتفاف من الغرب - أى من الخلف - لتهاجم القوات البرية التى عبرت الى الشرق .

وفى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم الثالث للقتال - ٨ أكتوبر - التقطت شاشات الرادار عددا من الطائرات الاسرائيلية تقترب مباشرة من الشرق على ارتفاعات متوسطة وعالية ، وخصص قائد الدفاع الجوى عن بور سعيد جزءا من مجهوده للتعامل مع هذه الأهداف فى حالة اختراقها لمجال عمله ، على حين أمر الجزء الأكبر أن يكون مستعدا للأهداف التى تقترب من الجنوب ، وركزت وسائل الاستطلاع فى اتجاه الشمال والغرب .

وانخفضت الطائرات المقتربة من الشرق لتوحى بأنها سوف تنقض وشيكا ، ولم تخدع هذه الحركة أحدا لأن الأسلوب الصحيح هو العكس من ذلك تماما ، إذ يجب على الطائرات أن تقترب على ارتفاعات منخفضة لتتفادى الكشف الرادارى ، ثم ترتفع بغتة لترى أهدافها قبل أن تنقض عليها وتقصفها بشدة واحكام .

وبعد قليل كان المجهود الرئيسى يندفع الى بور سعيد من اتجاه الجنوب ، فتنقسم الطائرات الى مجموعتين ، تتجه أحدهما شرقا لتهاجم مواقع الصواريخ الموجودة فى هذا الاتجاه ، وتتجه الأخرى غربا لتهاجم المواقع الباقية .

وانتشرت هناك بعض الكمائن المضادة للطائرات من صواريخ سام - ٧ الصغيرة التى تطلق من الكتف ، وضعتها فى طريق اقتراب الطائرات التى ما ان فوجئت بنيرانها المصوبة حتى اضطرت الى الارتفاع

ميكرا عما كان مخططا لها ، فأصبحت في اكثر الأوضاع مناسبة لمواقع سام ٢ ، سام ٣ لتدميرها .. وبدأت الصواريخ تنطلق لأعلى والطائرات تنهوى لأسفل بمجرد أن يتم اللقاء الصاخب بينهما .

واستمرت المعركة حتى الساعة الخامسة مساء بحشد كبير بلغ أربعة وتسعين طائرة . هذه الكثافة الكبيرة تزيد على امكانات البطاريات الأربعة التي لا يمكنها أن تتصدى في فترة زمنية واحدة لأكثر من أربعة أهداف فحسب ، مثل عددها ، فإذا زاد عدد الطائرات المغيره عن عدد البطاريات سام أمكن لهذه الزيادة أن تقصف مواقع الصواريخ دون أن تخشى عملا مضادا منها .

وعندما هبط الظلام كانت اثنتا عشرة طائرة اسرائيلية قد تحولت الى حطام في مقابل اسكات الصواريخ الأربعة . وفي جنح الليل بدأت الطائرات الاسرائيلية المرحلة الثانية تحت أضواء المشاعل ، بهدف احباط أى محاولة لاقامة الصواريخ مرة أخرى . وراحت الطائرات تقصف مواقعها بشدة ، حتى تدمر المعدات تدميرا تاما .

ثم زادت القصف بشدة لتهدم المواقع نفسها ، حتى اذا ما أمكن تعويض الأسلحة بأخرى فلن تجد الموقع الذى تعمل منه .. ثم عملت على اغلاق هذه المواقع والطرق المؤدية اليها بالقضاء القنابل الزمنية والألغام والإشراك ذات النوعية الخاصة ، حتى تمنع المهندسين من الاقتراب منها . وأخيرا قطعت الطريق المؤدى الى بور سعيد لمنع الامدادات من المدينة الباسلة .

واستمرت هذه العملية في تكرار رتيب طيلة يومى التاسع والعاشر من أكتوبر . وكانت الطائرات عندما تقابل بنيران المدفعية م / ط او الصواريخ الصغيرة ترتفع قليلا ثم تستمر في قصفها بأنواع مختلفة من القنابل والصواريخ ، كما قامت أيضا بقصف القاعدة البحرية .

وبلغ مجموع الطائرات التى هاجمت بور سعيد يومى ٩ ، ١٠ أكتوبر ٢١٤ طائرة ألقت زهاء الألف وخمسمائة طن من المواد المتفجرة عليها .

وفى الساعة الثامنة من مساء العاشر من أكتوبر أمكننا أن نلتقط بعض الاشارات المتبادلة بين الطيارين الاسرائيليين وقيادتهم ، عندما كان الطيارون يعطون تماما بأنهم نفذوا كل مهامهم ، بينما القيادة تصر على أن يعاودوا الكرة . وصرخ الطيار فى النهاية مؤكدا أنه لم تعد هناك أهداف تقصف ، وأنه سوف يقفل عائدا الى قاعدته .. ثم أغلق جهازه وعاد ليستريح .

وفى الساعة التاسعة والدقيقة الثامنة والثلاثين من صباح الحادى عشر من أكتوبر عادت الطائرات الاسرائيلية الى بور سعيد . ستة عشر

طائرة اتت لتبث الرعب في قلوب سكان المدينة الذين رفضوا مغادرتها . ولم تكن بها حاجة لان تطير على ارتفاع منخفض فلم يعد امامها عناصر دفاع جوى يؤبه به .

وفجأة انطلقت الصواريخ سام ٢ وسام ٣ ثانيا ، وسقطت اثنتا عشرة طائرة في مدى عشر دقائق ، وفرت الطائرات الاربع الباقية .

كيف حدث هذا . . ؟ ومتى عادت الصواريخ الى مواقعها . . ؟ لقد بدا ذلك ضربا من المحال ، ولكنها حقيقة واقعة اثبتتها التواريخ ، وتعرفها القيادة الاسرائيلية جيدا .

فرغم كل ما حدث ، عاد جميع الصواريخ في بور سعيد اقوى مما كان بفضل التخطيط المسبق الحاذق ، والشجاعة المتأصلة في النفوس، وتنظيم العمل والتعاون الكامل ، واتقان الواجب والاصرار على ادائه . وعاد الفضل في كل ذلك الى قوات الدفاع الجوى ، والمهندسين العسكريين ، واهالى بور سعيد الأبطال ، الذين حققوا فيما بينهم هذه المعجزة .

وبنهاية الحادى عشر من اكتوبر ٧٣ كانت بور سعيد قد اسقطت احدى وعشرين طائرة اسرائيلية ، غير الاصابات الأخرى التى ألحقها بها .

واستمر الصراع بين قوات الدفاع الجوى المصرى في بور سعيد والقوات الجوية الاسرائيلية ، وكان صراعا مريرا غير متكافئ بين مئات الطائرات من أحدث الأنواع العالمية وبين أربع بطاريات صواريخ .

واستخدمت الصواريخ الحرارية التى تتجه الى مصادر الحرارة بالمواقع ، وهى مولدات القوى الكهربائية اللازمة لعمل وحدات الصواريخ ، واشعل المقاتلون النار في براميل فارغة وضعوا فيها بعض الوقود والنفائات ، فكانت تجذب الصواريخ اليها .

كما استخدمت الطائرات الصواريخ الموجهة بالتليفزيون . وأطلق مقاتلو الدفاع الجوى - ستائر الدخان حول المواقع ، مما جعل هذه الصواريخ تضل أهدافها . وأصبح من الصعب على الطائرات أن ترى المواقع .

وألقت الطائرات وابلا من الاشراك المتفجرة ، واستطاع المقاتلون والمدنيون تمييزها بسرعة ، وابتكروا طرقا سهلة لتدميرها .

وفى الثالث عشر من اكتوبر كان جميع الصواريخ في موقف خطير، اذ أصيبت ثلاث بطاريات ولم يبق صالحا للعمل سوى واحدة .

وكان من المهم الا يشعر العدو بهذا الموقف الحرج الى أن يعاد اصلاح الأعطال .

وبالفعل استطاع مهندسو الالكترونيات المصريون أن يحافظوا على مصادر الإشعاع الكهرومغناطيسى بكل موقع ، وحافظوا بذلك على الصورة العامة للموقع . فالصواريخ ما زالت تنطلق وإن كانت غير موجهة ، وهناك مصادر إشعاع وإن كانت غير ذى موضوع ، وهناك دخان كثيف يلف كل شيء فى ثوب من الغموض والابهام .

وظلت الصورة أمام الطيارين الاسرائيليين كما كانت عليه سابقا ، فلم يفتنوا الى أى تغيير ، بل أن كثيرا من الطيارين فى ذلك اليوم بالذات القوا بحمولاتهم من القنابل والصواريخ فى البحر خشية الاقتراب من الدفاع الجوى فى بور سعيد ، وكان سكان بور سعيد يشاهدون ذلك بأعينهم فيصفقون .

لقد حاول العدو الانتقام من بور سعيد الباسلة فهاجمها طوال المدة من ٨ حتى ٢٤ أكتوبر بمتوسط ٦٤ طائرة فى اليوم . . . وبلغ اجمالى طائراته التى هاجمت بور سعيد خلال تلك المدة ٩٣٠ طائرة . . . ولكنها لم تستطع بكل ما تحمله من آلاف الاطنان من أسلحة الخراب والدمار أن تنال من روع شعبها البطل . . .

واستمرت الحياة كمعادتها ، المحلات العامة تفتح ابوابها ، وسوق المدينة توفر للمواطنين حاجتهم ، والأطفال يهللون مع كل طائرة تسقط ، وصاح احدهم يقول لأمه بعد أن شاهد ١٢ طائرة تسقط تباعا ، وتخرج منها المظلات لتحمل طيارها الى اقفاص الأسر . . « ماما السنا بتتمطر طيارات وشماسى » .

هكذا سجل التاريخ لقوات الدفاع الجوى صفحة فخر ، اذ نجحت فى تحقيق مهامها ، وشهد العالم بذلك . . . ويكفى أن نسوق بعض ما قاله الأعداء . . .

لقد قال موشى ديان فى حديث تليفزيونى :

« ان القوات الجوية الاسرائيلية تخوض معارك مريرة . . انها حرب ثقيلة بأيامها . . ثقيلة بدمائها » . . .

ونشرت الجيروزاليم بوست نقلا عن أحد قادة القوات الجوية الاسرائيلية :

« ان الدفاع الجوى المصرى يتمتع بكفاءة ليس لها مثيل فى تاريخ الحروب ، تفوق تلك التى واجهها الأمريكيون فى فيتنام » . . . ويقول الطيار الاسرائيلى الأسير النقيب طيار سمحا مردخاى روزين :

« لقد دهشت من دقة تصويب المدافع المصرية المضادة للطائرات مما يؤكد أن مستوى رجالها عال جدا . . والدليل على ذلك كثرة ما اسقطوه من طائرات » . . .

وحاولت بعض الصحف الأجنبية - التي اضطرت الى ان تذكر الحقائق على مضض - ان تركز الأضواء على نوعية الأسلحة التي استخدمها دفاعنا الجوى فعلق أحد مقاتلينا على ذلك بقوله « ان سلاحنا جيد .. والطائرات الفانتوم وسكاى هوك أيضا طائرات ممتازة . وشيء عظيم ان يكون معنا سلاح جيد ، وان نكون مهرة في استخدامه » ..

ان السلاح كالألة الموسيقية .. من يحسن العزف عليه يخرج أعذب الألحان .. وقد استطاع مقاتلو الدفاع الجوى ان يعزفوا سيمفونية ، ان لم تكن رائعة ، فهي على الأقل متقنة .. وان شابها بعض النغم الحزين فلأنها كتبت بدماء الشهداء .

وتعددت تقديرات خسائر اسرائيل في الطائرات على الجبهة المصرية بفعل الدفاع الجوى المصرى فزعمت اسرائيل أنها ١١٥ طائرة وقدرها الغرب بين ١٨٠ و ٢٠٠ طائرة وأكد الاتحاد السوفيتى أنها لا تقل عن ٢٨٠ طائرة .

والواقع ان خسائر الطائرات بالنسبة لاسرائيل ليست هي المشكلة ، لأن الاستعواض سهل وسريع ، عادة يتم أثناء القتال ، ولكن المشكلة هي فقد الطيارين الذين يتطلب اعدادهم وقتا طويلا وتكاليف باهظة ، وقد فقدت منهم اسرائيل المئات في حرب رمضان .

ولكن النتيجة النهائية هي ان ذراع اسرائيل الطويلة قد بترها مقاتلو دفاعنا الجوى بالوسائل .. وتلك حقيقة ناصعة ، هدمت اهم ركائز الأمن القومى الاسرائيلى فوق رأس مؤسستها العسكرية المقهورة .

فوق السحاب القوات الجوية

● لم يسبق لطيارينا البواسل ان خاضوا حربا جوية حقيقية مع اسرائيل ، اذ باغت العدو طائراتهم وهي جاثمة على الارض في الجولتين السابقتين فدمرها .. مساء في خريف ١٩٥٦ بواسطة الكاثيبرا البريطانية والميراج الفرنسية بالوكالة عن اسرائيل ، وصباحا في صيف ١٩٦٧ بالقوات الجوية الاسرائيلية بالاضالة عن نفسها ..

وكانت قواتنا البرية والبحرية اثر كل ضربة مفاجئة مركزة للعدو تجد نفسها وقد تعرت من غطاءها الجوي في مسرح الحرب المكشوف ، وصارت في وضع بالغ الشدة والحر ج ..

اما في حرب رمضان ، فقد دارت الامور بصورة مختلفة تماما عما سبق ، اذ نشط القتال الجوي منذ اللحظة الاولى للحرب حتى لحظتها الاخيرة .. فالعملية الهجومية الاستراتيجية «بدر» قد استهلت نشاطها القتالي بتوجيه ضربة جوية مركزة مفاجئة للعدو ، اعقبها قتال جوي عنيف ، استمر على اعلى درجات النشاط ، حتى حققت قواتنا الجوية العملاقة كل مهام القتال المحددة لها ، وخرجت بعد هذا الجهد الرائع وذلك الانجاز العظيم قوية الجانب واسعة الخبرة عالية الكفاءة شديدة الايمان بعون الله وتوفيقه ..

وكان خلف هذا النجاح الكبير عمل دؤوب بداه الرجال باصرار وهمة . بمجرد أن خمدت النيران في مطاراتهم بانتهاء الجولة الثالثة الكئيبة .

ونشط الاعداد لزيادة عدد الطيارين ، وكانت عملية شاقة طويلة ، استغرقت في المتوسط بين خمس وست سنوات ، قابلها جهد آخر لا يقل

عنها عناء ومشقة ، لزيادة عدد الفنيين والمهندسين والمهنيين في القوات الجوية ، الذين يوكل اليهم جميعاً أمر اعداد واصلاح الطائرات .. وكانت هي أيضاً عملية شاقة طويلة ، استغرقت الوقت الطويل نفسه مثل عملية اعداد الطيارين سواء بسواء ..

وبدا الاعداد لانشاء شبكة هائلة من المطارات في كافة أرجاء مصر : تستوعب الاعداد الكبيرة من الطائرات والطيارين ، وتنهض بالمهام الخطيرة والكثيرة التي سوف توكل الى القوات الجوية في الحرب القادمة .

وكان الدرس الأول من نكسة ١٩٦٧ هو ضرورة وقاية الطائرات في المطارات ، ولذلك تم اقامة العدد الكافي من الدشم الخرسانية المتينة في كل مطار وقاعدة جوية .. وبفضلها ، وبفضل الدفاع الجوى اليقظ ، والحماية الجوية بالمقاتلات لم تصب لنا طائرة واحدة في حرب رمضان وهي جائحة على الأرض .. ولم تكن الطائرات تستغرق أكثر من دقيقتين لتفادر دشمتها وتحاق في السماء نحو هدفها .. وتسبب ذلك في حيرة العدو ودهشته .. ثم هزيمته ..

وكان الدرس الثانى من النكسة هو ضرورة تدريب القادة على تقدير الموقف السليم ، واتخاذ القرار الحكيم ، وفرض السيطرة الحاذقة ، ولهذا الغرض عقدت مشروعات كثيرة ، وأجريت دراسات عديدة ، وأوفدت بعثات للخارج ، وتمت أبحاث في الداخل ، اثمرت كلها في تزويد قواتنا المسلحة بنوعية ممتازة من القادة المحنكين الالكفاء ..

وجرت كل تلك الأعمال والانجازات التي استنفدت المجهود الجهيد ، والعرق الغزير ، تحت ظروف بالغة القسوة ، فالقتال لم يخب له أوار ، وحرب الاستنزاف تبتلع قسماً من الجهود والامكانات .. والنكسة قد خلفت آثارها .. كل ذلك والعمل يسير بسرعة نحو الهدف المنشود ..

ثم حصد العرب الثمرة في حرب رمضان .. اذ أسهمت قواتنا الجوية بالنصيب الأوفى في تحقيق النصر ، وبتز ذراع اسرائيل الطويلة ، وأخرست لسانها السليط ، وحطمت أسطورتها .. واعترفت لها الفريق أول محمد عبد الغنى الجمسى بالفضل فقال .. ان القوات الجوية هي التي بدأت حرب رمضان ، وهي التي أنهتها .

استهلّت العملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » أعمال القتال بالضربة الجوية المركزة المفاجئة ، في تخطيط رائع بين الجبهتين المصرية والسورية ، وتنسيق دقيق مع باقى الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة العربية ..

وقامت تشكيلاتنا الجوية بقوة ٢٥٠ طلعة طائرة قتال بالانطلاق شرقاً فى توقيت واحد ، نحو أهدافها المنتخبة بحذق ومهارة بالغة .. لكل تشكيل جوى هدفه الذى يتعين عليه أن يدمره ، وأهدافه التبادلية للطوارئ .. ولكل تشكيل جوى وجهته المحددة ، وسرعته وارتفاعه ،

وللجميع هدف واحد ، هو إلحاق الدمار بالعدو حيثما كان وإنما يصير ..

- مطارات المليز وتمادا ورأس نصراني تحولت الى حطام .
- عشرة مواقع صواريخ أرض جو طراز هوك صارت هباء .
- مواقع مدفعية بعيدة المدى حاق بهما الدمار .
- ثلاثة مواقع رادار ومراكز توجيه وانذار صممت الى الأبد .
- محطتا أم خشيب وأم مرجم للاعاقبة والشوشرة في سيناء أمستا شعلة من النيران .
- ثلاث مناطق شتون إدارية راحت على العدو .
- النقطة القوية شرق بور فؤاد سحقها طيارونا البواسل ..

واتت الضربة الجوية المركزة بنتائج الإحباط المرجوة ، بل بأكثر مما كنا نأمل وحقت مع نجاح اقتحام حصون بارليف أفقاد العدو اتزانة ، ومن ثم قررت القيادة العامة عدم تكرارها بهذا العدد الهائل من الطائرات لأن كل الأهداف المطلوب تدميرها كانت قد تحطمت في الهجمة الأولى ..

ومع تطوير الهجوم عبر القناة ، ركزت قواتنا الجوية على حماية رؤوس الكبارى والمعابر ، ووفرت الغطاء الجوي للقوات المتقدمة .

وشاركت مقاتلاتنا القاذفة في ذلك حصون بارليف وكذا التعزيزات التي أسرع قيادة سيناء بدفعها للامام لانتفاذ الموقف المتدهور في الجبهة

وشكلت المقاتلات مع صواريخ دفاعنا الجوي جدار الحماية حول مطاراتنا ومنشآتنا الحيوية .

ووضعت نسبة من مجهود المقاتلات في معاونة قيادة الجيشين الميدانيين والقوات البحرية .

وحقق كثير من طيارينا البواسل ست وسبع طلعات في اليوم الواحد ، فاضربوا رقما قياسيا إذ أن المعدل العالمي لا يتجاوز ٣ - ٤ طلعات في اليوم .

واستمرت بعض المعارك الجوية أكثر من ٥٠ دقيقة رغم أن الزمن التقليدي لأي اشتباك جوي لا يتجاوز ٧ - ١٠ دقائق ، وكان سبب ذلك هو كثرة الطائرات المعادية بكثافة بلغت في بعض الأحيان ٦٠ - ٧٠ طائرة في وقت واحد .

ولم يتعطل لنا مطار أو قاعدة جوية طوال أيام القتال لفترة تزيد عن ساعات قليلة مهما تعرضت الممرات لقصف طائرات العدو ، وعاد

الفضل في ذلك الى مهندسى مطاراتنا الاشواوس الذين عملوا على سرعة اصلاح الممرات وهم معرضون لتيران العدو .

وانخفضت المدة اللازمة لاعادة تزويد الطائرة بالوقود والذخيره الى ٦ دقائق وكان الرقم الذى طنطنت به اسرائيل عام ١٩٦٧ هو ٨ دقائق ..

واستمرت المقاتلات القاذفة تضرب بشدة لتحقيق السيطرة الجوية، فتقصف مطارات العدو في سيناء واجهزة الرادار ومواقع الهوك ، طيلة فترة العمليات وانجزت في هذا السبيل حوالى ٣٠٠ طلعة طائرة ..

ومع فجر السابع من اكتوبر تصدت المقاتلات لهجمات العدو الجوية ضد مطاراتنا ، واشتبكت معها في معارك جوية دارت أعنفها قاطبة على امتداد أيام ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، اكتوبر ، في شمال الدلتا ، حيث كان العدو يدفع في كل هجمة من ٦٠ الى ٧٠ طائرة ، وامكن لمقاتلاتنا في تعارن رائع مع دفاعنا الجوى أن تصيب وتدمر الكثير منها ، وأن تمنعها تماما من تحقيق أى هدف لها ، بما أجبرها على التخلص من قنابلها وصواريخها في الحقول ، فيما خلا بضع طائرات قليلة ، كانت تتسلل نحو المطارات فتصيب احداها اصابات تافهة لا تستغرق عملية اصلاحها الا ساعات قليلة ..

وجدير بالذكر ان العدو - خلال المدة من ٧ حتى ٢٠ اكتوبر - قد حاول مهاجمة عشرة مطارات مصرية فقط هى القطامية والمنصورة والصالحية وطنطا وشبراخيت وجناكليس وقويسنا وأبو حماد وبنى سويف وبير عريضة .

وكانت اول محاولة للعدو يوم ٧ اكتوبر هى أبرزها، اذ حاول فيها مهاجمة سبعة مطارات .. وبعد ذلك قلل من حجم مجهوده الجوى ضد المطارات ، فأصبح يهاجمها بمعدل ١ - ٤ مطار فى اليوم ، وذلك بعد أن تيقن من فشل ذلك الأسلوب في اخراج القوات الجوية المصرية من المعركة ..

وعلى الرغم من مهاجمة مطار القطامية مثلا ست مرات بعدد ١٦٦ طلعة/طائرة ، ومهاجمة مطار المنصورة خمس مرات بعدد ٦٦ طلعة/طائرة الا أن هذين المطارين ظلّا يعملان بكفاءة تامة طوال المعركة .

وتوقف العدو تماما عن مهاجمة مطاراتنا اعتبارا من يوم ٢١ اكتوبر ..

واستمرت قواتنا الجوية على مدى ٢٣ يوم قتال نشط تؤدي مهمة الحماية الجوية بكفاءة هى مضرب الأمثال ، وجسارة مرجعها شهامة الرجال .. ومع تطور الجيب المعادى غرب القناة ، تصاعد القتال الجوى الى منتهاه ، وشهدت منطقة السويس وفاید أعنف المعارك الجوية ،

التي اشترك فيها من كل جانب ما يربو على السبعين طائرة مقاتلة ، في تلاحم ونضال رهيب ، استمر في بعض الأحيان ساعة كاملة وأكثر ..

وبلغ اجمالي عدد المعارك حوالي الخمسين معركة جوية ، منها ثمانية معارك كبيرة سوله تدخل سجل الخلود في تاريخ قواتنا الجوية المظفرة ، التي اسقطت للعدو خلالها فوق شمال الدلتا وبور سعيد وقايد والسويس ما يقرب من ١٠٠ طائرة ..

ويشهد بذلك أحد طياري العدو الأسرى الملازم اول آفي حاييم الكالاي فيقول « انني اعتقد ان سلاح الطيران المصري أصبح على أعلى مستوى ، ولم أكن اتوقع أن تقوم الطائرات المصرية بمهاجمة طائراتنا . وقد شاهدت معركة جوية بين الطائرات الاسرائيلية والمصرية أسقط فيها ثلاث طائرات فانتم ، وسيطرته الطائرات المصرية على المعركة » .

ومنذ صباح السابع من أكتوبر وقواتنا الجوية تضرب احتياطات العدو التعبوية بلا هوادة ، وتلحق به طوال أيام القتال التالية أقدح الخسائر في الدبابات والمعدات والأسلحة والأفراد .

وكانت اسراب المقاتلات القاذقة من طراز السوخوى والميج ١٧ والميج ٢١ تحقق أرقاما نياسية في معدلات اصابة وتدمير الأهداف المعادية ، وقد أنجزت فيما بينها ما يزيد على الألف طلعة طائرة ..

وعن المعاونة الجوية المباشرة للجيشين الميدانيين ، فقد تمت بكفاءة نادرة وتنسيق فعال منذ أن بدأ القتال عصر السادس من أكتوبر ، حتى صمدت النيران الى حين ظهر الثامن والعشرون منه .. وقد أنجزت القوات الجوية حوالي ثلاثة آلاف طلعة طائرة في هذا السبيل .

وعن الاقتحام الجوي الراسى في حرب رمضان ، فقد انبرت طائرات الهليكوبتر المصرية تؤدي مهمة ابرار وحدات الصاعقة في عمق سيناء جنوبا وشمالا ، بما أذهل العدو وأربكه وشل حركته ومزق مناوراته وأمداداته . واستمرت الهليكوبتر طيلة أيام القتال تمتد وحدات الصاعقة بلوازمها حتى تواصل الحرب ليلا ونهارا في أشق الظروف واحفلها بالخطر ..

وعن قاذفاتنا فقد انطلقت من نواحيها تصب الدمار على أهدافها المنتخبة ، وتلقى مئات الأطنان من القنابل المهلكة على مطارات سدر والطور ، وتبيد وتشتت تجمعات العدو المدرعة وقواته الميكانيكية التي تسلت نحو الدفرزوار ، وتحطم معابره ومراكز قياداته ..

هذا عدا الدور الكبير للقاذفات في حماية أهدافنا السياسية والاقتصادية من غدر العدو ، بوقوفها على أهبة الاستعداد لردعه اذ ما سولت له نفسه أن يخطف أهدافنا الدنية في أى وقت .. خاصة وقد حسم الرئيس السادات الأمر بتأكيده قبل المعركة أن .. السن بالسن ، والعمق بالعمق ، والنابال بالنابال ..

ونفذت تشكيلات الاستطلاع الجوى قبل واثناء وبعد الحرب الكثير من المهام الناجحة لصالح القوات المسلحة ، وكان لها عظيم الفائدة في ملاحقة أعمال العدو المضادة وأحباطها ، وكشف خطته ومناوراته أولا بأول ، وسرعة القضاء عليها ..

وحقق القنيون والمهندسون أعلى درجات الكفاءة والمهارة في أداء الواجب المنوط بهم ، فاحتفظوا بنسبة صلاحية الطائرات في أعلى درجاتها ونجحوا في اتمام أعمال إعادة ملء الطائرات بالوقود والذخيرة والتفأبل فى ما لا يزيد عن ست دقائق ٠٠ ولم يملئوا الدنيا ضجيجا لتلك الأرقام المدهلة ، كما ملأها إسرائيل عام ١٩٦٧ ، عندما حققت رقما نادرث بأنه لا يجارى .. وكان مجرد ٧/٤ دقيقة .. لم يملأ رجالنا الدنيا ضجيجا لأنهم كانوا على ثقة أنه الواجب .. مجرد الواجب .

وهكذا استمرت قواتنا الجوية تنفذ مهامها بنجاح طوال أيام الحرب مما شكل تهديدا مباشرا لأهداف العدو فى سسيناء المحتلة وفى عمق أراضيها ومما يدل على شدة خشيتة من طائراتنا ونسورنا أنه خصص حوالى نصف طلعات طائراته القتالية للقيام بمهام المظلات الجوية فوق سيناء ، فقد وجه لذلك ٤٠٩٨ طلعة طائرة قتال من اجمالى طلعاته القتالية على الجبهة المصرية ، والتي بلغت ١٠٣٢٢ خلال المدة من ٦ - ٢٢ أكتوبر .

على هذا النحو قاتل رجال قواتنا الجوية فى حرب رممسان فصالوا وجالوا فوق السحاب ، وانجزوا المهام الحسيمة ، وحققوا الهدف المنشود ، وصلى فيهم قوله سبحانه وتعالى « .. من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » .

الأبيض والأحمر القوات البحرية

● بين مضيق شرم الشيخ جنوب خليج العقبة وباب
المنبج جنوب البحر الأحمر حطمت قواتنا البحرية
كل افتراءات إسرائيل عن ضرورة احتلال مدخل خليج
العقبة ، ثم كشفتها للاملا ، واثبتت زيف هذه
الافتراءات . ولو كان هذا انجازها الوحيد في حرب
رمضان لكفاهها .. ولكنها استمرت شديدة النشاط
وافرة الانجاز طوال الحرب .. ويرجع الفضل في
ذلك التطور الكبير الذي حققته قواتنا البحرية بعد
جولة يونيو ١٩٦٧ تنظيما وتسليحا وتدريبيا ، فعلى
الاتجاه التعبوى للبحر الأحمر أصبحت تسيطر
بقاعدة البحر الأحمر البحرية ، وعلى الاتجاه التعبوى
للبحر المتوسط أصبحت تسيطر بقاعدتي الاسكندرية
وبور سعيد ..

وصارت كل قاعدة بحرية مسئولة تماما بما لديها من قوات
وقدرات أن تؤمن نطاقها التعبوى ، وأن تمنع العدو من الاقتراب من
الأهداف الساحلية في منطقة عملياتها ..

أما في مجالات التسليح فقد ركزت قواتنا البحرية كل جهودها
للهوض بالوحدات البحرية الخفيفة ، وزيادة عدد لنشات الصواريخ
والطوربيد والنشآت المجهزة بصواريخ غير موجهة للضرب على أهداف
العدو الساحلية . ومع بداية حرب رمضان كانت تملك قوات صاعقة
بحرية وضافدع بشرية مزودة بأحدث أسلحة العصر .

واختبرت القوات البحرية جنود الصاعقة في عمليات متعددة ، فكانوا أول من عبر القناة بعد يونيو ١٩٦٧ لاحتضار عينات من أسلحة إسرائيل ، ثم كانوا دائما ضمن القوات التي عبرت القناة عام ٦٧ ، ٦٨ ، ١٩٦٩ . فعادوا بالأسرى وبثوا الكمائن ووزعوا الألغام عن طريق التحرك ، وشنوا الاغارات المتعددة على نقط العدو الحصينة ، التي كان أبرزها مهاجمة وتدمير الجباسات جنوب بور توفيق ..

واحتست اسرائيل بخطورة قواتنا البحرية واتقناها صنعة الحرب عقب اغراقها المدمرة ايلات بالصواريخ البحرية في ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ فأعلنت عن استراتيجية جديدة للبحرية الاسرائيلية تعمل في عدة اتجاهات :

٠ أولا : دعم اللنشات الحديثة السريعة ، وتسليحها بالصواريخ جابرييل ، وهى اللنشات التى عرفت باسم « سحر » ..

٠ ثانيا : الاعتماد على الصناعة الاسرائيلية فى توفير الكثير من المعدات البحرية المتطورة ، وقد صنعت اسرائيل فعلا الصاروخ جابرييل .

٠ ثالثا : شراء غواصات جديدة من انجلترا تناسب مواصفاتها القتالية عملياتها البحرية المقبلة .

٠ رابعا : تطوير الضفادع البشرية تدريباً وتسليحاً ..

٠ خامسا : تخصيص طائرات للعمل مع قواتها البحرية . سواء لأغراض الاستطلاع أو الحماية الجوية أو ضرب تجمعات قواتنا فى البحر أو انقاذ قواتها التى قد تصاب خلال المعارك البحرية . وقد ركزت فى هذا المجال على طائرات الهليكوبتر ، والقاذفات المقاتلة والمقاتلات .

لقد أوكل الى قواتنا البحرية مهام كثيرة فيما بين الجولتين الثالثة والرابعة ، اذ كانت مطالبة بتدمير قوات العدو البحرية أينما وجدت ، وتحطيم اهداف العدو الساحلية ، والتى قد تعمل ضد قواتنا أثناء العملية الهجومية المرتقبة للجيش الميدانية .

ولعل أبرز الواجبات التى وقع على قواتنا البحرية عبء انجازها حماية خطوط مواصلاتنا البحرية ، وحرمان العدو من الاستفادة من مواصلاته البحرية .

وكلنا يعلم كيف تعتمد الدول كثيرا على حجم الامدادات البحرية التى تصلها عن طريق البحر ، ذلك لأن النقل الجوى محدود جدا وباهظ التكاليف ، كما أن حجم المطالب الاستراتيجية التى يمكنه نقلها بسيط اذ ما قورن بقدرات النقل البحرى غير المحدود . ولنقارن بين ما تحمله ناقلة بترول متوسطة حمولتها ٤٠٠٠٠ طن ، فى رحلة واحدة ، وعدد

الطائرات التى تستطيع نقل الحمولة نفسها جوا ، لنلمس البون الشاسع بين القدرتين .

وبالإضافة الى ما سبق من مهام فقد كان واجبا على قواعدنا البحرية حماية سواحلنا وفرض سياستنا البحرية على مياهنا الإقليمية .

الموقف البحرى قبل يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

كانت وحدات العدو البحرية تتمركز فى ميناءى أشدود وحيفا على البحر المتوسط ، وإيلات وشرم الشيخ ومراسى خليج السويس - رأس سدر وأبو رديس - على البحر الأحمر .

أما وحداتنا البحرية فقد تمركزت فى نطاق القواعد البحرية فى الاسكندرية وبور سعيد وسفاجا والغردقة . . وبمقارنة قواتنا البحرية بقوات العدو يتضح تفوقنا على العدو فى المدمرات والغواصات ووحدات بث وكسح الألغام ، على حين يتفوق العدو علينا نسبيا فى لنشات الصواريخ ، ولديه القدرة على تخصيص مجهود جوى اكبر لمعاونة قواته البحرية . وكذلك يتفوق العدو فى طائرات الهليكوبتر التى تعمل مع قواته البحرية .

ويتميز مسرح العمليات البحرى باتساعه الكبير على طول سواحلنا التى تبلغ ١٦٠٠ كيلو متر على البحرين المتوسط والأحمر ، على حين لا تتجاوز سواحل العدو على البحر المتوسط وخليج العقبة ٤٠٠ كيلو متر فقط . ومن الواضح أنه نظرا لوضع إسرائيل السياسى والجغرافى فان خطوط مواصلاتها البحرية بخاصة تعتبر الشريان الرئيسى الذى يكفل استمرار المحافظة على اقتصادها وامدادها بالمواد ذات الطبيعة الاقتصادية والعسكرية . .

وفى أوائل شهر اكتوبر ١٩٧٣ أعلن عن تنفيذ المناورة السنوية لقواتنا البحرية التى تجرى كل عام فى نفس هذا الموعد باعتبارها جزءا هاما من المناورة الكبرى للقوات المسلحة . وأعلن أن الغرض منها « كالعادة » هو الاختبار العملى لنتائج التدريب بمناسبة انتهاء السنة التدريبية .

وفى هدوء وصمت تحركت غواصاتنا فى البحر المتوسط الى مناطق محددة لها وهى تحمل مظاريق مقفلة بين طياتها السر العظيم الذى يحدد لقائد الغواصة مهمته القتالية . وكان على هؤلاء القادة ألا يفتحوا المظاريق إلا بأوامر خاصة سوف تصدر لهم فى اللحظة المناسبة .

وتحركات غواصات البحر الأحمر تحت ستار اجراء بعض الإصلاحات الضرورية فى أحد موانئ الباكستان ، وكان قد تم الاتفاق عليها مسبقا مع السلطات البحرية لهذه الدولة الصديقة .

أما مدمراتنا فقد تمركزت واحدة منها بميناء طرابلس في زيارة رسمية لجمهورية ليبيا الشقيقة ، وتحركت مدمرات البحر الأحمر الى منطقة عملياتها عند باب المندب في أقصى الطرف الجنوبي للبحر الأحمر وتم كل ذلك تحت ستار اجراء زيارة ودية لدول المنطقة .

وفي الوقت المناسب تماما تم شحن واعداد الصواريخ البحرية بحر / بحر وهي سلاح القوات البحرية الفعال . ونظرا لما يلزم شحن الصواريخ من تعقيدات فنية كثيرة فلقد حسبت تلك الفترة بدقة متناهية بحيث تكون كل لنشات الصواريخ جاهزة للقتال ومحملة بالصواريخ قبل بدء العمليات .

أما الألغام فقد تم اعدادها باعتبار ان ذلك من متطلبات التدريب ، وضمن الاستخدام الفعلي لخطة المناورة .

وفتحت المدفعية الساحلية تحت جناح الظلام وفي سرية مطلقة . على زعم تنفيذ مناورة تقليدية ، واتخذت مواقعها القتالية أستعدادا لليوم المرتقب .

ولم يكن أحد يدري شيئا عن هذه الأسرار الا قائد القوات البحرية ونفر قليل من ضباطه .

ثم بدأت الحرب البحرية ..

كانت الخطة مبنية على أساس التعامل مع العدو على جبهة عريضة في البحرين المتوسط والأحمر ، مع التركيز على استخدام أقصى الجهود القتالية للوحدات البحرية خلال الساعات والأيام الاولى للعمليات ، بغرض استغلال عامل المفاجأة والاستفادة منه الى أقصى حد ممكن ، وكذلك لتشتيت مجهود العدو وارباك قياداته .

وبمجرد اندلاع القتال يوم ٦ أكتوبر اشتركت فيه بكل ثقلها المدمرات والغواصات والمدفعية الساحلية ولنشات الصواريخ والطوربيد ووحدات الصاعقة البحرية والضفادع البشرية .

فقامت سرايا المدفعية الساحلية في بور سعيد بقصف القلعة الحصينة شرق بور قؤاد ، والحصن المنيع عند الكيلو متر ١٠ جنوب بور قؤاد .

وقام سرب من اللنشات المسلحة بصواريخ غير موجهة بانزال ضربة صاروخية على تجمعات العدو في رمانة . ثم قام لنش آخر مسلح بنفس نوع الصواريخ بضرب مرسى للعدو .. في رأس برون على البحر المتوسط .

وفي البحر الأحمر قامت سرايا المدفعية الساحلية بمعاونة الجيش الثالث بقصف مناطق العدو في مواجهتها . وقام سرب من لنشات الصواريخ المتمركزة في سفاجة بقصف أهداف العدو في شرم الشيخ . وفي الوقت نفسه انزلنا ضربة صاروخية بالصواريخ غير الموجهة ضد منطقة رأس سدر . وكانت الحرائق والانفجارات تدوى على سواحل العدو في البحرين المتوسط والأحمر .

واستمرت العمليات البحرية طوال أيام حرب رمضان بنفس معدل نشاطها للضغط على العدو وتكبيده خسائر فادحة .

ومع غروب شمس كل يوم كانت تبدأ العمليات الليلية .

ففي ليلة ٨/٧ خرج أحد تشكيلاتنا الصاروخية من قاعدة بور سعيد للمرور بغرض اكتشاف وتدمير أى وحدات بحرية معادية تقترب من منطقة رمانة بالذات .

وفي حوالي الساعة ٣٣٥ . اكتشف هذا التشكيل هدفا بحريا متوسط الحجم ، ودارت معركة بحرية انتهت حوالي الساعة ٤٣٠ ، باغراق الوحدة الاسرائيلية وعودة تشكيلنا سالما الى قواعده ..

أما في البحر الأحمر فكان صيد غواصتنا فيه وقيرا ، اذ بينما هي تغلق البحر عند منتصفه قرب بور سودان في وجه الملاحه الاسرائيلية تظهر امامها سفينة اسرائيلية ، كانت قد دخلت هذا البحر قبل السادس من اكتوبر ، وتمر امام غواصة لم تجد صعوبة في اصابتها بطوربيدين من عيار ٢١ بوصة فجنحت السفينة على جانبها الايمن ، واستمرت تميل حتى انقلعت اخبارها .

وبعد هذا الحدث ، وحتى انتهاء الحرب ، والملاحه الاسرائيلية في البحر متوقفة تماما .. فلم تمرر هذا البحر المحاط بدول عربية من جميع الجهات سفينة اسرائيلية واحدة .

وفي هذه الليلة نفسها قامت الضفادع البشرية باغارة ناجحة على مرسى ثلعت حيث يتمركز حفار يعمل لصالح اسرائيل ، فلم تجد ضفادعنا صعوبة في تلقيم الحفار وتعطيله عن العمل تماما .

ولن ينسى الأسطول الاسرائيلي ابدا ليلتي ٩/٨ و ١٦/١٥ اكتوبر ١٩٧٣ فخلال هاتين الليلتين دارت المعركتان العظيمتان بين لنشات الصواريخ المصرية من جهة وبين لنشات سمر الاسرائيلية من جهة اخرى ..

فقد وصلنا في المعركة الاولى (٩/٨) وحدات العدو بمجرد أن غادرت ميناء عثليت الساعة ١٣٠. تقريبا . وظلت أجهزة الاستطلاع المصرية تتابع تحركات تشكيل العدو بينما لنشات صواريخنا تعد له كميناً بحرياً في مكان منتخب بعناية بالغة .. لقد قدرت القوات البحرية

مكان المعركة بين دمياط والبرلس . وكان تشكيل العدو مكونا من ثلاث مجموعات كل من ثلاث وحدات ، واستمر تدفق المعلومات عن العدو لمركز قيادة التشكيل البحرى المصرى .

وبمجرد دخول وحدات العدو فى مدى صواريخنا أصغر قائد التشكيل أوامره بالاشتباك ، وهكذا دار أول تراشق فى التاريخ الحديث بالصواريخ الموجهة بحر - بحر .

وبفضل طول مدى صواريخنا عن صواريخ العدو ، ودقة أجهزة توجيه الصواريخ وأجهزة الاكتشاف فاجأت صواريخنا العدو وهو مازال متخذاً تشكيل الإبحار . وأطلق التشكيل المصرى صواريخه الموجهة فأصابت أهدافها بدقة متناهية . وما هى الا لحظات معدودة حتى كانت أربع قطع من تشكيل العدو البحرى تأخذ طريقها الى القاع . . القاع .

وعبر الفريق أول أحمد اسماعيل القائد العام للقوات المسلحة فى برقيته الى قائد اللواء الثانى لنشات الصواريخ عن شكر وتقدير جميع أفراد القوات المسلحة ، بل كل المواطنين « الذين تابعوا بالاهتمام والاعزاز نتائج المعركة التى أضافت الى رصيد قواتنا البحرية نصرا جديرا بالتسجيل والاشادة » .

أما معركة ١٦/١٥ فكانت جد مختلفة ، اذ غادر فى تلك الليلة سرب من لنشات الصواريخ المصرية الاسكندرية تحت جنح الظلام فى سرعة بطيئة حتى لا يكشفه العدو . وكلفت القيادة هذا السرب بالانتظار فى مرسى أبى قير حيث يتم توجيه ضربة صاروخية ضد أى أهداف تقترب من المنطقة بين رشيد وأبى قير أو تحاول الاقتراب من الاسكندرية من جهة الشرق .

وحوالى الساعة ١٢٣ . يوم ١٦ أكتوبر غير التشكيل البحرى المصرى خط سيره ليدخل مرسى أبى قير ويربط خلف جزيرة دسوقى، ولكن قبل الاستقبال وفى الساعة ١٢٧ . اكتشف التشكيل هدفين بحريين فتوجه للاشتباك معهما . وقبل اطلاق الصواريخ ظهر هدفان جديدان فصاروا أربعة تعمل فى مجموعتين يفصلهما حوالى أربعة أميال بحرية .

وفى الساعة ١٣٥ . أطلق التشكيل المصرى صواريخه على لنشات العدو كما أطلقت الصواريخ الساحلية نيرانها على التشكيل نفسه . وفى برهة وجيزة كان لنشان من الأربعة يفرقان ، أما الثالث فقد أصيب وشحط أمام رشيد ، ولم يبق من هذه المجموعة المعادية الا لنش واحد .

وفى فجر يوم ١٦ أكتوبر كانت طائراتنا تهاجم اللنش المصاب لتتم الاجهاز عليه .

البحرية طوال الحرب . فمن بين ٢٠٠ سفينة كانت تدخل مساوي إسرائيل من البحر المتوسط شهريا انخفض العدد فيما بين ٦ ، ٣٠ أكتوبر ليصبح ٢٣ سفينة فقط . أما في البحر الأحمر فكان القطع تماما إذ لم نترك سفينة إسرائيلية واحدة تخرج أو تدخل إلى ميناء إيلات طيلة الحرب . وقد قرأ الجميع على صفحات الجرائد آثار قفل باب المندب في وجه الملاحة الإسرائيلية .

وعن الصاعقة البحرية فقد كان سجلها حافلا بالنشاط ، إذ أغارت الضفادع البشرية ليلة ٨/٧ أكتوبر على مرسى بلاعيم ، ونسف حفار البترول المتمركز فيها .

وفي ليلة ١٠/٩ أغارت فصيلة من الصاعقة البحرية على منطقة أبو دربه على خليج السويس ، وقامت بتلقيم مفارق الطرق ، ونسف مستودعات البترول الموجودة في هذه المنطقة .

وفي ليلة ١٦/١٥ تمت عملية اغارة ناجحة بواسطة الصاعقة البحرية على منطقة الشيخ بيتان جنوب الطور .

وحاول العدو دون جدوى أن يغير بوحدات من الكوماندوز على قواعدنا البحرية ، إذ دمرنا له في الفردقة قارب مطاط بطاقمه من الضفادع البشرية شرق جزيرة جيفتون بالبحر الأحمر صباح يوم ١٢ أكتوبر .

وفي ليلة ١٢/١١ أكتوبر حاول العدو القيام بعملية اغارة بقواته ودمرنا له لنشأ مسلحا طراز دبور فضلا على عدد من القوارب المطاطة المحملة بالكوماندوز .

وفي ليلة ١٧/١٦ حاول العدو الاغارة بواسطة الضفادع البشرية على قاعدة بور سعيد وكنا له بالمرصاد فأصبنا له قارب مطاط غرق قبل الوصول إلى الميناء ، وتم تدمير مجموعة الضفادع البشرية المعادية بالميناء ، وانتشلت جثث أفرادها .

وعندما يقن العدو من فشله في مواجهة قواتنا البحرية أو التصدي لها ركز أعماله العدائية ضد سفن الصيد المدنية ، فهاجم مجموعة من بلنصات الصيد في مرسى رأس غارب في البحر الأحمر ، وذلك في ليلة ١٥/١٤ أكتوبر .

وكان من أهم أسباب نجاح قواتنا البحرية الاستطلاع الدقيق والتنسيق الوثيق بين القوات البحرية المصرية والقوات البحرية السورية مما أدى إلى حرمان العدو من مفاجأة البحرية المصرية أو السورية طوال مدة العمليات .

وأخيرا ، يظهر كشف حساب القوات البحرية المصرية في حرب

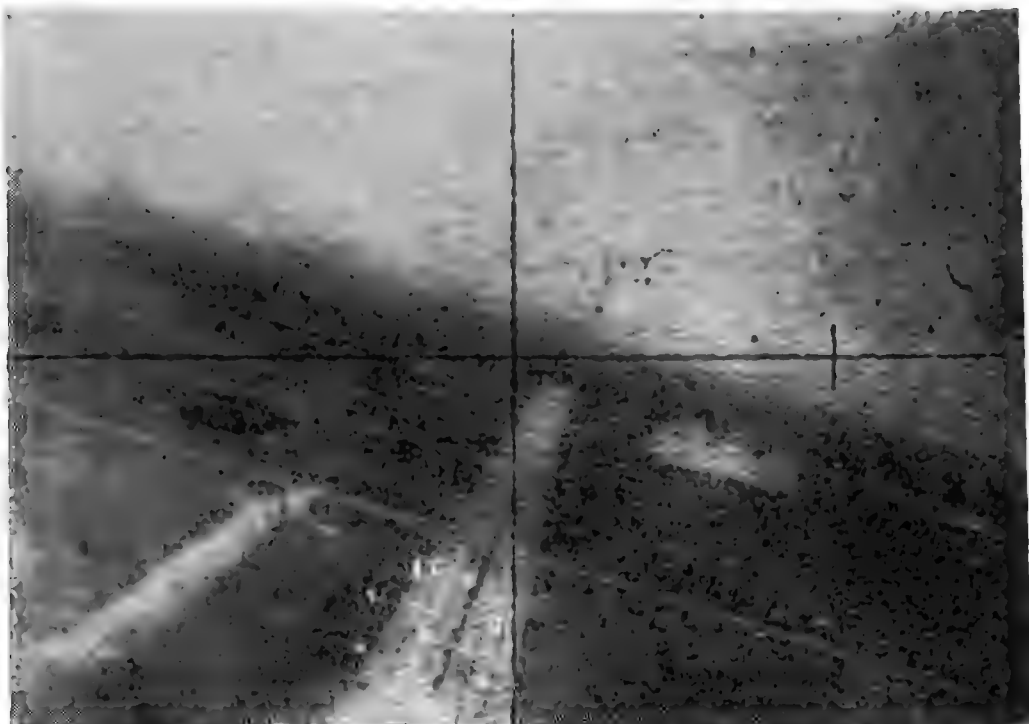
رمضان انها قد خاضت أربع معارك رئيسية بالصواريخ البحرية ، وقصفت اثني عشر هدفا ساحليا للعدو ، وأغرقت خمس سفن (منها ناقلتا بترول) وصدت بنجاح تسع هجمات بحرية للعدو ضد سواحلنا ، ونفذت أربع عمليات خاصة ..

وبدا تكون بحريتنا قد أغرقت للعدو تسعة وعشرين قطعة بحرية من انواع مختلفة ، منها سبعة لنشات صواريخ ، وناقلة مجهزة لحمل طائرات الهليكوبتر ، وناقلة بترول متوسطة وأخرى صغيرة ، وثلاث سفن .. كما أصابت سبع قطع أخرى ، وأسقطت للعدو اثنتي عشرة طائرة هليكوبتر ..

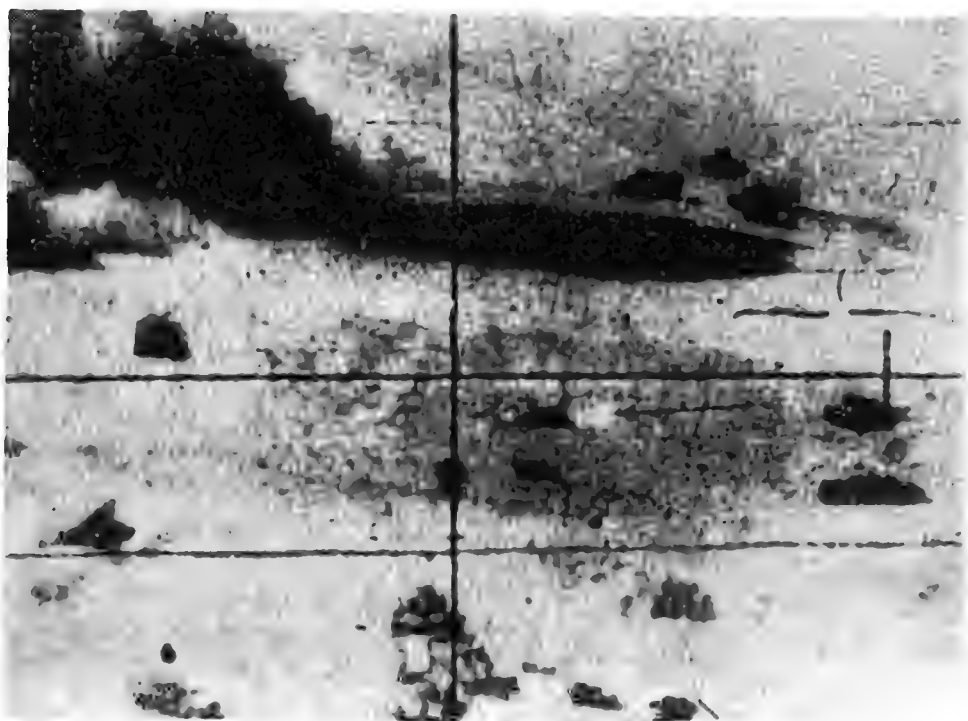
وكان ذلك سجل فخر لقواتنا البحرية العريقة .



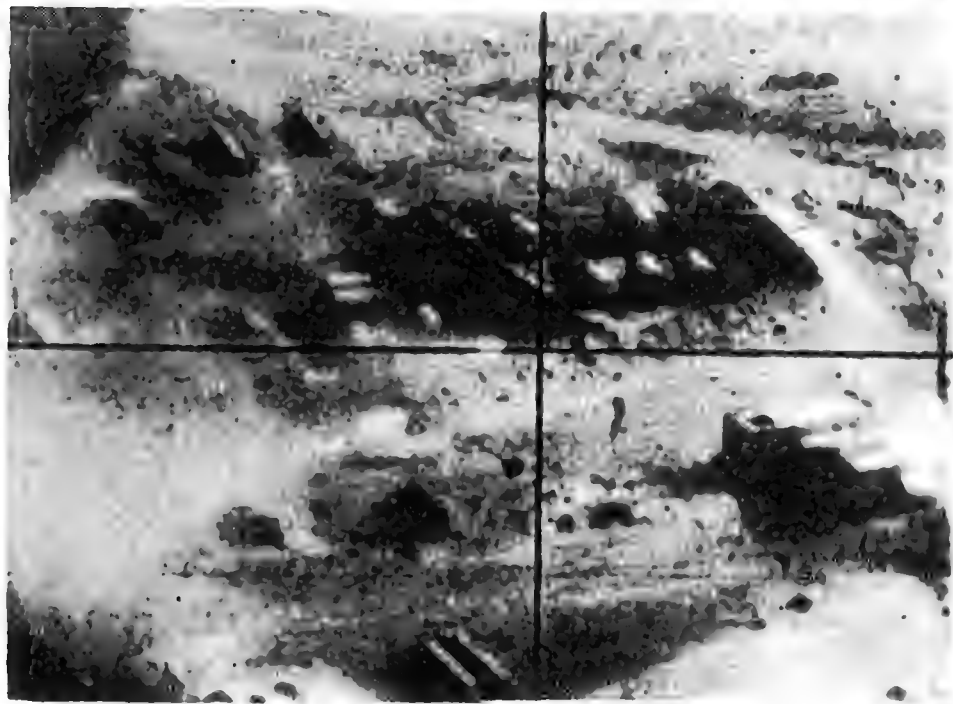
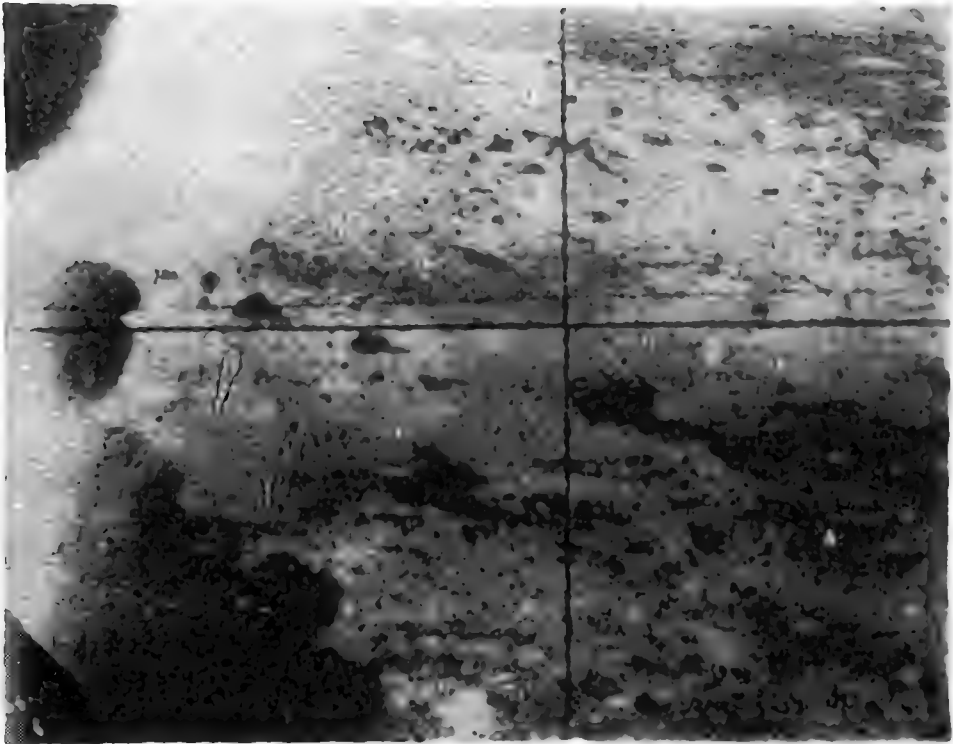
« . . . وكان هدف الطيارين النصر أو الشهادة » .



« . . . وهاجت الطائرات المصرية ثلاث مطارات للعدو »



« . . . ومناطق تجمع قوات العدو »



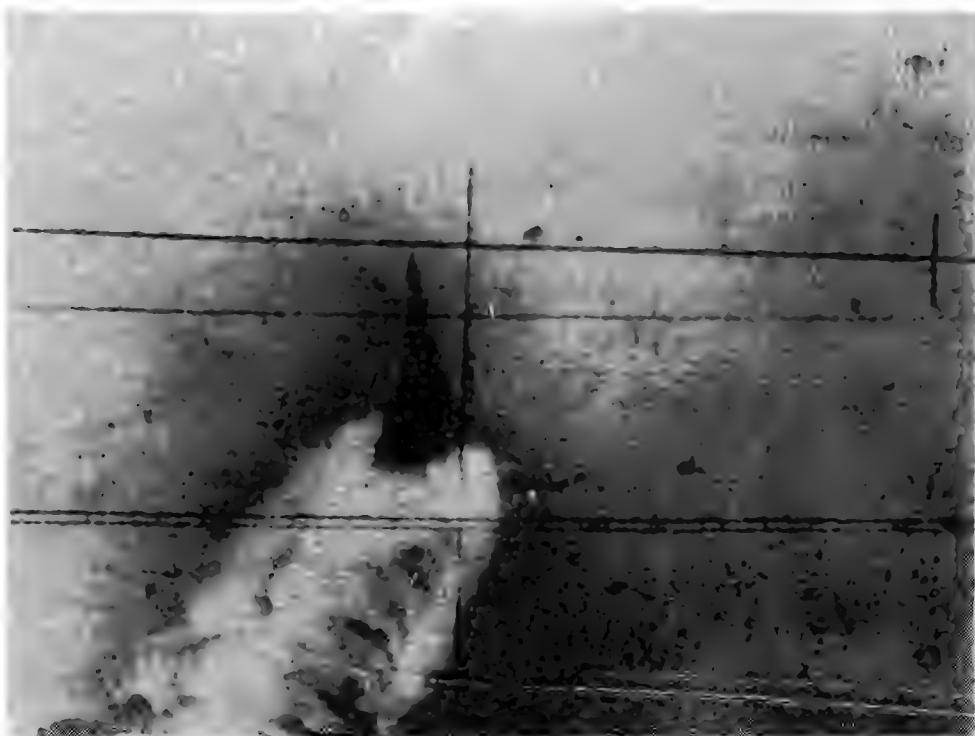
« ... وثلاثة مناطق شئون إدارية »



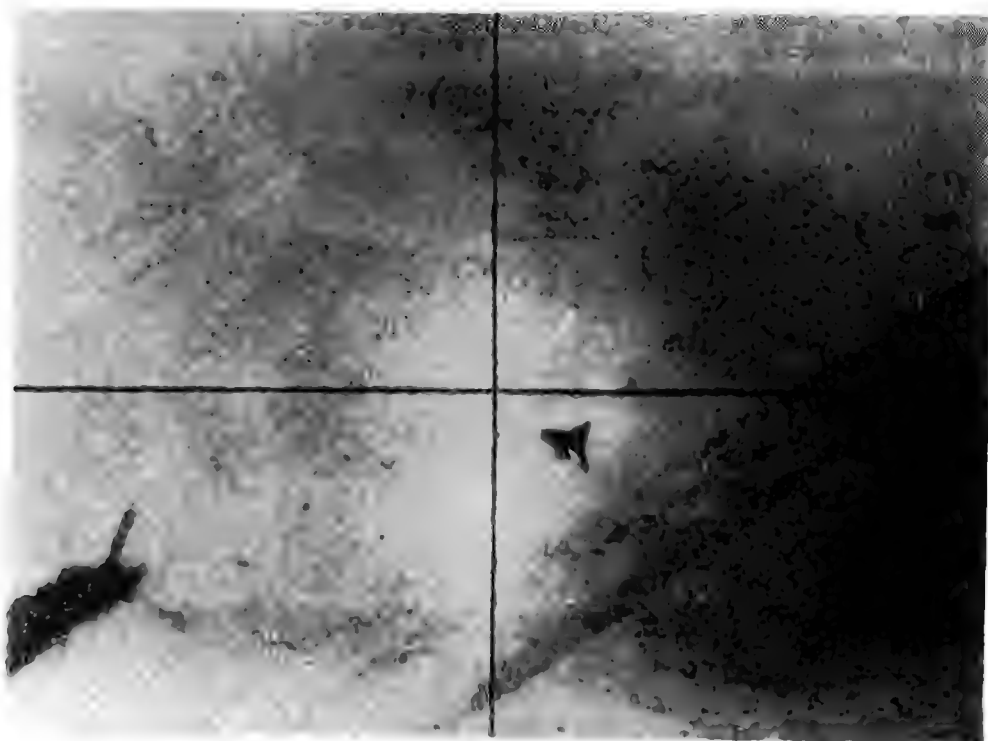
« ... وامتدت الدراع الطويلة في ثقة وجبروت »



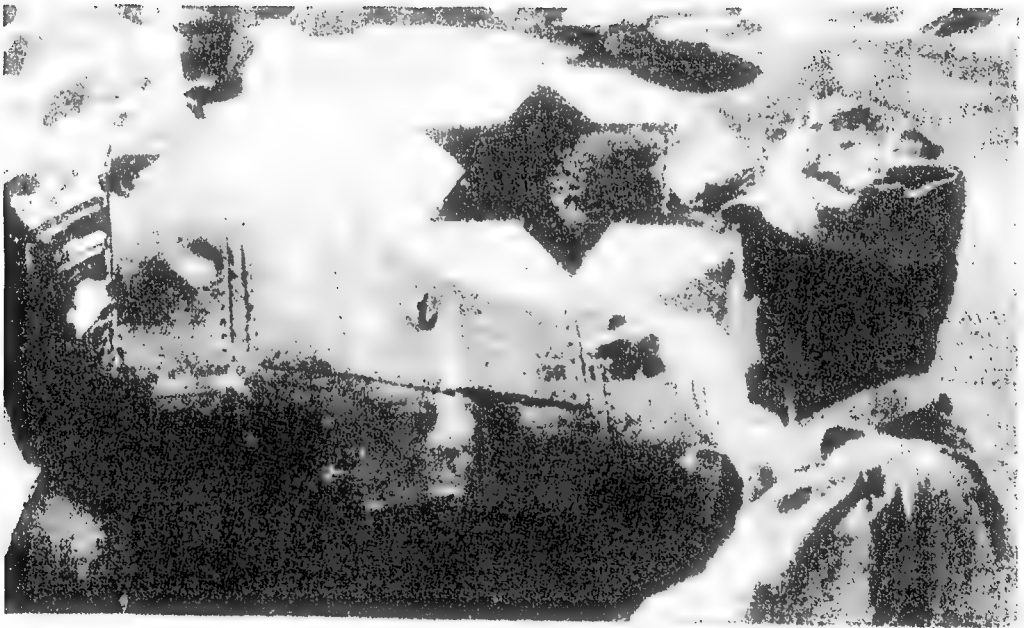
« ... وتهاوت الطائرات الاسرائيلية محترقة »



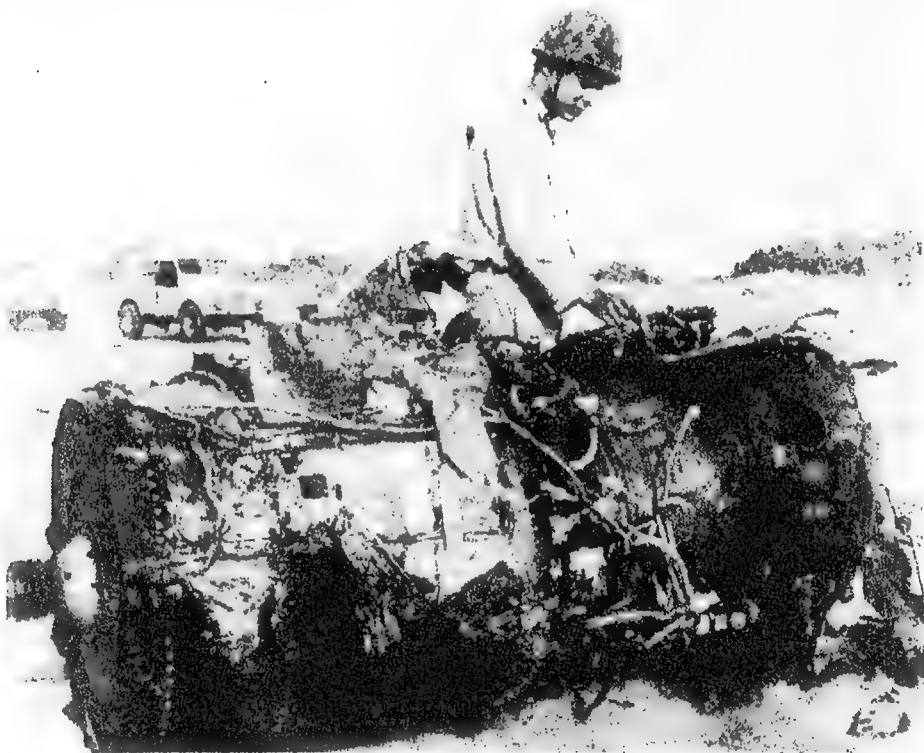
« . . . واسقطت قواتنا الجوية ٩٠ طائرة معادية في معارك حوية »



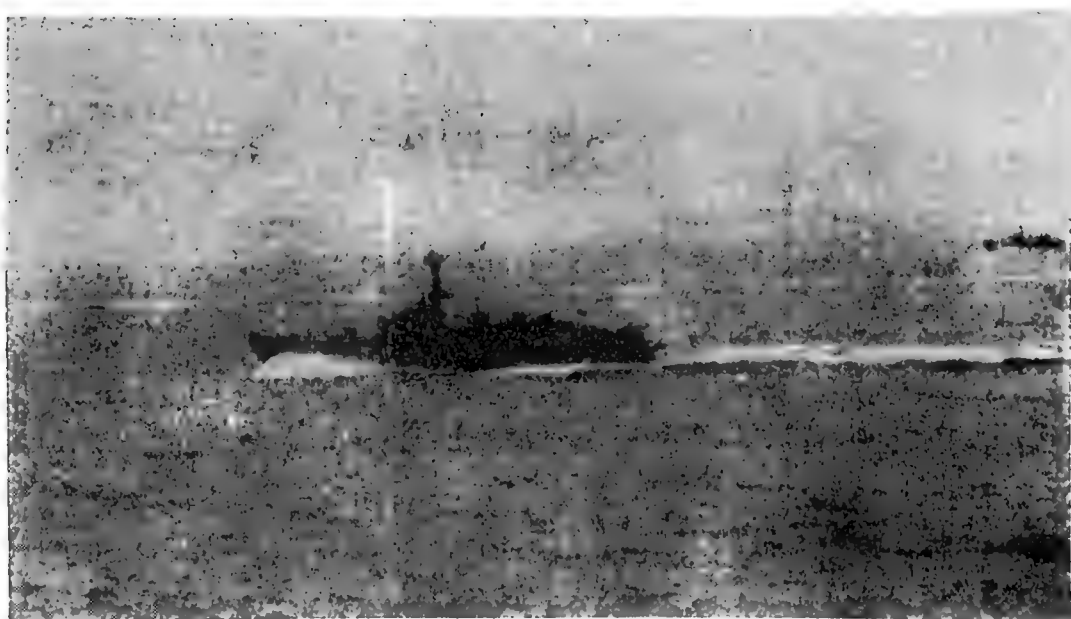
طائرة اسرائيلية في كمين جوى .



... وسقطت النجمة السداسية الزرقاء ..



... ونطمت الأسطورة،



الباب السابع
عرب المائة يوم

مرحلة الصراع السياسي

من ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ الى ٢٥ يناير ١٩٧٤

• ان الجهود السياسية التي بدأت اثناء القتال وفي أعقاب توقفه ، في محاولات متعاقبة ومكثفة لتهديئة الموقف وتهيئة المناخ المناسب لحل الأزمة سياسيا ، هذه الجهود لم تبدأ من فراغ ، ولكنها كانت انعكاسا طبيعيا وضروريا لحقائق الموقف العسكري في جبهتي القناة والجولان ، والموقف السياسي العام .

وليس ثمة شك في أن اسرائيل كانت حتى ذلك الوقت قد منيت بخسائر فادحة ، وان قواتها المسلحة فقدت توازنها وفاعليتها ، وأنه لولا التدخل الأمريكي السريع ، وأعمال الانقاذ العاجلة ، لانهارت القوات المسلحة الاسرائيلية بعد اليوم العاشر من القتال ، واستحال عليها مواصلة الحرب .

وهكذا تمكنت المساعدات العسكرية الأمريكية العاجلة من انعاش القوات المسلحة الاسرائيلية ، وتزويدها بالقدرة على الاستمرار والحركة ، وقد استغلت القيادة الاسرائيلية ذلك في مغامرة لقلب ميزان الموقف العسكري ، بعملية فتح نفرة الدفرزوار ، لدفع قواتها غرب قناة السويس .

ومع تطور المغامرة الاسرائيلية كان الموقف الاستراتيجي للقوات الاسرائيلية يزداد سوءا ، اذ أصبحت هذه القوات شديدة التعرض لخطر الانشطار والعزل . مما أدى الى خلق موقف يتسم باختلال الاتزان الاستراتيجي ، فضلا عن الامتداد الكبير لمخطوط المواصفات الاسرائيلية المعرضة ، ونجاح القوات المصرية في الغرب في احتواء الجيب الاسرائيلي بعملية حشد سريعة ومكثفة . وضعت القوات الاسرائيلية المحصورة داخله

فى موقف شديد الحرج والخطر ، وجعلت من عنق الزجاجة الذى حدث فى منطقة الدفرزوار شريان الحياة الوحيد . فاذا ما انقطع أو أغلق انحصرت القوات الموجودة غرب القناة ، وامتنعت عنها أسباب الحياة .

ولقد أدركت رئاسة الأركان العامة وقيادة المنطقة الجنوبية الاسرائيلية هذه المخاطر منذ البداية ، وحاولت أن تضع حدا لها ، غير أن طموح بعض القادة العسكريين الاسرائيليين وقف حائلا دون ايقاف تدهور الموقف الاستراتيجى العام للقوات المسلحة الاسرائيلية .

واضطرت القيادة الاسرائيلية أن تركز كل جهودها ، وما تحت يدها من امكانيات وقدرات لحماية وتأمين قواتها المعرضة للإبادة فى أية لحظة داخل مصيدة الموت .

وفى الوقت نفسه كانت القوات المسلحة المصرية - رغم خسائرها - تقف فى الشرق والغرب قوية متماسكة ، قادرة على مواصلة القتال العنيف كما كانت الصورة الجديدة للجندى المصرى كمقاتل كفء قادر على استخدام أحدث الأسلحة بمهارة ماثلة أمام أعين القادة الاسرائيليين . لذلك كان لزاما عليهم ألا يقنعوا بعلاج الموقف عسكريا ، إذ أن المزيد من التورط العسكرى لن يحسن الموقف ، بل قد يزيده سوءا .

وهكذا أصبح العمل السياسى ضرورة لا غنى عنها لتهدة الموقف بالسعى الى ايقاف القتال ، وفرض وقف اطلاق النيران .

وكان الالتزام الأمريكى بضمان أمن وسلامة اسرائيل - والذى يمثل خطا استراتيجيا رئيسيا فى السياسة الأمريكية بمنطقة الشرق الأوسط - بمثابة منطلق العمل الأمريكى فى هذا المجال .

ولهذا سارع الرئيس نيكسون بتخصيص مبلغ ٢٢٠٠ مليون دولار لتوفير الدعم العسكرى السريع لاسرائيل دون انتظار موافقة الكونجرس الأمريكى ، كما سارع بفتح مستودعات الأسلحة الأمريكية الحديثة فى مختلف أنحاء العالم لتتدفق منها الأسلحة والمعدات فى شكل جسر جوى وبحرى غزير يصب فى اسرائيل ، مستخدما أراضى وسماء عدد من الدول ، دون انتظار الاذن منها .

وفى الوقت نفسه أرسلت الولايات المتحدة عددا كبيرا من المتطوعين للعمل على الأجهزة الالكترونية المعقدة التى وصلت لاسرائيل وغيرها من المعدات التى يصعب تحديد حجمها أو نوعها حتى اليوم ، وأن اتفق دون شك ، أنها كانت فعالة ، وأنها شاركت بقدر كبير فى استعادة القوات المسلحة الاسرائيلية لتوازنها ، وكثير من قدراتها المفقودة .

تطورات الموقف السياسي :

وفي خضم الأحداث العسكرية التي كانت تتوالى خلال فترة الحرب، راح الموقف السياسي العالمى يتطور بدوره تطورا جذريا فى صالح العرب، حيث تعاضم التأييد السياسى لوجهة نظرهم فى أنحاء العالم .

ولعل أبرز معالم هذا التطور وأهم سماته ، ما حدث على المستوى الأفريقى من قطع معظم دول هذه القارة علاقاتها السياسية والاقتصادية بإسرائيل . وإدانتها بالعدوان ، وتحميلها مسئولية الأحداث التي كانت تدور وقتئذ فى الشرق الأوسط .

لقد بلغ عدد الدول الأفريقية التي قطعت علاقاتها بإسرائيل خلال فترة الحرب ٢٢ دولة ، على حين كانت هناك ٨ دول أفريقية أخرى سبق أن قطعت علاقاتها معها منذ عدوان ١٩٦٧ ، وبذلك لم يبق لإسرائيل علاقات إلا مع ٤ دول أفريقية ، بالإضافة الى جنوب أفريقيا .

وأعلنت معظم الدول أن استمرار احتلال إسرائيل للأراضي العربية، وتعنتها المستمر طوال السنوات التي أعقبت عدوانها عام ١٩٦٧ ، هما السبب الرئيسى فى نشوب الحرب هذه المرة ، وتعريض السلام العالمى للخطر .

وهكذا وجدت إسرائيل نفسها فى عزلة سياسية كاملة ولم يبق بين دول العالم أجمع من يقف بجوارها ويقدم لها المساعدات الفعالة سوى الولايات المتحدة الأمريكية ، التي كانت مضطرة لاتخاذ هذا الموقف تنفيذا لالتزاماتها وحفاظا على خطها الاستراتيجى المرسوم لأسلوب عملها فى منطقة الشرق الأوسط .

ولم يقتصر تطور الموقف السياسى على تحقيق العزلة الكاملة لإسرائيل ، بل فى الوقت نفسه ، كان لاشتعال الحرب العربية الإسرائيلية فعل السحر فى توحيد كلمة العرب ، ووقوفهم صفا واحدا خلف مصر وسوريا ، ومشاركتهم الفعالة بالمال والسلاح والقوات ، فى القتال الدائر بالمنطقة .

وكان لهذا الموقف العربى العظيم أثره الفعال فى تقييم دول العالم لحجم الصراع الدائر ، وفى إعادة النظر فى مواقفهم السابقة من القضية، واستبان للعرب أجمع ما تحققة لهم وحدة الكلمة ، كما استبان للعالم أن وحدة العرب التي خالها مجرد كلمة جوفاء ، يمكن أن تتحول فى لحظات الى حقيقة واقعة وسلاح بائر ، يفرض تأثيره على المنطقة ، بل يمكن أن يمتد الى كافة أنحاء العالم . وهو ما حدث فعلا عندما أصر العرب على استخدام كل الأسلحة المتاحة لهم فى مواجهة العدوان ، وممارسة الضغط على من يؤيدون العدوان ويساندون المعتدين .

وجاءت الخطوة العربية الحاسمة في شكل اعلان من وزراء البترول العرب صدر يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ بتخفيض انتاج البترول بنسبة ٥٪ كل شهر ، الى أن تنسحب اسرائيل من الاراضى العربية ، وتعود حقوق شعب فلسطين .

وكان لهذا القرار دوى هائل في العالم ، وشكل دون شك الانطلاقة الرئيسية لمرحلة الصراع السياسى فى ادارة الحرب العربية وكفاحنا الضارى ضد الصهيونية ، ضمن اطار عام من الاستراتيجية الشاملة ، التى تنظم وتوجه كافة القوى العسكرية والسياسية والاقتصادية لحمة هذا الصراع وتحقيق أهدافه العادلة ، التى تركزت فى المبدأين الأساسيين : استعادة كافة الاراضى العربية المحتلة ، واسترداد حقوق شعب فلسطين .

وقد ازداد تأثير هذا القرار فاعلية وعمقا عندما أعلنت الدول العربية المنتجة للبترول تباعا فيما بين ١٨ و ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ قراراتها بوقف تصدير البترول الى الولايات المتحدة الأمريكية والدول المؤيدة لاسرائيل .

وفى الساعة ٠٦٥٠ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ بتوقيت القاهرة صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الخاص بايقاف اطلاق النيران فى الشرق الأوسط ، وتضمن ما يلى :

١ - مطالبة جميع الأطراف المشتركة فى القتال الدائر بوقف اطلاق النيران ، وانهاء جميع الأنشطة العسكرية فورا ، ليس متأخرا عن ١٢ ساعة من لحظة اتخاذ هذا القرار ، فى كافة المواقع التى يحتلونها الآن .

٢ - دعوة الأطراف المعنية ، للبدء فورا - بعد وقف اطلاق النيران - فى تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) بجميع أجزائه .

٣ - البدء فورا مع وقف اطلاق النيران بعقد المفاوضات بين الأطراف المعنية ، وتحت اشراف مناسب ، بهدف اقامة سلام عادل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط .

وقد وافقت كل من مصر واسرائيل على تنفيذ القرار فى الموعد المحدد ، وهو الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، وأعلننا ذلك ، كما التزمنا مصر باحترام كلمتها وتنفيذ القرار ، فأصدرت القيادة العامة أوامرها الى جميع القوات باحترام قرار وقف اطلاق النيران ، وتنفيذه بكل دقة فى الموعد المحدد .

غير أن اسرائيل نقضت تعهداتها ، فلم تلتزم بالقرار ، وأمرت قواتها بالاندفاع جنوبا فى اتجاه السويس ، وبهذا خرقت قرار مجلس الأمن ، قبل أن يمضى على تنفيذه بضع ساعات . ومن المعروف أن اسرائيل قد

اعتادت ذلك التصرف كلما ضساق بها الامر ، لتخرج من أى مأزق استراتيجى خطير تجد نفسها قد تورطت فيه ، واليك الآتى :

١ - كانت المساحة التى شغلتها القوات الاسرائيلية غرب القناة حتى ٢٢ أكتوبر محدودة للغاية ، اذ لم تتجاوز المنطقة بين الدفرزوار وفايد ، وكان تمرکز القوات الاسرائيلية داخل هذه المساحة الصغيرة يعرضها للوقوع فى مصيدة القوات المصرية .

٢ - ومن ناحية أخرى فان توقف القوات الاسرائيلية على خطوط ٢٢ أكتوبر لم يحقق لهذه القوات أية مزايا استراتيجية ، كما أنه لا يؤثر فى موقف القوات المصرية شرق القناة ، أو فى خطوط امدادها ومواصلاتها ، ولذلك فهو موقف عديم القيمة الاستراتيجية .

وبادراك القيادة الاسرائيلية كل ذلك ، انتهزت فرصة ايقاف النار - الذى أعلنت عن قبوله وشيكا - فدفعت بقواتها جنوبا فى اتجاه السويس ، ليلة ٢٣/٢٢ أكتوبر ، ضاربة بالقرار عرض الحائط .

وكان لهذا العمل الغادر - الذى يعكس نمط الانتهازية اللا أخلاقية المترسب فى الذات اسرائيلية - اثره فى الموقف العسكرى .

وأطلقت الأركان العامة قواتها الجوية بكثافة عالية ضد الجيش الثالث شرق القناة على امتداد أيام ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ أكتوبر ، وضد مدينة السويس كذلك .

وكان الغرض من وراء هذا العدوان بالدرجة الأولى تحقيق كسب سياسى معنوى ذو دوى يغطى على الموقف الاستراتيجى السيء ، وذلك بالاستيلاء على مدينة السويس ذات الشهرة العالمية لارتباطها بالقناة ، بل تسرعت الدعاية الاسرائيلية فأعلنت عن سقوط المدينة وتعيين حاكم عسكرى اسرائيلى لها .

ولكن القوات الاسرائيلية فشلت فى تحقيق هذا الهدف ، وخسرت الكثير من قواتها ومدرعاتها التى حاولت اقتحام المدينة .

كما كان الغرض بالدرجة الثانية من هذا العدوان تحقيق كسب عسكرى كبير ، وذلك بحصار قوات الجيش الثالث الموجودة شرق القناة ، واجبارها على الاستسلام تحت ضغط الضربات الجوية المركزة ، التى استمرت تنهال عليها بكثافة شديدة عدة أيام .

واذا كانت القوات الاسرائيلية قد نجحت فى قطع خطوط الامداد لهذه القوات فانها لم تحقق هدفها الرئيسى ، وهو اجبار القوات المصرية المعرضة لضغط الحصار والقصف الجوى على التسليم .

لقد حدث العكس تماما ، اذ ازدادت هذه القوات صمودا وتماسكا ،

وبدت أشد صلابة في القتال ، وكان استعدادها كاملا لمواصلة الحرب حتى النهاية . ويمكن القول أن هذا الموقف السياسي والعسكري كان لهما الأثر الكبير على الموقف الاستراتيجي والسياسي العام في المنطقة .

وفي اليوم التالي لحرق وقف إطلاق النيران - يوم ٢٣ أكتوبر - سارع مجلس الأمن إلى الاجتماع ، وأصدر قراره رقم ٣٣٩ يؤكد قراره السابق بوقف القتال وانهاء جميع العمليات الحربية ، ويطلب بأن تنسحب القوات إلى مواقعها التي كانت تحتلها لحظة تنفيذ وقف النيران . كما أوصى المجلس السكوتي العام باتخاذ الإجراءات اللازمة لاسال مراقبي الأمم المتحدة فوراً لمراقبة التزام قوات إسرائيل وقوات جمهورية مصر العربية بوقف النيران .

ولم تكن إسرائيل قد حققت شيئاً يذكر حتى ذلك اليوم ، ولذا استمرت في تجاهل قرارات مجلس الأمن ، وواصلت اعتداءاتها العسكرية في منطقة السويس رغم تكبدها خسائر جسيمة .

واضطر مجلس الأمن للعودة إلى الانعقاد يوم ٢٥ أكتوبر ، ليصدر قراره رقم ٣٤٠ بشأن تشكيل قوة طوارئ تابعة للأمم المتحدة ، ونص هذا القرار على ما يأتي :

« ان مجلس الأمن ، اذ يشير إلى قراره رقم ٣٣٨ الصادر في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ورقم ٣٣٩ الصادر في ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ ، يلاحظ بأسف الانتهاكات المتكررة لوقف إطلاق النار ، ومخالفة القرارين ٣٣٨ و ٣٣٩ ، كما يلاحظ بقلق - استناداً إلى تقرير السكوتي العام - أن المراقبين العسكريين التابعين للأمم المتحدة لم يتمكنوا حتى الآن من اتخاذ مواقعهم على جانبي خط وقف إطلاق النيران .

● أولاً : يطلب بالالتزام بوقف إطلاق النيران الكامل فوراً ، وبانسحاب الأطراف المعنية إلى المواقع التي كانت تحتلها في الساعة ١٦٥٠ (بتوقيت جرينتش) يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

● ثانياً : يطلب من السكوتي العام أن يتخذ إجراء فوراً بزيادة عدد المراقبين العسكريين التابعين للأمم المتحدة على الجانبين .

● ثالثاً : يقرر أن يتم فوراً إنشاء قوة طوارئ تابعة للأمم المتحدة ، تحت سلطة مجلس الأمن ، ويفوض السكوتي العام سلطة إيفادها على الفور إلى المنطقة ، على أن يقدم تقريراً خلال ٢٤ ساعة عن الإجراءات التي اتخذت لهذا الغرض .

● رابعاً : يطلب من السكوتي العام أن يقدم إلى المجلس تقارير عاجلة ومنظمة عن حالة تنفيذ هذا القرار ، والقرارين ٣٣٨ و ٣٣٩ .

● خامساً : يطلب جميع الدول الأعضاء بتقديم تعاونها الكامل في تطبيق هذا القرار ، والقرارين ٣٣٨ و ٣٣٩ .

وعلى ضوء هذا القرار حدد الدكتور كورت فالدهايم طبيعة عمل قوة الطوارئ الدولية لتكون كالآتى :

١ - الاشراف على تطبيق الفقرة الأولى من قرار مجلس الأمن رقم ٣٤٠ ، التى تنص على ضرورة اقرار وقف النيران فوراً وبصورة كاملة ، وأن على الأطراف المتنازعة أن تعود الى المواقع التى كانت تحتلها يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

٢ - أن تبذل القوات قصارى جهدها لتفادى استئناف القتال .

٣ - أن تتعاون القوات فى نطاق مهامها مع المراقبين العسكريين التابعين للأمم المتحدة . وقد عهد الى الجنرال الفنلدى أنزيو سيلاسفيو بقيادة قوات الطوارئ الدولية فى المنطقة .

الاجتماعات العسكرية :

المرحلة الاولى من محادثات الكيلو متر ١٠١ :

تمت الموافقة يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣ على عقد اجتماعات عسكرية بين الجيشين المصرى والاسرائيلى لبحث الموضوعات المترتبة على قرارات وقف النيران ، والمشاكل الناجمة عن خرق اسرائيل لهذه القرارات .

واشترطت مصر شرطين أساسيين لعقد هذه الاجتماعات :

١ - أن تتم الاجتماعات بغرض مناقشة الجوانب العسكرية المتعلقة بتنفيذ قراراتى مجلس الأمن ٢٣٨ و ٣٣٩ الصادرين فى ٢٢ ، ٢٣ أكتوبر .

٢ - أن تتم الاجتماعات تحت اشراف قوات الطوارئ الدولية ، وتحت علم الأمم المتحدة .

وفى الساعة ١٤٥٠ بعد منتصف ليلة ٢٨ أكتوبر عقد الاجتماع الأول فى منطقة الكيلو متر ١٠١ عن طريق القاهرة - السويس ، واستمر الاجتماع حتى الساعة الرابعة صباحاً .

وقد ركز الجانب الاسرائيلى على عدة نقاط كان أهمها : ضرورة المحافظة على وقف النيران ، وترتيب تبادل أسرى الحرب ، وفك الحصار المصرى على باب المندب .

كما حاول الجانب الاسرائيلى منذ البداية أن يتفادى الالتزام بتنفيذ قرار مجلس الأمن القاضى بالعودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، اذ كان واضحاً لها أن الالتزام بتنفيذ هذا القرار يعنى بالضرورة عودة قواتها الى الموقع الاستراتيجى السيئ الذى كانت عليه فى هذا اليوم ، والذى قامت من أجل تحسينه بخرق وقف اطلاق النيران . ولذلك سارع الجانب الاسرائيلى بتقديم أفكار أولية عن ترتيبات الفصل بين القوات لتجنب

الاحتكاكات العسكرية دون الإشارة الى هذا الالتزام . وبدأ يتحدث عن انسحاب يجريه الجانبان على ضفتي القناة ، على أن تحتل قوات الأمم المتحدة المواقع التي تخليها قوات الجانبين .

أما الجانب المصرى فقد ركز على ضرورة تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩ ، الذى ينص على عودة القوات الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، وإزالة الآثار المترتبة على خرق إسرائيل للقرار رقم ٢٣٨ ، وذلك كمنطلق لحل جميع المسائل الأخرى . غير أن الجانب الاسرائيلى - أعلن أنه غير مفوض لبحث تنفيذ قرار مجلس الأمن الخاص بعودة القوات الى مواقع ٢٢ أكتوبر - باعتباره موضوعا أساسيا - وفى الوقت نفسه رفض الجانب المصرى الاقتراح الاسرائيلى الخاص بالانسحاب المتبادل على جانبي القناة .

وخلال الاجتماعات التالية دارت المناقشات حول الموضوعات العاجلة التى يمكن أن تدعم قرار وقف النيران ، وتهيئ المناخ المناسب للخطوات التالية . وأبدت إسرائيل اهتماما كثيرا بمسألة تبادل الأسرى ، وخاصة الجرحى منهم . كما اهتمت مصر بموضوع امداد منطقة السويس وشرق القناة بمواد الاعاشة والرعاية الطبية وتنظيم ذلك بشكل مناسب .

كما أوضح الجانب المصرى أنه مع اهتمامه بالاجراءات العاجلة اللازمة لدعم وقف النيران الا أن ذلك يعتبر موضوعا فرعيا ، وأكد أن الاجراءات الفعالة يجب أن تتضمن تمركز قوات الأمم المتحدة بين القوات ، والانسحاب الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

غير أن الجنرال أهارون ياريف دفع بأنه مع رغبة إسرائيل الحقيقية فى فض الاشتباك بين القوات الا أن العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ تعتبر مستحيلة من وجهة نظر إسرائيل ، وأنه من الضروري أن يتم الانتقال الى خطوط جديدة فى شكل « خطوة كبيرة » ، وأعاد طرح اقتراحه السابق الخاص بالانسحاب المتبادل .

وكان رأى مصر واضحا ومحددا تماما بشأن رفض الارتداد المصرى عن أية مناطق شرق القناة ، أو التنازل عن أية مكاسب عسكرية .

ومع سير المناقشات كان واضحا خلال هذه المرحلة عدم جدية إسرائيل فى حل مسألة فض الاشتباك ، أو قبول العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر . وأن دخولها هذه المباحثات كان بغرض المساومة للوصول الى حل لمشاكلها العسكرية التى تمثل ضغطا داخليا عليها ، وخاصة موضوع أسرى الحرب .

ومع استمرار اصرار الجانب المصرى على العودة للموضوعات الرئيسية وقرارات مجلس الأمن ، ظهر واضحا أن المباحثات سوف تنتهى الى طريق مسدود ، وخاصة حين طالب الوفد المصرى فى اجتماع ٣ نوفمبر بضرورة تقديم ردود محدودة من إسرائيل على هذه الموضوعات الرئيسية . ثم تأجلت الاجتماعات حتى تصل هذه الردود .

وفى الوقت نفسه بدأ المستر جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية يجرى اتصالات عاجلة بغرض انقاذ المباحثات من الفشل الذى بات يلوح فى الأفق القريب .

وفى ٨ نوفمبر ١٩٧٣ طلب الجانب الاسرائيلى عقد اجتماع مع الجانب المصرى ، وأوضح أن موضوع فض الاشتباك والعودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر هو موضوع أساسى ومحل دراسة جادة من الحكومة الاسرائيلية تمهيدا لمناقشته . كما طرحت للمناقشة المسائل الخاصة بامداد السويس باحتياجاتها ، وتنظيم تبادل الجرحى والأسرى .

وكانت النقاط التى نوقشت فى هذا الاجتماع هى فى الواقع النقاط الأساسية فى الاتفاقية - التى عرفت باتفاقية النقاط الست - والتى أرسلت بنودها الى السكرتير العام للأمم المتحدة عن طريق الولايات المتحدة حتى يتم توقيعها تحت اشراف الأمم المتحدة .

وقد أعلنت الحكومة الأمريكية يوم ٩ نوفمبر أن مصر واسرائيل قد وافقتا على اتفاقية من ست نقاط ، تهدف الى تمهيد الطريق أمام المحادثات للوصول الى تسوية دائمة فى الشرق الأوسط .

وفى يوم ١١ نوفمبر ١٩٧٣ عقد الاجتماع السابع فى الكيلومتر ١٠١ تحت اشراف الأمم المتحدة لتوقيع « اتفاقية النقاط الست » . ووقعها اللواء محمد عبد الغنى الجمسى عن جمهورية مصر العربية ، والجنرال أهارون ياريف عن اسرائيل ، والجنرال أنزيو سيلاسفو عن الأمم المتحدة . وقد تضمنت الاتفاقية النقاط الست التالية :

١ - توافق مصر واسرائيل على الالتزام بدقة بوقف اطلاق النيران الذى دعا اليه مجلس الأمن .

٢ - يوافق الجانبان على اجراء مناقشات تبدأ فوراً لتسوية مسألة العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، فى اطار اتفاق بشأن الفصل بين القوات تحت اشراف الأمم المتحدة .

٣ - تتلقى مدينة السويس امدادات يومية من الأطعمة والمياه والأدوية ويتم اخلاء جميع المدنيين الجرحى من مدينة السويس .

٤ - عدم اعاقا امدادات غير العسكرية الى الضفة الشرقية لقناة السويس .

٥ - تحل نقاط مراقبة تابعة للأمم المتحدة محل نقاط المراقبة الاسرائيلية على طريق القاهرة - السويس ، وعند نهاية الطريق قرب السويس يستطيع الضباط الاسرائيليون أن يشتركوا مع الأمم المتحدة فى الاشراف على الطبيعة غير العسكرية الشحنتات عند ضفة القناة .

٦ - بمجرد اقامة نقاط المراقبة التابعة للأمم المتحدة على طريق القاهرة - السويس يتم تبادل جميع أسرى الحرب بما فى ذلك الجرحى .

وقد اعتبرت هذه الاجراءات خطوة أخرى نحو تنفيذ الفقرة الثالثة من قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الصادر فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، والذي تقدم به كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، ووافق عليه المجلس .

اجتماعات عسكرية اضافية :

واعتبارا من يوم ١٢ نوفمبر ١٩٧٣ بدأت سلسلة من الاجتماعات العسكرية لبحث شروط تنفيذ الاتفاقية ، وخاصة الجداول الزمنية لتبادل أسرى الحرب والجرحى ، وتنظيم مرور الامدادات واخلاء جرحى السويس ، وكذا أسلوب اخلاء طريق القاهرة - السويس وتسليمه لقوات الأمم المتحدة .

ثم انتقلت المباحثات بعد ذلك الى دراسة الفقرة الثانية من الاتفاقية ، وخاصة بفض الاشتباك والفصل بين القوات . وكان واضحا منذ بداية المباحثات أن اسرائيل لا تنوى العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، اذ تعتبر هذه العودة بمثابة وضع قواتها داخل مصيدة محاصرة بالقوات المصرية من كل جانب .

ولذلك راح الجانب الاسرائيلى يطرح مبادئ عامة عن فض الاشتباك ، واقترح ألا يظهر فض الاشتباك كهزيمة لطرف من الأطراف ، وأن يتم بالتحرك الى خطوط مؤقتة ولكنها مناسبة ، وأنه من الضرورى الاقلال من احتمالات الحرب وذلك بعودة الحياة الطبيعية والنشاط الاجتماعى الى المنطقة . كما تحدث كذلك عن مظاهر السيادة ، وعن ضرورة وجود منطقة عازلة بين قوات الطرفين .

وأجاب الجانب المصرى فإظهر بعض الحقائق الأساسية التى كان من أبرزها : أن الأرض التى دارت عليها المعارك هى أرض مصرية أولا وأخيرا ، وأن الشعب المصرى هو الذى يعانى منذ عام ١٩٦٧ بينما لم تتعرض اسرائيل لأية معاناة . لذلك يجب أن يتم فض الاشتباك بارتداد القوات الاسرائيلية الى خط شرق القناة .

ورغم أن الجنرال ياريف وافق على أن يكون خط الانسحاب شرق القناة ، وأن يتم الانسحاب اليه فى مرحلة واحدة أو مرحلتين ، إلا أنه عاد الى طرح مشروعاته القديمة . وكان أولها خاصا بالانسحاب المتبادل شرق وغرب القناة لمسافة معينة . أما ثانيها فكان خاصا بالانسحاب

القوات من الاراضى التى استولت عليها ، على أن تحل قوات الامم المتحدة محلها . وكان الاقتراح الثالث خاصا بسحب قوات الجيش الثالث من الشرق فى مقابل انسحاب قوات اسرائيل من غرب القناة .

ورفضت مصر هذه المشروعات الثلاثة . كما رفضت رفضا قاطعا أى مشروع يقوم على تخلى القوات المصرية عن مواقعها شرق القناة .

وقد لاحظ الجانب المصرى أن المحادثات بدأت تدور فى حلقة مفرغة بسبب مراوغة الجانب الاسرائيلى وتناقضه . فتارة يتحدث عن ضمانات الارتداد ، ومرة يطلب وقتا كافيا لبحث الموضوع ، ثم يعود الى مشروعات قديمة سبق رفضها ، أو يدفع بأنه غير مفوض بمناقشة الخطوط النهائية ، وأن الحكومة فى انتظار نتيجة الانتخابات .

وكان لزاما أن يصر الجانب المصرى على تحديد موقفه ، وأن يحاول دفع الجانب الاسرائيلى لاتخاذ نفس الموقف حتى تسير المباحثات فى اتجاهها الصحيح . ولذلك ركز على النقاط التالية :

١ - انه اذا لم يتم الاتفاق على خط مناسب شرق القناة ، فان اسرائيل ملزمة بتنفيذ قرار مجلس الامن الخاص بالسودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

٢ - ان سير المناقشات بهذا الاسلوب مضيق للوقت ، وليس من ورائها طائل .

٣ - ان أى خط لا يحقق تأمين مدن القناة لا يمكن قبوله .

٤ - انه من الضرورى أن تحدد اسرائيل بوضوح رأيها رسميا .

كما طالب الجانب المصرى أن يجيب الجانب الاسرائيلى على أسئلة محددة بشأن مكان الخط المنتخب ، والوقت اللازم لتنفيذ الانسحاب .

الاجتماع السابع عشر :

فى التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٧٣ عقد الاجتماع السابع عشر والاخير على أمل أن يجيب الجانب الاسرائيلى على الاسئلة المحددة . غير ان الجنرال ياريف لم يقدم الاجابات المطلوبة ، بل أعلن ان حكومته ترفض مناقشة العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، كما أنها لا توافق على أسس المشروعات التى طرحها الجانب المصرى .

وازاء ذلك أوضح الجانب المصرى ان هذا الموقف الاسرائيلى يهدف الى الوصول بالمباحثات الى طريق مسدود ، ولذلك طلب وقف الاجتماعات الى أن تحدد اسرائيل موقفها .

ومن الواضح أن الحكومة الاسرائيلية كانت تسعى الى كسب الوقت ، وعرقلة الوصول الى قرار محدد بشأن فصل القوات في هذه المرحلة . وقد أدلى المتحدث الرسمي لمصر ببيان قال فيه ان مصر قررت وقف مباحثات الكيلو متر ١٠١ نظرا لمراوغة اسرائيل المستمرة في تنفيذ البند الثاني من اتفاقية النقاط الست ، التي تم توقيعها في ١١ نوفمبر . كما أعلن أن مصر تحمل اسرائيل كل النتائج المترتبة على عدم تنفيذها لقرارات مجلس الامن الاخيرة .

وقد عقدت عشرة اجتماعات لبحث تنفيذ اتفاقية النقاط الست على امتداد ١٨ يوما خلال المدة من ١١ الى ٢٩ نوفمبر ، خصصت السبعة الاخيرة منها لتنفيذ البند الثاني الخاص بفض الاشتباك والعودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

مؤتمر جنيف للسلام ولجنة العمل العسكرية :

بينما كانت الحرب في أوج شدتها والقوات المسلحة المصرية تحرز النصر ، طرح الرئيس محمد أنور السادات اقتراحا في ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ أمام مجلس الشعب يدعو فيه الى عقد مؤتمر للسلام يضم الاطراف المعنية ، على أن يكون الهدف منه :

١ - التوصل الى حل للالزمة على أساس القرار ٢٤٢ الصادر من مجلس الامن عام ١٩٦٧ ، وتحقيق الانسحاب من كافة الاراضي العربية المحتلة ، واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

٢ - أن يعقد هذا المؤتمر تحت اشراف الامم المتحدة .

وبعد اتصالات دولية عديدة أصدر مجلس الامن قراره رقم ٣٣٨ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، الذي نص على أن يبدأ أطراف النزاع في تنفيذ القرار ٢٤٢ ، وأن تبدأ المفاوضات تحت الاشراف المناسب ، بهدف اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

وقد تم الاتفاق بعد ذلك على أن تجرى المباحثات في مدينة جنيف السويسرية ، حيث المقر الاوربي للامم المتحدة ، على أن يتعقد المؤتمر خلال شهر ديسمبر ١٩٧٣ ، وتحضره كل من مصر وسوريا والاردن واسرائيل والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، وأن يشترك الفلسطينيون فيه في مرحلة تالية ، وأن يكون دور الامم المتحدة ووجودها مصونين .

وقد قررت مصر حضور المؤتمر على الأسس التالية :

- ١ - الالتزام بقرار مؤتمر القمة العربي في الجزائر في ٢٨ نوفمبر ١٩٧٣ بأن العمل السياسي يكمل المعركة العسكرية ، ويعتبر استمراراً لها في كفاح العرب ضد إسرائيل .
 - ٢ - صدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٣ في ١٥ ديسمبر ١٩٧٣ يحدد دور السكرتير العام وينص على أنه دور أساسي وفعال .
 - ٣ - موافقة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على عقد المؤتمر تحت إشراف الأمم المتحدة ، وتحت الرئاسة المشتركة لكل منهما ، وإخطار السكرتير العام بذلك في ١٨ ديسمبر ١٩٧٣ ، على أن يتولى الدعوة إلى المؤتمر ، ورئاسة مرحلته الافتتاحية .
- وانعقد المؤتمر في ٢١ ديسمبر ١٩٧٣ ، وحضره كل من مصر والاردن وإسرائيل والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، بينما تخلفت سوريا . ورأسه السكرتير العام للأمم المتحدة .
- وعقدت ثلاث جلسات ، اثنتان منها مفتوحتان ، والثالثة سرية . وقد حاولت إسرائيل التنصل من التزاماتها المترتبة على اتفاقية النقاط الست ، والتهرب من موضوع الفصل بين القوات ، وذلك عن طريق عدم تضمين وفد أعضاء من العسكريين . ولكنها عادت أمام إصرار مصر فأعلنت عن استعدادها للمحادثات العسكرية ، وإنها ستوفد عسكريين للاشتراك في المؤتمر ، كما وافقت على أن تبدأ المباحثات يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ .
- ولما كانت مسألة الفصل بين القوات قد اعتبرت مسألة حيوية يجب البت فيها أولاً قبل الدخول في أية تفاصيل سياسية ، لذلك فقد وافق المؤتمر على أن يبدأ أعماله بمعالجة هذا الموضوع .
- وفي يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٧٣ أصدر المؤتمر قراره الذي ينص على أن تستمر أعماله من خلال تكوين مجموعة عمل عسكرية تبدأ في مناقشة مسألة فض الاشتباك بين القوات ، على أن تقدم المجموعة توصياتها وتقريرها إلى المؤتمر .

الاجتماعات الستة للجنة العسكرية :

عقدت الجلسة الأولى للجنة العسكرية في مقر الأمم المتحدة بجنيف يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ تحت إشراف الأمم المتحدة . واستمرت جلسات اللجنة العسكرية في جنيف حتى ٩ يناير ١٩٧٤ ، وعقدت خلالها ستة اجتماعات استمرت حوالي ١٥ ساعة .

وكان رأى الجانب المصرى أن يبدأ المباحثات بمناقشة مبادئ محددة لمسألة فض الاشتباك وانفصل بين القوات حتى يتم الاتفاق عليها كأساس ضرورى لتحديد الخطوط العريضة والرئيسية للموضوع . وانطلاقا من هذا المفهوم العام قدم الجانب المصرى خمسة مبادئ لفض الاشتباك تضمنت الآتى :

١ - أن يتم فض الاشتباك والفصل بين القوات بتحرك القوات الاسرائيلية من مواقعها غرب القناة الى خط يقع شرق القناة فى سيناء .

٢ - أن يكون هذا الخط على مسافة كافية من قناة السويس لتأمين منطقة القناة ومدنها ضد أى نشاط عسكرى .

٣ - ألا تقل المسافة (الفاصل) بين القوات الرئيسية للجانبين عن أقصى مدى لأسلحة المدفعية المتوفرة لديهما (وهى مسافة يجب ألا تقل عن ٣٥ كم) .

٤ - أن تحدد منطقة أمن أمام القوات الرئيسية لكل جانب تعمل فيها عناصر تأمين القوات والوحدات المناسبة .

٥ - أن تنشأ منطقة عازلة بين الجانبين ، تشغلها قوات الامم المتحدة ، بحيث يسمح اتساع هذه المنطقة لقوات الامم المتحدة بحرية الحركة والعمل .

وبعد مناقشة قصيرة قبل الجانب الاسرائيلى هذه المبادئ كأساس مناسب لفض الاشتباك ، ولكنه رأى أن يضيف اليها تحفظات محددة تكون بمثابة مبادئ اضافية . وتركزت هذه التحفظات فى مبدئين رئيسيين :

١ - أن يكون هناك توازن فى التزامات الجانبين ، أى أن يكون العمل متبادلا . بمعنى أن كل عمل يؤديه طرف يجب أن يقابله عمل مماثل يؤديه الطرف الآخر ، وألا يتحمل طرف واحد كل شيء .

٢ - أن يشارك كل طرف ، الطرف الآخر فى حل مشاكله ، بمعنى أن يقبل الحلول الوسط .

وكان رد الجانب المصرى على ذلك ، ان هذين المبدئين هما من المبادئ السياسية التى تستخدم فى التسويات السياسية ، وليس لهما علاقة مباشرة بما تناقشه اللجنة العسكرية فى هذه المباحثات من مسائل عسكرية بحتة . خاصة والفصل بين القوات له شروط ومواصفات فنية محددة لا تحتمل الحلول الوسط .

ورغم وضوح النوايا الاسرائيلية الكامنة خلف هذه التحفظات

الملتوية ، الا أن الجانب المصرى رأى أن يطالب الجانب الاسرائيلى بمزيد من الايضاح .

وكشف الجانب الاسرائيلى عن نواياه ، فأوضح أنه يلزم لتطبيق المبدأ الاول ألا يجرى الانسحاب من جانب واحد ، بل ينبغي أن يتم الانسحاب بواسطة الجانبين ، وإن كان ليس ضروريا أن يكون هذا الانسحاب بنفس القدر . وفى مجال شرح المبدأ الثانى ذكر الجانب الاسرائيلى - على سبيل المثال - أن شرط الانسحاب شرقا ليس ضروريا أن يرتبط بمسافة كبيرة تفصل بين قوات الجانبين .

وقد رفض الجانب المصرى فوراً الامثلة التى ساقها الجانب الاسرائيلى موضحاً ما يلى :

١ - ان الارض التى دار عليها القتال هى ارض مصرية ، ولذلك فان مبدأ تخلى مصر عن شبر واحد من الاراضى التى تقف عليها قواتها مبدأ مرفوض من أساسه ، اذ لا يجوز مطالبة القوات المصرية بالتخلي عن جزء من الاراضى المصرية مهما كانت الدوافع الى ذلك .

٢ - أما عن مسافة الانسحاب فقد حددتها مصر على أسس علمية فنية سليمة لكى تحقق فعلاً مبدأ فصل القوات وفض اشتباكها ، ولذلك فان الاقلال من هذه المسافة لن يحقق فض الاشتباك طالما ان قوات أحد الطرفين ما زالت واقفة داخل مرمى أسلحة الطرف الآخر ، الامر الذى لا يمكن قبوله .

كما أنه قد سبق لمصر أن شاركت فعلاً فى حل المشاكل حين قيمت اتفاقية النقاط الست ، وخاصة البند الثانى المتعلق بتدابير العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ فى اطار اتفاق لفض الاشتباك والفصل بين القوات .

وكان ذلك يعنى مرونة أكثر تساعد اسرائيل فى الخروج من مأزق العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، وما يترتب عليها من موقف استراتيجى سىء ، دعا اسرائيل الى رفض هذه العودة منذ البداية .

وعند هذه المرحلة من المناقشات التى استمرت ثلاث جلسات ، حدث تطور فى الموقف الاسرائيلى ، وإن لم يخرج عن الخط العام الذى اتبعته اسرائيل منذ البداية ، وهو العمل على أن يكون انسحاب قواتها فى أضيق نطاق ممكن ، مع قبولها مبدأ الانسحاب الى الشرق .

وعرض الجانب الاسرائيلى نماذج مخططة لأفكاره ، كان أحدها يدور حول الاقتراح القديم الخاص بالانسحاب المتبادل عن ضفتى القناة ، والذى سبق رفضه . وقد استبعد هذا النموذج . ثم جاء الآخر بفكرة أن تكون المسافة بين قوات الجانبين محدودة بمدى النظر بين الطرفين (أى

٣ - ٤ كم) • وردد الجانب الاسرائيلي أن انسحابه الى الشرق فيه تضحية استراتيجية كبيرة ، كما أن ضغط المسافة يعتبر ثمنا ضئيلا بالنسبة لما خسره الجيش الاسرائيلي من ارواح •

وقد فند الجانب المصرى هذه المقترحات والتعديلات ، وأوضح أن الموقف العسكرى الاسرائيلي غرب القناة موقف استراتيجى سىء غير متوازن ، ولا يمثل أى قيمة عسكرية ، بل هو عبء عسكرى واقتصادى وسياسى كبير ، يضغط على كاهل اسرائيل وهى تسعى للتخلص منه ، وإن هذا العمل العسكرى فى حد ذاته كان فى الاصل عملا نفسيا لرفع معنويات الشعب الاسرائيلي • لذلك فإن التخلي عنه لا يعنى أى تضحية استراتيجية ، بل العكس هو الصحيح •

كما أوضح الجانب المصرى أنه لاحظ كثرة ترديد الجانب الاسرائيلي لكلمة « الثمن » ، وإن هذا يكشف لنا نمط الفكر الاسرائيلي الذى يسعى دائما الى الحصول على المكاسب ، والذى يتميز بالميل الشديد الى المساومة ، وإن هذا الاسلوب لا يخلق سوى المعوقات والمشاكل ، الامر الذى يستوجب أن تغير اسرائيل من نمطها الفكرى واسلوب تعاملها مع العرب اذا كانت تسعى حقا نحو السلام •

ثم تسأل الجانب المصرى •• ألا يكفي أن يكون السلام ذاته ثمنا تقبله اسرائيل ؟ وأن يكون البعد على التضحية بمزيد من الارواح ثمنا آخر مناسبا لاسرائيل ؟

ومع تطور المناقشات ، حاول الجانب الاسرائيلي أن يتفادى الحديث فى المبادئ والاسس الخاصة بفض الاشتباك ، والاغراق فى بحث التفاصيل العسكرية الفنية المتعلقة بفض الاشتباك ، وأن يوجه المباحثات الى متاهات تحولها عن الهدف الرئيسى وتجلبها بعيدا عن الخط المنطقى .

وفى اجتماع يوم ٩ يناير ١٩٧٤ (الاجتماع السادس والاخير) رفض الجانب المصرى هذه المراوغات ، وأصر على ضرورة العودة الى أصل الموضوع قبل الدخول فى أية تفاصيل • كما أصر على أن يطرح الجانب الاسرائيلي أفكاره المحددة عن فض الاشتباك فى شكل مشروع متكامل ، خاصة والجانب المصرى مستعد لطرح مشروعه فورا بشرط أن تطرح اسرائيل مشروعه المقابل •

وأوضح الجانب المصرى أن استمرار المناقشة بهذا الاسلوب غير مجد ، ولا بد من الانتقال الى جوهر الموضوع ، خاصة والانتخابات الاسرائيلية قد انتهت وظهرت نتائجها ، وأصبحت الفرصة متاحة أمام الوفد الاسرائيلي لطرح أفكاره •

ورد الجانب الاسرائيلي أنه يأسف اذ ليست عنده أفكار محددة ، كما أن الحكومة الاسرائيلية ما زالت تدرس الموضوع ، ولم تصل بعد

الى قرار بشأنه • واقتراح البدء فى مناقشة المشروع المصرى الى أن يتلقى التعليمات اللازمة من حكومته ••

ورفض الجانب المصرى هذا الاقتراح ، وأعلن انه فى هذه الحالة يجب ايقاف الاجتماعات الى أن يتلقى الجانب الاسرائيلى تعليمات حكومته بشأن مشروع فض الاشتباك ، وأبدى استعدادة للاجتماع فى أى وقت تحدده اسرائيل •

وطلب الجانب الاسرائيلى مهلة أسبوع ، فتحدد يوم ١٥ يناير موعدا للاجتماع التالى • وفى يوم ١٠ يناير (اليوم التالى لوقف الاجتماعات) أعلنت الولايات المتحدة أن دكتور هنرى كيسنجر يعتمزم التوجه الى مصر للمساهمة فى حل المشاكل القائمة • وبعد اجتماعه بالرئيس السادات فى أسوان يومى ١١ ، ١٢ يناير وطرحه مشروعا مقترحا للاتفاق ، توجه الى القدس يوم ١٢ واجتمع بالحكومة الاسرائيلية حتى ١٤ يناير ليوقف على وجهة نظرها ، ثم تردد بين أسوان والقدس أيام ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، يناير ١٩٧٤ ، حتى أمكن التوصل بعد هذه الرحلات الاربع الى اتفاق قبلته مصر واسرائيل بشأن الفصل بين القوات تحت اشراف الامم المتحدة ، وأذيع هذا الاتفاق فى الساعة التاسعة من مساء ١٧ يناير بتوقيت القاهرة •

المرحلة الثانية لمباحثات الكيلو متر ١٠١ :

فى الساعة ١١٠٠ يوم ١٨ يناير ١٩٧٤ عقد الاجتماع الاول للمرحلة الثانية من مباحثات الكيلو متر ١٠١ على طريق القاهرة - السويس ، وقد رأس اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس أركان حرب القوات المسلحة الوفد المصرى المكون من اللواء طه المجدوب والعقيد أ.ح أحمد فؤاد هويدى والمستشار فوزى الابراشى من وزارة الخارجية ، بينما رأس الجنرال دافيد اليعازار رئيس الاركان العامة الاسرائيلية الوفد المكون من الجنرال ابراهام آدن ، والكولونيل دوف زبون ، ومائير روزين المستشار القانونى بوزارة الخارجية الاسرائيلية • وجلس الجنرال أنزويسيلاسفيو قائد قوات الطوارئ الدولية على رأس الاجتماع ، ومعه المسيو ريمى جورجيه مستشاره السياسى والدكتور جيمس جونا مستشاره القانونى •

وافتح الجنرال سيلاسفيو الاجتماع معربا عن سروره بإمكان التوصل الى اتفاق عسكرى بشأن الفصل بين القوات تحت اشراف الامم المتحدة • وبعد أن تلا بنود الاتفاقية قدم أصولها للجانبين ، حيث وقع اللواء الجمسى عن الجانب المصرى ، ووقع الجنرال اليعازار عن الجانب الاسرائيلى ، والجنرال سيلاسفيو عن الامم المتحدة •

ونص الاتفاق على أن حكومي مصر واسرائيل بمساعدة حكومة الولايات المتحدة الامريكية وطبقا لقرار مؤتمر جنيف ، وقد توصلنا الى اتفاق لفك الاشتباك والفصل بين قواتهما المسلحة مع التمسك بوقف اطلاق النار وايقاف جميع الاعمال العسكرية وشبه العسكرية فى البر والبحر والجو .

وحدد الاتفاق الخطوط التى تنسحب اليها القوات الاسرائيلية ومناطق الفصل بين الجانبين والتى ترابط فيها قوات الامم المتحدة - وأوضحها على خريطة أرفقت بنص الاتفاق . كما تضمنت توقيتات وضع تفاصيل خطة فك الاشتباك ، ونص على ضرورة انتهاء أعمال الفصل خلال فترة لا تتجاوز ٤٠ يوما من بدء التنفيذ .

واختتم الاتفاق بالنص على :

« انه لا يعد الاتفاق سلام نهائى وأنه يشكل خطوة أولى صوب سلام نهائى عادل ودائم طبقا لبنود قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ وفى اطار مؤتمر جنيف » .

وبعد انتهاء التوقيع وتبادل الوثائق ، بدأت مناقشة عامة حول الاسلوب الذى سيتبع فى تنفيذه ، وعرض الجانب المصرى عدة مبادئ رئيسية كان أهمها :

١ - أن ينفذ انسحاب اسرائيل من غرب القناة من الجنوب الى الشمال، وعلى مراحل .

٢ - أن تنشأ منطقة عازلة من قوات الامم المتحدة بين الطرفين فى كل مرحلة من مراحل الانسحاب .

٣ - أن يتم انشاء منطقة الامم المتحدة الفاصلة بين القوات فى الشرق تدريجيا وعلى مراحل ، تبعا لخطة الانسحاب التى ستنفذها القوات الاسرائيلية .

وبعد أن وافق الجانب الاسرائيلى على هذه المبادئ، نوقشت الفكرة العامة لتنفيذ الفصل بين القوات ومراحله على خرائط قدمها الجانبان .

وفى الاجتماع الثانى يوم ٢٠ يناير استمرت المناقشات حول التنفيذ ، واستقر الرأى على الآتى :

١ - أن تنسحب القوات الاسرائيلية من غرب القناة خلال ٢٨ يوما ، وعلى أربع مراحل .

٢ - أن ترتد القوات الاسرائيلية شرق القناة الى الخط « ب » المبين على خريطة الاتفاق عند المضائق خلال ١٢ يوما ، وفى مرحلة واحدة .

٣ - أن يتم خلال الانسحاب الاسرائيلي من الغرب والشرق إعادة تنظيم أوضاع الطرفين على جانبي الخطوط المحددة .

٤ - أن تتخذ قوات الامم المتحدة محللاتها في منطقة عازلة بين الجانبين طوال فترة تنفيذ مراحل الانسحاب الاسرائيلي غرب وشرق القناة . وتحتل المنطقة العازلة بين الخط « أ » (خط القوات المصرية شرق القناة) والخط « ب » (خط القوات الاسرائيلية عند المضائق) قبل نهاية الفترة المحددة لتمام التنفيذ وهي ٤٠ يوما .

وفي نهاية هذا الاجتماع تقرر أن تستمر الاجتماعات اليومية لوضع تفاصيل الانسحاب في اجتماعات تالية ، على أن يرأس الجانب المصري اللواء طه المجدوب والجانب الاسرائيلي اللواء ابراهيم آدن ، وأن تنتهي الاجتماعات وتوضع الخطة النهائية قبل يوم ٢٥ يناير وهو الموعد المحدد لبدء أعمال الفصل بين القوات .

وقد عقد الجانبان ثلاثة اجتماعات متتالية أيام ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ يناير ١٩٧٤ ، تم خلالها مناقشة تفصيلية لمراحل الانسحاب وتوقيتاته ، وتنظيم دخول قوات الامم المتحدة ، وأسلوب حل المشاكل العاجلة التي قد تطرأ أثناء التنفيذ . كما حددت مراحل تنفيذ انسحاب القوات الاسرائيلية بصفة نهائية لتكون على النحو التالي :

١ - المرحلة الاولى :

من ٢٥ - ٢٨ يناير وتخلي فيها منطقة الادبية وعتاقة وقطاع طريق السويس .

٢ - المرحلة الثانية :

من ٢٨ يناير الى ٤ فبراير ، ويتم فيها انسحاب القوات الاسرائيلية من المنطقة الصحراوية شمال طريق السويس غرب القناة ، والى منطقة متلا في الشرق .

٣ - المرحلة الثالثة :

من ٥ الى ١٢ فبراير ، ويتم فيها انسحاب القوات الاسرائيلية من منطقة جنوب البحيرات حتى فئارة في الغرب ، والى منطقة الجدى في الشرق .

٤ - المرحلة الرابعة :

من ١٣ الى ٢١ فبراير ، ويتم فيها استكمال انسحاب القوات الاسرائيلية من فايد والدفرزوار ، واخللاء غرب قناة السويس تماما ، والمنطقة شرق القنطرة شرق .

٥ - المرحلة الخامسة :

من ٢٢ فبراير الى ٥ مارس ، ويتم فيها استكمال انسحاب القوات المتمركزة شرق القناة من مناطق الاسماعيلية والبحيرات المرة الى الخط « ب » المحدد للقوات الاسرائيلية . وفي الوقت نفسه تنتهي قوات الامم المتحدة من انشاء المنطقة العازلة للفصل بين الجانبين في سيناء .

وفي الساعة ١١٠٠ يوم ٢٤ يناير تم توقيع الوثيقة النهائية الخاصة بخطة تطبيق اتفاقية فصل القوات ، والجدول الزمني التفصيلي الخاص بها . كما اتفق على بعض الالتزامات الخاصة بتسهيل عمل قوات الامم المتحدة ولتنفيذها واجباتها ، وتنظيم أعمال الاتصال أثناء مراحل فصل القوات ، وأسلوب حل المشاكل العاجلة ، وكيفية مراقبة الامم المتحدة لدى التزام الطرفين بتنفيذ الاتفاقية .

كما التزم الجانب الاسرائيلي بتقديم خرائط الالغام التي زرعتها في المناطق التي سوف تنسحب منها قواته ، والامتناع عن تخريب أو تدمير المنشآت المدنية في منطقة القناة ، وأن يتم الانسحاب في تعاون كامل مع قوات الطوارئ الدولية ، مع ضمان استمرار الحياة الطبيعية للسكان المدنيين في المنطقة دون ارباك .

وفي الساعة ١٢٠٠ يوم الجمعة الموافق ٢٥ يناير ١٩٧٤ وضعت الاتفاقية موضع التنفيذ ، وبدأت اسرائيل تسحب قواتها من المناطق المتفق عليها ، وسارت أعمال فصل القوات حسب الاتفاق .

وكان وقع ذلك شديدا على شعب اسرائيل . . اذ أدرك عمق الهزيمة التي حاققت بقواته ، ومدى التمزق الذي أصاب النظرية الصهيونية ، التي تقوم على العدوان والتوسع واغتصاب الارض وفرض الامن الواقع ورسم الخرائط الجديدة . ثم أيقن شعب اسرائيل من سوء العاقبة عندما استمع الى وكالة الانباء الفرنسية تنقل اليه يوم ١٥ فبراير ١٩٧٤ من قل أبيب تصريح زعيم المؤسسة العسكرية الجنرال موشى ديان الذي يقول فيه :

« ان حالة التفوق الاسرائيلي قد دحضها واثبت بطلانها قتال أكتوبر ١٩٧٣ » .

السياب الثامن
وتحطمت الأسطورة
بعد الظهر..

وتحطمت الأسطورة بعد الظهور

● كان وقع الهزيمة ثقيلا على إسرائيل ، هبط
بمعنوياتها الى الحضيض ، واشعل بين طوائفها واحزابها
الأحقاد الدفينة ، فانطلقت تكيل لبعضها القذع الشتائم،
واحتل الاتهامات .

واستفحل الأمر حتى غزا صفوف المؤسسة العسكرية نفسها ، اذ
راح جنرالات إسرائيل يغمزون بعضهم ويلمزون ، ثم تطايرت بينهم أخطر
الاتهامات ، فأسرعت رئاسة الأركان العامة تصدر أمرا قاطعا لهم جميعا
بالتزام الصمت المطبق ، بعد هذا الصخب المخرج .. والا فسوف توقع
عليهم أقسى الجزاءات .. وتهدهم بالويل والثبور ..

ثم جاءت لحظة حساب النفس وما أثقلها وأقساها .. واستمع
العالم مذهولا الى عمالقة الجولة الثالثة ، الذين كانت كلماتهم عام ١٩٦٧
تنضج بالفطرية والخيلاء .. يهمنسون عام ١٩٧٣ باعترافات ملؤها الألم
والندم ، لما فرطت أيديهم ، وما حاق بهم من هزائم . وعندما صدرت
قرارات لجنة تقصى الحقائق برئاسة القاضي شمعون اجرانات ، انكشفت
هزيمة إسرائيل بكل ابعادها المؤلمة .

● وتساءل العالم في دهشة .. ولكن أين ما زعمت إسرائيل من
تخلف العرب الحضاري ، وعناء الفجوة التكنولوجية التي تمسك
برقابهم فلا تدع لهم فرصة لاجادة عمل ما . أو تترك لهم بصيص أمل
للتصدي لبأس إسرائيل ، حتى نهاية القرن الواحد والعشرين ..

— وأجاب العقلاء .. لقد كان ذلك وهسا صنعتها إسرائيل كي
تنشر أمنا زائفا بين ظهرانيها .. فلما وقعت حرب رمضان ، اتكشفت

الوهم وزال الأمن الزائف .. وتأكد كل شعب اسرائيل المشدود من هول الواقعة ان اخطر شيء ان يعيش في خدعة من صنع يديه .. حتى توقظه الحقيقة الاليمة ..

● ثم تسأل العالم في دهشة .. ولكن أين جهاز الحرب الاسرائيلي العملاق ، الذي وصل خطره الى درجة ان أصبح قادراً على ان يأمر طيارى العرب بالقفز من طائراتهم وهي في كبد السماء .. فيسمعون ويطيعون لمؤسسة اسرائيل العسكرية ؟

— وأجاب العقلاء .. لقد كانت تلك فرية أخرى صنعتها اسرائيل لتنتشر أمنا زائفا بين ظهرانيها .. فلما كانت حرب رمضان اقتضحت الفرية وزال الأمن الزائف .. واستبان لاسرائيل ان اخطر شيء ان تعيش في فرية من صنع يديها . حتى توقظها الحقيقة الاليمة ..

● ثم تسأل العالم في دهشة .. وما قيمة الحدود الآمنة اذن وقد أحرزت اسرائيل نصرا في الجولة الثالثة صيف ١٩٦٧ من حدود ملأت الدنيا بالشكوى انها غير آمنة ، ثم فوجئت بالجولة الرابعة في خريف ١٩٧٣ تأتيها بالهزيمة من حدود ملأت الدنيا ضجيجا انها حدود جد آمنة ، بل هي غاية الأمن ومنتهى الامان في نظر زعماء اسرائيل ..

— وأجاب العقلاء .. ان الأمن والأمان أمران نسيان شديدا الارتباط بالسلوك القويم وحسن الجوار .. فلا يقوم الأمن على اغتصاب حقوق الغير أو سلب أراضيهم ومنزلهم وقبورهم ، وتحويلهم الى لاجئين معلقين بين الأرض والسماء .. لا يقوم على ذلك مهما ارتكز على موانع طبيعية أو صناعية أو اعتمد على قوة غاشمة أو ذراع طويلة او يد عليا ..

● ثم تسأل العالم في دهشة .. ولكن أين مخابرات اسرائيل التي تعلم الغيب وما تخفى الصدور .. وكيف عميت عن كل هذا الاستعداد الضخم ، وكل تلك الحشود الهائلة ، التي أخذتها على غرة ، وفاجأتها في السادس من أكتوبر فحطمت أسطورتها بعد الظهر ؟ !

— وأجاب العقلاء .. لقد كانت كلها أكاذيب روجتها دعاى اسرائيل لتنتشر بها أمنا زائفا بين ظهرانيها .. أمنا تحجب به الحقائق الناصعة عن موقفها الميثوس منه .. والمحيط العربى الهادر ، فى مواجهة القطرة الصهيونية الضئيلة ، والامكانيات والقدرات العربية غير المحدودة والجبهات العربية المحيطة باسرائيل تأخذ بخناقها من كل جانب ، وفى مواجهة عقدة مسعدة التي عفى عليها الزمن ..

وانكشف لاسرائيل ان اخطر الأمور ان تعيش فى أكذوبة من صنع يديها حتى تفاجئها الحقيقة الاليمة ..

ولكن هل تعترف اسرائيل أنها فوجئت وهي غافلة في السادس
من أكتوبر ، فتحطمت أسطورتها بعد الظهر ١٩

انهم ما زالوا يتجادلون في هذا الأمر الخطير ، فتختلف بهم الآراء
وتتضارب المذاهب .. وتخرج الحجج الواهية والتبريرات السخيفة ،
فلا تقنع أحدا .. وسوف نظهرها جميعا ونعري كل دوافعها الخبيثة أو
الساذجة في الفصل التالي .

عن المفاجأة ..

● تحدث المفاجأة طبقا للمفهوم العسكرى - عندما ينجح أحد الأطراف المتحاربة فى مباغتة خصمه بعمل ايجابى ذى وقع كبير عليه ، من حيث طبيعته وحجمه ومكانه وتوقيتته ونتائجه .. وبمعنى آخر يمكن القول أن المفاجأة تتحقق بتوجيه الضربات غير المتوقعة للعدو ، بما يذهله ويطيح صوابه ويشل تفكيره وأدائه ، فتصبح بذلك الفرصة مواتية للطرف الذى حقق المفاجأة ليقوع الخسائر الفادحة بخصمه فى وقت قصير ، ويشيع الدعر فى صفوفه ، ويجرمه من القدرة على مواصلة ابداء المقاومة المنظمة ، بما يخلق الظروف الملائمة للقضاء على قوات الخصم حتى وان كانت متفوقة ..

وتتحقق المفاجأة بفضل الجهود المضنية التى تبذل فى مجالات عديدة منها :

- ١ - تضليل العدو عن نوايانا .
 - ٢ - سرية التحضير للهجوم .
 - ٣ - المحافظة على سرية فكرة الأعمال المقبلة .
 - ٤ - الاستخدام غير المتوقع لوسائل وأساليب قتال ، وأسلحة ومعدات جديدة .
 - ٥ - توجيه ضربات قوية للعدو فى وقت ومكان وبطريقة لا يتوقعها .
- وليس ثمة شك فى أن الطرف الآخر سوف يسعى بدوره لشن أعمال مفاجئة، ولهذا وجب أن يتوفر الاستطلاع المستمر النشط ، والاستعداد

العالى الدائم للقوات لحوض الحرب فى كل وقت ، حتى يمكن احباط نوايا الخصم فى الوقت المناسب ، وقبل أن يحقق نجاحا محسوسا ..

ويجمع مشاهير القادة وفلاسفة الحرب على مر العصور على أن المفاجأة هى أهم مبادئ الحرب وأشدّها خطرا وأكثرها تحقيقا للنصر فى أى عمل عسكري كبير مستواه أو صغر .

وتكون المفاجأة استراتيجية أو تعبوية أو تكتيكية طبقا لحجم القوات المشتركة ، وبالتالي المستوى الذى تؤثر عليه فى الصراع المسلح .. وعلى سبيل المثال اذا ما كانت المفاجأة على مستوى الدولة بقواتها المسلحة كلها فهى مفاجأة استراتيجية . أما اذا اقتصر على مستوى جبهة أو جيش فحسب فهى مفاجأة تعبوية ، واذا ما جاءت دون ذلك أصبحت مفاجأة تكتيكية أو موضعية ..

ولقد حقق العرب فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، ولأل مرة فى سجل صراعمهم الطويل ضد اسرائيل المفاجأة الكاملة بمستوياتها الثلاثة .. وكان وقع ذلك اليما على اسرائيل .. بل على الصهيونية العالمية فى كل مكان . وكانت حصيلته النهائية أشد ايلاما لهما من الهزيمة نفسها ، اذ قوضت تلك المفاجأة صروح نظرية الأمن الاسرائيلى التى طالما ارتكزت عليها المؤسسة العسكرية فى صيانة وجود الدولة الدخيلة وتدعيم مركزها فى المنطقة .. ولهذا راحت أجهزة الدعاية والاعلام الاسرائيلية والصهيونية على الفور ، وبكل ما تملك من قدرة وامكانيات ، تشن حملات مسعورة لتبرئة قياداتها السياسية والعسكرية من وصمة المباغطة ، وتنفى عنها عار الوقوع فى شرك المفاجأة ..

وفى سبيل ذلك تعددت التبريرات وتنوعت الحجج ، ثم تناقضت الاقوال وتضاربت التصريحات ، حتى تحول الجدل الجاد الى تبادل الاتهامات والتجريح ، ثم لقاء اللوم جزافا على بعضهم البعض ، الأمر الذى دفع بالقيادة العليا الى اصدار التوجيهات بالكف فورا عن هذه الممارات على صفحات الجرائد ، وعبر أمواج الأثير ..

وقبل أن تبدأ فورة الاتهامات وتخف حدة الممارات كانت الحصيلة قد أدهشت أذن المستمع وشدت أنظاره .

فعلى المستوى السياسى ادعت رئيسة حكومة اسرائيل انها كانت تعلم يقينا بنية هجوم العرب بل بتوقيته ومراميه ، ولكنها تركت لهم المبادرة طوعا واختيارا لأسباب سياسية واقتصادية ملحة .. فزعمت أنها أحجمت عن توجيه ضربتها الابتدائية حتى لا تكون البادئة بالعدوان خشية ازدياد عزلتها السياسية فى المجال الدولى ، كما أنها فوتت فرصة التعبئة فى الوقت المناسب حتى لا تحمل الاقتصاد الاسرائيلى المثلثل أعباء اضافية قاسية ، واكتفت من كل ذلك بالتأكيد على القيادة العسكرية بالاقتصاد

على التعبئة الجزئية في أضيق الحدود ، مع رفع درجة استعداد القوات المسلحة النظامية على مختلف المستويات .

وتستمر السيدة مائير في ادعاءاتها العجيبة فتقول انها تركت الأمور على هذا الوضع الخطر حتى صباح السادس من أكتوبر ، عندما اضطرت الحكومة تحت ضغط الأحداث المتلاحقة أن تعلن التعبئة الشاملة في الساعة العاشرة صباحا ، وأن تبدأ في ادارة عجلة الحرب . .

وتقصد السيد مائير بما تدعيه وتسوقه من حجج وبراهين أن تبرئ نفسها قبل الانتخابات الوشيكة من تهمة الغفلة التي عرضت أمن الدولة للخطر ، فتقول انها أحجمت اختيارا عن السبق بالهجوم حتى لا تزيد سمعة اسرائيل سوءا ، كدولة دائمة العدوان مدمنة التعدى ، وانها امتنعت عن تعبئة الدولة حتى لا تثقل على الاقتصاد وتعرقل دولاب الانتاج . ووراء تلك الحجج الساذجة رغبة دفينه في القاء اللوم على العسكريين . . الأمر الذي يكشفه بجلاء قولها في مجال آخر . . « لو جاءني مسئول - تقصد الجنرال دايان - واقترح استدعاء الاحتياطى لوافقته فوراً (١) » . .

ويعزز نائبها ايجال آلون نفس الاتجاه الذى تذهب اليه مائير فيقول « اننى أؤكد شخصيا ورسميا أيضا ، اننى أتعهد بشرفى الشخصى بصحة البيان القائل بأننا لم نبدأ القتال ، بل على العكس ، حتى بعد أن رأينا المجابهات الشاملة لقوات العدو فى أوضاع هجومية تجنبنا متعمدين الضرب أولا ، وقد تخلينا عن تلك الميزة العسكرية . ميزة الضرب أولا » . .

كما صرح الجنرال أهرون ياريف بصفته مستشار رئيسة الحكومة أن اسرائيل تعمدت أن تخاطر بترك المصريين والسوريين يتخذون بادرة الأعمال العسكرية مع ما يترتب على ذلك من مزايا (٢) . .

وهكذا يعضى الحرس القديم من غلاة الصهاينة السياسيين فى تلفيق الحجج وفبركة المبررات . . ولا يهم بعدئذ ان جاءت كلها تناقض بعضها البعض ، فالهدف هو تجريح العسكريين واعادتهم الى حجمهم الطبيعى ، بعد أن أحالهم نصر يونيو ١٩٦٧ الى مرده وشياطين . .



ولكن ايسر هاريل رئيس مخابرات اسرائيل الأسبق يرى عكس ما يزعمه هذا الحرس القديم ، ويوجه اليهم الاتهام الصريح فى صحيفة يلعوت احرونوت الصادرة فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٤ فيقول . . . « لقد

(١) حديث تليفزيونى فى ١٦ نوفمبر ١٩٧٣ .

(٢) و . ا . ف - ٩ أكتوبر .

شعرت بالكارثة التي حلت بنا في حرب عيد الغفران ان اى اضافة نقدمها مهما كانت دوافعها او مبرراتها سوف تثقل على معنويات الجمهور الذي كان في مسيس الحاجة الى الخروج من حالة الاحباط العميقة التي أصابته نتيجة هذه الحرب واني أقول بلا تردد ان التقصير الاساسى في حرب عيد الغفران نتج عن خطأ استراتيجى تسبب في مفاجئتنا . لقد كانت لدينا المعلومات الكافية ولكن القيادة السياسية فشلت في تقييم الموقف تقييما سليما .

وعلى الجانب الآخر وقف العسكريون الاسرائيليون في مجموعات وان بدت متنافرة فانها يجمعها رأى واحد وهدف مشترك . . هو تبرئة انفسهم وتجريح السياسيين .

وفي سبيل الحفاظ على النفس ليس هناك ما يمنع من كبل الاتهام الى الرئيس والزميل . . وليس هناك جناح من الالتجاء الى الشللية لتقوية الجبهات وتعرية الخصوم . . « وليس ثمة شخص يعترف بالخطأ او يفكر في الذهاب ، فالمتحدثون يتكلمون عن ضرورة ذهاب الآخرين وليس ذهابهم هم ، واحدى النتائج الناجمة عن هذا الوضع هي الانقسامات الجديدة التي نشأت في القمة ، فالأشخاص ينظمون انفسهم للحماية المتبادلة ، وكل شخص يخشى زميله . ولهذا نشأت ظاهرة غريبة هي أن الأشخاص المتورطين في التقصير أخذوا يجمعون مادة للدفاع عن انفسهم وتجريح الآخرين ، وراحوا يجمعون الوثائق وأشرطة التسجيل ويشحذون ذاكرة الشهود (١) . . »

ويعترف الجنرال موشى ديان . . « انه توجد مفاجآت في هذه الحرب أيضا ، الا انه لم يحدث اى خطأ في بناء قوة جيش الدفاع او في تشكيله وتكوينه (٢) . . » .

ويؤكد الجنرال دافيد اليعازر . . « أن هذه أصعب حرب واجهت اسرائيل . . لقد زحفت علينا بدون انذار سابق (٣) . » .

ويناقض الجنرال هيرتسوج نفسه اذ يقول . . « ان الهجوم الذي شنّه العرب أخذ اسرائيل على غرة ، وان تحريك العرب لقواتهم على طوال خطوط المواجهة لم يفاجئ اسرائيل ، ولكنه من الواضح أن الهجوم جاء مفاجأة (٤) . . » .

ويقرر الجنرال حاييم بارليف بأن اسرائيل . . « قد فشلت وفوجئت مرة واحدة ، وان ذلك لن يتكرر (٥) . . » .

(١) زيف شيف - هارتس - ٢٠ نوفمبر .

(٢) اسرائيل عبرى - ١٥ أكتوبر .

(٣) . ١٠ ف - ١٢ نوفمبر .

(٤) اسرائيل عبرى - ١٠ أكتوبر .

(٥) اسرائيل عبرى - ١ نوفمبر .

ويأمر الجنرال شموئيل جوينين قائد جبهة سيناء جنوده في أمر
يومي بمناسبة عيد المظال قائلا ٠٠ « انتم مكلفون بمهام فرضت عليكم
بصورة مفاجئة (١) ٠٠ » .

وسواء كان غرض سياسة وجنرالات اسرائيل هو حجب الحقائق او
هو التهوين من قيمة احرار العرب للمفاجأة الاستراتيجية والتعبوية
والتكتيكية في حرب رمضان ، او انكار ذلك كلية ، فانهم أنفقوا على التقليل
من شأن المعجزة التي حققها المقاتل العربي ضد حصون آلون المنيع في
الجبهة الشمالية ، وحصون بارليف الاسطورية في الجبهة الجنوبية ٠٠ ويصل
التناقض في هذا المجال الى منتهاه ٠٠ حيث نجد الشخص الواحد يتشدد
بشيء قبل السادس من أكتوبر ، ثم يتحدث بنقيضه بعد السادس
منه .

وبين انكار السياسيين لوقوع المفاجأة واعتراف العسكريين بها
في مبدأ الأمر ، ثم تنصلهم من تبعاتها بعد ذلك ، دعنا نبحث تحت ضوء
العلم ، وبمقاييس المنطق السليم عن الحقيقة ، لا سيما وهي ترتبط
ارتباطاً عضوياً بنفس نظرية الأمن القومي الاسرائيلي ، التي تنادى
بها المؤسسة العسكرية من قديم ، وتبنى عليها دعائم الدولة ، وتنظم
بها حياة الأفراد ٠٠

فنظرية الأمن الاسرائيلي - ووجود اسرائيل بالتبعية - تعتمد على
أربع ركائز أساسية ، يتلشى دونها الأمن المنشود :

١ - فقرة الردع المتفوقة هي ركيزة الأمن الأولى التي تضمن لاسرائيل
اليد العليا في المسرح .

٢ - والحدود الآمنة التي يستحيل اختراقها أو تهديدها هي ركيزة الأمن
الثانية ، التي تضمن لاسرائيل فسحة الزمن لاتمام التعبئة القومية
لسحق الخصوم .

٣ - وامتلاك المبادأة والحفاظ عليها في كل الظروف هي ركيزة الأمن
الثالثة ، التي تجبر الخصم على طلب السلامة بالسلبية والعودة عن
ركوب الأخطار .

٤ - وفوق كل هذا ضرورة توفير الحليف القوى المتأهب للمعاونة في كل
وقت ، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ومعنوياً .

أفلا ينير العجب اذن أن نخرج حجج اسرائيل لتبرر الفشل الذي
منيت به في حرب رمضان ، فتدعى أنها قبلت التخلي عن بعض ركائز
أمنها القومي استدراراً لعطف العالم ، وتخفيفاً للأعباء الاقتصادية
الثقيلة ؟ ٠٠

(١) اسرائيل عبرى - ١٠ أكتوبر .

ألا يدعو الى الدهشة أن يدعى سياسة إسرائيل انهم سلموا المبادأة للعرب طواعية واختيارا حتى لا يوصفون بالعدوان، في الوقت الذي كرسوا فيه للعدوان باستمرار احتلال أرض العرب ، وانكار حقهم المشروع ، ضاربين عرض الحائط برغبات الأسرة الدولية المتمثلة في قرارات وتوصيات منظماتها الدولية وهيئاتها العالمية ؟ •

ومنذ متى كانت إسرائيل تحرص على سمعتها بين الأمم ؟ أو تهتم برأي الآخرين في تصرفاتها المعبية •• وهي التي سفكت دماء وسيط الأمم المتحدة •• وقوضت كل المساعي الحميدة للسلام ، واعتمدت أولا وأخيرا في تنفيذ برامجها الجائرة على ماتملكه من وسائل دعاية وإعلام قادرة على تضليل العالم أجمع كيفما تشاء الصهيونية ووقتما تريد •• ألم يقف مندوب إسرائيل الدائم أمام أعلى سلطة دولية ليقول لها دون حياء أو خجل « ان مجلس الأمن لا يخرج في نظر إسرائيل عن كونه مجموعة من حيوانات القنصر (١) » •

أما الزعم بالتخفيف عن كاهل الاقتصاد المتقل الى درجة تهديد أمن الدولة بالأحجام عن اعلان التعبئة بعد أن كشف الخطر الداهم عن أنيابه ، فأمر مغرق في الغرابة ، وبخاصة كل ما يتكلفه هذا الاقتصاد بالتعبئة الشاملة لن يتجاوز ٤٥ ملايين جنيه ، كما أظهرت حسابات التعبئة التي تمت في مايو ١٩٧٣ ، على حين يكلفها أحد الاضرابات العارضة - وهي كثيرة - عشرات الملايين •

ثم ان هناك العديد من مصادر الدخل والدعم المنظورة وغير المنظورة التي تكفل لإسرائيل سيلا لا ينقطع من الأموال والهبات ، ينشط بخاصة وقت الأزمات والمحن • ألم تتصدق عليها مجموعة من مليونيرات الصهاينة بالأمس فقط بخمسمائة مليون دولار في جلسة واحدة ، لم تستغرق الساعة في أحد فنادق القدس !

وهذا نفس تركيب جيش الدفاع الاسرائيلي يعارض بشدة ما يزعمه قادتها وساستها من أحجامهم عن اعلان التعبئة في الوقت المناسب تخفيفا للأعباء الاقتصادية •• ان جبل الجليلد العائم الذي يتحدث عنه بن جوريون، ويعنى به القوات المسلحة الاسرائيلية ، تتوقف شدة بأسه بالدرجة الأولى على ما يقبَح منه تحت الماء - وهو قوات الاحتياطي (٢) - فكيف يقبل عقل أن تتنازل إسرائيل طواعية عن أربعة أخماس هذا الجبل - وهو الأشد بأسا والأعظم تأثيرا على أمنها القومي - لتوفير ملايين قليلة من الجنيئات ، ويمكن أن تحصل على أضعاف أضعافها بمجرد ابداء الرغبة ••

وأغرب من كل ما ذكرناه آنفا تلك السرعة التي تهاوت بها نظرية

(١) جديون رائائيل - مجلس الأمن ١٩٦٧/٦ •

(٢) بن جوريون - يستعيد الماضي - أحاديث مع موسى بيرلمان •

الحدود الآمنة تحت أقدام العرب فى بضع ساعات .. ولعلنا مازلنا نذكر كيف استرخى ديان فوق كرسي مريح فى حديقة منزله عصر يوم ١٢ يونيه ١٩٦٧ وخاطب جمعا من الصحفيين قائلا .. « منذ أسبوع مضى من كان يحلم بأمن كهذا أو بحدود كهذه ؟ » ثم تمر ست سنوات حافلة بالجهد والانفاق على تقوية هذه الحدود ، وتدعيم هذا الأمن الى الدرجة التى وصفها ديان .. « بأنها أصبحت الصخرة التى سوف تتحطم عليها عظام المصريين » .

وتقع حرب رمضان .. فيخرج ديان على العالم بتصريح يثير السخرية التى لا تهدأ مع توالى الأيام - فيقول .. « ان خط بارليف كان مثل قطعة الجبن السويسرى بها من الثقوب أكثر مما بها من الجبن » فلا يحقق من هذا العبث بالالفاظ والضحك بالعقول الا سخط المعجبين به قبل سخرية العالم ، واجماع كلمته على أن سمعة ديان هى التى أصبح بها من الثقوب أكثر مما بها من ثقة ..

وينحدر بارليف الى القاع فيتذكر للخط الذى يحمل اسمه ، ويتساءل بسذاجة أو خبث « من قال انه كان هناك خط يحمل اسمى على قناة السويس ؟ » ..

ولكن ما لنا ولاكاذيب سياسة اسرائيل وقادتها ، وأمامنا الحقيقة شديدة الضياء تدمغ اسرائيل ، وتكشف قدر صقورها وحمائها سواء بسواء ..

فهذه الدولة التى لا تكف عن التباهى بأنها تملك أعظم جهاز للمخابرات وجمع المعلومات بين دول العالم قاطبة ينطلي عليها تدابير العرب للخداع والاختفاء والتمويه بدرجة قل أن يوجد لها مثيل ..

فحتى ظهر الجمعة ٥ أكتوبر نجد القيادتين السياسية والعسكرية الاسرائيلية تجزمان بعدم وجود أى خطر لاشتعال الحرب فى المسرح ، على حين كانت القوات العربية على الجبهتين الشمالية والجنوبية تجرى آخر لمسات الفتح التعبوى للهجوم ، وهى من الضخامة والتدفق بما يصعب معه اخفاء أمرها عن الأعين مهما ضعف بصرها ، أو كتم ضوضاؤها عن الآذان مهما اشتد صممها ..

ويظل الحال على هذا الوضع حتى فجر السادس من أكتوبر عندما ترجع الأركان العامة احتمال وقوع الحرب ، وتجمع السيدة مائير وزرأها وقادتها للتشاور ، ويطول الجدل حتى الظهر عندما يتفق المجتتمعون على التحرك سياسيا بالاتصال بالولايات المتحدة ، والتحرك سياسيا بالاتصال بالولايات المتحدة ، والتحرك عسكريا باعلان التعبئة الجزئية ، ورفع درجة الاستعداد والتأهب ..

وتكون الساعة قد تجاوزت الواحدة بعد ظهر السادس من أكتوبر عندما تسرع مائير الى الاتصال بوزير خارجيتها الموجود فى واشنطن ليدق ناقوس الخطر ..

ويبدأ الهجوم العربى قبل أن يصل الى جنود اسرائيل على خطوط
الجبهة أى انذار بالخطر الناهم ..

فاذا لم تكن هذه المفاجأة الكاملة الشاملة على كل مستوياتها ،
والمباغتة التامة بأجل صورها .. فإى شئ تكون اذا ؟ غفلة أم تفريط أم
خيانة ؟ .. ويحضرنا قول الشاعر القديم ..

ان كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

عَنْ الْعَبْرَةِ ..

● « لقد حققت القوات المسلحة العربية في حرب رمضان معجزة على أى مقياس عسكرى ، ويستطيع هذا الوطن أن يطمئن الى أنه أصبح له درع وسيف (١) » .

... « لقد كان عبور القناة واجتياح حصون خط بارليف يعتبر ضربا من المستحيل ، وقد زارنا العديد من القادة وقال لنا بعضهم ان هذا المانع وتلك الحصون تحتاج الى قنبلة ذرية للتغلب عليها .

وكان العدو يركز جهوده على تفادى الحرب على جبهتين ، ولكننا تمكنا بالتنسيق مع سوريا من العمل فى وقت واحد ، فبدأت أول قصفة للطيران ، وأطلقت أول طلقة على الجبهتين فى اللحظة نفسها . مما أربك العدو وكبده خسائر لم يتحمل مثلها فيما مضى ، وحتى اليوم لم يستطيع حصرها بدقة .

وكانت أهم نتائج حرب رمضان اننا قضينا على أسطورة جيش اسرائيل الذى لا يقهر ، وقد أصبحت طريقة اقتحامنا لحصون بارليف موضع الدراسة والتحليل فى مدارس العالم العسكرية جميعها ، كما أدت الى تغيير النظريات العالمية عن الاستراتيجية والتكتيك .

وأكدت المعارك أيضا أننا قادرون على كتمان سر خططنا ونوايانا . وأثبتت للعدو بطلان حجته فى مفهوم الحدود الآمنة ، فقد ضربنا العدو فى شرم الشيخ ، وأمسكناه فى باب المندب ، وقد تحركت معنا الدول العربية ، وقاتل جنود العرب فى كل الجبهات .

وكان القائد الأعلى الرئيس السادات معنا أثناء التخطيط وخلال المعارك ، ونحن نفخر به قائدا لنا ، واليه يرجع الفضل بعد الله فيما تحقق

(١) الرئيس محمد أنور السادات - مجلس الشعب - ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

من نصر ٠٠ اذ كانت المهمة التي أوكلها اليها غاية في الوضوح ، كما أحاطنا بالرعاية والمساعدة المادية والمعنوية التي وفرت لنا كل أسباب النجاح (١) ٠٠ » .

٠٠٠ « لقد حققت حرب رمضان نتائج كثيرة يأتي على رأسها :

١ - انها كانت سببا في وحدة عربية شاملة ، وموقف عربي موحد لم يشهده العالم من قبل ٠٠

٢ - انها عززت الوحدة الوطنية بصورة لم تشهدها مصر سابقا ٠٠

٣ - انها أعادت الى قوات مصر المسلحة ثقتها بنفسها ، كما أعادت لشعب مصر ثقته بقواته المسلحة ٠٠

٤ - انها قضت على أسطورة جيش اسرائيل الذي لا يقهر ٠٠

٥ - انها غيرت الاستراتيجية العسكرية في العالم كله ، حتى باتت القيادة العسكرية في الدول الكبرى تعكف على دراسة وتحليل حرب رمضان ، كما أوقفت بعضها انتاج بعض الأسلحة التي ثبت عدم جدواها ٠٠

٦ - انها قلبت الموازين العسكرية في العالم ٠٠

٧ - انها حركت أزمة الشرق الأوسط بدرجة لم تحدث في أى وقت مضى ، وأصبح العالم كله شرقا وغربا يتساءل عن حقوق شعب فلسطين (٢) ٠٠ » .

٠٠٠ « ولم يكن هذا النصر العظيم الذى حققه العرب في حرب رمضان خاتمة المطاف للصراع ضد اسرائيل ، فهو لا يعدو مرحلة من مراحلها الكثيرة ، وما زالت أمامنا مراحل تالية نستعد لها بنفس القوة والصلابة حتى نقق هدفنا النهائي (٣) » .

ما أبعد الليلة عن البارحة ٠٠ عندما تخيل صقور المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في يونية ١٩٦٧ « انها الحرب التي أنهت كل الحروب ٠٠ ولم يبق أمام العرب الا التماس المقابلة لتقديم فروض الطاعة ، لا سيما وهم يعرفون رقم الهاتف (٤) ٠٠ » .

(١) الفريق أول أحمد اسماعيل - مجلس الشعب - ٨ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٢) الفريق أول أحمد اسماعيل - قاعة اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي - ندوة

المفتريين المصريين - ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٣) اللواء محمد عبد الفتى الجسى - رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية -

١٥ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٤) الجنرال موسى ديان - وزير الدفاع الاسرائيل - هالرتس - ١٢ يونية ١٩٦٧ .

ان هذا الفارق الكبير فى فهم حقيقة الصراع العربى الاسرائيلى وأبعاده الزمنية والجغرافية والأخلاقية تفصح عنه بوضوح هاتان الفقرتان المبرتان أبلغ تعبير ، وتكشف عن الأصالة العربية فى مواجهة الانتهازية الصهيونية ، هو بعينه نفس الفارق الذى تحدثت عنه جريدة الفيجارو الفرنسية يوم ٩ أكتوبر ١٩٧٣ فقالت ٠٠ « ان الرئيس السادات يدرك بحق أن مصر و خلفها سبعة آلاف عام من الحضارة ، تشببك فى حرب طويلة الأمد مع اسرائيل التى تكافح اليوم كى تعيش غدا ، ثم لا تفكر أبدا فيما قد تصبح عليه حالتها بعد ٢٥ عاما مثلا » ٠٠



ذلك هو الدرس الاول الذى أخرجته حرب رمضان ، عن صراع الأصالة العربية ضد الانتهازية الصهيونية فى أول معركة متكافئة تنشبت بينهما على مدى سجلهما الحربى الطويل ٠٠ « فالعرب يحاربون من أجل السلام القائم على العدل ، واسرائيل تتحدث أحيانا عن السلام ، ولكن شتان بين سلام العدوان وسلام العدل (١) » ٠٠

ان أبرز انجاز حققه العرب فى كفاحهم المسلح ضد الصهيونية الامبريالية على مدى ربع قرن هو ظهورهم على المسرح الدولى بعد حرب رمضان بجهمهم الحقيقى كقوة قادرة على التأثير - بالمنح والمنع - على الواقع العالمى المعاصر ٠٠ وجمعت حرب رمضان صفوف العرب ، وأطلقت الطاقات ، وألغت المسافات والخلافات ، وأصبحت صورة العرب غير الصورة ٠٠ فهم مقاتلون بأسلون ووحدتهم حقيقة واقعة ، وهم مصممون على التحرير والتقدم ، وهم يملكون ناصيتهم ومقوماتهما بلا حدود ، والعدل هو سبيلهم الوحيد الى السلام فى الشرق الأوسط ، بل فى العالم أجمع ٠٠

ولقد غيرت حرب رمضان خريطة الشرق الأوسط التى أراد البعض أن يفرضها بالقوة والبغى على هذه المنطقة العربية الخالصة ، كما أحالت أسطورة جيش اسرائيل الذى لا يقهر الى أقصوصة تثير السخرية حيناً وتبعث على الرثاء أحيانا ، وذلك « بفضل القوات المسلحة المصرية التى قامت بمعجزة على أى مقياس عسكرى ، وبفضل القوات المسلحة السورية التى خاضت معركة من أمجد معارك الأمة العربية تحت القيادة المخلصة والحازمة للرئيس حافظ الأسد ، ولم يكن هناك رفقة سلاح أكثر مدعاة للطمأنينة والفخر من رفقة الجيش السورى العظيم الذى تشرفنا بالقتال معه ضد أمتنا العربية كلها (٢) » ٠٠

لقد حطمت الجيوش العربية الظافرة نظريات ومفاهيم كان العالم

(١) الرئيس محمد أنور السادات

(٢) الرئيس محمد أنور السادات

أجمع قد اقتنع بها لكثرة ما رددتها أبواق الدعاية الصهيونية ، فهذا المقاتل العربي قد استرد مكانته الجدير بها في ساحة الوغي ، وأثبت قدرته على استيعاب كل جديد ومعقد من منجزات العلم والتكنولوجيا ، ثم أثبت بأسه وعلو كعبه في صيغة الحرب وخوض القتال واقتحام الأهوال .. « فكان الجندي المصري يتقدم في موجات تلو موجات ، وكنا نطلق عليه النار وهو يتقدم .. ونحيل ما حوله الى جحيم ويظل يتقدم .. كان لون القناة قانيا بلون الدم .. ورغم ذلك ظل يتقدم (١) » .. »

« .. » وظهر أمامنا جيش عربي يثق في معداته ، ويتمتع بثقة كبيرة في نفسه وقيادته (٢) » .. »

ومن قبل ذلك حطمت القيادة العامة لقواتنا المسلحة فرية أخرى من أباطيل المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، هي أكذوبة قصصور جهاز الأركان العربي في مجالات التخطيط الاستراتيجي والتعبوي ، وضعف قدرته على تنسيق التعاون بين الجبهات العربية المتباعدة ، وأحكام العمل من خطوط خارجية ..

وبانتهاء الحرب كان واحد من أبرز قادة اسرائيل يؤكد لأحد الملاحقين العسكريين الغربيين في تل أبيب « أنه لابد أن نشهد لجهاز التخطيط المصري بالبراعة .. لقد كانت خططهم دقيقة ، وكان تنفيذها أكثر دقة .. لقد حاولنا بكل جهدنا عرقلة عملية العبور ، وصدها بالقوة ورددها على أعقابها ولكننا ما كدنا نتمثل ما حدث الا وقد تحققت لهم نتائج .. كأننا أغمضنا عيوننا وفتحناها فإذا هم قد انتقلوا تحت النار من غرب القناة الى شرقها ، وفاجأونا صباح يوم السابع من أكتوبر بخمس فرق كاملة أمامنا على الضفة الشرقية من القناة (٣) » .. »

وكما حطمت القيادة العامة فرية ضعف جهاز الأركان العربي على التخطيط وتنسيق التعاون واحكام العمل من خطوط خارجية ، حطمت قيادتنا الميدانية دفاعات العدو ، ودمر مقاتلونا البواسل قلاع خط بارليف الحصين فيما لا يتجاوز الست ساعات .. « وقد أمسكت هذه العمليات بالقيادة الاسرائيلية وهي عارية .. وتلك حقيقة لا تقبل الجدل (٤) » .. »

ثم رضخت اسرائيل للواقع الأليم ، واضطرت الى الاعلان عن أنها طردت من خط بارليف على الضفة الشرقية للقناة ، وكانت هذه واحدة

(١) الجنرال شموئيل جوين - قائد جبهة سيناء .

(٢) جريدة هآرتس - ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ .

(٣) الجنرال عوزي تاركيسى .

(٤) توماس تشيتهام - تل أبيب - ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

من أسوأ النكسات العسكرية في تاريخ إسرائيل ، خاصة بعد أن اطمأن الاسرائيليون الى ما أكده لهم صقرهم المختال موسى ديان في ساعات الحرب الأولى من أن النصر رهن اشارته ، وأنه سوف يحزره في بضعة أيام .

ثم لا تمضى هذه الأيام حتى يخرج المختال بتصريح يذهل الجماهير ، فيظنون في ذهولهم لا يفيقون منه ، اذ يقول . . « ان خط بارليف كان مثل قطعة الجبن السويسرى ، به من الثقوب أكثر مما به من الجبن . . » وترتب على هذا العبث بالعقول أن انهارت سمعة ديان نفسه . . « التى أصبحت بها من الثقوب أكثر مما بها من الثقة (١) » .

وتتسع الثقوب في سمعة زعيم المؤسسة العسكرية وطاوسها المختال عندما تضطره الحقائق الى الاعتراف . . « بأن حرب أكتوبر كانت بمثابة زلزال تعرضت له إسرائيل ، ان ما حدث في هذه الحرب قد أزال الغبار عن العيون ، وأظهر لنا ما لم نكن نراه قبلها ، وأدى كل ذلك الى تغيير عقلية القادة الاسرائيليين ، ان أشد أيام إسرائيل العصبية لم تمر بنا بعد ، وعلينا ان نظل صامدين في فترة المحنة التى ما زالت أمامنا (٢) » .

وكما تهاوت سمعة جنرالات إسرائيل وطاوسها المختال، حطمت حرب رمضان نظرية الأمن القومى الاسرائيلى ، وخدعة الحدود الآمنة ، وثبت للعالم أجمع أنها لا تعدو وسيلة شيطانية لمواصلة الغزو والتوسع، ورسم الخرائط الجائرة ، وفرض الأمر الواقع المجحف ، كان صاحب الحق قد غفل عما يمتلك وتركه نهبا لكل نصاب أو افاق زعيم ، حتى أجبر واقع الأمر إسرائيل . . « أن تتخلص من الفكرة القائلة بأن أمنها يمكن حمايته بسياسة تقوم على مجرد الاحتفاظ بالأرض دون برنامج سياسى وراءها (٣) » .

. . « وتحتم على إسرائيل ان تتخلى عن خرافة الأمن العسكرى المطلق عن طريق احتلال الأرض، مع الاعتراف بأن الأمن العسكرى المطلق لدولة ما يعنى عدم الأمن المطلق للدول المجاورة لها (٤) » .

. . « وادراك الاسرائيليون أخيرا أن أمنهم لا يمكن أن يتحقق بمجرد الاحتفاظ بالسيطرة العسكرية ، بعد أن أصبحت هالة دولتهم التى لا تقهر موضع تساؤل (٥) » .

(١) مراسل وكالة يونايتيد برس الترفاشيونال - تل أبيب - ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ .

(٢) الجنرال موسى ديان - وكالات الأنباء - تل أبيب - ٢٥ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٣) الدبلي تلجراف اللندنية - ١٨ أكتوبر ١٩٧٣ .

(٤) السناطور وليم فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ

الامريكى - ١٨ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٥) جيمس شليزنجر - وزير الدفاع الأمريكى - ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ .

لقد اتاحت حرب رمضان ثمارا كثيرة لامة العرب ، وفي عدة ميادين :

● **ففى المجال الدولى** كان السادس من اكتوبر نقطة التحول فى علاقة العرب بالعالم اجمع ، اذ فرضوا على الكافة احترامهم وحساب بأسهم ، وأظهروا للجميع أنهم أمة عريقة ذات ماض تليد وحاضر مجيد ومستقبل مشرق بالأمل والرفعة ..

.. « وأصبح الاسرائيليون من الجندى الذى يقف على خط النار الى الوزير فى الحكومة ينظرون الى العرب نظرة مختلفة بعد حرب رمضان (١) .. » .

.. « ودخل العالم نتيجة لحرب اكتوبر - فى مرحلة اقتصادية جديدة ، ولن تعود أحوال العالم الى سابق عهدها قبل هذه الحرب (٢) .. » .

معركة البترول

فلم يحدث من قبل ان ارتبطت القضايا العربية بالقضايا الأوربية كما ارتبطت بفضل حرب رمضان ، التى زلزلت الاقتصاد الغربى ، وفجرت أزمة الطاقة العالمية وعقدت الأزمة النقدية ، وهددت الانتاج العالمى ، وأثرت على الحياة اليومية للملايين البشر ، ونالت من تضامن حلف الأطلسى ، وفجرت التناقضات بين أوروبا وأمريكا ..

وبفضل حرب البترول التى واكبت حرب رمضان ادركت أوروبا واليابان ان التسوية السلمية لازمة الشرق الاوسط تشكل ركيزة الاساس لمصالحهم الحقيقية ، خاصة وقد استبان لهم ان العرب مثلما يملكون قدرة النصر يملكون ايضا البترول « والبترو دولار » بما لهما من تأثير على الاستراتيجية العالمية ، وأثبت العرب انهما يمكن أن يكونا أقوى تأثيرا من الطاقة الذرية ..

وحتى يتضح الفارق الغرب بين سلاح البترول قبل حرب رمضان وبعدها فلنلقى نظرة على كتاب ايجال آلون «ستار من الرمال» حيث يقول فى الصفحة ٥٩٥ :

« وبالنسبة للبترول العربى فقد اتضح للعالم بعد حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ أن الدول العربية أشد حاجة الى تسويق بترولها فى السوق الأوربية عن حاجة أوروبا الى هذا البترول العربى ، ولهذا جاءت محاولة العرب وقف ضخ بترولهم فى أعقاب الجولة الثالثة بالفشل اذ

(١) تيرنس سميت - مراسل وكالة ن.ي. ت - تل ابيب - ٢ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٢) بيير ميسير - رئيس وزراء فرنسا - ي.ب. ١ - باريس - ٧ يناير ١٩٧٤ .

حطمت الدول العربية هذه المقاطعة بنفسها ، ثم اضطرت أن تعترف تدريجيا « أن البترول سلعة للمتاجرة وليس سلاحا للحرب » ..

ثم وقعت حرب رمضان، وادارالعرب معركة بترولهم باستراتيجية واعية ففتح سلاح البترول عيون العالم على كثير من حقائق الصراع العربى الاسرائيلى ، وفى مقدمتها أن العرب قادرون على نفع الصديق وضر العدو ..

وأثبت العرب أن قوتهم الذاتية هى الضمان الاكيد لتحقيق السلام العادل فى الشرق الاوسط ، وانها قوة عسكرية واقتصادية جبارة وان سلاح البترول من أمضى اسلحتها ..

ان المعركة الرائعة التى خاضها العرب بحكمة واتزان ، اعترف العالم اجمع انها حولتهم الى قوة دولية سادسة بعد أمريكا والاتحاد السوفيتى وأوروبا والصين واليابان .

وحرب البترول هى التى شاركت حرب رمضان فى صنع عالم جديد ، تختلف مقاييسه وموازينه اختلافا كاملا عن عالم ما قبل حرب رمضان ، بحسب وصف ايجال آلون سالف الذكر .

ولا يزال العالم مبهورا بالحكمة والدهاء والمرونة التى استخدم بها العرب سلاح البترول منذ أصدر مؤتمر الكويت يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ قراره بتخفيض الانتاج ٥٪ على أن يستمر التخفيض شهريا بعد ذلك حتى تنسحب اسرائيل من الاراضى المحتلة ..

وفى أوائل نوفمبر من العام نفسه اجتمع وزراء البترول العرب مرة ثانية فى الكويت وقرروا تصعيد استخدام البترول كسلاح سياسى لتدعيم قضيتهم بتخفيض الانتاج بنسبة ٢٥٪ وحظر تصديره الى أمريكا وهولندا مع استمرار تخفيضه بالنسبة لباقى الدول المستوردة بنسبة ٥٪ ..

وكان وراء هذا التدرج فى استخدام سلاح البترول بصورة عاملة وحكيمة ثلاثة اعتبارات أساسية هى :

١ - ان الحرب مع اسرائيل قد تطول ، ولهذا صار الأوفق توفير طلقات أخرى فى مخزون ترسانة البترول يمكن استخدامها تباعا حسب تطور القتال فى الميدان ..

٢ - ان الدول الصديقة والمتعاطفة معنا لن تضار ..

٣ - ان الدول العربية التى تحملت العبء المادى المباشر فى الحرب يجب أن تأخذ دعما من ارباح البترول العربى حتى تواصل الجهاد بكل القوة ..

ومن مجموعة البدائل المتاحة اختارت الدول العربية سياسة

خفض الضخ بنسبة مؤثرة وبحيث يصعب على الدول غير العربية تعويضها ، مع دراسة استهلاك أوروبا الحقيقي حتى لا يعاد تصدير أى فائض الى الولايات المتحدة أو هولندا ..

وتظهر أرقام الضخ أن التخفيض بلغ قدره ٦ ملايين و ٢٠٩ ألف برميل فى اليوم أسهمت فيه ثمان دول عربية كالآتى :

٣ مليون و ٧١٩ ألف برميل	المملكة العربية السعودية
٧٨٥ ألف برميل	الكويت
٦٠٠ ألف برميل	ليبيا
٤٠٠ ألف برميل	دولة الامارات العربية
٢٧٧ ألف برميل	الجزائر
١٥٠ ألف برميل	قطر
١٦٠ ألف برميل	مصر
١٢٠ ألف برميل	سوريا

أما العراق فكان له موقف خاص ..

وسرعان ما قطف العرب ثمار معركة البترول .. اذ تحركت دول أوروبا الغربية وأصدرت قراراً جماعياً يطالب بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضي التي احتلتها وفصلت نفسها انفصالا كاملاً عن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ..

ثم أسرع اليابان لتتخلى عن « حياضها » ، وتعلن انحيازها للعرب ولتشترك بصورة جدية فى عمليات تنمية الدول العربية .

ثم تحركت الولايات المتحدة نفسها ، وراحت تبحث عن حل لأزمة الشرق الأوسط بعد سبع سنوات من اقرار حالة اللاسلم واللاحرب ، وبعد أن كانت تضع أزمة الشرق الأوسط فى قاع قائمة اهتماماتها ، قفزت بها الى القمة ، وراح وزير خارجيتها يمارس سياسة « المكوك » ليجد لها حلاً عادلاً ومقبولاً ..

وكان لمعركة البترول وجه آخر لا يقل عن استخدامه كسلاح فى معركة التحرير .. اذ انتهزت الدول المنتجة له والمشاركة فى منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) الفرصة ودخلت معركة ضارية مع الاحتكارات البترولية العالمية ، والدول الصناعية التى بنت حضارتها على الطاقة الرخيصة التى تحصل عليها من العرب لتعود وتبيعهم منتجاتها بأبهظ الأثمان ..

وحقق الوجه الثانى للمعركة نصراً حاسماً أيضاً .. اذ استطاعت دول البترول أن تفرض له سعراً عادلاً ، فرفعت سعر البرميل منه من دولارين و ٩٠ سنتاً وهو سعره فى أول يونية ١٩٧٣ - الى ٥ دولارات و ١٢ سنتاً فى ١٦ أكتوبر ، الى ١١ دولار و ٦٥ سنتاً فى أول يناير ١٩٧٤ .

وكان ذلك خيرا وبركة على العالم العربي بأسره ، وثمرة أخرى من ثمار حرب رمضان المجيدة ..

● وفي المجال العربي كان السادس من أكتوبر علامة فخر على طريق التجمع العربي الجاد ، إذ أظهر أصالة معدن العرب ، وكشف عن متانة العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، التي تجمع شملهم . وتأكد إصرار العرب كافة على حمل المسؤولية التاريخية ، والاستعداد للبدل والفداء ، حتى يتم تحرير الأرض ، كل الأرض ، واستعادة الحقوق ، كل الحقوق ، وتحقيق النصر المؤزر .

« لقد جاءت حرب رمضان بفجائية لا يدانيها غير الأداء العسكري العربي الممتاز ، ووجد مائة مليون عربي أنفسهم أمام حقيقة عزيزة على أنفسهم هي الوحدة . ومهما يكن ، فإن السبب الرئيسي لهذه الوحدة العربية هو بوضوح وقبل كل شيء ذلك النجاح العربي الذي تحقق لهم في ميدان القتال ، وفي فرض الحظر العربي على امدادات البترول(١) » .

.. « كما استعاد الجيشان المصري والسوري شرفهما ، وهذا عامل جديد سوف يؤثر على المستقبل في الشرق الأوسط كله (٢) » .

● وفي معسكر العدو حدث تفكك كبير في سلسلة القيادة الاسرائيلية ، وتفسخ خطير في روابط الثقة بين الحاكم والمحكوم والقائد والمروءوس ، ورغم عما يدعيه مقر القيادة العامة الاسرائيلية بعد المعركة من أنه كان في حالة تأهب تام قبل اندلاعها .. فالواضح ان القوات الاسرائيلية على الجبهتين الشمالية والجنوبية لم تبلغ بشيء اذا كان قائد جبهة سيناء يتمتع بأجازته حتي بدأت الحرب

وبالنسبة للكثير كان أول ما عرفوه من مظاهر الحرب هو نيران المدفعية الكثيفة التي انهالت عليهم ، وانطلاق طائرات الميج فوق رؤوسهم في هجوم مباغت .. ولم يكن الجنود وصغار الضباط هم وحدهم الذين فوجئوا وقد نشروا غسيلهم على خطوط الجولان وبارليف ، بل كان الأمر كذلك بالنسبة للجنرالات ، إذ أنهم بعد نجاحهم في حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ تملك الاسرائيليون احساس بالغرسة والزهو الكاذب ، وقد لعب المصريون بمهارة على نقطة الضعف هذه ..

.. « لقد ثارت اتهامات مريرة ضد الجيش الاسرائيلي على أساس أن تقديرات المخابرات والسلطات العسكرية لم تكن خاطئة فحسب ، بل أن أجهزة الدفاع الاسرائيلي نفسها كانت منحلة ، لقد كان النظام يقتضي أن تتم التعبئة خلال ٢٤ ساعة ، وأن يرسل المقاتلون الى جبهات القتال خلال ٤٨ ساعة ولكن التعبئة جرى خفضها زمينا الى

(١) مجلة نيوزويك - ١٧ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٢) درو ميدلتون - الخبير الأمريكي في شؤون الشرق الأوسط - وكالة . ي . ت -

١٤ أكتوبر ١٩٧٣ .

٦ ساعات فحسب ، بسبب نجاح العرب في تحقيق المفاجأة الكاملة ، وعلى ذلك لم يعد من المدهش أن تعم الفوضى قوات الدفاع الاسرائيلي (١) .. » .

.. « ان اول ما يجب علينا عمله هو ان نعيد بناء جهاز مخابرات اسرائيل حتى يستطيع الحصول على معلومات سليمة ودقيقة (٢) » .

.. « اذ فاجأتنا حرب اكتوبر على نحو لم تكن نتوقعه ، ولم تحذرنا أية حكومة أجنبية بوجود أى خطط محددة لأى هجوم عربى (٣) .. » .

.. « ولم يكن تقييماً لمدى كفاءة العرب وقدرتهم القتالية سليماً ، رغم اننا كنا نعلم مقدماً بطبيعة أسلحتهم وحجم قواتهم ، وبالجسور التى اعدوها لعبور السويس (٤) .. » .

.. « ومنذ أن سرى مفعول وقف اطلاق النار تبادلت الاحاديث مع عشرات من الجنود والشخصيات فى القيادة العسكرية والسياسية وقد توصلت من خلال هذه الاحاديث الى عدد من النتائج المحزنة :

♦ **فأولاً :** نشأ انقسام واضح بين غالبية القيادة السياسية والعسكرية وبين جماهير الشعب والجنود ، فالذين فى القمة لا يحسون كما ينبغى بمشاعر الشعب ، ولا أقصد بقولى الجبهة الداخلية المتأرجحة من النقيض الى النقيض فقط ، بل أيضاً جمهرة الجنود النظاميين والاحتياطيين ، الذين بقيت فى اذهانهم أسئلة لا حد لها ، لا يجدون أجوبة لها ..

♦ **وثانياً :** لم أجد شخصاً فى القيادة مستعداً لأن يستخلص فوراً النتائج الشخصية فيما يتعلق بالتقصير الذى حدث ويستقيل ، وليس ثمة شخص يفكر فى الذهاب ، والمتحدثون يتكلمون عن امكان ذهاب الآخرين لا ذهابهم هم .. واحدى النتائج الناجمة عن هذا الوضع هى الانقسامات الجديدة التى نشأت فى القمة .. فالأشخاص ينظّمون أنفسهم للحماية المتبادلة . والحقيقة هى أن المتورطين فى التقصير أخذوا يجمعون مادة للدفاع عن أنفسهم كل شخص يخشى زميله . ونشأت ظاهرة هى أن ادانة الغير وتجريم الآخرين اذا تطلب الأمر ، انهم يجمعون وثائق وأشرطة تسجيل ويشحذون ذاكرة الشهود ..

(١) ونستون تشرشل الحفيد - مؤلف كتاب حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ .

(٢) الحاخام ابراهيم كاهان - جريدة هاموديع - ١٩ أكتوبر ١٩٧٣ .

(٣) هنرى كيسنجر - وزير خارجية الولايات المتحدة - ٢٨ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٤) الجنرال موسى ديان - تل أبيب - ٢٩ ديسمبر ١٩٧٣ .

♦ وثالثا : ان الاستقصاءات والتحقيقات التي تمت حتى الآن يغلب عليها طابع استخلاص دروس تثقيفية ، كما لو ان مناورة كبرى قد انتهت توا وحدثت فيها أخطاء معينة ، وليس هذا تحقيقا هدفه تحديد التقصير واكتشاف المسؤولين عنه ، ومن الصعب فهم لماذا لم يفصل رئيس الأركان هذا القائد أو ذاك ممن فشلوا في تأدية واجباتهم ، وفضلا على ذلك فيبدو أن سير التحقيق بطيء ، وليس نشطا بالدرجة المطلوبة (١) . . . » .

ثم صدر تقرير لجنة تقصى الحقائق في اول ابريل ٧٤ فكان اشد دويا من القنبلة .

وهي اللجنة التي شكلت برئاسة الدكتور شمعون اجرانات رئيس المحكمة العليا وعضوية موشيه لنداو قاضي المحكمة العليا والدكتور اسحاق نفتالي مراقب الدولة ، والجنرال بيجال ايادين ، والجنرال حاييم لاسكوف رئيسا الأركان العامة السابقين ، فكان مما وجهته من اتهامات خاصة بأوجه القصور التي تسببت في هزيمة القوات المسلحة الاسرائيلية في الجولة الرابعة الآتى :

١ - « ان مصر وسوريا فاجأت اسرائيل يوم السادس من أكتوبر الساعة ١٤٠٠ بالحرب ، وذلك لان القيادة الاسرائيلية العليا السياسية والعسكرية لم تقدر حتى ساعات الصباح الباكر من ذلك اليوم ان حربا شاملة على وشك الاندلاع . . وفي الصباح عندما أصبح واضحا ان الحرب سوف تشتعل فورا افترضت هذه القيادة العليا خطأ انها لن تبدأ قبل الساعة ١٨٠٠ (السادسة مساء) . وتقع هذه الأخطاء الجسيمة في التقديرات على عاتق شعبة المخابرات برئاسة الأركان العامة وعلى قسم الأبحاث في المخابرات الحربية اذ أخفقتا في توفير الانذار الكافي للقوات المسلحة الاسرائيلية عن نوايا العدو (مصر - سوريا) .

٢ - وعندما أعلن رئيس المخابرات الحربية الاسرائيلية ان مصر وسوريا تزعمان شن الحرب في الساعة ١٨٠٠ مساء على الجبهتين الشمالية والجنوبية ، لم يمكن هذا الانذار القصير المدى أجهزة التعبئة الاسرائيلية من حشد الاحتياط بصورة منظمة ، واقتضى العمل بسرعة دون التقيد بالجدول الزمنية مسبقة التجهيز ، وادى هذا الخطأ الثانى الى مزيد من الارتباك في استعداد القوات الاسرائيلية النظامية على مختلف الجبهات وكذا الارتجال والعفوية في نشرها في المسرح وخاصة على جبهة قناة السويس . .

٣ - لقد كانت هناك في الواقع ثلاثة أسباب جوهرية لهذا الفشل

(١) زيف شيف - الناقد العسكري لجريدة هآرتس الاسرائيلية - ٢٠ نو حبر

الجسيم انبعثت كلها من تمسكنا بتزمت بذلك التصور الخاطئ،
والذي لم يكن هناك في الحقيقة ما يبرره ، والذي يقضى بأن :

(١) مصر لن تشن حرباً على إسرائيل الا بعد أن تضمن لنفسها
العمق ، وخصوصاً مطارات إسرائيل الرئيسية وقواعدها

الجوية حتى تتمكن من شل سلاح إسرائيل الجوي .
بالدرجة الأولى القدرة الجوية على مهاجمة إسرائيل في

(ب) سوريا لن تشن هجوماً شاملاً على إسرائيل الا في وقت واحد
مع مصر ، وطالما أن مصر لم تتوفر لها القدرة الجوية على
مهاجمة مطارات وقواعد إسرائيل في العمق فإن سوريا
بالتبعية لن تجرؤ على خوض القتال ..

وثاني هذه الأسباب الثقة المفرطة لدى جهاز المخابرات -
والتي لم يكن لها أساس - في قدرته على اعطاء الانذار
المسبق للتعبئة . وثالثها أن المخابرات العسكرية الاسرائيلية
فشلت في تقدير المعلومات وتحليل حشود العدو على جبهتي
القناة وسوريا بالحجم الذي لم يسبق له مثيل ، وراحت
تؤكد ان كل هذه الاجراءات انما هي استعدادات دفاعية
من جانب سوريا ، واجراءات مناورة الخريف المعتادة من
جانب مصر .. وبهذا تمادى جهاز المخابرات الاسرائيلية في
الخطأ واستطاع العدو تضليل جيش إسرائيل ومفاجأته
تحت قناع مناورة الخريف المزعومة .

٤ - ولم تكن أخطاء جهاز المخابرات العسكرية الاسرائيلية هي الأخطاء
الوحيدة التي أربكت تحركات جيش الدفاع الإسرائيلي في بداية
الحرب ، بل أضيفت اليها أخطاء في استعداد الجيش خلال الأيام
القليلة السابقة على السادس من أكتوبر أدت الى :

(١) تأخير الاحتياط بصورة لا مبرر لها .

(ب) اهمال اعداد خطة دفاعية مسبقة التحضير يصير اتباعها في
حالة الاضطراب الى الاعتماد على القوات النظامية فقط في
هجوم العدو - مصر وسوريا - اذا ما نجحتا في مفاجأتنا
قبل أن نستكمل تعبئة قواتنا الاحتياطية .

(ج) قصور نشر القوات المدرعة على جبهة القناة وتقاعس قائد
المنطقة العسكرية الجنوبية (سيناء) عن اصدار توجيهاته
الى المروسين بالقدر الذي يرشدهم الى مهامهم القتالية
وتأهيمهم لمواجهة الهجوم الأمر الذي ترتب عليه أن ساد
الغموض أرجاء الجبهة كلها .

وفي راي هذه اللجنة ان رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية
يتحمل كل المسؤولية عن الخطا الفادح جداً الذي ارتكبه جهاز المخابرات
ولهذا السبب لا يصح أن يبقى في منصبه بعد اليوم .

كما توصلت اللجنة الى اتفاق على ان رئيس الأركان العامة الجنرال دافيد اليماز يتحمل بدوره مسئولية شخصية لما حدث عشية الحرب بالنسبة للخطأ في تقدير الموقف والقصور في تعبئة وحشد القوات المسلحة الاسرائيلية والاهمال في وضع خطة منفصلة تكون معدة مسبقا لمقابلة أى هجوم تشنه مصر أو سوريا ضدنا على اساس تقدير واضح لقوات العدو وتأهبه وتوياه . لقد وثق رئيس الأركان العامة بصورة مبالغ فيها وبأنه سوف يحصل دائما على انذار كاف لتعبئة الاحتياط ، وإذا ما أضفنا الى ذلك التصور الخاطئ الذي لم يكن هناك في الواقع ما يبرره وتلك الثقة المفرطة والمبالغ فيها في قدرة القوات المسلحة الاسرائيلية على صد وتدمير أى هجوم عربى شامل ضدها على الجبهتين بواسطة القوات النظامية .. **وازاء هذا الاهمال والتصور نرى من واجبنا التوجيهى بانهاء تولى الجنرال دافيد اليماز منصب رئيس الأركان العامة لاسرائيل ..**

وفي رأى اللجنة ايضا أن الجنرال شمويل جوينين قائد المنطقة كما ينبغي في اليوم الذى بدأت فيه الحرب ولا مما سبقه من أيام . وهو العسكرية الجنوبية (جبهة سيناء) لم يمارس سلطاته أو مسئولياته يتحمل جزءا كبيرا من المسئولية عن الوضع الخطير الذى دهم فيه العدو - مصر - قواتنا فى الجبهة الجنوبية يوم الغفران عندما بدأت مصر هجومها .. وينطبق على الجنرال شمويل جوينين نفس القرار الذى اتخذناه حيال رئيس الأركان العامة .. أن اهماله وتقصره قبل الحرب ويوم اندلاعها تجربتنا على اتخاذ القرار الخطير باعفائه من منصبه .

ان الحقيقة التى توصلت اليها اللجنة هى أنه حتى بدء اطلاق النار من العدو على امتداد جبهة القناة لم تكن القوات الاسرائيلية قد انتشرت أو اتخذت أوضاع المعركة بعد .. وعندما اشتعلت الحرب كانت قواتنا على مسافة بعيدة من خط انتشارها النهائى فى الامام .. وعندما بدأت مدرعاتنا تتقدم نحو القناة اصطدمت بكمانين من مشاة العدو المسلح بالمدافع والصواريخ المضادة للدبابات كان أفرادها قد تمكنوا من اتخاذ مواقعهم بمهارة بين دباباتنا وخط المياه ، كما احتلوا الجانب الشرقى للقناة وصبوا نيرانهم المحكمة على دباباتنا فعطلوها وضربوها بشدة .. لقد برر الجنرال شمويل جوينين ذلك الأمر البائس بعدم نشر مدرعاته كما ينبغي وفى الوقت الملائم بخوفه من استثارة العدو ودفعه الى بدء القتال دون تخطيط مسبق . وقال ايضا انه خشى أن يقصف العدو - مصر - دباباتنا قصفا مركزا بالدفعية لو أنه نشرها مبكرا في مواقع المعركة .. وفى رأينا ان هذه المخاوف لا تبرر بأى حال من الأحوال تأجيل فتح قوات المنطقة الجنوبية وهو خطأ فاحش ارتكبه الجنرال جوينين وادى الى نتائج وخيمة جدا ..

كان يوم الغفران يوما حرجا على أى حال اذ واجه الجيش الاسرائيلى تحديا من أصعب التحديات التى يتعرض لها أى جيش

نتيجة الوضع الخطير الذي كان قائما عندما بدأت الحرب وبسبب الأخطاء التي ارتكبت في تلك الجولة والتي سبق تفصيلها » .

(مستخرج من التقرير الصادر عن لجنة اجراءات التحقيق في تفصيل واطاء القيادة الاسرائيلية . صدر في القدس في ١٩٧٤/٤/١)

الآثار الاجتماعية لحرب رمضان على المجتمع الاسرائيلي :

من الحقائق المعروفة ان التاريخ لا يعرف الوقوف عند زمن محدد يكون فاصلا حاسما بين حقبتين مختلفتين ، ذلك لأن مجراه الديناميكي المتتابع ، تتفاعل في تياراته عناصر شتى بصورة مستمرة ، حيث يتصارع القديم مع الجديد في حركة جدلية لا تتوقف ابدا . وعلى ذلك، يمكن القول ان تيارات التغير المرتقبة في المجتمع الاسرائيلي لابد لها ان تحمل طابع التكامل والتناقض ، والاستمرار والانقطاع من خلال عملية مستمرة ابدا .

في ضوء ذلك ، يمكن القول ان التغيرات المرتقبة لحرب رمضان على المجتمع الاسرائيلي ستأخذ صورة او أكثر من صور العمليات الاجتماعية التالية :

- ١ - فهي اما أن تكون دعما لعمليات كانت تأخذ مجراها فعلا في المجتمع الاسرائيلي قبل عام ١٩٧٣ .
- ٢ - واما أن تكون انقطاعا في عمليات اجتماعية كانت سارية .
- ٣ - واما أن تكون أخيرا ظهورا لعمليات اجتماعية ولظواهر لم تكن موجودة من قبل في المجتمع الاسرائيلي ، أو كانت - على الأرجح - كامنة ثم كشفت عنها بوضوح حرب رمضان .

التغيرات المرتقبة في المجتمع

يمكن القول أن قيام حرب رمضان أدى الى اختلال الموازين الاسرائيلية والدولية اختلالا بالغ العنف ، اذ انتقل الصراع المتجمد الى الصدارة في سلم الاهتمامات العالمية .

لقد كانت حرب رمضان - بتعبير عالم الاجتماع الفرنسي الصهيوني المعروف ريمون آرون في مقال نشره في الفيجارو بتاريخ ١٩٧٣/١١/٦ - من اكبر مفاجآت العصر .

وهذا الحكم فى الحقيقة يتضمن معنى التسليم الأعمى بالادعاءات الاسرائيلية عن ضعف العرب وانهيارهم واستسلامهم للامر الواقع ، الذى تهيم عليه اسرائيل .

والحقيقة انه ترتب على تراجع الجيش الاسرائيلى امام الجيوش العربية ، وارتفاع عدد خسائره البشرية ، أصداء بالغة العنف فى المجتمع الاسرائيلى .

وفى تقديرنا ان هناك تغيرا جوهريا سيطرأ على المجتمع الاسرائيلى نتيجة لهذه الحرب ، يتمثل فيما يمكن ان نطلق عليه التغير الجوهري فى الأطار الإدراكي للاسرائيليين ، ومن ناحية أخرى لابد ان تترك الحرب بصماتها على عمليات التفكك والتكامل فى المجتمع الاسرائيلى التى كانت تأخذ مجراها قبل الحرب .

التغير الجوهري فى الأطار الإدراكي للاسرائيليين :

لعل الأطار الإدراكي للاسرائيليين - فيما يتعلق بالصراع العربى الاسرائيلى - يتمثل أكثر ما يتمثل فى النظرة للذات والنظرة للآخر ، والآخر هنا هم العرب بطبيعة الأحوال . والنظرة الاسرائيلية للذات تتضمن تصورا محمدا للدولة اسرائيل : دورها ورسالتها ، ومن ناحية أخرى صورة ذاتية عن الاسرائيلية كإفراد وكشعب ، وأمل السمة الأساسية لتصور اسرائيل لدورها ورسالتها كونه تصورا يسيطر عليه الوعى الذاتى بكل ما تعنيه الكلمة من معان .

فقد ألحت اسرائيل على تقديم صورة لنفسها امام العالم الغربى باعتبارها مثالا للحضارة الغربية وللتقدم التكنولوجى فى العالم العربى الذى يسوده التخلف . ومن ناحية علاقات القوة ، فاسرائيل هى المخفر الأمامى للمصالح الغربية بوجه عام والأمريكية بوجه خاص . ومن خلال قواتها العسكرية أعطت لنفسها دور «رجل الشرطة» فى المنطقة الذى ستطيع حينما يشاء وحيشما يريد ردع العرب واخضاعهم .

أما رسالة اسرائيل فهى رسالة روحية منفردة فى العالم ، لا يمكن لاي شعب تحقيقها سوى الشعب اليهودى فى اسرائيل . أما الصورة الذاتية للاسرائيلية عن أنفسهم كإفراد وكشعب ، فسيطر عليها الاحساس بالتميز ، حيث يشعرون فى قرارة أنفسهم بسموهم على غيرهم من الشعوب ، وعلى الشعب العربى - الطرف الآخر فى الصراع - بوجه خاص .

لقد وضع الاسرائيليون ثقتهم فى قادتهم السياسيين والعسكريين ، وتضخمت ذواتهم بوجه خاص عقب الانتصار الاسرائيلى الكاسح فى يونيو ١٩٦٧ وأصبحوا يتصورون انهم أصبحوا سادة المنطقة الى الأبد .

لكل ذلك كانت حرب رمضان وما صاحبها من تراجع للجيش الاسرائيلي ، وبروز للقوة الحقيقية للجيش العربي ، بمثابة الصدمة الساحقة التي أصابت الاسرائيليين بالبلبله ، والحيرة والاضطراب .

ولعل ابلغ وصف لهذه الحالة النفسية ما ذهبت اليه جريد يديعوت احرونوت من « اننا نحس كما لو كنا نعيش بعد زلزال أصاب بلادنا » .

ومما له دلالة كبرى بهذا الصدد ، تقطع وسائل الاتصال التقليدية في المجتمع الاسرائيلي ، فقد أحس الاسرائيليون انهم لا يستطيعون التعبير عن انفسهم من خلال القنوات المعتادة : الأحزاب السياسية والمؤسسات الاجتماعية .

ومن هنا برزت ظاهرة ليس لها سابقة من قبل في اسرائيل ، هي ظهور اعلانات مدفوعة في الجرائد الاسرائيلية لجماعات مختلفة من الاسرائيليين ، يعبرون فيها كل بطريقته وبحسب ميوله وآرائه السياسية عن ردا فعلهم العنيف ازاء ما حدث لاسرائيل في حرب رمضان . وتراوحت ما تنادى به هذه الاعلانات بين الدعوة الى مزيد من التشدد ، والمناداة بضرورة تحقيق السلام ولو على حساب الأراضي العربية المحتلة .

وظهرت فجوة واضحة بين الجماهير والحكومة ، حدثت فجوة تصديق ، كشفت عنها المظاهرات التي ثارت امام الكنيست اثناء اللقاء جولدا مائير لخطاب لها ، وكان من شعاراتها « ان شعب اسرائيل قوى، ولكن حكومته ضعيفة » .

وابتدأت بوادر تهاوى الوعى الزائف بدور اسرائيل ، فيما بدا يظهر من مقالات لكتاب يهود واسرائيليين يتحدثون بصراحة عن « نهاية دولة اسرائيل الكبرى (١) .. » .

ويقرر سيجلمان ان « عقد الدولة الاسرائيلية الكبرى التي تقف في مواجهة جيرانها العرب ، والتي كانت راسخة تماما ، ومستحكمة للغاية ، ومنذ مالا يزيد عن شهرين ، اختفت هذه الدولة تماما ، بدون ان تخلف أية آثار » .

وفي نفس هذا الاتجاه صرحت جولدا مائير في مؤتمر الدولية الاشتراكية في لندن « انه لأمر فظيع أن نكون دولة صغيرة تقف بمفردها » غير أنه ينبغي ألا يغيب عن بالنا أن اسرائيل دأبت على ممارسة اللعب على الفكرتين حسب الظروف والأحوال : اسرائيل الكبرى واسرائيل الصغرى .

(١) فيكتور سيجلمان - لوفول أويزرغاتور الفرنسية - ٢٥ نوفمبر ١٩٧٣ .

ولا تعنى الكتابات والتصريحات السابقة ان الاحلام الخاصة
بإسرائيل الكبرى قد تبلدت ، ومع ذلك فمن المشروع أن نستنتج أنه
نتيجة لحرب رمضان لابد أن تثور تساؤلات جماهير الاسرائيليين حول
امكانية السر في طريق إسرائيل الكبرى ، بعد ما تبين - نتيجة لحرب
رمضان - الحدود الدولية والاقليمية التي تقف حائلا دون تحقيق هذا
الحلم ، ليس على مستوى المناقشة النظرية ، ولكن على أساس
التطبيق ، وفي ضوء ما حدث في الحرب الأخيرة .

وأهم ما نريد أن نركز عليه أنه قد حدث خلل جسيم في مكونات
الآطار الإدراكي للاسرائيليين نتيجة لحرب رمضان . غير أن الاسرائيليين
لا يمكن لهم - من وجهة النظر النفسية - تغيير اتجاهاتهم أزاء أنفسهم
وأزاء العرب في فترة قصيرة .

ولذلك نتوقع أن الوعي الاسرائيلي سيمر في المرحلة القادمة في
مرحلة انتقالية غير محددة الملامح ، سيحاول فيها إعادة صياغة مكوناته
الأساسية . في هذه المرحلة سيقاوم الاسرائيليون قبول الحقائق
الجديدة التي أسفرت عنها الحرب ، وسيتمسكون بين أقصى التمسك
بالمفاهيم القديمة ، الى أقصى القبول اللفظي للواقع الجديد .

ولعل ما يكشف عن ذلك كله ما يقرره فيكتور سيجلمان في المقال
السابق الإشارة اليه ، من أنه « إذا كان القادة الاسرائيليون يدعون أن
إسرائيل قد انتصرت في الحرب ، فإن الاسرائيليين أنفسهم لا يشعرون
بانهم انتصروا على الإطلاق » .

ويتساءل من اتجاه الاسرائيليين نحو السلام فيقول « أنهم
يريدونه ، بل يتمنونه ، ولا يكفون عن الحديث عنه ، ولكنهم لا يؤمنون
به » وإذا أردنا تحديد اتجاهات التغيير في الوعي الاسرائيلي ، نتيجة
للصدمة السيكولوجية التي نشأت عن حرب رمضان والتي استمرت
طوال الحرب ، فيمكن القول ان الحرب أدت الى تكثيف اتجاهين فوريين
في الفكر الاسرائيلي .

١ - فمن ناحية تزايد الشعور بالحاجة الى تسوية سلام حقيقية
ودائمة ، بعد فترة كان الرأي العام في إسرائيل ، قد ركن الى حد
كبير الى اعتقاد مريح بأن إسرائيل يمكنها أن تقف صامدة على
حدود الأمر الواقع التي تم تأسيسها في عام ١٩٦٧ .

٢ - ومن ناحية أخرى ، فإن الجرح الذي أصاب إسرائيل ، قد دعم
مطالب أولئك الذين يتحدثون عن الحدود الآمنة التي يمكن
الدفاع عنها .

ويقرر ريتشارد جونز في مقاله « ثمن السلام قد يكون سقوط
مثير في الانتخابات (١) » . ، ان هذان التياران الفكراني غالبا ما
يتعايشان ، ويمكن تجمعهما في فكر شخص واحد بدرجة أو بأخرى .

(١) الغاينانشال تايمز البريطانية - ٩ نوفمبر ١٩٧٣ .

ولكن عندما أصبح الامر يتعلق - فى الوقت الراهن - بمفاوضات سلام كبيرة ينبغى النظر اليهما على انهما تياران متعارضان .

ويصل جونز الى نتيجة مفادها انه سيكون لكيفية حل هذا التناقض وحقيقة التعبير عنه ، مدلول حيوى بالنسبة لفرص السلام فى الشرق الاوسط .

ونستطيع جريا - مع بعض المعلقين السياسيين - التفرقة بين المدى القصير والمدى الطويل فى تغير اتجاهات الوعى الاسرائيلى ازاء الصراع ، ذلك على أساس أن عامل الزمن حاسم فى هذا المجال (١) .

فعلى المدى القصير ، قد يجد دعاة التوسع مساندة واسعة فى الراى العام الاسرائيلى .

اما على المدى الطويل ، فقد تسود مع ذلك وجهة النظر المعارضة ، التى يمكن أن تستند الى أن حرب رمضان قد أثبتت أن خطوط ١٩٦٧ ليست آمنة كلية ، وأنه لا يمكن تحقيق أمن اسرائيل الا بعد التوصل الى سلام حقيقى ، وأن الحفاظ على الوضع الراهن يعمل ضد السلام .

هذه التفرقة بين المدى القصير والطويل اساسية ، ذلك انها يمكن أن تتيح لنا أن نفهم بعض الظواهر النفسية الاجتماعية السائدة الآن فى المجتمع الاسرائيلى .

فبناء على قياسات الراى العام التى أجريت فى اسرائيل عقب الحرب ، استخلص بعض المعلقين السياسيين (الصنداي تايمز البريطانية - ١٩٧٣/١١/٤) ان الراى العام الاسرائيلى - فى الأمد الطويل - سيحبذ « الحمائم » الذين يدعون الاعتدال .

غير أن اثر الحرب كان عاملا قصير الأمد فى تشدد الراى العام . فان كثيرين من الاسرائيليين فوجئوا فى نهاية حرب بالغة القسوة على اسرائيل ، بانصراف العطف الدولى عنهم ، فشعروا بأنهم معزولون محاصرون .

ومن الطبيعي فى هذه الأحوال - بدون أدنى شك - أن يسعى الشعب المحاصر الى البحث عن بطل يتوحد معه ، وفى هذا المجال لعب الجنرال ارييل شارون ، دور فارس الحرب الاصيل ، الذى قلب ميزان المعركة لصالح اسرائيل .

غير أنه فى يقيننا ، انه لا يمكن رصد اتجاهات التغير فى الوعى الاسرائيلى ، الا بعد مرور هذه المرحلة الانتقالية التى أشرنا الى سماتها الأساسية .

(١) يورام كيسيل - اسرائيل والسلام - جويش كرو نيكل البريطانية - ٢ نوفمبر

ولكن محصلة التغير الكيفي ، لن يعتمد فقط على عامل الزمن ،
والشفاء من الصدمة السيكولوجية العنيفة التي نجمت عن الحرب ،
ولكن أيضا على تفاوت مستويات الوعي الاسرائيلي . هنا لابد أن نفرق
تفرقة واضحة بين مستويات ثلاثة : مستوى الصفوة السياسية ،
ومستوى العلماء والمفكرين الاجتماعيين ، ومستوى الرأي العام
الاسرائيلي .

ان التغيرات في الوعي الاسرائيلي على مستوى الصفوة السياسية
عملية بالغة التعقيد . لأنها من ناحية تعتمد على الخلافات التكتيكية أو
الاستراتيجية بين أعضاء هذه الصفوة فيما يتعلق بمواقفهم من الصراع
العربي الاسرائيلي من ناحية ، وعلى قدرتهم على التكيف مع الحقائق
الجديدة التي ترتبت على حرب رمضان من ناحية أخرى .

وفي تقديرنا أن مقاومة أعضاء الصفوة الاسرائيلية المتشددین
ستزداد عنفا وضراوة في المرحلة القادمة . فليس ميسورا على من
صاغوا الاستراتيجية الأساسية للتعامل مع العرب بكل ما تتضمنه من
أوهام اسرائيل الكبرى ، وسياسة التوسع ، وضم الأراضي ، وعبادة
القوة والاعتماد عليها ، والتضخيم في الذات الاسرائيلية ، والتهوين من
شأن العرب . . ليس ميسورا عليهم أن يتراجعوا تراجعاً جوهرياً
في موقفهم .

وقد يلعب المعتدلون هنا دوراً هاماً في إعادة الوعي الاسرائيلي
على مستوى الجماهير ، حتى يكون أكثر تطابقاً مع الواقع الجديد .

ويأتي بعد ذلك المستوى الثاني ، وهم العلماء والمفكرون
الاجتماعيون ، الذين أسهموا بدورهم في صياغة صورة الذات الاسرائيلية
وصورة الشخصية العربية . ان هذه الفئة - نزولاً على الاعتبارات
الأكاديمية التي وان كان من الممكن ، كما فعلوا ، الانحراف عنها ،
وخصوصاً في سنوات العجز العربي عقب حرب يونيو ١٩٦٧ - لن
يستطيعوا طويلاً الاستمرار في خديعة الرأي العام الاسرائيلي ، ولابد
لهم أن يعيدوا صياغة نظرياتهم التي جهدوا في صياغتها والترويج لها ،

ولعل بدايات الحديث في اسرائيل عن القدرة النسبية للمقاتل
العربي ، التي ردمت تحت رمال الصلف والغرور الاسرائيلي ، الذي
كان رد فعل للنصر الاسرائيلي في ١٩٦٧ ، تشير الى هذا التحول الذي
لابد له أن يتم .

ولا يبقى أمامنا سوى المستوى الثالث الخاص بالرأي العام
الاسرائيلي . وفي تقديرنا أن تغير الوعي لدى الرأي العام الاسرائيلي
نتيجة لحرب رمضان سيتم بمعدل أسرع من معدل تغير الصفوة
السياسية والعلماء والمفكرون . ذلك أن الحقائق السياسية والعسكرية
الصلبة تكون أقوى نفاذاً الى هذا الوعي ، خصوصاً بالنسبة لحرب
تساقط فيها - لأول مرة في تاريخ اسرائيل - آلاف القتلى والجرحى ،
ووقع مئات الأسرى في أيدي القوات العربية .

ولعل مما سيساعد على هذا التغير نتائج الاتصال الواسع المدى مع العرب ، الذي تم تحت مظلة سياسة الجسور المفتوحة ، التي سبق أن أشرنا إليها ، غير أن هذا الاتصال السلمي ، أضيف إليه في حرب رمضان اتصال عدائي بين القوات المسلحة الاسرائيلية والقوات المسلحة العربية .

وقد تكون هذه هي المرة الاولى التي يكتشف فيها المقاتل الاسرائيلي - على نطاق واسع وبصورة حادة وقاسية - المقاتل العربي وقدراته . ولا بد للافكار القومية النمطية الثابتة التي كان يعتنقها الاسرائيليون عن العرب ، أن تنهار تحت وطأة هذا الاكتشاف . لن يحدث ذلك فوراً بطبيعة الأحوال ، ولكن لا شك أن حرب رمضان من شأنها اطلاق بدايات هذا التغير .

عمليات التفكك والتكامل في المجتمع الاسرائيلي :

● ما هو أثر حرب رمضان على عمليات التفكك والتكامل في المجتمع الاسرائيلي ؟

ان ذلك يرتبط بالمشكلات النوعية التي كانت تواجه المجتمع الاسرائيلي قبل الحرب والتي يمكن حصرها في أربع مشكلات : الصراع الطبقي والسلالي ، والصراع بين الأجيال ، والاعترا ب والتفكك الاجتماعي ، واستراتيجية التعامل مع العرب .

١ - وفي تقديرنا ان تأثير حرب رمضان على الصراع الطبقي والسلالي سيكون حاسماً . بعبارة أخرى نتوقع - نتيجة للاعباء المالية الباهظة التي وقعت على اسرائيل نتيجة للحرب - بالإضافة الى الخسارة الاقتصادية الضخمة نتيجة لنقص الانتاج وتوقفه في بعض القطاعات - ان تزداد اعباء الضرائب على الاسرائيلي العادي .

هؤلاء الاسرائيليون سبق لهم ان خاضوا معارك شتى من خلال الاضرابات ووسائل الصراع الاجتماعي الأخرى ، لتحسين احوالهم المعيشية . ولذلك يتوقع زيادة تبلور الوعي الطبقي بين الفئات الاجتماعية الاسرائيلية ، مما من شأنه أن يلعب البعد الطبقي - على المدى البعيد - ومواكبا لاكمال صياغة المجتمع الاسرائيلي على نسق المجتمعات الرأسمالية الاستهلاكية - دوراً أكثر بروزاً من الدور الذي يلعبه المبدأ السلالي .

وفي الوقت نفسه ستشهد المرحلة القادمة من تطور المجتمع الاسرائيلي تصاعدا للصراع السلالي بكل أشكاله . وستتخذ هذا التصاعد صورة الصراع التقليدي الذي تمارسه الاقليات المتميزة في المجتمعات التعددية ، بما يتضمن ذلك من الحفاظ على رموز

الحضارات الفرعونية وتنميتها والتوحد مع قيمتها ازاء قيم المجتمع السائدة ، وابتداع صور شتى للتعبير السياسى والاجتماعى عن قيمها ومصالحتها الاجتماعية والطبقية .

وقد يرجع هذه الاحتمالات جميعا ، الامكانات المطروحة لتحقيق تسوية سلمية بين اسرائيل والعرب . ان تحقيق ذلك ، فلا مناص من أن يفعل قانون الصراع الرئيسى فى المجتمع الاسرائيلى فعله . وهو الذى يقوم على قاعدة مؤداها : اذا اختلف الصراع المسلح بين اسرائيل والعالم العربى ، ظهر الصراع الاجتماعى المكتوم والمقيد الى السطح .

٢ - ونتوقع أن يكون لحرب رمضان وقع شديد على مسار الصراعات السابقة والحالية بين أجيال الصفوة السياسية الاسرائيلية الحاكمة . وقد تكون الحرب هى المعول الذى سيأتى على آخر الأرصد المتبقية للحرس القديم الاسرائيلى .

ولعل صيحة يورى مخنبرى « هل نترك حكامنا يردون على قضايا جديدة بأجوبة قديمة ؟ » ؛ تشير الى اتجاهات الصراع العنيف حيث سيشتد فى المرحلة القادمة بين الصفوة السياسية التقليدية ، والصفوة الشابة التى يكافح أعضاؤها لكى يأخذوا فرصتهم فى الحكم واتخاذ القرار .

وقد يكون طبيعة المرحلة القادمة ؛ التى لن يتاح فيها لاسرائيل معارضة دورها القديم الذى سقط فى أكتوبر ١٩٧٣ ، هى الأرضية التى قد تسمح لأعضاء هذه الصفوة الصفوف الأولى .

أما الصراع بين الصفوة السياسية وجماهير الشباب الاسرائيلى فيتوقع أن تزداد حدته نتيجة للنتائج المخيبة للآمال التى حققها الجيش الاسرائيلى فى ميدان القتال ، ولتساقط كثير من الدعاوى والأساطير الاسرائيلية .

٣ - ان مظاهر الاغتراب والتفكك الاجتماعى ، يتوقع أن تزيد حدتها فى المرحلة المقبلة ؛ ما لم تحدث عملية إعادة صياغة خلاقة لنسق القيم فى المجتمع الاسرائيلى ، حتى تكون أكثر انسانية .

غير أن هذه عملية بالغة التعقيد ، يختلط فيها الوعى الزائف بالوعى الحقيقى ؛ وتؤثر عليها ارتباطات تاريخية وعاطفية بقيسم قديمة قام عليها المشروع الصهيونى منذ البداية ، ولذلك لا تتوقع

أن تتم هذه العملية فى المدى القريب مما سيعترب عليه شيوخ حالة من حالات « تصدع القيم » ، حيث يفتقر الناس الى مستويات خلقية للحكم على السلوك الاجتماعى .

وسيساعد على ذلك الآثار المتزايدة لتداعى المجتمع الايدولوجى القديم واكتمال ملامح المجتمع الصناعى الاستهلاكى الجديد ، بما يتضمنه من تفاوت طبقى حاد ، مما يؤدى الى شيوخ مشاعر الاحباط القاسية لدى أعضاء الفئات الاجتماعية المحرومة .

غير أنه أخطر من ذلك كله ، نتوقع أن تزداد حدة الاتجاه السلبى الذى كان سائدا بين الشباب الاسرائيلى من قبل ازاء الحرب . فحرب رمضان ، بما تضمنته من سقوط آلاف القتلى الاسرائيليين ؛ ستترك آثارا عميقة فى وعى الشباب الاسرائيلى ، ستؤدى الى الاقناع بعبثية السياسة الاسرائيلية التقليدية .

٤ - وتبقى أخيرا التغيرات التى ستطرأ على نظرة الاسرائيليين الى العرب . مضى الزمن الذى كان يمكن فيه التهوين من شأن العربى ؛ والتلويح بعجزه وتخلفه ، فمن خلال معارك أكتوبر ، تساقطت الأوهام الاسرائيلية ، وظهرت الحقائق العربية .

وخلاصة دراستنا ، أن حرب رمضان ستكون بداية لتغيرات واسعة المدى فى بنية المجتمع الاسرائيلى ، وفى نسق القيم الذى يصدر عنه ؛ فى الاتجاهات التى تسود بين الاسرائيليين ، غير أن التغيرات الاجتماعية ، لا بد لها أن تتفاعل عبر مراحل زمنية كاملة ؛ حتى تظهر آثارها . (*)



ليست بالقضية المقدسة

فى قضية الأرض والأمن ، وارتباطها بسلامة اسرائيل ، تحدث اثنان من صقور المؤسسة العسكرية ، فكشفا بأرائها المتضاربة عن عمق الشرخ الذى أصاب العقيدة الصهيونية التوسعية بعد السادس من أكتوبر ١٩٧٣ . زعم يشعياهو جافيتش ، قائد جبهة سيناء فى الجولة الثالثة ؛ ان المناطق المحتلة هى وحدها التى تكفل لاسرائيل الحدود الآمنة .

(١) هذه الدراسة التحليلية بقلم الاستاذ السيد يس رئيس وحدة بحوث بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجناية .

ثم تحدث بعده اسحق رابين ، رئيس الاركان العامة فى نفس الجولة . ورئيس وزراء اسرائيل الحالى ؛ فأكّد ان مسألة الحدود ليست بالقضية المقدسة ، ولا هى أساس وجود اسرائيل . وحذر من أن الاسرائيليين يفقدون (أحيانا) الرؤية الواضحة عندما يقرنون قضية الأمن باستمرار سيطرتهم على المناطق المحتلة ، الى غير ذلك من اللعاوى الماثلة ، التى تربط بين سلامة اسرائيل ؛ وعدم التخلي عن سياسة التوسع والضم . . .

واختلاف الرأى بين جافيش ورابين ، وهما صقرا المؤسسة العسكرية يعتبر مؤشرا للتمزق الذى أصاب العقيدة الصهيونية التوسعية بفضل انجازات العرب الرائعة فى الجولة الرابعة ، ونجاحهم فى احباط حجج اسرائيل بما أجبر رئيس وزرائها الى التسليم بحاجتها الى إعادة النظر ، للخروج من مأزق الاستعمار الاستيطانى الذى مارسه طويلا فى قلب الأمة العربية وأعز أجزائها ، على حين أن موجته تنحسر عن وجه الأرض فى باقى ساحات الاستعمار الاوربى الأبيض . .

وربما يرجع سبب تضارب الرأى بين جافيتش ورابين الى أن الأخير أكثر ادراكا للمتغيرات التى طرأت على القضية بعد النصر العربى فى أكتوبر ١٩٧٣ بحكم انه كان القائد الذى حقق لاسرائيل حلمها فى الحدود الآمنة عام ١٩٦٧ ، ثم خلف الحكومة التى داهمتها الهزيمة منها . . .

وليس مشكلة اسرائيل كما اقتنع العالم مشكلة أمن أو أرض بقدر ما هى رغبة دفينّة فى التوسع والعدوان ، وفرض « السلام العبرانى » على المنطقة ؛ وان ضربت بحقوق العرب وبقوانين الأخلاق عرض الحائط .

والمفهوم العبرانى للسلام الذى يقوم على أربع ركائز هى انكار حقوق الآخرين ، وفرض الأمر الواقع ، والتسلط ، والعنصرية ؛ قد فضحته الجولة الرابعة ، واقنعت الرأى العام العالمى بفساده بما تسبب فى عزلة اسرائيل دوليا . . .

فالسلام العبرانى يربط الأمن بالتوسع ، ولا يرى لهما تطبيقا الا فى اكتساب مواقع جديدة ، ثم يروح يصك تعاريف مخاتلة لتبرير عدوانه واخفاء أعلامه الشرهة فى أرض العرب . . تحت شعارات زائفة هى الحرب الوقائية . . والضربة المسبقة ، والحدود الآمنة . . وما أشبه .

ثم وقع الزلزال الذى هز بنيان العقيدة الصهيونية التوسعية من الأساس ؛ فأصبح من المستهجن أن يستمر جافيتش واضرابه فى ترديد

ذات الاسطورة ، وتكرار الشعارات الزائفة نفسها ، التي حطمها العرب في السادس من أكتوبر ..

ان أبرز دروس هذه الحرب انها وضعت اسرائيل للمرة الاولى امام الاختيار بين الأرض والأمن ، وقد يكون هذا الاختيار صعبا ، وهو ما يضع اعباء اضافية على المستر هنري كيسنجر وسياسة المكوك التي يتبعها بين القاهرة وقل أبيب ، ولكن المستقبل القريب سوف يكشف عن ان مسألة الحدود ليست بالقضية المقدسة كما يزعم جافيتش وأمثاله ، وان الاسرائيليين يفقدون الرؤية الواضحة عندما يقرنون بينها وبين الأمن .

وعن الاقتصاد الاسرائيلي :

صرح حاييم بارليف وزير التجارة والصناعة الاسرائيلي لجريدة هآرتس في ٢٠ نوفمبر ١٩٧٣ بأن ٧٧ ألفا (يشكلون ٢٧٪ من مجموع ٢٧٥ ألف عام في الصناعة) لا يزالون حتى الآن مجندين .

وذكر بارليف : لقد وصل التصدير الصناعي ، خلال أكتوبر الى ٧٤ مليون دولار مقابل ٩٠ مليون دولار عن الشهر نفسه من السنة الماضية . كذلك فان الطلب على منتجات البناء قد نعلص لأن اعمال البناء تدهورت بنسبة ٤٠ ٪ من حجمها العادي ولقد كان الطلب على منتجات صناعة الأغذية عاديا أما الطلب على الفراء والحلي فقد تقلص حتى الصفر تقريبا لعدم وجود سياح . ولقد بلغ حجم النشاط التجاري : خلال أكتوبر ، نحو ٢٠ ٪ من حجمه العادي ..

وكشف الوزير أيضا أنه في عشية الحرب كان نصف انتاج فروع الصلب والالكترونات ووسائل النقل معدا لخدمة جهاز الدفاع . ولكن بسبب الطلبات الكبيرة الجديدة التي وجهت الى مصانع نيرة حلال الاسابيع الاخيرة ، ستكون المصانع ملزمة بتحويل من ٧٪ الى ٧٥٪ من انتاجها خلال السنة المقبلة لحاجات جهاز الدفاع .

واضاف بارليف أنه ينبغي تخطيط النشاط للأشهر القادمة ، ربما لثلاثة أشهر وربما لثمانية ، بحيث يبقى الآلاف من عمال الصناعة مجندين في الاحتياط .

وعلق يوفال اليتسور الاقتصادي الاسرائيلي الشهير في جريدة معاريف يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣ على الوضع الراهن للاقتصاد الاسرائيلي

يقوله ، انه اذا ما استمر وقف اطلاق النار ، أو اذا تجددت الحرب ، فان الاقتصاد الاسرائيلي لن يعود ؛ خلال الأسابيع القليلة ، الى وضع من الاستقرار . ويمكن الافتراض أيضا ، ان الظروف التي سادت بالنسبة له قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ لن تعود ثانية . ان عملية تسريح الاحتياط ستكون هذه المرة ؛ بحسب كل الدلائل ، بطيئة أكثر مما كانت عليه في الماضي ، كذلك فان الانتقال الى فترة الأعمال العادية ستكون هذه المرة أطول .

وأضاف اليتسور أنه يتوقع أن يتسم النشاط الاقتصادي في الفترة التي تلي الحرب بطابع شد الأحزمة واذا ما وضعنا في الحسبان زيادة الضرائب أيضا ، وكذلك تقلص المساعدات المالية (الحكومية) للحاجات الضرورية - وهي اجراءات كان من الواجب على أية حال اتخاذها بعد الانتخابات لانقاذ الاقتصاد من ضمن التضخم التي أصابته قبل نشوب القتال - فانه من الواضح أنه ستكون هناك حاجة الى تقليص مستوى المعيشة في الاقتصاد الاسرائيلي خلال السنة أو السنتين المقبلتين بنحو ١٠٪ على الأقل ، .

• • • • • لقد استمعت اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس النواب الأمريكي في طواقيها بمختلف الدوائر الحكومية الاسرائيلية بعد الحرب فيما بين ١٧ ، ٢٠ نوفمبر ١٩٧٣ الى تقارير من وزارة المالية الاسرائيلية تؤكد حاجة اسرائيل الى المساعدة المالية العاجلة .

فبينما كلفتها حرب يونيو ١٩٦٧ حوالي مليون دولار في اليوم الواحد ، اذ بحرب أكتوبر ١٩٧٣ تكلفتها حوالي ٢٥٠ مليون دولار في اليوم . أي أن مجموع ما أنفقته اسرائيل على هذه الحرب تجاوز ٦ بلايين دولار ، ووصلت قيمة مجموع واردات الدفاع الاسرائيلي عام ١٩٧٣ الى حوالي ١٨ بليون دولار ، أي أكثر ١١ مرة منها عام ١٩٦٧ .

وهذا الرقم يشكل حوالي ثلث مجموع وارداتها عام ١٩٧٣ . وقد أنفق ما يزيد على ٤٠٪ من اجمالي الناتج القومي الاسرائيلي على شؤون الدفاع ومطالبه عام ١٩٧٣ . ووصل مجموع الديون الخارجية الى ٥ بلايين دولار ، أي بواقع ١٥٠٠ دولار لكل مواطن اسرائيلي ، كما وصلت أقساط سداد هذه الديون الى ٨٠٠ مليون دولار سنويا ؛ أي ما يعادل نصف مجموع احتياطي اسرائيل من النقد .

وكمثال على ضخامة المعبد الضريبي على المواطن الاسرائيلي فان الفرد الذى يحصل على الف دولار شهريا يصل صافى راتبه بعد استقطاع الضرائب المختلفة الى ٤٥٠ دولار فى الشهر (١) ، ٠٠ .

حصيلة الملحة :

بقيت فى الملحة جولتان ، جولة فى فكر القادة والرؤساء الذين خططوا الهجوم واداروه ، وجولة أخرى فى فكر أبرز فلاسفة الحرب المعاصرين عن الدروس المستفادة من حرب رمضان .

♦ فيقول الفريق أول احمد اسماعيل « لنذكر بالفخر دائما شهداءنا الأبرار ، وقد كان أول من بذل حياته فداء للوطن هو الشهيد العميد شفيق مثرى سدرارك قائد اللواء ١٦ المشاة ، الذى جاد بروحه وهو على رأس جنوده (٢) ، ٠٠ .

♦ ويقول الفريق سعد الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية (ان نجاح معركة العبور هو حصيلة مشتركة لجميع الجهود . لقد كانت توجيهات السيد الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، ومشاركته الدائمة فى مناقشة المسائل وايجاد الحلول لها خير موجه للقيادة العامة للقوات المسلحة وهى ترسم وتحسب كل الاحتمالات .

كما كان الفريق أول أحمد اسماعيل على قمة جهاز القيادة يشارك بقدر طاقته ومسئوليته فى التجهيز والاعداد والتنفيذ ؛ حتى استطعنا فى النهاية أن نحقق فى ٦ أكتوبر نجاحا شهد به العالم أجمع ، وسوف يبقى هذا اليوم دائما يوم فخر للعرب وقواتهم المسلحة (٣) ، ٠٠ .

♦ ويقول الفريق أحمد فؤاد ذكرى قائد القوات البحرية ٠٠ « كانت خطط البحرية تعتمد أساسا على مهاجمة العدو على جبهة عريضة فى البحرين الأبيض والأحمر ، مع استخدام أقصى جهد للوحدات البحرية

(١) من تقرير اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس النواب الأمريكى فى الجلسة الأولى للدورة الثانية والتسعين للكونجرس الأمريكى - ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٢) مجلس الشعب - ٨ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٣) الأخبار القاهرية - ٢١ نوفمبر ١٩٧٣ .

خلال الأيام الأولى للعمليات ؛ واستغلال عامل المفاجأة الى أقصى حد
مستطاع ، وتثبيت جهود العدو وإرباك قيادته (١) ، ٠٠ ، ٠

♦ ويقول اللواء محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى ٠٠ « ان
سر تفوق الدفاع الجوى هو التخطيط الجيد ، واستيعاب الرجال للأسلحة
الحديثة المعقدة ، وقدرتهم العالية على استعادة الموقف بسرعة ، واصلاح
المعدات بحيث كانوا دائما على أهبة الاستعداد للملاقاة العدو ، وتكبيده
خسائر حطمت معنويات الطيارين الاسرائيليين (٢) ٠٠ ، ٠

♦ ويقول اللواء محمد حسنى مبارك قائد القوات الجوية ٠٠ « لقد
أعطتنا نكسة ١٩٦٧ منطلقا جادا لاعادة بناء قواتنا الجوية من الأساس .
كما وفرت لنا خبرة عريضة ، وزودتنا بالدروس المستفادة التى كان لها
فضل انشاء قوات جوية متطورة ، امكثنا تنفيذ اعقد المهام وأخطرها -يال
الوطن (٣) ٠٠ ، ٠

♦ ويقول اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات
المسلحة « ان الاور الرئيسى فى حسم هذه المعركة وتحقيق النصر كان
للمقاتل المصرى الذى يتمتع بايمان راسخ وروح معنوية وقاتلية عالية ؛
المؤمن بالهدف الذى يحارب من أجله (٤) ٠٠ ، ٠

♦ ويقول اللواء محمد سعد الدين مامون قائد الجيش الثانى الميدانى
٠٠ « لقد كانت مشاعر الاهالى المدنيين فى أرض المعركة منعقة للفخر
والثناء ، فبمجرد أن هدرت نيران مدفيعتنا فى الجبهة ، واستمع المواطنون
الى الجنود وهم يهللون بأعلى صوت ٠٠ الله أكبر ، الله أكبر ، هب
الشباب والشيوخ والأطفال ، ذكورا وإناثا ، يقدمون المساعدة قدر طاقتهم؛
ويشاركون بوجدانهم وأجسامهم فى القتال المحتدم (٥) ٠٠ ، ٠

♦ ويقول اللواء محمد عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث
الميدانى ٠٠ « هؤلاء جنودى البواسل ، لن يقف فى وجههم مانع مهما

(١) الأهرام القاهرية - ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٢) الأهرام القاهرية - ١١ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٣) الأهرام القاهرية - ١١ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٤) تقرير رئيس هيئة العمليات أمام مجلس الشعب - ١٣ نوفمبر ١٩٧٣ .

(٥) تقرير قائد الجيش الثانى أمام مجلس الشعب - ١٣ نوفمبر ١٩٧٣ .

بلغت وعورته ، أو حصن مهما اشتدت مناعته ؛ فهم المنصورون بعون الله وعدالة قضيتنا (١) » .

♦ ويقول اللواء جمال محمد على مدير المهندسين « يفف وراء النجاح العظيم الذى حققته قواتنا المسلحة بقفزتها الباسلة عبر القناة ، واجتياحها الجارف خط بارليف الحصين ، تلك الجهود المضنية للمهندسين العسكريين وابتكاراتهم الفذة ، وحلولهم العملية للمشاكل الكثيرة التى كانت تواجه عملية العبور فوق المانع العريض - قناة السويس - ثم المانع الحصين - خط بارليف (٢) » .

♦ ويقول العميد نبيل شكرى قائد القوات الخاصة « لقد كانت البداية قبل أن يطلق قائدنا الاعلى شرارة اللحمة الخالدة بسنوات طويلة ، قضيناها فى اعداد أنفسنا بالجهد والعرق والدم ؛ يدفعنا ما وفره لنا شعبنا العظيم من أجل المعركة المرتقبة ، وكان شوقنا الى خوحى القتال لنرد للشعب دينه بدمائنا وأرواحنا لا يعادله شوق أو يدانيه (٣) » .



● أما حصيلة الجولة الثانية فى فكر أبرز فلاسفة الحرب المعاصرين فتخلص أيضا فى عشر نقاط ، يسوقها الجنرال أندريه بوفر فى ندوته التى عقدها باكاديمية ناصر العسكرية العليا بالقاهرة يوم ١٥ نوفمبر ١٩٧٣ وقال فيها :

١ - « أريد أن أبدي اعجابى الشديد بالعمل الذى أنجزته القوات المسلحة المصرية والسورية ، مشفوعا باعجابى بذلك التقدم الذى أظهرته هذه القوات فى الميدان » .

٢ - « لقد أبرزت حرب رمضان - كما تابعتها من بعيد - دروسا عديدة فى المجالات الفنية والتعبوية والاستراتيجية والسياسية » .
فالصواريخ الموجهة المضادة للطائرات والمضادة للدبابات قد أثبتت كفاءتها وبأسها الشديد ؛ وبفضل هذه الصواريخ فشلت الدبابات

(١) مقابلة خاصة - ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

(٢) الأهرام القاهرية - ١١ ديسمبر ١٩٧٣

(٣) الأهرام القاهرية - ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ .

والطائرات الاسرائيلية فى احراز التفوق ، ومالت الموازين الى جانب العرب » .

٣ - « واثبتت حرب رمضان ان المعركة فى مجالها الفنى سوف تزداد تعقيدا نظرا لان كل خطوة للتطور سوف تعقبها خطوة أخرى مضادة لهذا التطور ، وسوف يصبح التفوق التكنولوجى تبعا لذلك شديدا الواقع عظيم التأثير على أحداث القتال » .

٤ - « لقد أصاب الشلل اسرائيل فى الفترة الاولى من الحرب حتى حصلوا على معدات أمريكية شديدة التطور ، ورغم ذلك فلم يستطيعوا أن يحرزوا ذلك التفوق الكامل الذى أحرزوه فى حرب ١٩٦٧ » .

٥ - « ومن وجهة النظر التعبوية فقد كان الدرس الأهم فى حرب رمضان هو أن القوات الجوية اذا أحسن انتشارها وحمايتها سوف تتمكن من الاستمرار فى لابقاء فتحرم بذلك الحصم من التمتع بميزة كبرى هى التفوق أو السيطرة الجوية » .

وقد أدى توفر الصواريخ المضادة للطائرات لتقديم الوقاية الفعالة للقوات البرية - حتى فى غياب الحماية بواسطة الطائرات - أدى الى خلق موقف جديد تماما لم يسبق ممارسته فى الحروب السابقة ، وأعنى به ذلك التوازن بين القوات الجوية لدى الطرفين الذى خلق موقفا يختلف تماما عما لمسناه فى الحرب العالمية الثانية ، أو فى الجولات العربية الاسرائيلية السابقة ، عندما كان أحد الخصوم ينجح فى احراز التفوق أو السيطرة الجوية على سماء المسرح خلال المرحلة الافتتاحية او المرحلة الأولى للحرب .

٦ - « أما عن المعركة البرية فقد أبرزت حرب رمضان أن الدفاع مهما كان حصينا - كقلاع خطبارليف - فسوف يظل عرضة للاختراق والتدمير ما دامت القوات المهاجمة من القوة والكثافة والتصميم بالقدر الذى يضمن لها الغلبة » .

٧ - « وهناك نقطة أخرى ، هى أن العمليات الليلية تعتبر ضرورية جدا ؛ وائنى أعرف مقدار صعوبتها ، ولكن اذا وثق المقاتل من

حرب رمضان - ٣٠٥

نفسه أصبح الليل صديقه وعدو عدوه ، انها مسألة عادة وروح معنوية » .

٨ - « وعلينا أن نتذكر دئما أن الأمن والسلام يكمنان في مداومة الحركة والمناورة ، ويجب على القوات أن تغير أوضاعها باستمرار لأنها اذا توقفت ضاعت ، وخاصة ضد عدو كاسرائيل ؛ فاذا ما توقفت فليكن ذلك عند مانع أقوى كثيرا من قناة السويس ، أو بعد هزيمة عدوكم بما يجعلكم سادة الموقف » .

٩ - « وعلى المستوى الاستراتيجي فان الموقف العالمي الحالي ، ووجود القوتين الأعظم وتهديدات الحرب النووية قد جعل الحرب بين الدول الصغيرة محدودة من حيث الأهداف ومن حيث الزمن ومن حيث الساحة . . . وقد كانت حرب رمضان حربا محدودة ، وذلك لأن المبركة المسلحة لا تخرج في الواقع عن كونها جزءا من مباراة أكبر ، تتطلب معارك دعائية واقتصادية ودبلوماسية وسياسية مكثفة ، تلك هي المباراة الكاملة » .

وليست القوات المسلحة سوى الطلبة الكبيرة وسط اوركسترا تعزف سيمفونية ، وليست - كما يرغب بعض العسكريين - معزوفة منفردة (سولو) . ومن وجهة النظر هذه يعتبر الهجوم المصري السوري في السادس من أكتوبر عملا رائعا اذ كسر طبقة التلج السميكة التي كست الموقف السياسي ، وخلق فهما أفضل للحقيقة أنه اذا لم ترضخ اسرائيل للحل الوسط فان عليها أن تواجه حروبا أخرى .

ووعى العالم كله هذه الحقيقة التي كانت غائبة عنه قبل حرب رمضان ، التي كانت عملا أنجزه العرب بجسارة وشجاعة : وجعلت اسرائيل تدرك مدى كفاءة العرب بعد أن كانوا قد بالغوا في التقدير وقللوا من قدرتهم فنشأ بذلك عنصر المفاجأة ذو الطبيعة التكنولوجية عندما اصطدموا بالواقع في مسرح الحرب » .

١٠ - « وفي الثالث والعشرين من أكتوبر خرق الاسرائيليون اتفاقية وقف اطلاق النار ، واستطاعوا بالغش أن يتقدموا ، وهي خدعة اسرائيلية معروفة ، طالما لجئوا اليها في الماضي ، اذ دفعوا باغارات مدرعة الى السويس والى الغرب ، وأعتقد أن الهدف هنا كان سيكولوجيا محضا ، اذ كانوا يتوقعون أن يحمى وقف اطلاق النار

قواتهم من الدمار ؛ لذلك فهي ليست عملية عسكرية بل مظاهرات
تليفزيونية ..

ويبين ذلك أن خطة مصر للحرب كان ينبغي أن تمتد لتشمل
وقف إطلاق النار ، وتحديد ما تراه مناسبا ؛ وما يلزم توفيره والا
كان العدو سوف يستغله في تحسين موقفه .. وعلى العرب أن
يدركوا هذه المشكلة ، فهي إحدى الأعباء الإسرائيلية ، ..

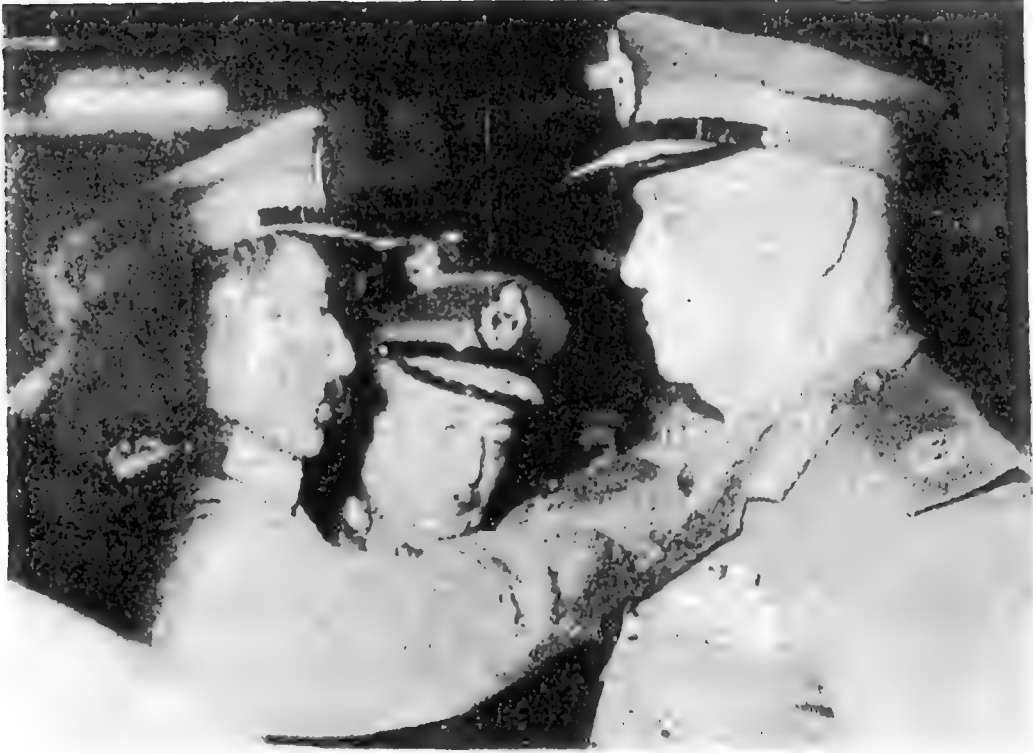
وفي الختام فلنستعرض أثر كل ذلك على الأمن الإسرائيلي ، والواضح
هنا أن الجيش الإسرائيلي لم يعد يتمتع بالتفوق الساحق الذي كان يتمتع
به سابقا ، وتلك حقيقة لا تقبل الجدل ، واعتقد أنهم قد فهموها تماما ،
ولم يعد أمامهم إلا أن يختاروا أحد أمرين :

• فاما أن يشعروا بمزيد من عدم الأمن ، وبالتالي يزيدوا من قوتهم
العسكرية وخاصة من الناحية النوعية ، ويصبحوا أكثر تشددا فيما
يتعلق بما يسمونه الحدود الآمنة •

• واما أن يوافقوا على التوصل الى تسوية باعتبار أنها أفضل وسيلة
لبث الفقرة بين العرب •

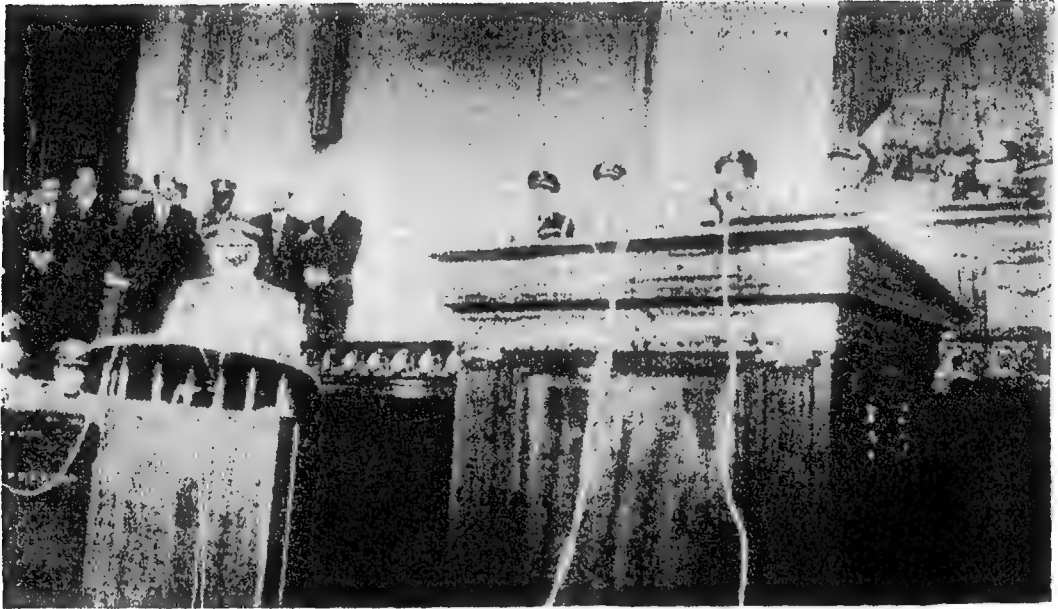
« ومهما يكن الاختيار فسوف يستمر الإسرائيليون في السباق
النوعي للتسلح ؛ وأنا متأكد من ذلك تماما ؛ وعلى الطرف الآخر فإن
النجاح العظيم الذي حققه العرب في هجومهم يوم ٦ أكتوبر يكمن في أنهم
حققوا تأثيرا سيكولوجيا هائلا في معسكر الخصم ، وفي المجال العالمي
الفسيح ، ويبقى عليهم بعد ذلك أن يفكروا في نتائج هذا التأثير على العالم
ليحصلوا على مؤازرته وتأييده » •

(جنرال الجيش أندريه بوفر — ندوة في أكاديمية ناصر العسكرية
العليا — القاهرة — ١٥ نوفمبر ١٩٧٣)



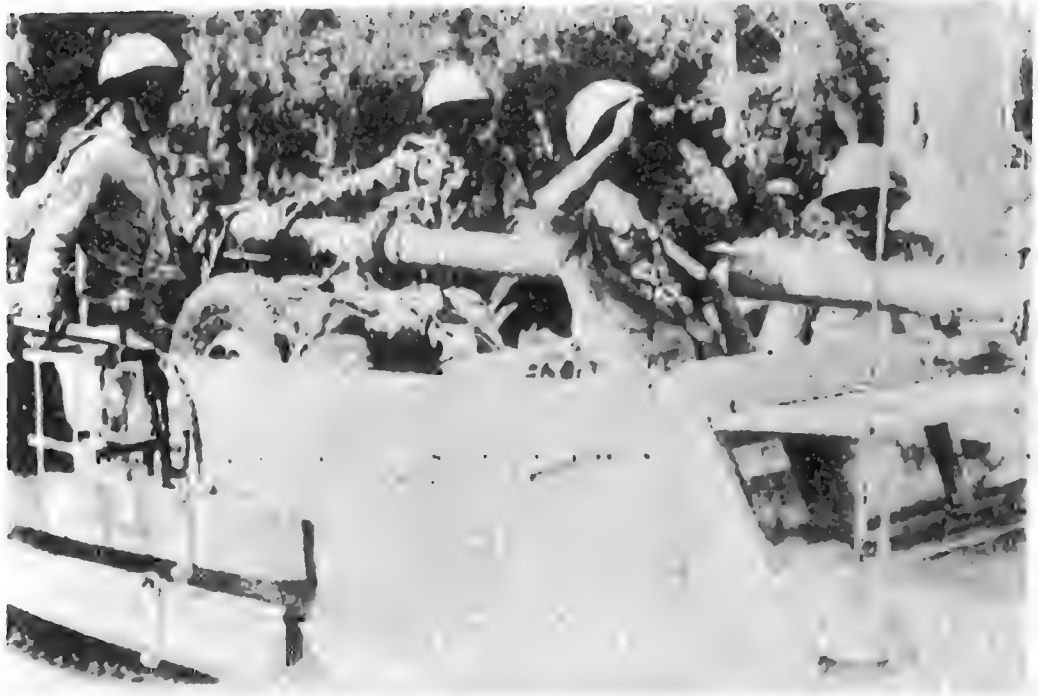
✽ الرئيس السادات :

و الحمد لله أننا وصلنا لهذه اللحظة لنضع اللمسات الأخيرة على العمل
ونقول للعالم أننا أحياء ، ويسترد شعبنا ثقته في نفسه وفيكم ، وأنا واثق أن
كل فرد في قواتنا المسلحة سيؤدى واجبه كاملا لاحساسه بمسئوليته تجاه وطنه
وسأتحمل معكم المسؤولية كاملة



• لنكرم بالحب وبالتقدير وبالعرفان أبطالنا ضباطنا وجنودنا
وشهداءنا الذين رفعوا في العالم رأسنا وأكدوا في الديننا شرفنا وحقنا وسطروا
في العاشر من رمضان أروع صفحة في تاريخنا .

حافظ بدوي



« ... واستخدم المقاتل المصرى الأسلحة المضادة للدبابات بكفاءة »
الأسير الملازم أول رامى دورون



« .. ولا يزال حطام الدبابات الاسرائيلية مبعثراً على امتداد الصحراء ... »
« جرانفيل وست »



وحملوا قتلاهم ورحلوا ..



الباب التاسع
عرب رمضان ..
في الميزان

في الداخل والخارج

والفضل ما شهدت به الاعداء :

• لم تنقطع شكوى اسرائيل من مرارة الهزيمة منذ توقفت نيران الجولة الرابعة ، وبعد مرور عام كامل تحولت الشكوى الى نقد لاذع مبعثه العاطفة الجريئة ، وظهرت آثاره في كل وسائل الاعلام الاسرائيلية .

ولعل ندوة جريئة ها آوتس التي عقدتها لتقييم نتائج حرب يوم الغفران بمناسبة انقضاء عام كامل عليها ، فجتمعت لها عشرة من مشاهير قادة وعلماء اسرائيل كفيلة بتوضيح مدى الحزن والخوف الذي انتشر داخل اسرائيل بعد الهزيمة .

• يقول الجنرال يشعياهو جافيتش قائد مسرح سيناء في جولة ١٩٦٧ ان العرب قد حققوا اهدافهم في حرب يوم الغفران وأثبتوا للملا قدرتهم على خوض القتال بشجاعة واقتحام أعصى الموانع مع قيادة قوات كبيرة جدا في تنسيق حاذق وتخطيط استراتيجي ممتاز من خلال تعاون سياسي رائع .

• ويروي البروفسير روفائيل موشيه عالم الطب النفسي ان حرب يوم الغفران قد فتحت أعين الاسرائيليين على واقع جديد عندما اكتشفوا ان جنودهم عرضة للهزيمة بعد أن كانوا يظنون ان لديهم مناعة ضدها ، بالإضافة الى ان الصهيونية قد تحولت الى كلمة شائنة يتنصل منها الجميع يعد أن كانت مبعث فخارهم قبل هذه الحرب .

• ويشير البروفسير نوح مليجرام الى ان الاسرائيليين كانوا على يقين قبل الحرب انهم أعظم قوة عسكرية في المنطقة ، وان قدرتهم على الردع

سوف تمنع العرب من مجرد التفكير فى شن القتال ، لأنهم اذا ما جروا على ذلك فسوف يندق جيش اسرائيل عظامهم .. ولكن العرب خاضوا الحرب فكسروا عظام اسرائيل ، وبرهنوا ان حياتها سوف تستمر فى تعبئة دائمة وخوف مستمر ..

♦ **ويعترف البروفسير بوغز عفرون** ان هناك شعورا بالكآبة والحزن نجم عن اكتشاف الاسرائيليين فجأة انهم لا يعيشون فى فراغ القوة كما ظنوا بعد ١٩٦٧ ، وان هناك قوة مضادة - هم العرب - تحظى بتأييد الرأى العام العالمى ، وتشكل قوة سياسية واقتصادية وعسكرية رهيبه ، فى الوقت نفسه الذى خربت حرب يوم الغفران اقتصاد اسرائيل وسببت افلاس سياستها ..

♦ **ويضيف البروفسير ميخائيل فيلتمان** الاستاذ بمعهد وايزمان سببا آخر للآزمة التى تعيشها اسرائيل بعد الحرب ، فيعزوها الى انها دولة من المهاجرين الجدد الذين تنقصهم التقاليد العريقة التى تساعد على امتصاص الهزائم والتغلب على الازمات مثل العرب ..

♦ **ويؤكد البروفسير اليعازر شفاير** أستاذ الفلسفة اليهودية بالجامعة العبرية ان اسرائيل تجابه اليوم شعورا أليما بأنها تقف أمام مشاكل عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية طاحنة لا تعرف ماينبغى عليها أن تفعله حيالها ولا كيف يجب عليها أن تستعد .

♦ **ويعزو البروفسير هارون بيغار** سبب فقدان الاسرائيليين للثقة فى قدرة جيشهم ان طاقته تبدو بعد الحرب مثل الساق المكسورة وهو ما يضيف على اسرائيل طابع الحزن العميق ..

♦ **ويوضح البروفسير امنون كابيلوك** خبير الشئون العربية ان العوامل السياسية والاقتصادية والعسكرية قد طوعها العرب فى حرب يوم الغفران بشكل فعال ومتسق ضد اسرائيل ، بحيث كانت هذه الحرب هى المرة الاولى التى أحسن فيها العرب الاستعداد والتخطيط والاداء ، وقد كسب العرب عطف الرأى العام الذى اقتنع بحقهم فى تحرير أرضهم المحتلة ، أما سلاح البترول فقد استخدموه بمهارة وجدارة ، فدفعت اسرائيل ثمنا فادحا نتيجة ذلك .

♦ **ويشعر البروفسير رثيف ليف** أستاذ العلوم الطبيعية بالجامعة العبرية انه وزملاءه من رجال العلم أمام حالة طوارئ كتلك التى واجهت بريطانيا بعد مأساة دنكرك بعد عام ١٩٤٠ ، لأن هناك أمرا فظيحا قد حدث يوم الغفران نتيجة القوة والمهارة التى أصبح العرب يتصفون بها ..

♦ **ثم يحمل البروفسير شمعون شامير** مدير معهد شلواح للدراسات الشرقية بجامعة تل أبيب انجازات العرب الرائعة فى حرب يوم الغفران فيما يلى .

- ١ - انهم استطاعوا تغيير سياسة الولايات المتحدة الاميركية للمرة الاولى في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي .
 - ٢ - انهم أثبتوا ان الحل العسكري ليس وقفا على اسرائيل وحدها .
 - ٣ - انهم برهنوا على قدرة عالية على التنسيق السياسى والعسكرى والاقتصادى والاعلامى فى الاعمال المشتركة بينهم .
 - ٤ - انهم استعادوا القدرة على الحركة السياسية بين مجموعة الدول بعد أن فقدوها عام ١٩٦٧ .
 - ٥ - انهم هدموا نظرية الأمن الاسرائيلي من اساسها .
- تلك هي خلاصة آراء عشرة من قادة وعلماء اسرائيل عن نتائج الجولة الرابعة فى مختلف المجالات ، وهي خلاصة ما وراء ندوة جريدة ها آرتس فى مناسبة مرور عام كامل على نصر العرب . . والفضل ما شهدت به الأعداء .

مثل يحتذى فى حروب المستقبل

ويمثل ما عقدت جريدة هاآرتس ندوتها سألقة الذكر لتقييم نتائج حرب يوم الغفران داخل اسرائيل بمناسبة انقضاء عام كامل عليها ، عقد المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية بلندن ندوة مماثلة من نخبة من العلماء والخبراء فى مختلف العلوم والفنون ، اجتمعوا فى المؤتمر السادس عشر للمعهد فى جامعة سسكس بجنوب بريطانيا لبحث النظام الدولى الذى ترتب على الجولة العربية الاسرائيلية الرابعة ، ولتقييم نتائجها فى الخارج .

وقد استهل الاستاذ هشام شرابى الحديث بعرض وجهة نظره عن طبيعة المرحلة القادمة من الصراع التى تحول الزمن فيها الى جانب العرب ودخل الفلسطينيون فيها طرفا أساسيا فى الصراع .

ثم اعقبه الأستاذ مالكولم ماكينتوش فتناول تأثير مشكلة الشرق الاوسط على علاقات القوى العظمى فانهى الى أن العرب قد نجحوا بفضل نصرهم فى رسم خريطة جديدة للقوى العالمية .

وانقسم المؤتمر بعدئذ الى لجنتى بحث تناولت الاولى موضوع النفط والاستراتيجية فأكدت ان العرب قد أداروا معركة البترول بحنكة وذكاء فجاءت آثارها موازية فى قوتها لآثار الحرب ، اذا حولت قطاعات كبيرة من الدول الى صفهم .

أما اللجنة الثانية فقد ركزت على الدروس المستفادة من حرب رمضان والاحتمالات المترتبة عليها ، وقد اجمل الجنرال مارجلين - عضو الندوة - أهم هذه الدروس فى الآتى :

ان الحرب قد كشفت عن حقيقتين مؤكدتين هما الكفاءة غير المتوقعة للصواريخ المضادة للدبابات والمضادة للطائرات ، والنجاح غير المتوقع للهجوم المفاجيء الذى شنه العرب عصر السادس من أكتوبر فحققوا به المفاجأة التامة ..

ويرى الجنرول مارجلين ان الفضل يعود الى هذين العاملين فى تغيير موازين القوى فى الشرق الأوسط ..

فقد أثبتت الصواريخ الحفيفة المضادة للطائرات والمضادة للدبابات جدارتها على يد جنود مصر وسوريا ، مثلما أثبتت مدافع الماكينة عندما استخدمت بفاعلية لأول مرة فى الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ انها السلاح الحاسم لقد حرمت هذه الصواريخ كلا من الدبابة والطائرة من احتلال مركزهما المرموق الذى تمتعتا به فى الجولات السابقة وبخاصة الجولة الثالثة صيف ١٩٦٧ .

فهذه الصواريخ وان سبق وأثبتت بأسها فى سماء فيتنام الشمالية، عندما أثرت بشده على الروح المعنوية للطيارين الاميركان وعلى تكتيكاتهم ومستواهم التكنولوجي الا ان وقعها جاء أشد تأثيرا على اسرائيل فى حرب ١٩٧٣ مما أثار دهشة الخبراء العسكريين قاطبة ، اذ أثبت المصريون والسوريون بما الحقوه من خسائر فادحة بطائرات اسرائيل ان صواريخهم ذات قدرة هائلة بدرجة لم يتوقعها أحد من قبل ، اذ تمكنت خلال أسبوعين من القتال النشط أن تدمر نصف دبابات اسرائيل وربع طائراتها وهو ما يكشف عن مدى بأسها ويؤكد ضرورة الاعتماد عليها بصورة متزايدة فى معارك المستقبل وفى حشود أكثر كثافة لتعطى نتائج أشد حسما سواء فى الهجوم أو الدفاع .

ان المقارنة بين تأثير نيران هذه الصواريخ وتأثير نيران الدبابات وعربات القتال المدرعة والقصف الجوى التكتيكي بالطائرات والهليكوبتر تثبت ان الصواريخ أسهل استخداما وأكثر دقة وأرخص تكلفة بالقدر الذى سوف يحرم اسرائيل من تفوقها الجوى .. ولعل ذلك هو ماحدى بالجنرال بنيامين بيليد أن يصرح وسط الحرب .. « أنه من الغباء أن نضحى بطائراتنا الباهظة الثمن كقرصة سهلة لصواريخهم الرخيصة الثمن » .

لقد أثبت العرب انهم قادرون على خوض حرب الصواريخ بكفاءة ، خاصة وان معركة الصاروخ ضد الطائرة أو الدبابة تقل كثيرا من حيث التكلفة عن معركة الطائرة ضد الطائرة أو الدبابة ضد الدبابة فثمان الطائرة بضع ملايين من الدولارات على حين لايتعدى ثمن الصاروخ المضاد لها بضع الاف من الدولارات ، وثمان دبابة واحدة يعادل ثمن ١٦ قاذف صواريخ و ٨٠ صاروخا معا .

وتظهر القيمة الحقيقية للصواريخ بصورة أوضح في المسارح
الفسيفة حيث تؤدي دورا حاسما بتدمير مراكز القيادة والسيطرة ، وعقد
المواصلات الهامة ، والمستودعات الادارية والفنية والمناطق الصناعية
ومواقع المدفعية وما اشبه ٠٠٠ كما يمكن لاطقم محدودة العدد أن تتسرب
الى العمق وهي مسلحة بهذه الصواريخ فتنتشر الدمار وهي على مسافة
بعيدة من فريستها تكفل لها الامن النسبي ٠٠

وعندما تتحول المعركة الى قتال مرن ، وتنتشر القوات المتضادة
فوق مساحات شاسعة فسوف تعثر الصواريخ على ضالتها فتوقع الدمار
في أعداد كبيرة من الدبابات والطائرات بدلا من تدميرها بالاسلوب المعهود
سابقا ، عن طريق تركيز حشود نيران المدفعية وقصف الطيران ضدها،
وما كان يترتب عليه من تأثير طفيف لا يقارن مع ما حققه المصريون
والسوريون بصواريخهم في حرب رمضان ٠٠

ثم ختم الجنرال مارجلين بحثه في ندوة المعهد الدولي للدراسات
الاستراتيجية بلندن بأن أكد أن عصر الصواريخ قد بدأ فعلا على يد
العرب في جولاتهم الرابعة ، وأنهم قد أعادوا للدفاع مركزه الهام في
معركة الأسلحة المشتركة الحديثة ، وأنها أصبحت بذلك مثالا يحتذى في
حروب المستقبل ٠٠

الدروس المستفادة

● اجتمعت كلمة خبراء وفلاسفة الحرب ان ما قدمته الجولة الرابعة من دروس تتصدر باقى الحروب المعاصرة بفضل تأثيرها الكبير على عمليات التعديل والتطوير التى أدخلتها على التكتيكات والتنظيمات والمعدات .

وبالإضافة الى ذلك فان الصراع العربى الاسرائيلى ينفرد من بين الصراعات المعاصرة فى أن جولاته تكررت بين الخصوم بالأسلحة نفسها والمعدات نفسها طبقا للأسلوب نفسه وعلى المسرح نفسه الذى يجمع بين مختلف أشكال تضاريس الأرض وخصائصها الطبوغرافية والديموغرافية .

هذا الاستمرار والتكرار الذى يتتالى فى جولات متشابهة نوعا وحجما يقسح الفرص الفريدة أمام فلاسفة الحرب وخبراء القتال للخروج من هذه الجولات بدروس مؤكدة ..

ثم ان المسرح يشتمل أيضا على الأبعاد الأربعة للمعركة الأسلحة المشتركة - البرية - والبحرية - والجوية - والدفاع الجوى .

وفضلا عن ذلك فهو أيضا مسرح قد تكرر اصطدام أحجام كبيرة من التشكيلات فوق أديمه ، واقتتلت أعداد وفيرة من أدوات الحرب عليه ، وتصارعت عقائد حربية وأساليب قتالية انبثقت عن أهم مدارس العالم المعاصرة ، النظرية البريطانية والتطبيق النازى فى جانب ، والنظرية والتطبيق السوفيتى فى جانب آخر .

كما اعتمد الصراع على أسلحة اعنتى ترسانات الحرب وأكثرها تطورا وابتكارا وأسبقها الى تطبيق التكنولوجيا الحديثة ، واستراتيجية التسليح المنظورة ..

لكل ذلك أضحي مسرح الشرق الاوسط بمثابة حقل للتجارب بالنسبة لصناعة الحرب في الربع الأخير من القرن العشرين ..

واذا ما قارنا بين هذا المسرح ومسرحي الشرق الاقصى وشبه القارة الهندية اللذين دار فيهما القتال عنيفا تارة ومتراخيا تارة أخرى لوجدنا ان سمات الحرب فيهما لم ترق بعد الى مستوى فن الحرب وأدوات القتال في مسرحنا ..

ولكل ما سبق ذكره ، يكون طبيعيا أن تبذل دول العالم قاطبة غاية الاهتمام في دراسة الجولات العربية الاسرائيلية التي توالى اشتعالها خلال ربع القرن المنصرم ، فتعقد الكثير من الندوات والمناقشات لتحليل خططها وتمحيص ديناميكيتها ، واستخلاص دروسها المستفادة ..

لهذا أوفد العالم خبراءه لزيارة ميادين القتال ولما ينقشع عنها دخان الحرب بعد ، فلم يدخروا وسعا للوقوف على أدق التفاصيل ، وصرفوا الوقت في تفقد أرض المعارك ، والبحث في سجلات القتال ، ومناقشة القادة والمقاتلين ، وبعد أن اكتملت أمامهم الصورة ، خرج كل واحد منهم بوجهة نظره عن هذه الجولة ، فزخرت بأرائهم الكتب والمجلات المتخصصة، بل حتى الجرائد اليومية في كل بقاع العالم ..

والملاحظ من دراسة ما صدر من وجهات نظر عن الجولة الرابعة انها تتصف بسعة الاطلاع وشدة التعمق وشمول الدراسة بعكس ماكانت منه دراستهم في الجولات السابقة ، التي كان الاعلام الاسرائيلي يحتكر فيها الحديث ، والدعاية الصهيونية تطمس الحقائق .. لهذا جاءت الاستنتاجات والدروس هذه المرة أكثر التصاقا بالوقائع وأشد التزاما بمنطلق الامور .. وهي وان اتفقت في أغلب الامور فانها تضاربت في أمور يعينها واختلفت ببون شاسع .

ويأتى على رأس قائمة التحليل العسكري لحرب لرمضان ان خطة الهجوم المصرية التي رمت الى اقتحام قناة السويس واقامة خمسة رموس كبرى على الضفة الشرقية قد حققت كل أهدافها ، اذ أقامت رموس الكبارى الخمسة طبقا للخطة الموضوعة وفي زمن أقصر مما كان مؤملا .. وليس في السوابق شيء مشابه لهذا النجاح أو قريب منه ، فاقصى مايطمح فيه المخطط أن ينجح في تحقيق نصف ما طمعت فيه خطته ، ولكن حرب رمضان حققت كل ما تمناه ، وبأسرع مما توقع .. وسبب ذلك في نظر غالبية من تصدى لحرب رمضان بالدراسة هو المفاجأة والتدريب الجيد على مهام القتال من جانب مصر .. والغرور القاتل من جانب اسرائيل ..

١ - وكان مما اتفقت عليه الآراء في حرب اكتوبر - الجولة الرابعة - في المجال الطبوغرافى للمسرح ، ان نظرية الحدود الآمنة التي اصطنعتها اسرائيل لتخفى سياستها التوسعية العدوانية في اغتصاب أرض العرب ، وفرض الامر الواقع في المسرح تحت ستار

ضرورات أمنها القومي ، هذه النظرية العدوانية قد انهارت تماما ،
وظهر زيفها للعالم أجمع الذي أبدى دهشته أن تأتي انتصارات
إسرائيل في الجولات السابقة من حدود غير آمنة ملأت إسرائيل
الدنيا ضجيجا بالشكوى من خطرهما الداهم على كيانها ، على حين
حاققت بها الهزيمة في الجولة الرابعة وهي تقف على حدود آمنة ،
أكد زعمائها وقادتها أنها تشكل لهم غاية السلامة .

٢ - وبمثل ما انهارت نظرية الأمن الإسرائيلية القائمة على كذوبة الحدود
الطبوغرافية الآمنة ، التي تركز على موانع طبيعية أو صناعية
هائلة ، انهارت استراتيجية العمل من خطوط داخلية ، التي فازت
إسرائيل بفضلها بمزايا كثيرة في الجولات السالفة نتيجة ضعف
التنسيق السياسي والعسكري بين الجبهات العربية الثلاث -
الشمالية ، والشرقية ، والجنوبية - بما أتاح لها توجيه الضربات
المتفوقة بكل أو أغلب قواتها البرية والجوية التي يطلق عليها صقور
المؤسسة العسكرية الإسرائيلية - يد إسرائيل العليا - الطيران
وذراعها الباترة - المدرعات - في تتابع لحسم الموقف في إحدى هذه
الجبهات قبل التحول بسرعة وحدة إلى الجبهة التالية .

٣ - فضلا على انهيار نظرية الحدود الآمنة ، والفشل الذي أصاب
استراتيجية العمل من خطوط داخلية - وهما الخلاصتان اللتان
اتفقت عليهما كافة الآراء ، فقد اجتمعت الكلمة - بالتبعية - على
نجاح الاستراتيجية العربية في ممارسة العمل من خطوط خارجية ،
بكل ما وفرتة من مزايا أجبرت القيادة الإسرائيلية - لأول مرة في
تاريخ الصراع - على بعثرة قواتها وتشتيت جهودها في مختلف
الجبهات المحيطة بها ، فعانت من جراء ذلك على المستوى التكتيكي
والتعبوي والاستراتيجي أشد المعاناة ، ووقع الجمود الفكري في
قياداتها الرئيسية ، والشلل العضوي في تشكيلاتها الميدانية
بمجرد أن اشتعلت نيران الجولة الرابعة ، ثم استمر تأثيرها عظيما
طوال المرحلة الأولى للعمليات .

٤ - ثم كان مما اتفقت عليه الدراسات التي عقدت عن الجولة الرابعة في
مجالات العقائد وأساليب القتال التي انتهجتها الأطراف المتصارعة
أن استمرار اعتماد إسرائيل على سلاح الردع - الطيران والمدرعات -
وعلى سرعة التعبئة والحشد والفتح التعبوي في مختلف الجبهات ،
لن يحقق لها في المستقبل التفوق نفسه الذي تمتعت بمزاياه العميمة
في الماضي ، نتيجة اختلاف الظروف المتغيرة في مسرح الحرب ،
وتغير العوامل المؤثرة على القتال في الجولة الرابعة ، بما قلبها من
حجر زاوية نحو النجاح إلى حجر عثرة صوب الفشل .

٥ - وكانت الجولة الرابعة هي المرة الأولى التي واجهت فيها القيادة

العسكرية الاسرائيلية مشكلة امتداد خطوط مواصلاتها الى الجبهات المختلفة ، فعانت بالتعبئة من المشاكل والمصاعب التكتيكية والادارية المترتبة على ذلك ، والتي كان من أبرزها طول فترة الفتح التعبوي في المسرح ، بعد اتمام التعبئة القومية والحشد ، ووصول القوات مجزأة ومنهكة الى خطوط المواجهة ، بعد أن قطعت مسافات شاسعة فيما بين منطقة التعبئة وارض المعركة ، الامر الذي كان على النقيض تماما في الجولات الثلاث السابقة عندما كان العرب عموما ، ومصر بخاصة ، هم الذين يعانون من هذه المشاكل والمصاعب الخطيرة .

لقد استغرق الفتح التعبوي من الأركان العامة الاسرائيلية النصف الثاني من ليلة ٥/٤ يونية ١٩٦٧ ، على حين استغرق منها كل أيام ٦ ، ٧ ، ٨ أكتوبر ٠٠ أى اثنى عشر مثلا لما استغرقته عملية الفتح التعبوي من وقت في الجولة الثالثة .

ويعود الفضل في ذلك الى مباغته العرب لاسرائيل ، والى نجاح العرب في ممارسة استراتيجية العمل من خطوط خارجية ، بتنسيق الهجوم في لحظة واحدة من جبهتي القتال الشمالية والجنوبية ، ثم - وبالدرجة الاولى - الى امتداد خطوط المواصلات الاسرائيلية بما أجبر القوات الاسرائيلية الرئيسية على قطع مسافات شاسعة من الأرض قبل الوصول الى الخطوط الامامية حيث كانت المعارك محتدمة في أعين صورها .

٦ - واتفقت الآراء جميعها على فشل جهاز المخابرات الاسرائيلية في تقدير الموقف العسكري رغم توفر الشواهد وتوالي المعلومات من مصادر موثوق بها عن قرب الهجوم العربي . وأرجعت الدراسات العديدة التي قام بها الخبراء العسكريون في البحث عن أسباب هذا الفشل الى الصلف والغرور القتال الذي أصاب المؤسسة العسكرية الاسرائيلية بعد الجولة الثالثة ، والمفاهيم الخاطئة التي صنعتها خيالات صقورهم عن الفسجوة الحضارية التي تفصل بينهم وبين العرب وعن التخلف التكنولوجي الذي يمسك بتلابيب أعدائهم فلا يدع لهم فرصة لممارسة العمل الايجابي أو انجاز المهام المعقدة التي يتصف بها القتال في الربع الاخير من القرن العشرين .

٧ - لقد دار القتال في الجولة الرابعة على مستوى تكنولوجي أرفع بكثير عما سبقه من حروب ، كما تم تجربة واختبار كفاءة عدة أسلحة ومعدات تحت النيران لأول مرة . وكانت نتائج هذه التجارب والاختبارات بالغة الاهمية عظيمة التأثير في شكل وسمة المعارك المقبلة ومن هنا كان اهتمام العالم أجمع في الوقوف على أسرارها والحصول على دروسها المستفادة . وبسبب شدة الاهتمام . . . والعجلة الزائدة للحصول على النتائج والدروس المستفادة . . . فقد شاب هذا العمل نوع من التسرع في القفز الى الخلاصات والنتائج التي لم تكن بالضرورة تركز على الاحصاءات الدقيقة أو المعلومات

الصحيحة . لقد نجح العرب مرة أخرى في حجب هذه الاحصاءات والمعلومات ضمانا لقصر الاستفادة منها عليهم وعلى أصدقائهم فقط .

٨ - ولم يتعرض سلاح الى الجدل والنقاش بمثل ما تعرضت له الصواريخ العربية أرض جو ، والصواريخ المضادة للدبابات في هذه الجولة ، اذ تضاربت في شأنها آراء الخبراء وما زالت بدرجة يبسود أنه لن يحسمها الا اشتعال جولة خاصة ، وذلك على الرغم من اقتناع الكافة بأن الصواريخ أرض جو ، قد أثبتت فاعليتها ضد الفانتوم، وأن الصواريخ المضادة للدبابات قد أعادت الدبابات الى حجمها الحقيقي بعد أن كانت الدعاية الاسرائيلية المفرضة قد أحالتها في الجولة الثالثة الى عملاق رهيب أو شيطان مريد . ويذكر خبراء الحرب كيف استخدم هذان السلاحان بكثرة في مسرحي فيتنام وشبه القارة الهندية دون أن يلفتا اليهما الانظار . ثم كيف شددت هذه الصواريخ انتباه الكافة في الجولة الرابعة بفضل نجاح تكتيكات العرب في استخدامها بأساليب وأنماط متطورة . ويتوقع الخبراء أن يترتب على هذا النجاح العظيم ادخال تغييرات ذات شأن على شكل المعركة المقبلة ، سوف تفيد الثقة الى قلوب جنود المشاة الذين استردوا اليوم قدراتهم على التصدي للدروع والمصفحات . . وقتلها . .

٩ - ولا يغرب عن البال أن وقفة جندي المشاة في وجه الدبابة مهما كان سلاحه قويا أو باترا ، فانها تتطلب منه أن يتحمل بمعنويات عالية، وأن يتصف بقدر كبير من البسالة والشجاعة خاصة وانه حتى بعد نجاحه في اصابة الدبابة بصاروخه الموجه اصابة مباشرة من قرب فما زال الاحتمال كبيرا أن تنهال عليه - منها أو من دبابة أخرى قريبة - نيرانها المصوبة من رشاشاتها سريعة الطلقات ، أو من داناتها شديدة الانفجار ، كما تظل الفرصة أن تنقض عليه الدبابة فتسحقه بجنازيها الفتاكة .

١٠ - وفي مجال الشئون الادارية والفنية فقد أثبت العرب في جولاتهم الرابعة نجاحا منقطع النظير في حل أعقد مشاكل الاعاشة والامداد، وأعوص مواقف الاخلاء والعلاج والاصلاح ، فمواجهة أشق ظروف القتال وأعتى أشكال الصراع ، وتمكنوا على امتداد أيام المعركة أن يلبيوا مطالب التشكيلات والوحدات المقاتلة بحاجتها من اللخائم والوقود والمؤن والمياه بكميات تفوق التصور ، ومعدلات منقطعة النظير ، على حين كان غريمهم يعاني من نقص هذه المطالب وندرة الاحتياجات نتيجة سوء الخدمة الادارية والفنية في المسرح ورغم ذلك الجسر الجوي الهائل الذي تدفق على اسرائيل دون انقطاع من الترسانات والمستودعات الامريكية الغنية .

١١- وعن مبادئ الحرب التي أحسن هذا الجانب تطبيقها فمكنته من الفوز أو غفل ذلك الطرف عنها فأنزلت به الخسارة .. فان العرب - بشهادة كل خبراء فن الحرب وفلاسفة التاريخ العسكري - قد حققوا المفاجأة والمبادأة والتعاون والامن والاقتصاد في المجهود والروح المعنوية بصورة تكاد تكون مثالا يحتذى للآخرين في تطبيق هذه المبادئ التي لا غنى عنها للنصر .

- فهل هناك قدر من المفاجأة يفوق ما حققه العرب بمباغطة عدوهم بالقتال وهو في اغفاءة القيلولة من يوم الغفران ، فينجحوا في اقتحام أهول الموانع ، واحتلال أقوى الحصون ، فيما لا يتجاوز المائتي دقيقة ، وهي ذات الحصون التي صرفت اسرائيل ألفى يوم أو تزيد في اقامتها وتجهيزها بأفتك آلات الحرب وأخطر أدوات القتال ..

- وهل هناك أفضل من هذه المبادأة التي حققها العرب عصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، فكالوا لاسرائيل الضربة الأولى للمرة الأولى في تاريخ الصراع ، وهدموا بذلك نظرية الهجوم المسبق وضربة الاجهاض التي تمتعت اسرائيل في ظلها بالطمأنينة أمدا طويلا ، وهددت بها العرب دهرها امتدت سنتينه فتجاوزت ربع القرن ؟

- وهل هناك أوثق من التعاون الذي نسج العرب خيوطه فيما بين جبهتي الشمال والجنوب ، وداخل كل جبهة منهما ، فجاءت أنشطتهما القتالية شديدة التنسيق كأنها السيمفونية التي يضبط ايقاعها المايسترو الحاذق ، فترتبط بهذه النغمات مختلف أوجه الأداء القتالي للأطراف المتصارعة وفق مشيئة القائد العام للجبهات العربية المتحالفة .

- وهل هناك أمن أكثر رسوخا من أن يحشد العرب كل هذه القوات وتلك الأسلحة والمعدات في المناطق الامامية من الجبهات فلا يتعرض فرد منها أو معدة واحدة لأعمال العدو المضادة طوال فترة التحضير للعمل الهجومي التي امتدت أيامها طويلا واستمر نشاطها كثيفا دون أى تدخل من العدو - سواء أكبر شأنه أم صغر .

- وهل هناك اقتصاد في المجهود أفضل من ان يستدرج العرب طائرات اسرائيل ومدروعاتها - يدها العليا وذراعها الطويلة - الى فخ مدبر وأرض قتل معدة من قبل ، حيث يقضون على أغلبها بأقل مجهود وأرخص ثمن .

- وهل هناك روح معنوية يمكن أن تفوق معنويات ذلك المقاتل العربي الذي اندفع يعبر الموانع الأسطورية ويقتحم الحصون الشيطانية بصدذه العاري وايمانه العميق ، فكأنه يطير فوق الماء ويخترق السدود ويقتحم النيران ، محطما في اباء وشمم كل ما أطلقته دعاية اسرائيل من أكاذيب وافتراءات عن ضعف حيلته أمامها ، وسوء المصير الذي ينتظره

على حصولها وقلاعها ، والنهاية الاليمة التى سوف يلقيها على يد « صقور المؤسسة العسكرية الاسرائيلية الكواسر » .

١٢ - لقد اتفقت آراء المعلقين والخبراء العسكريين على ان جهاز التخطيط العربى أصاب التوفيق فى انتخاب أسلوب القتال الذى يضمن له كل ركائز القوة ويضع امام اسرائيل كل العراقيل والصعاب . وتركز أطنابهم على وجه الخصوص على اهتمام خطه الاقتحام ان تنشر مواجهة الهجوم على طول خط المواجهة من جنوب بور سعيد شمالا الى شمال عيون موسى جنوبا ، على جبهه بلغ اتساعها نحو مائة وخمسة وسبعين كيلو مترا ، اذ ضمن العرب بذلك أن يستولوا بقفزة واحدة على كل خط بارليف بتحصينات الاسطورية وموانعه الطبيعية والصناعية ، ثم يتركون العدو يتخبط بحثا عن رد الفعل الافضل حيال هذا العمل الجرى ، خاصة وان المعروف عن جهاز الحرب الاسرائيلى انه يحسن القتال على المواجهات الضيفة حيث تتاح له فرصة حشد وتركيز يده العليا وذراعه الطويلة - الطيران والمدركات - بكثافة عالية لاجراء عمليات القطع والتطويق ، والاندفاع الى مؤخرة العدو عن طريق الأجساب المفتوحة لهن أترانه التعبوى فى المسرح تمهيدا للهزيمة . وعندما فرض عليه جهاز التخطيط المصرى المعركة بشكلكها المنتشر على هذا النحو ، حرمه فى الوقت نفسه من ممارسة أسلوب القتال على مواجهات ضيقة ، وأجبره على دخول معركة من اختيار العرب مكانا وزمانا ، وتكتيكا وأسلوبا .

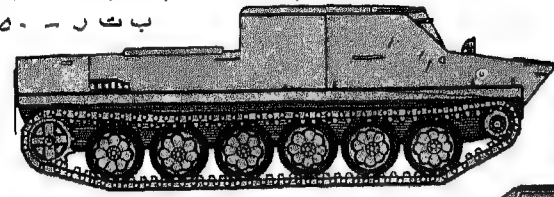
١٣ - وأخيرا وليس آخرا فقد أجمع المعلقون والخبراء ان الغرور القاتل والصلف المقيت اللذين كانا قد استشرى أمرهما بين صفوف أفراد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فأدار رؤوسهم ، وحلق بهم فى عالم الخيال ، وطمس بصائرهم ، هذان الغرور والصلف هما سبب ما حاق باسرائيل من هزيمة .

١٤ - ثم يشهد شاهد من أهلها ، فيستمع العالم أجمع الى ابراهيم كاتزير رئيس دولة اسرائيل - وهو يكشف للشعب يوم ٢٤ أكتوبر طرفا من الحقيقة الاليمة فيقول له ..

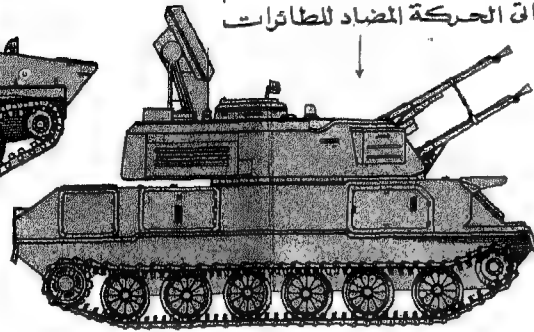
« لقد كانت اسرائيل تعيش فيما بين ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ فى نشوة لم تكن الظروف تبررها ، بل كنا نعيش فى عالم من الخيال لا صلة له بالواقع ، وهذه الحالة النفسية هى المسؤلة عن الأخطاء التى حدثت قبل الحرب ، وفى الأيام الاولى منها ، لانها كانت قد تفشت فى كل المجالات العسكرية والسياسية والاجتماعية ، وأحدثت فيها مواطن ضعف خطيرة يجب على الاسرائيليين جميعا أن يتحملوا مسئوليتها ، علينا أن نتعلم بعد هذه الحرب الفظيعة أن نكون أكثر تواضعا كما يتحتم علينا أن نبذل كل طاقنا لازالة الفجوة الاجتماعية والتغلب على المادية التى أهدت بنا » .
فهل تراهم يفعلون !

مركبات القتال المدرعة في حرب رمضان

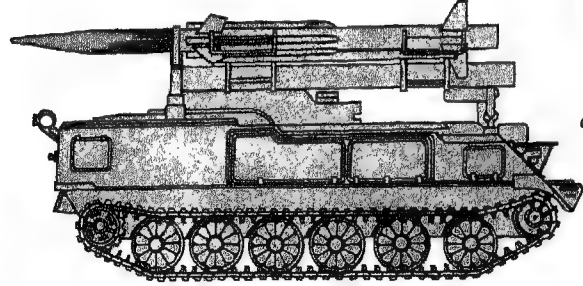
حاملة الأفراد المدرعة السوفيتية
ب ت ر - ٥٠



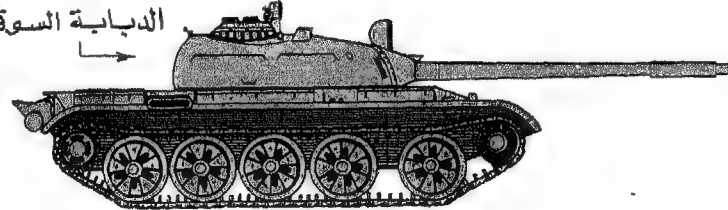
المدفع السوفيتي ٢٣ مم
ذات الحركة المضاد للطائرات



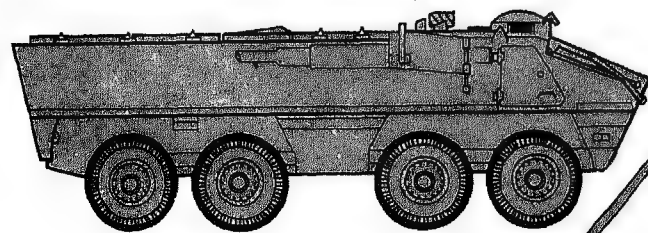
نظام الصواريخ المضادة للطائرات
سام ٦ - سوفيتي



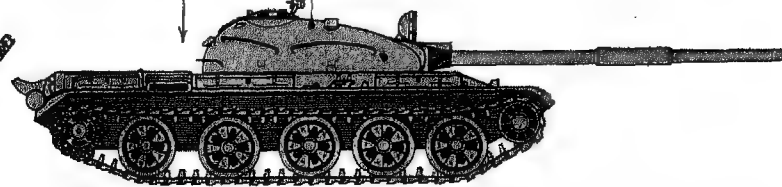
الدبابة السوفيتية ت ٥٤



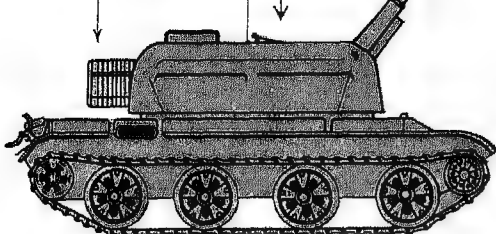
حاملة الأفراد المدرعة التشيكية
والبولندية ب ت ر - ٦٤



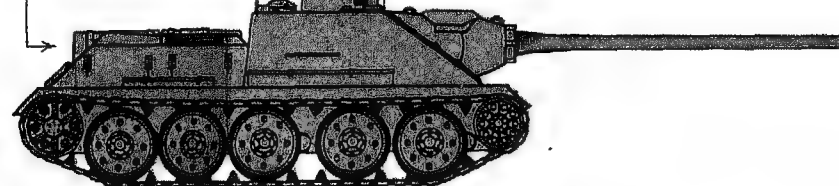
الدبابة السوفيتية ت ١٢



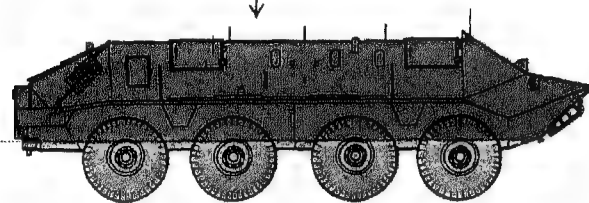
المدفع السوفيتي ٥٧ مم
ذات الحركة المضاد للطائرات



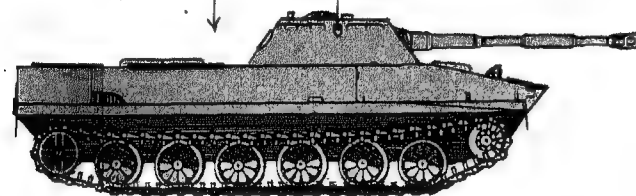
المدفع السوفيتي ١٠٠ مم ذات الحركة
المضاد للدبابات



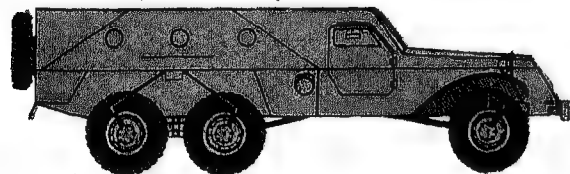
حاملة الأفراد المدرعة السوفيتية
ب ت ر - ٦٠



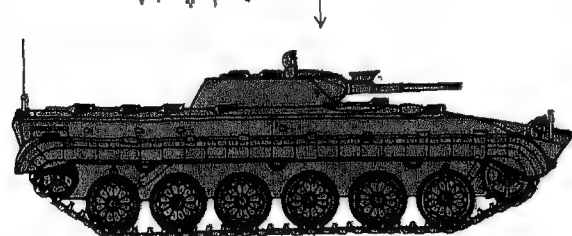
الدبابة السوفيتية ب ت ٧٦
البرمائية



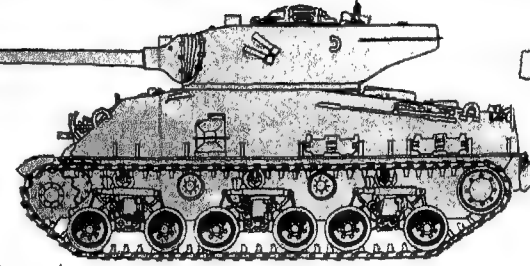
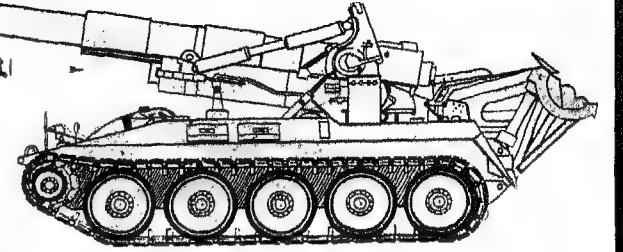
حاملة الأفراد المدرعة السوفيتية
ب ت ر - ١٥٢



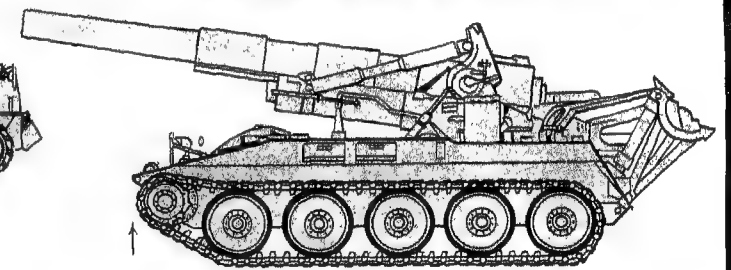
حاملة الأفراد المدرعة السوفيتية
ب ت ر - ٧٦



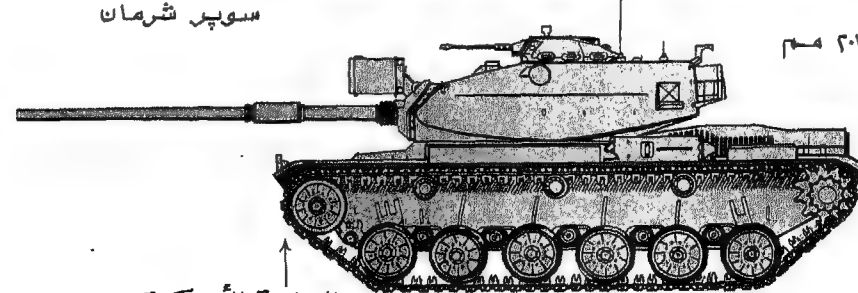
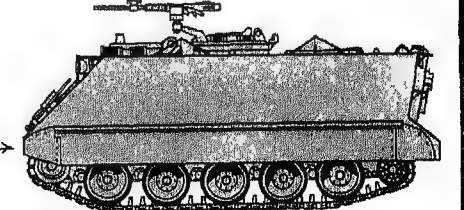
المدفع الأمريكي ١٠٧ عيار ١٧٥ مم
ذات الحركة



الدبابة الأمريكية م ٤ المعدلة
سوبر شرمان

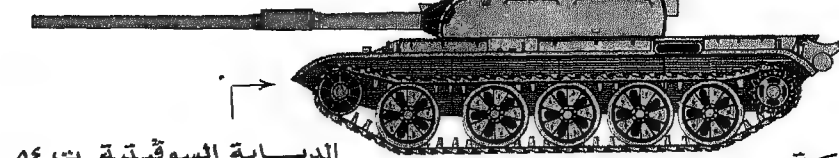
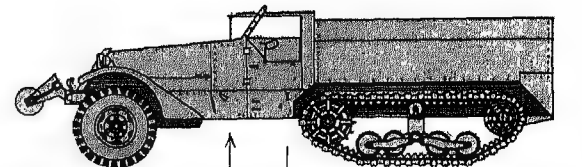


المدفع الأمريكي ١١٠ عيار ٢٠٣ مم
ذات الحركة



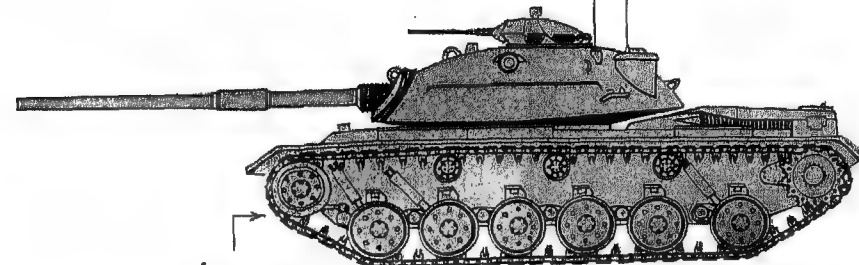
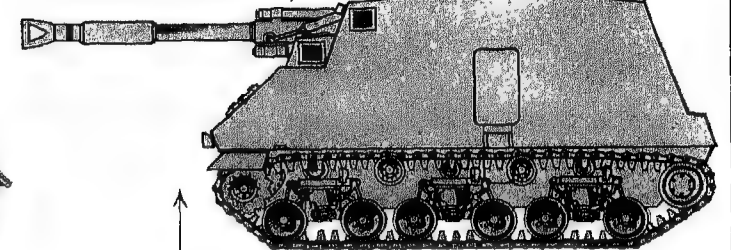
الدبابة الأمريكية م ٦٠ ١٢

حاملة الأفراد المدرعة الأمريكية
م ١١٣



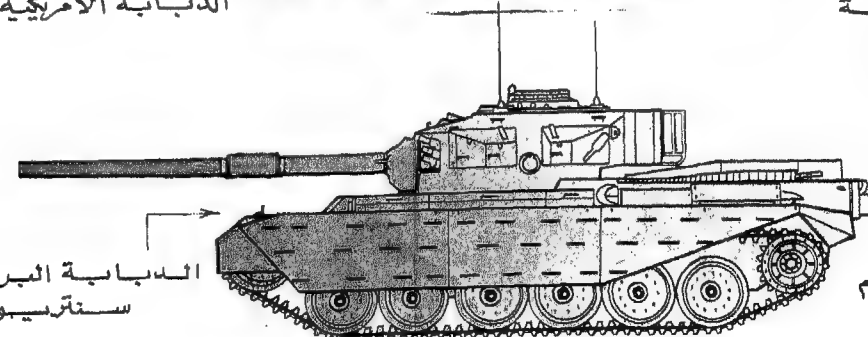
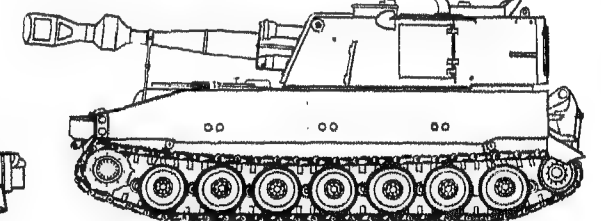
الدبابة السوفيتية ت ٥٤

حاملة الأفراد المدرعة الأمريكية
م ٣ - نصف جنزير



الدبابة الأمريكية م ٤٨

المدفع الإسرائيلي ٣٣ عيار ١٥٥ مم
ذات الحركة



الدبابة البريطانية
سنتريون

المدفع الأمريكي ١٠٩ عيار ١٥٥ مم
ذات الحركة

فهرس

الموضوع	الصفحة
الاهداء	٥
الباب الأول :	
المازق العشرة	١٣
الأسباب والمسببات	١٣
المدخل الى فلسطين	٢٢
الباب الثاني :	
الخلفية السياسية	٣٧
السلام بالحرب	٣٧
المحادثات الرباعية	٣٩
المحادثات الثنائية	٤٠
مبادرة روجرز	٤١
مبادرة السادات	٤١
دعوة مصر لعقد دورة طارئة لمجلس الأمن ١٩٧٣	٤٣
الاعداد السياسي للمعركة	٤٤
الباب الثالث :	
في البدء	٥١
الباب الرابع :	
في صبر وصمت	٥٧

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول : التخطيط والاعداد	٥٩
اللا حرب واللا سلم	٥٩
القرار الجرى	٦٠
العوامل	٦٢
التجهيز الهندسى لمشرح العمليات	٧٨
اعداد القوات	٩٢
المفاجأة وكيف خططنا لها	٩٣
اجراءات الخداع العسكرى	٩٤
اختيار أنسب التوقيتات لتنفيذ العملية الهجومية	٩٦
سرية التخطيط والتجهيز للعملية	٩٩
الخطوط الرئيسية لفكرة العملية	١٠٠
التنسيق مع الجبهة السورية	١٠١
الفصل الثانى : اللمسات الأخيرة	١٠٥

الباب الخامس :

المعركة	١١٣
الحرب للسلام	١١٥
مراحل النضال	١٢٢
الفصل الأول : أروع الأيام	١٢٧
أبراج الحمام تنهاوى	١٣١
الاثنين الاسود	١٣٨
النهار الطويل	١٣٩
الرجل الذى تحطم	١٤١
عن المدفعية المصرية	١٤٤
عن المدرعات	١٥٢
عن قوات الصاعقة	١٥٥

الموضوع	الصفحة
عن المهندسين العسكريين	١٥٦
عن المهندسين العسكريين	١٥٦
تأمين رموس الكبارى وتعزيز المعابر	١٦٠
فوق الأمواج	١٦٥
ملاحم بارزة	١٦٧
الفصل الثانى : الضغط شرقا	١٧١
نجدة الشقيق	١٧١
الفصل الثالث : معارك الدبابات الكبرى	١٧٧
سرد الأحداث الرئيسية للمرحلة	١٧٨
الفصل الرابع : المعركة التليفزيونية	١٨٥
سرد الأحداث الرئيسية	١٨٦
الفصل الخامس : الانتشار فى حى القرار	١٨٩
سرد الأحداث الرئيسية	١٩٠
الفصل السادس : بعد القرار	١٩٧
حقيقة النجاح الاسرائيلى	٢٠١
ولم يبق الا تدميره	٢٠٤

الباب السادس :

ذراعها المبتورة	٢٠٦
الفصل الأول : البناء	٢٠٧
الهرم الجديد	٢٠٩
غابة الصواريخ	٢١٠
وجاء اليوم	٢١١
الضربات الفاشلة	٢١٤
آلاف الأطنان فوق بور سعيد	٢١٨
الفصل الثانى : فوق السحاب : القوات الحوية	٢٢٥

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث : الأبيض والأحمر القوات البحرية	٢٣١
الموقف البحرى قبل ١٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣	٢٣٣
ثم بدأت الحرب البحرية	٢٣٤

الباب السابع :

حرب المائة يوم	٢٤١
مرحلة الصراع السياسى	٢٤٣
تطورات الموقف السياسى	٢٤٥
اجتماعات عسكرية اضافية	٢٥٢
الاجتماع السابع عشر	٢٥٣
مؤتمر جنيف للسلام ولجنة العمل العسكرية	٢٥٤
المرحلة الثانية لمباحثات الكيلومتر ١٠١	٢٥٩

الباب الثامن :

وتحطمت الأسطورة بعد الظهر	٢٦٥
الفصل الأول : عن المفاجأة	٢٦٩
الفصل الثانى : عن العبرة	٢٧٧
معركة البترول	٢٨٢
ليست بالقضية المقدسة	٢٩٨
حصيلة الملحمة	٣٠٢

الباب التاسع :

حرب رمضان في الميزان	٢٠٩
الفصل الأول : فى الداخل والخارج	٣١١
الثانى : الدروس المستفادة	٣١٧

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٦/٧٤٩٢

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٢٠٧ -

يحمل كتاب رمضان بين دفتيه خلاصة أمينة وثروة لأعظم تجربة
عسكرية وقعت في منطقة الشرق الأوسط في العصر الحديث . . .
تجربة رائدة في فنون الحرب . . . جمعت بين التخطيط الدقيق المتكامل
وبين الأداء العسكري المثقن . . .
ولعل أبرز ما يميز هذا الكتاب أن مؤلفيه قد عايشوا أحداث الحرب
وتطوراتها منذ بداية التخطيط حتى إيقاف القتال من مواقعهم داخل
مركز القيادة الرئيسي للقوات المسلحة . . . بل إن بعض أبواب هذا
الكتاب كتبت بين جدران غرفة العمليات الرئيسية بعد أيام قليلة من
توقف القتال ووقائعه مازالت متوهجة في الأذهان حية في
الوجدان . . . لذلك جاء كتاب حرب رمضان كتابا وافيا في فصوله
وأبوابه ، متكاملا في سرده ، أميناً في عرضه وتحليله . . .